فتح المنان

في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

عن الجان

بقلم

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

وفي آخره

تحقيق البرهان في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجان

تصنيف

الإمام العلامة شرف الدين أبي العباس أحمد بن الحسن
الشهير بابن قاضي الجبل المتوفى (٧٧١هـ)

اعتنى بها

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مكتبة التوحيد

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

مكتبة التوحيد

ص.ب: ٥٤٨٠٠ - المنامة - البحرين
هاتف وفاكس: ٧٤١١١٩

فتح المنان

في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

عن الجان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:ـ

فإن «أصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1]»[2].

و «أصل الغيب: المكان المطمئن الذي يستتر فيه لنزوله عما حوله، فسمي كل مستتر غيباً»[3].

«وحقيقته ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر، فافهموه»[4].

«وحقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح. وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة

---

(١) البقرة (١ ـ ٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٢/١٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢٤/١)، وينظر تفسير ابن عطية (١٤٦/١).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٨/١).

بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر.

إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، إنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله.

فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله.

فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده، وسواء فهمه عقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه.

بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدي الله»(١).

فأهم صفات المؤمنين هي الإيمان بالغيب(٢)، ولذلك قال

---

(١) تيسير المنان في تفسير كلام الرحمٰن (١/٤١).

(٢) كان مما جاء في الخطة الشاملة للثقافة العربية (انتشار الإيمان بالغيب «الفكر الغيبي»، أهم أسباب انتكاسة الحضارة العربية. . . . .) و«الخطة الشاملة للثقافة العربية» هي بمثابة استراتيجية للثقافة العربية قامت بناء على توصية من المؤتمر الثاني للوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية، دعوا فيه إلى اتخاذ الإجراءات لتنفيذ وضع خطة شاملة لتنمية الثقافة العربية» وقد تولى تنفيذ هذه الخطة الشاملة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «اليسكو» والتي تتبع إدارياً «الجامعة العربية».

ولقد وصف المدير العام للمنظمة العربية الدكتور محيي الدين صابر هذه الخطة ـ التي سقنا قبل قليل إحدى مقولاتها ـ بأنها «جهد تاريخي ظل حلماً قومياً غالياً، فاستوى عملاً صالحاً، امتلكت به الأمة العربية وهي تواصل مسيرة التقدم الحضاري وثيقة فكرية بينة، في هذا المستوى».

ويضيف الدكتور محيي الدين صابر قائلاً: «وإني وقد اشتركت في كل اجتماعات اللجنة لأشيد بتلك الروح العلمية، التي تناول بها الأعضاء القضايا الثقافية، تصوراً ومعالجة وحواراً، فلقد كان لهم من نافع علمهم، وواسع عطائهم، ومن التزامهم الفكري ومن انتمائهم القومي ونزعتهم الإنسانية، ورؤيتهم الحضارية، ما أعان على إنتاج هذه الخطة الشاملة للثقافة العربية» دفاع عن ثقافتنا (ص١٣) للشيخ المجاهد جمال سلطان بتصرف.

= هذه الخطة قام بوضعها صناديد رجال العلمنة في وطننا العربي، ولا تسأل بعد ذلك عن سبب الانتكاسات والهزائم المتلاحقة التي مني بها المسلمون في العصر الحديث، وكما قال المثل العربي: «إذا عرف السبب بطل العجب».

أقول: أولئك هم الطابور الخامس الذي ما زال ينخر في كيان الأمة، وقد سلمت لهم زمام الأمور، فسلمت لهم منابر الصحافة والإعلام، فراحوا يصوغون للأجيال أفكاراً عفنة وعادات مستوردة دخيلة على الأمة بغية إبعادها عن دينها.

فحق على علماء الأمة ورجال الدعوة تجريد أقلامهم لصد هذا العدوان وإيقاف هذه الهجمات الشرسة والغارات المتتابعة التي يشنها هؤلاء الذين يسمون بمفكرين بين الحين والآخر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

قال الإمام ابن القيم بعد أن ذكر أحد عشر نوعاً من الأقلام عند قول الله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾:

«القلم الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنة المحقين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم، وتهافتهم، وخروجهم عن الحق، ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام، وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم ـ وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال. وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل، وعدو لكل مخالف للرسل، فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن»[١].

ويصدق على هؤلاء وأمثالهم الحديث الذي في أشراط الساعة وهو قوله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه؛ يتكلم في أمر العامة»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»[٣].

=

(١) التبيان في أقسام القرآن (٣٧٩/١) وعنه بدائع التفسير (ص٥٠٦/٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٩/٢ ـ ١٣٤٠ رقم ٤٠٣٦) وغيره وصححه العلامة الألباني «صحيح ابن ماجه» (٣٧٤)، وينظر السلسلة الصحيحة (٥٠٨/٤ رقم ١٨٨٧).

(٣) رواه أحمد (١٠١/٥٧ رقم ٣١٠) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٢٣/١ ـ ١٥٥٤) وفي الصحيحة (١١/٣ رقم ١٠١٣).

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾ إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1].

وموقف المؤمن الحق أمام الغيبيات هو التسليم بما جاء عن الله

= فواجب على من رزقه الله علماً وبصيرة في الدين الصدع بالحق وعدم المداهنة في دين الله فإن المداهنة من أكبر أسباب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله! متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال:

«إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل قبلكم» قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم، والفقه في أرذالكم»[1].

قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ٢٠].

(١) رواه سعيد بن منصور (٢/٥٤٤ /رقم ١٨٠)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/٤٠)، و «الدر» (١/٦٠)، وابن أبي حاتم (١/٣٤ ـ ٣٥ /رقم ٦٦)، وأحمد بن منيع كما في «إتحاف الخيرة» (١/١١١ /رقم ١٢٥)، وقال البوصيري: هذا إسناد رجاله رجال الصحيح وينظر «المطالب العالية» (٣/٦٩/ رقم ١٢٥)، والحاكم (٢/٢٨٦ ـ ٢٨٧) من طرق عن عمارة بن عمير عن عبدالرحمٰن بن يزيد به وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (١/٤٤ حاشية)، وصححه المناوي في «الفتح السماوي» (١/١٣٥).

....

(١) رواه أحمد (٣/١٨٧ رقم ١٢٩٤٢) وابن ماجه (٢/١٣٣١ رقم ٤٠١٥) وأبو نعيم (٤/٤٥٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/٤٥٧) وابن عدي في الكامل (٢/٣٩١) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» واللفظ له (٢٤٥/٢٤٦) وقال الحافظ البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٣٠٠ رقم ١٤٢٠): هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. وقال الحافظ العراقي كما في «إتحاف السادة المتقين» (١/٤٥٥) و «الإحياء» (١/٥٦) رواه ابن ماجه بإسناد حسن. قلت: وله شاهد عند الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع البحرين» (٧/٢٥٣ رقم ٤٤٠٦) عن حذيفة رضي الله عنه.

في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، ولا يطلق لعقله العنان يسرح ويمرح كيف يشاء يتخبط بلا علم ولا كتاب منير.

فالمؤمن الحق ينقاد للكتاب والسنة ولا يتقدم عليهما بشيء كما أمر بذلك ربنا عز وجل إذ قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعلمه تبعاً لأمره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر ما تلقوه عن الرسول، بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلاً)(٢).

وإن من الإيمان بالغيب الإيمان بوجود الجن وأنهم عالم غيبي مخلوقون لعبادة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٣). وإن منهم المسلمين والكافرين وأنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون. كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة الصحيحة.

وقد (يظن بعض الناس أن الكتابة في هذا الموضوع من قبيل الترف العلمي، ويحبذ هؤلاء أن يمر الإنسان بهذا الموضوع مروراً عابراً فلا يأخذ من تفكيره إلا القليل، وهؤلاء يظنون أن الفائدة المرجوة من

---

(١) الحجرات (١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٦٢ ـ ٦٣).

(٣) الذاريات (٥٦).

وراء هذه الدراسة محدودة، وأن الجهل به لا يضير.

وأنا لن أذهب بعيداً، فعالم البشر اليوم يبذلون من المال ما يبني المدن ويشيد الدول، ويقضي على الفقر في بقاع شاسعة من العالم تضم ألوف الملايين في البحث عن إمكانية الحياة والأحياء في الكواكب القريبة منا، وقد قام العلماء في هذا السبيل بجهود جبارة كلفتهم من الوقت والمال الكثير.

فما بالكم بعالم من الأحياء العقلاء يعيشون معنا في أرضنا، ويخالطوننا في مساكننا، ويأكلون ويشربون معنا، وقد يفسدون علينا تفكيرنا وقلوبنا، وقد يدفعوننا إلى أن نحطم أنفسنا بأنفسنا، وأن يسفك بعضنا دم بعض، وقد يُعَبِّدُوننا لأنفسهم أو لأي مخلوق كي يجلبوا لنا غضب ربنا، فيحل بنا سخطه، وينزل بنا غضبه، ثم تكون عاقبته عاقبة الشاردين عن ربهم، ناراً تلظى.

إن المعلومات التي جاءتنا بها النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الموثوقة في هذا الجانب لا تقدر بمال، فهي تكشف لنا أسرار هذا العالم: عالم الجن، وتمدنا بفيض من المعلومات تكشف تفاصيل حياتهم، كما تخبرنا عما يكنه بعض هؤلاء من عداء تجاه الإنسانية، وما يقومون به من جهود متلاحقة لا تنقطع لإضلالنا وتدميرنا. وحسبك دليلاً ينبيك عن أهمية الأمر أن تتتبع الآيات التي تحدثت عن الجن والشياطين لتعلم عظم المساحة التي شغلتها هذه النصوص من كتاب الله. ومن يطالع هذه النصوص يعلم أن حياة الإنسان ليست إلا صراعاً بينه وبين الشيطان، الشيطان يريد أن يقضي عليه بأن يوبقه ويهلكه، والإنسان الذي أمده الله بنوره يجاهد كي يستقيم على صراط ربه، ويقيم غيره على هذا الصراط وفي سبيل ذلك لا بد له من أن يصارع هذا العدو في حنايا نفسه، وخطرات قلبه، وآماله وأحلامه وتطلعاته، لا بد له أن يتفحص أهدافه وغاياته القريبة والبعيدة باستمرار كي يتبين مدى قربه وبعده من ربه، ومدى تخلصه من عدوه الذي يحاول أن يحتنكه)[١].

---

(١) عالم الجن والشياطين ص (٥ ـ ٦) د/ عمر سليمان الأشقر.

وإن من المسائل التي كثر حولها الجدل دخول الجن في الإنس. فعلى الرغم من ورود الدليل الصحيح[(١)] في إثبات دخول الجن في بدن المصروع إلا أن هناك طائفة تجادل في ذلك بعدما تبين لها الحق، وتحاول أن تلوي أعناق النصوص وتأولها تأويلات مستكرهة حتى توافق هواها، أو تدفع النصوص في صدرها ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[(٢)] أو تجادل بالباطل لتدحض به الحق، والرسول ﷺ يقول: «من جادل في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع»[(٣)].

بينما منهج المؤمن الحق عندما يقف على مسألة تنازع فيها الناس أن يرد الأمر المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[(٤)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله لا إلى أحد غير الله ورسوله، فمن أحال الرد على غيرهما فقد ضادَّ أمر الله ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله)[(٥)]. ثم قال رحمه الله: (وقد اتفق السلف والخلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته)[(٦)].

---

(١) كحديث عثمان بن أبي العاص الذي تلبسه الشيطان فقال له النبي ﷺ: «اخرج عدو الله أنا رسول الله» رواه ابن ماجه. ينظر السلسلة الصحيحة (٦/٢/١٠٠٠ رقم ٢٣١٨).

(٢) الأحقاف (١١).

(٣) رواه أبو داود وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود (٦٨٦/٢ رقم ٣٠٦٦) وينظر السلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٤) النساء (٥٩).

(٥) بدائع الفوائد (٣٠/٢).

(٦) المرجع السابق.

هذا وإن الكتاب الذي تتشرف مكتبة التوحيد بتقديمه للأمة هو جمع لشتات كلام إمام من أئمة الإسلام خبير بأمور الجن وأحوالهم[١].

كانت له معهم صولات وجولات، وجاهدهم جهاداً كبيراً[٢]. ذلكم هو شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام الورع الصادق صاحب الخبرة والمراس، مما يعطي الكتاب وزناً ومصداقية وأهمية بالغة.

وقد كانت فكرة جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يتعلق بالجن في كتاب مستقل أملاً يراودني منذ سنين تقارب الخمسة عشر أو تزيد.

ولأن لكل أجل كتاب وله موعد محدد عنده سبحانه وتعالى فإنه لما أذن عز وجل أن يخرج هذا الكتاب للناس وفقنا لعرض فكرته على الأخ الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان وفقه الله ورعاه فطلب أن نمهله وقتاً للنظر والتفكير ثم رد جزاه الله خيراً بالموافقة بعد أن رأى أهمية الموضوع وغزارة مادته العلمية في كتب شيخ الإسلام رحمه الله. وقد استغرق جمع مادة الكتاب قرابة العامين فكان بفضل الله أجمع كتاب جُمع في الجن ـ فيما نعلم ـ وإنه ليسعدني أن يكون هذا الكتاب هو باكورة إصداراتنا في وقت انتشرت فيه كثير من الكتب التي تتحدث عن الجن مليئة بالبدع والخرافات والخزعبلات.

ولعل بعض فصول هذا الكتاب يكون مهماً لأولئك الذين تصدّوا للقراءة على الناس، فإن بعض هؤلاء صدرت منهم أمور غير لائقة

---

(١) يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٢/٢٨٩): «وهذه حال المؤمن، يكون فطناً حاذقاً، أعرف الناس بالشر، وأبعدهم منه، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر الناس، فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من خير الناس».

(٢) قال رحمه الله: «ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم، وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الكتاب، وكذلك ما جرى لغيرنا» مجموع الفتاوى (٤/٢٣٢).

وأفعال مشينة مع بعض النساء من الخلوة بهن وغير ذلك[1].

سائلين الله أن يكون هذا الكتاب نبراساً لكل من ينشد الحقيقة ولكل من يريد أن يستضيء بنور كتاب الله وهدي رسوله ﷺ.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الناشر

---

(١) سئل الفقيه الحافظ الفاضل، أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي عن مسائل تظهر من جوابه، فأجاب عنها رحمه الله بما نصه: سألتم وفقكم الله عن النساء يتعرضن لكم بالرقى. فأما الرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب فلا بأس به لكل أحد طلب ذلك منه، ما لم تكن امرأة لا تحل لك، فلا تسترق لها بمس شيء من جسدها، لقول النبي ﷺ: «باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال»[1]. فابعد من ملاقاة من لا يحل لك النظر إلى وجهها أو شيء من محاسنها بكل وجه. وقد أرخص في ذلك للخاطب أو شهادة على وجهها أو لطبيب إذا كان ممن يجوز له الخوض في الطب مشهوراً بذلك.

وأما الراقي فليس له ذلك بوجه وكذلك تشييعهن في الفتن في الأرض الخالية عن أعين الناظرين، فلا يحل لك ولا لها الخلوة لمثل ذلك[2]، إلا أن يصحبكما غيركما من رجل أو عجوز صالحة، ترتفع الخلوة المنهي عنها بصحبتها لكما. وأما من لا تزول الخلوة بسببها من النساء المتهمات بالفساد، فلا إلا أن يكثرن إذ لا يخلون من أن تكون فيهن مأمونة في نفسها، فتزول الخلوة بصحبتها وبمن معها من النساء.

وقد قال أشهب عن مالك: **لا يدخل في طاعة الله بمعصية الله. فترك هذه الطاعة مع المعصية أوجب من فعلها**[3].

....

(١) قال العجلوني في «كشف الخفا» (**٣٢٩/١ رقم ٨٧٥**) قال القاري: غير ثابت وإنما ذكره ابن الحاج في «المدخل»، وذكره ابن جماعة في «منسكه» في طواف النساء ومن غير سند، ولفظه يروى عن النبي ﷺ: «باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء» ذكره دليلاً لقولهم: لا تدنوا النساء من البيت في الطواف مخافة احتلاطهن بالرجال إن كانوا.

(٢) قال الإمام ابن القيم في الطرق الحكمية (**٢٣٩**): «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد الأمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة... ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية ـ قبل الدين ـ لكانوا أشد شيء منعاً لذلك».

(٣) المعيار المعرب (**٢٢٦/١١**)، قلت: «ما قاله الإمام مالك يكتب بماء الذهب فلله دره».

فتح المنان

في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

عن الجان

بقلم

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

وفي آخره

تحقيق البرهان في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجان

تصنيف

الإمام العلامة شرف الدين أبي العباس أحمد بن الحسن
الشهير بابن قاضي الجبل المتوفى (٧٧١هـ)

اعتنى بها

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مكتبة التوحيد

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

مكتبة التوحيد

ص.ب: ٥٤٨٠٠ - المنامة - البحرين
هاتف وفاكس: ٧٤١١١٩

فتح المنان

في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

عن الجان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسن الهدي هديُ محمد، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أما بعد:

«فليعلم أن من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للوقوف على ما قيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن)؛ فقد تنوعت في شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب، وكان للأعراب معها في الجاهلية مخايل ولها في كل عصر نغمات جديدة وعجائب، ولا غرو؛ فهي من أقدم المسائل وأرسخها في الأذهان؛ إذ دار اسمها على كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والأديان.

إن مسألةً كمسألة الجن ليست مما تدرك بلفظة أو يشار إليها بلحظة؛ حتى لا يرفع لها الحشوي رأساً، ولا يقيم لها الجامد وزناً، فلو ضُمَّت شواردُها وقُيدت أوابدُها وانتظمت فرائدها؛ لنثر على الجم من اللطائف الفائقة والنوادر الرائقة مما يملك السمع والبصر إعجابه ويرتفع عن القلب للإصغاء حجابه.

كل مسألة لا يتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل إليها إلا باستعانة من دَرَسَ أمرها وسَبَرَ؛ فلا بد من بحث عنها وتنقيب، واستقراء وتنقير؛ لا سيما إنْ تك ذاتَ شعوب وأطراف وفروع وأوصال - لا جرم - ينبغي استقراؤها وتعرّفها واستجلاؤها؛ اكتشافاً لما خَبّأته كنوز الحقيقة، ووقوفاً على كل جليلة من دررها ودقيقة.

أكثرُ مَنْ أَلَّفَ في العلم الإلٰهي أو ما وراء المادة تكلَّم في (الجنِّ)؛ فموجزٌ ومُسْهِبٌ، ومُقارِبٌ ومُغْرِبٌ، والواقف على ما كتبه فلاسفة الإسلام يراه قريباً مما نحاه علماء أهل الكتاب في شأنها؛ اللهم إلا في خيالاتٍ شَطَّ بها البحثُ فَبَعُدَتْ عن القصدِ شأنُ كل شيء جاوز حدَّه.

مَنْ استقرأ ما كُتِبَ وبذَلَ جهدَه في التنقيب يمرُّ به من علوم الأوائل ما يغني عن زهر الرياض حُسنُه، وعن فتيق المسك نَشْرُه، فمن تأمَّله ازداد حرصاً على تَأمُّله وتَصَحُّفِه مُستَعِيْداً ما يَستَحليه من فوائده.

الطريقة المثلى والخطَّةُ الوسطى هي أخذُ المهمِّ وإيثارُ الأجودِ من كل شيءٍ، وهٰذا ما توخيناه في هٰذه المسألة مما طالعناه، وإلا؛ فسعة علم السلف مما يدهش الخلف لنا إلا المختار من آرائهم والمنتقى من أنبائهم.

ولله [درُّ] ابن المقفع؛ إذ يقول: «فمنتهى علم عالمنا في هٰذا الزمان ـ زمانه رحمه الله ـ أن يأخذ من علمهم، وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم، وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم».

إن استقصاء ما للقدماءِ في (مسألة الجن) واستقراءَه كله يُعْوِزُ إلى عِدَّة مجلدات وَسَعَةِ أوقات، والحاجياتُ كثيرةٌ والمطالبُ وفيرةٌ، لذا آثرنا جمعَ شَذَراتٍ تكشف عن وجهها نقابها وتجلي هدف

عويصاتها لطلابها»(١).

* منهجنا في الكتاب:

ينحصر ما نأثره في هٰذه المسألة على كلام شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله تعالى عن الجن، وكان منهجنا في جمعه على النحو الآتي:

أولاً: قمنا بالنظر في جميع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المطبوعة، وحاولنا اختيار أجود الطبعات، وكذا في كتب الأئمة المتأخرين عنه ولأصحابها صلة به، وتطلَّبنا كلامه منها جميعاً عن عالم الجن وعن الشيطان وأوليائه.

ثانياً: قسمنا كلامه عن هٰذا الموضوع إلى ستة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالجن وأماكن وجودهم وإمكان رؤيتهم.

الفصل الثاني: عموم رسالة النبي محمد ﷺ إلى الثقلين.

الفصل الثالث: تعرض الشيطان للإنسان.

الفصل الرابع: أولياء الشيطان وأحوالهم.

الفصل الخامس: الصَّرْعُ: ثبوته وأسبابه وعلاجه.

الفصل السادس: القصص الواهيات والخزعبلات والمنكرات

---

(١) من «مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن» (ص ٤ ـ ٥) للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله.

من الأفعال والتصورات التي تختص بعالم الجن وأنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية.

ثالثاً: جمعنا كلام شيخ الإسلام المتشابه في جزئيات هٰذا الموضوع(١)، وعرضنا بعضه على بعض، والمواطن التي وقعت فيها زيادة وضعناها بين معقوفتين، وكذٰلك إن رأينا أن بعض الزيادات المفردة لها صلة بجزئية ما أدخلناها في كلام طويل له، ووضعناها بين معقوفتين أيضاً، وإن كان الكلام متشابهاً في مصادر أخرى له سردنا أسماء هٰذه المصادر.

رابعاً: ليس لنا من مزية في هٰذا الكتاب إلا جمع كلام هٰذا الإمام مما طالعناه من كتبه الآتية:

*** مصادر هٰذا الكتاب:**

ـ «أحاديث القصاص»، تحقيق محمد الصباغ ـ المكتب الإسلامي ـ غلاف.

ـ «الاحتجاج بالقدر»، تحقيق شيخنا محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.

ـ «الاختيارات الفقهية»، تحقيق محمد حامد الفقي ـ دار المعرفة ـ مجلد.

---

(١) وقد أنقل كلامه أكثر من مرة إن كان يندرج تحت أكثر من مبحث، وقد أحذف من كلامه ما ليس له صلة بالموضوع، وأضع مكان المحذوف (. . .).

ـ «الاستغاثة في الرد على البكري»، تحقيق د. عبدالله دجين السهيلي ـ دار الوطن ـ مجلدان.

ـ «الاستقامة»، تحقيق د. محمد رشاد سالم ـ مكتبة السنة بالقاهرة ـ مجلدان.

ـ «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، تحقيق د. ناصر عبدالكريم العقل ـ مجلدان.

ـ «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٣ / ٩٧ ـ ١٤٩).

ـ «الإيمان»، تحقيق الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ مجلد.

ـ «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد»، تحقيق د. موسى بن سليمان الدويش ـ مكتبة العلوم والحكم ـ مجلد.

ـ «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» أو «نقض تأسيس الجهمية»، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم ـ قرطبة ـ مجلدان.

ـ «التحفة العراقية» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٤ / من ١ ـ ٦٧).

ـ «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء...»، تحقيق عبدالعزيز بن محمد الخليفة ـ مكتبة الرشد بالرياض ـ مجلدان.

ـ «التفسير الكبير»، تحقيق د. عبدالرحمٰن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ (٧) مجلدات.

ـ «تيسير العبادات لأرباب الضرورات»، تحقيق سعود بن عيد الحربي ـ ط أضواء السلف ـ ١٤١٨هـ.

ـ «تفسير سورة الكوثر» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ٢٢٤ ـ ٢٢٨).

ـ ثلاث رسائل في الجهاد، تحقيق محمد أبو صعيليك وإبراهيم العلي ـ دار النفائس.

ـ «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»، مكتبة دار البيان ـ ضمن «روائع الفكر الإسلامي» بتخريج محمد أمين الأسعد ـ ١٣٨٧هـ.

ـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، تحقيق د. علي ابن حسن بن ناصر، د. عبدالعزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان ـ دار العاصمة ـ (٦) مجلدات.

ـ «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، تحقيق د. محمد رشاد سالم ـ دار الكنوز الأدبية ـ (١١) مجلد.

ـ «الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية»، تحقيق الشيخ عبدالرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

ـ «الرسالة التدمرية»، ط المكتب الإسلامي ـ كتيب.

ـ «رسالة في العقل والروح» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ٢٠ ـ ٤٩).

ـ «رسالة في «علم الباطن والظاهر» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية (١ / ٢٢٩ ـ ٢٥٢).

ـ «الرسالة القبرصية»، نشر قصي محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية.

ـ «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، ط الرئاسة العامة بالرياض.

ـ «سنة الجمعة»، تحقيق سعد المزعل ـ ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ رسالة.

ـ «سؤال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، إعداد طالب العرادة ـ الدار السلفية بالكويت.

ـ «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، دار الكتاب العربي.

ـ «شرح العمدة» (كتاب الصيام)، تحقيق زائد بن أحمد النشيري ـ تقديم عبدالله بن عبدالرحمٰن السعد ـ دار الأنصاري ـ مجلدان.

ـ «شرح العمدة» (كتاب الطهارة)، تحقيق د. سعود بن صالح العطيشان ـ مكتبة العبيكان ـ المجلد الأول.

ـ «شرح العمدة» (كتاب بيان مناسك الحج والعمرة)، تحقيق د. صالح بن محمد الحسن ـ مكتبة العبيكان ـ المجلد الثاني.

ـ «الصفدية»، تحقيق د. محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ـ جزءان.

ـ «العبودية»، تحقيق علي الحلبي ـ دار الأصالة.

ـ «العقيدة الواسطية»، تصحيح وتعليق ابن مانع ـ كتيب.

ـ «الفتاوى العراقية»، تحقيق عبدالله عبدالصمد المفتي ـ مطبعة الجاحظ [بغداد] ـ مجلد.

ـ «الفتاوى الكبرى»، طبعة دار المعرفة ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، تحقيق الشيخ ربيع المدخلي ـ مكتبة لينة ـ مجلد.

ـ «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق»، تحقيق سليمان بن صالح الغصن ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ «قاعدة نافعة في صفة الكلام» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ٥٠ ـ ٨٣).

ـ «القواعد النورانية الفقهية»، تحقيق محمد حامد الفقي ـ دار المعرفة ـ مجلد.

ـ «كلمات في التصوف»، تحقيق فيضي الفيضي ـ ط مطابع جامعة الموصل ـ بغداد ـ كتيب.

ـ «مجموع الفتاوى»، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ـ (٣٥) مجلد.

ـ «مجموعة الرسائل الكبرى»، ط دار إحياء التراث العربي ـ مجلدان.

ـ «مجموعة الرسائل والمسائل»، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ـ دار الكتب العلمية ـ مجلدان.

ـ «المظالم المشتركة»، تحقيق زهير الشاويش ـ ط المكتب الإسلامي ـ كتيب.

ـ «النبوات»، ط دار القلم ـ مجلد.

ـ «الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة»، ط دار البشائر الإسلامية ـ كتيب.

ـ «الوصية الكبرى في العقيدة والدعوة للمسلمين جماعات وأفراداً»، تحقيق علي الحلبي ـ دار عمار ـ كتيب.

ونظرنا أيضاً في كتب تلاميذه ولا سيما ابن القيم، واعتنينا بالكتب التي أُفردت في الجن، ومررنا بكثير منها متطلبين النقولات عن شيخ الإسلام في الموضوع؛ فوجدنا جل هٰذه النقولات عندنا، فزدنا

ذكرها في الهامش، وما لم نظفر به ألحقناه في محاله كما تراه مسطوراً، والله الموفق.

خامساً: رتبنا كلامه على النحو المذكور آنفاً، وخرَّجنا الأحاديث النبوية وفق الصنعة الحديثية وكذا الآثار السلفية، فضلاً عن توثيق النقول من المصادر التي صرَّح بأسمائها أو أومأ إليها مع ذكر زيادات مهمة، فيها إضافات وإفاضات من خلال نقول جامعات، فيها زيادة بيان أو توضيح إجمال أو حل إغلاق، ومحل ذٰلك كله في الهامش؛ ليكون المتن من كلام شيخ الإسلام خالصاً[1]؛ فكلامه هو مرادنا في هٰذا الكتاب، وكذا حاله مع الجن وطريقة معاملته معهم ومع أوليائهم من (العُبَّاد الزاهدين)!!

*** أهمية هٰذا الكتاب:**

وهٰذا الجمع مفيد غايةً؛ لأمور:

الأول: أكثَرَ العلماءُ من النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هٰذا الموضوع، وجلُّهم قَبِل كلامَه وارتضاه، وبعضهم ساقه في معرض الرد على الخصم، وبعضهم أتبعه بعبارات فيها مدح وثناء، وعلى رأس هٰؤلاء تلميذه ابن القيم في كثير من كتبه، أهمها «زاد المعاد» و «فوائد حديثية» (ص ٨٣، ١٠١ ـ بتحقيقي)، وابن مفلح في «الفروع» (١ /

---

(١) ووضعت في المتن ما نقله تلاميذه والعلماء عنه في هٰذا الموضوع، وكذا العناوين المأخوذة من كلامه، وما تقتضيه صنعة التأليف من ذكر لأشياء توضح المراد وزيادة أشياء تلم شعث المتفرق من الأفكار.

٦٠٤)، وسليمان بن عبدالقوي الطوفي في «شرح مختصر الروضة» (٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧)، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٥)، والشبلي في «آكام المرجان» (ص ١٣ ـ ١٤، ٥٥ وغيرها)، والسيوطي في «لقط المرجان» (ص ٥٦، ٨١)، وابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٢)، والسفاريني في «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤)، وجمعٌ من علمائنا المعاصرين، وعلى رأسهم الإمام المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص ١٦٤ ـ ١٦٦)، والإمام العلامة الفقيه الشيخ عبدالعزيز بن باز في «مجموع فتاواه»، والإمام العلاَّمة الفقيه الشيخ محمد ابن عثيمين في «مجموع فتاواه».

الثاني: لشيخ الإسلام عناية كبيرة في هٰذا الموضوع، وهي فريدة في بابها، وسبب ذٰلك معاركه مع صوفية زمانه من أهل الخزعبلات والضلالات، الذين كان لهم صلة وثيقة بالجن والشياطين؛ فكلام شيخ الإسلام وبحثه الفريد كان لبيان ألاعيب هٰؤلاء وكشف زيفهم والتحذير منهم.

وقد صرح في مواطن عديدة من كتابنا هٰذا بجولات وصولات له ولغيره مع الجن والشياطين وأوليائهم وبمشاهدات وقعت في عصره تخص الجن؛ فاسمع إليه وهو يقول (ص ١٨٠):

«. . . وقد يأخذون الرجل الذي صار من إخوانهم (أي: إخوان الجن) إلى مواضع فيرونه شخصاً ويقولون: هٰذا سليمان بن داود، كما قد جرى مثل ذٰلك لمن نعرفه من (المشايخ!!) الذين كانت تقترن بهم

الشياطين، وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان».

وقوله (ص ٢٠٠، . . .) بعد كلام: «ومثل هٰذا واقع كثيراً في زماننا وغيره، وأعرف من ذٰلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري، وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم، فظنوا أن ذٰلك من بركة الاستغاثة بي أو بغيري، وإنما هو شيطان أضلَّهم وأغواهم».

وقوله (ص ٣٦٥): «وأعرف من ذٰلك وقائع كثيرة في أقوامٍ استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم، ولما حدَّثوني بذٰلك بيَّنتُ لهم أن ذٰلك إنما هو شيطان تصوَّر بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذ ين استغاثوا بهم. . .».

وقال (ص ٢٧٠): «وقد ذكر لي غير واحد ممن أعرفهم أنهم استغاثوا بي، فرأوني في الهواء وقد أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد، مثل من أحاط به النصارى الأرمن ليأخذوه، وآخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين، لو اطّلعوا على ما معه لقتلوه، ونحو ذٰلك؛ فذكرتُ لهم أني ما دريت بما جرى أصلاً، وحلفتُ لهم على ذٰلك حتى لا يظنوا أني كتمتُ ذٰلك كما تكتم الكرامات. . . ثم تبيَّن لي فيما بعد وبيَّنتُ لهم أن هٰذه الشياطين تتصور على صورة المستغاث به».

وقال (ص ٢٧٣): «وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي، كلٌّ

يذكر قصةً غير قصة صاحبه، فأخبرت كلاًّ منهم أني لم أجب أحداً منهم».

ونقل في (ص ٢٧٦) نحو المذكور، وقال: «وهٰذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة»، ونحوه في (ص ٢٢١).

وقوله (ص ٢٠٩) بعد كلام أيضاً: «كما جرى مثل هٰذا لي: كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هٰذا[1] إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذٰلك الشخص: أنا ابن تيمية؛ فلم يشك ذٰلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذٰلك ملك ماردين، وأرسل بذٰلك إلى ملك مصر رسولاً، وكنتُ في الحبس، فاستعظموا ذٰلك وأنا لم أخرج من الحبس، ولٰكن كان هٰذا جنياً يُحِبُّنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنتُ أصنع بهم لما جاؤوا إلى دمشق، كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذٰلك إكرامي ليظن أني أنا الذي فعلتُ ذٰلك.

قال لي طائفة من الناس: فلم لا يجوز أن يكون ملكاً؟ قلت: لا، إن الملك لا يكذب، وهٰذا قد قال: أنا ابن تيمية، وهو يعلم أنه كاذب في ذٰلك».

وقال أيضاً: «وكثير من الناس رأى من قال: إني أنا الخضر،

---

(١) أي: يكون رجل خالياً في البرّيّة وقد يكون ملكاً أو أميراً ويكون كافراً وانقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام، فيسلم على يديه، ويدلّه على الطريق، فيقول له من أنت؟ فيقول: أنا فلان. ويكون من مؤمني الجن.

وإنما كان جنياً، ثم صار من الناس من يكذب بهٰذه الحكايات إنكاراً لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكلا الطائفتين مخطىء. . .».

وقال أيضاً (ص ٢١١): «وأراني صادقٌ من أصحابه الكتاب الذي أرسله، فرأيته بخط الجن، وقد رأيت خط الجن أكثر من مرة وفيه كلام من كلام الجن».

وقال (ص ٢٣١): «وهٰكذا المنجمون، حتى إني خاطبتهم بدمشق وحضر عندي رؤساؤهم، وبيَّنتُ فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها».

وقال (ص ٣١١): «والجن تخطف كثيراً من الإنس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير به في الهواء، وقد باشرنا من هٰذه الأمور ما يطول وصفه».

وقال (ص ٣١٣): «ونحن نعرف كثيراً من هٰؤلاء في زماننا وغير زماننا، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق، فيجيء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس، فيدخل وهم يرونه، ويجيء بالليل إلى باب الصغير فيعبر منه هو ورفقته وهو من أفجر الناس، وآخر كان بالشويك في قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه وكان شيطان يحمله وكان يقطع الطريق».

وقال (ص ٣٢٢) بعد كلام: «ولهٰذا من اعتمد على مكاشفته

التي هي من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه، كشيخ يقال له الشيَّاح، توَّبناه وجدَّدنا إسلامه، كان له قرين من الجن يقال له: عنتر، يخبره بأشياء، فيصدق تارة ويكذب تارة، فلما ذكرت له أنك تعبد شيطاناً من دون الله اعترف بأنه يقول له: يا عنتر! لا سبحانك، إنك إلٰه قذر. وتاب من ذٰلك في قصة مشهورة، وقد قتل سيف الشرع من قتل من هٰؤلاء، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه...».

وقال (ص ٣٣٦) عن تنزلات الشياطين على أوليائهم: «عرفتُها وخبرتُ ذٰلك من وجوه متعددة، لٰكن ليس هٰذا موضع بسطها».

وقال عنها (ص ٣٦٩): «وأنا أعرف من هٰؤلاء (أي: ممن لهم أحوال شيطانية) عدداً كثيراً بالشام ومصر والحجاز واليمن».

وقال عنها (ص ٣٨٧): «وفي هٰذا الباب من الوقائع ما يضيق هٰذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جداً».

وقال (ص ٤٩٥): «وهٰذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة».

وقال (ص ٤٩٦) بعد كلام: «وأعرف في كل نوع من هٰذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته؛ فإنهم كثيرون جداً».

وقال (ص ٣٢٠): «وأنا أعرف من ذٰلك وقائع متعددة»[1].

---

(١) وفصل في قصص وقعت له معهم. انظر: (ص ٣١٨ - ٣٢٣).

ولشيخ الإسلام تجربة في معالجة المصروعين، ولذا وصف أحوالهم وما جرى له معهم، قال (ص ٤١٥، ٤١٨، ٤٣٠): «فإن الجني يتألَّم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذٰلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذٰلك ما يطول وصفه».

وقال (ص ٤١٨، ٤٨٣) في الباب نفسه: «كما قد فعلنا نحن هٰذا وجرَّبناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين».

ووصف تلاميذه طريقة معالجة شيخ الإسلام؛ فها هو ابن مفلح يقول (كما في ص ٤٨٢) عن ذٰلك: «كان شيخنا إذا أُتي بالمصروع وعظ من صرعه وأمره ونهاه، فإن انتهى وفارق المصروع؛ أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته؛ ضربه حتى يفارقه».

ويقول ابن القيم (ص ٦٠٠): «كان شيخ الإسلام ابن تيمية يكتب على جبهة من أصابه الرعاف: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]، وسمعته يقول: كتبتُها لغير واحد فبرأ».

الثالث: كثرةُ الأقوال وبلبلة الأفكار حول هٰذا الموضوع بين منكرٍ لصلة الجن بالبشر ـ وهٰؤلاء مضيق أو جاحد ـ، وفي المقابل هناك موسّع مجازف منتفع مخارق، ولا سيما في موضوع (الصَّرْع)، الذي بيَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنصع عبارة وأوضح إشارة، وذكر عليه من الأدلة النقلية والعقلية والحسية بما لا يدع فيه مجالاً للشك، وقد أفضتُ في نقل كلام العلماء في هٰذا الموضوع.

ولما رأيتُ حاجة الناس إلى هٰذا الموضوع، ورأيت كلام شيخ الإسلام فيه على الجادة قائماً على الأدلة الصريحة والاستنباطات الصحيحة الحكيمة والبيانات المليحة والشروحات الفصيحة، ورأيتُ بعضَ البعيدين عن الجادة[1] في هٰذا الموضوع يلقون اللوم والعتاب على شيخ الإسلام وينقلون شيئاً من كلامه ـ بالواسطة ـ؛ انشرح صدري لجمع كلام شيخ الإسلام[2] في هٰذا الموضوع لكشف اللثام عن هٰذا الباب، وبيان الحق فيه مدعماً بالبراهين والحجج والبيِّنات، ولا سيما أن عصرنا هٰذا قد شاع فيه بعض الدجالين، وراجت بضاعتهم على ضعاف العقول والدين، فأشبه كثيراً ذٰلك العصر الذي عاش فيه ابن تيمية، فرأيت أن نشر كلامه[3] مجموعاً مبوباً مخرجاً موثقاً مفهرساً من سبل الإصلاح من جهة، ومحاربة الخرافة والبدعة من جهة ثانية، ونشر علم السلف منقىً مصفىً من جهة ثالثة، وصدق من قال: «ولولا رجال من طراز ابن تيمية ما كنا لنستشرف مبادىء السلف الحقة، وما كنا لنعرف الحق إلا مشوباً برأي ضال مبتدع، أو ملبساً بحيلة متحيل، يرى أن دين الله تبع لهواه، وأن ذوقه أو وجده هو مقياس الحق، لا

(١) قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه الصاعقة «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» (ص ٩٨): «وما يرويه صاحب «آكام المرجان في أحكام الجان» أكثره خرافات وخيالات، وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما»!!.

(٢) إذا ذكرتُ شيخ الإسلام؛ فمرادي منه ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٣) وحاولت جاهداً أن لا يفوتَني شيئاً منه، مع أنه صرح (ص ٧٨) أن الكلام عنه: «أكثر من أن يمكن سطر عشره هنا».

الحق والشريعة والمنهاج الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه»[١].

ومن قال: «العزيمة للدعوة إلى الله وجلالة التشبه بالأنبياء كان حظاً مختصاً بشيخ الإسلام ابن تيمية، ذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢].

ومما ينبغي أن يذكر هنا أنَّ شيخ الإسلام كان صاحب منهج ودعوة منضبطة بالنصوص الشرعية، وكلامه في هٰذا الباب من صلب دعوته، وهو على وتيرة واحدة؛ فعلى الرغم من تعدد المصادر والكتب والرسائل التي تتناول الموضوع، وتباين تأريخ تصنيفها، وتكرار مباحثها، وتشعب مسائلها؛ لم أجد شيئاً متناقضاً أو متعارضاً في كلامه، كما ينبغي أن يذكر هنا أن قناعة شيخ الإسلام بمذهب السلف وأنه الحق أضفى على مباحثه كثرة إيراد النصوص، وتخطئة مذهب المبتدعة من الطُّرُقيين والخرافيين بحزمٍ وشدَّة، وهٰذا كلُّه يعطي أهمية خاصة في معالجة شيخ الإسلام لمثل هٰذا الموضوع.

ومن نافلة القول هنا أنني جمعتُ كلام شيخ الإسلام رحمه الله لما يمتاز به من تحرير وتدقيق وتأصيل وتقعيد وتدليل وتمثيل، ولست ـ ولله الحمد والمنة ـ من المتعصبين للأشخاص ولا من السالكين دروب منعرجات الأهواء النفسيَّة، ولا من المنشغلين بالردود

(١) «بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ١٣٧).

(٢) من كلام أبي كلام آزاد، المصدر نفسه (٢١١).

المشغبين على أهل العلم والدين، الجريئين على المقرر عند العلماء المعتبرين، ولا ممن له انفعال وردود فعل تجاه هٰؤلاء، فيكتب إنْ كتبوا، ويسير في ظلِّهم أو نقيضه إذا انعكسوا، وإنما أرغب ـ ولله الحمد ـ أن أجمع شيئاً يحتاج إلى تأصيل، أو يعالج أصل الخطأ، محاولاً وضع الأشياء في أماكنها دون الانتصار إلى النفس، أو القدح والغمز في الغير، مقتصراً على ذكر ما فيه الخير، وذٰلك ـ عندي ـ من فضل الله عليَّ، ولا سيما مع المشغبين والمخالفين على تعدد مشاربهم وتنوع مآربهم، والله الهادي والواقي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب
أبو عبيدة
مشهور بن حسن آل سلمان
الأردن ـ عمان
١٥ / محرم / ١٤١٩هـ

* * *

الفصل الأول

التعريف بالجن وأماكن وجودهم وإمكان رؤيتهم

* تعريف كلمة الجن والفرق بينها وبين كلمة الإنس.
* لفظ الجن قسيم للفظ الإنس.
* طبيعة الجن والمادة التي خُلقوا منها.
* أماكن وجود الجن.
* تصورات الزنادقة والصابئة والفلاسفة ومشركي العرب حول الجن.
* الصلة بين الشيطان والملائكة من جهة والشيطان والإبل من جهة أخرى.
* طعام الجن.
* إنكار بعض مشركي العرب أن يكون الجن يأكل ويشرب ويتناسل.
* قدرات الجن وتشكلاتهم.
* إمكان رؤية الجن.
* وجود الجن والرد على منكريهم.
* شبهات من أنكر الجن من الفلاسفة والملاحدة.
* الرد على من أنكر الجن من الفلاسفة والملاحدة.

الفصل الأول

التعريف بالجن وأماكن وجودهم وإمكان رؤيتهم

* تعريف كلمة الجن والفرق بينها وبين كلمة الإنس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٤٦٥): «الجن سُمّوا جناً لاجتنانهم، يجتنون عن الأبصار؛ أي: يستترون؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: استولى عليه فغطّاه وستره»[١].

وقال: «فإن الإنس يؤنسون ـ أي: يشهدون ـ ويرون، إنما يحتجب الإنسي أحياناً ولا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، بخلاف الجن؛ فإنهم كما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]»[٢].

وقال: «والإنس سموا إنساً لأنهم يؤنَسون؛ كما قال تعالى:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٤٦٥)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٢٩).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦٣).

﴿إِنِّىٓ ءَانَسۡتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]؛ أي: رأيتها»[1].

*** لفظ الجن قسيم للفظ الإنس:**

وكذلك يعلم أيضاً أن لفظ «الجن» ليس قسماً من لفظ «الإنس» ولكنه قسيم له، قال ابن تيمية رحمه الله: «والرسول ﷺ مبعوث إلى الجنسين، لكن لفظ الناس لم يتناول الجن. ولكن يقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وكذلك قول الزجاج[2]: إن المعنى ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾: الذي هو الجِنَّة، ومن شر الناس فيه ضعف، وإن كان أرجح من الأول؛ لأن شر الجن أعظم من شر الإنس؛ فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعيذ إلا من بعض الجن؟!

وأيضاً؛ فالوسواس الخناس إن لم يكن إلا من الجِنَّة فلا حاجة إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ ومن ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ فلماذا يخص الاستعاذة من وسواس الجِنَّة دون وسواس الناس؟!

وأيضاً؛ فإنه إذا تقدم المعطوف اسماً كان عطفه على القريب أولى، كما أن عود الضمير إلى الأقرب أولى، إلا إذا كان هناك دليل يقتضي العطف على البعيد، فعطف الناس هنا على الجِنَّة المقرّون به

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٤٦٥)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٢٩)، و «الرد على الأخنائي» (١٧٥).

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٢٤١ - ٢٤٢).

أولى من عطفه على الوسواس.

ويكفي أن المسلمين كلهم يقرؤون هٰذه السورة من زمن نبيهم، ولم يُنقَل هٰذان القولان إلا عن بعض النحاة، والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ليس فيها شيء من هٰذا، بل إنما فيها القول الذي نصرناه؛ كما في «تفسير معمر» عن قتادة ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؛ قال: «إن في الجن شياطيناً، وإن في الإنس شياطيناً؛ فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن»[1]، فبيَّن قتادة أن المعنى: الاستعاذة من شياطين الإنس والجن.

وروى ابن وهب عن عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾؛ قال: «الخناس الذي يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والإنس»[2]؛ فبيَّن ابنُ زيد أنَّ الوسواس الخناس من

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «التفسير» (٣ / ٤١٠)، وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٨ / ٦٩٥) ـ.
وإسناده صحيح.
لطيفة:
من اللطائف ما ذكره ابن حزم: «يقال: رجل من الجن، وشيطان من الإنس؛ لقول الله تعالى وجل: ﴿كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، ولقوله عز وجل: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]».
ورد هٰذا النص بآخر مخطوط «النصائح المنجية» بواسطة «نوادر الإمام ابن حزم» (٢ / ١٠٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣٠ / ٣٥٥)، ولم يعزه في «الدر المنثور» (٨ =

الصنفين، وكان يقال: شياطين الإنس أشد من شياطين الجن: شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهذا يعاينك معاينة[(١)].

وعن ابن جريج: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]؛ قال: «إنهما وسواسان؛ فوسواس من الجِنَّة فهو ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾، ووسواس من نفس الإنسان فهو قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾»[(٢)]، وهٰذا القول الثالث وإن كان يشبه قول الزجاج؛ فهٰذا أحسن منه، فإنه جعل من الناس الوسواس الذي من نفس الإنسان، فمعناه أحسن، ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في «تفسيره»[(٣)]»[(٤)].

*** طبيعة الجن والمادة التي خلقوا منها:**

قال: «والملائكة والشياطين أحياء ناطقون كما دلت على ذٰلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء، كما يدعي ذٰلك من باشره من أهل

= / ٦٩٥) إلا له.

(١) من قوله: «وكان يقال...» إلى هنا إنما هو من تتمة قول عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم؛ كما في المصدر السابق.

(٢) أخرجه ابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٨ / ٦٩٥) ـ.

(٣) ولم يرد لتفسير سورة الناس ذكر في مطبوعه؛ إذ هو ناقص الأصل، ولم يجدّ محققه في جمع المتبقي، واكتفى بالنظر في «الدر المنثور» و «تفسير ابن كثير»!! ويا ليته نظر في الكتب التي تنقل عن ابن أبي حاتم بالإسناد؛ كأبي الشيخ في «العظمة» وغيره من النقولات ككتب شيخ الإسلام؛ لاستطاع أن يذكر قسماً غير قليل من الضائع من الأصول، والله الموفق.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥١٢ ـ ٥١٣).

الحقائق»[١].

قال: «ومعلوم أن الملائكة والإنس والجن والبهائم تسمع وتعلم»[٢].

واعلم أن الشريعة الإسلامية قد فصَّلَت خلق الإنس والجن ما لم تفصله شريعة أخرى، قال شيخ الإسلام: «ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن؛ فإن القرآن فيه... خلق الإنس والجن ما لم يفصل مثله في التوراة»[٣].

*** استحالة تصور الإنسان للملائكة والجن على حقيقتها:**

و «من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها؛ كالملائكة، والجن؛ حتى أرواحنا»[٤]، «بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها، بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسباً مشابهاً لها»[٥]؛ فالجن خلقت من مادة تختلف تماماً عن مادة الإنس، وتختلف عن مادة الملائكة؛ «كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجانَّ من مارج من نار،

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٥١)، و «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٩٩).

(٢) «الاستغاثة» (٢ / ٥٥١).

(٣) انظر: «الجواب الصحيح» (٥ / ٧١ ـ ٧٢، ٤٣٤ و٦ / ٢٣).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٤٣٤).

(٥) «بيان تلبيس الجهمية» (١ / ٧٤).

وخلق آدم مما وصف لكم»»[١].

*** أماكن وجود الجن:**

والملائكة في السماء، أما الجن؛ فهم في الأرض[٢]، و «الجن والشياطين خلقهم الله تعالى خارجاً عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم، وهٰذا قول أهل السنة، خلافاً لمقتضى قول الجهمية: إن الله في كل مكان»[٣]، ولا يحصي عددهم إلا الله تعالى[٤]، وهم موجودون في أعطان الإبل، ولذا «نهي عن الصلاة في أعطانها»[٥]؛ لأنها مأوى الشياطين، كما نهي عن الصلاة في الحمام؛ لأنه مأوى الشياطين [كما في الحديث الذي رواه الطبراني عن النبي ﷺ: «إن الشيطان قال: يا رب! اجعل لي بيتاً. قال: بيتك الحمام. قال: اجعل لي قرآناً. قال:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الزهد، باب منه، ٤ / ٢٢٩٤ / رقم ٢٢٩٦)، وأحمد في «المسند» (٦ / ١٥٣ ، ١٦٨)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ١٤٧٩ ـ «المنتخب»)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (رقم ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٧٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (رقم ٣٢) ـ وقال: «هٰذا حديث ثابت باتفاق» ـ.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ١٤٢) لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢ / ٢٥٨ / رقم ٨١٨).
وانظر: «منهاج السنة النبوية» (١ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، و «مجموع الفتاوى» (٥ / ٣٥٤و ١٨ / ٢١٨)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٣٥٤).

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٨ / ٤٨٤).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٦ / ١٤٣). وانظر: «النبوات» (٢ / ٧، ٣٣).

(٤) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٤٤٧).

(٥) انظر ما سيأتي (ص ٣٩ – ٤٥).

قرآنك الشعر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: مؤذنك المزمار»[1]][2].

فإن مأوى الأرواح الخبيثة أحق بأن تجتنب الصلاة فيه، ومن مواضع الأجسام الخبيثة، بل الأرواح الخبيثة تحب الأجسام الخبيثة.

ولهٰذا كانت الحشوش محتضرة تحضرها الشياطين، والصلاة فيها أولى بالنهي من الصلاة في الحمام ومعاطن الإبل ومن الصلاة على

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (رقم ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٢٤٥ / رقم ٧٨٣٧)؛ عن عبيدالله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه.
وإسناده ضعيف جداً.
علي بن يزيد الألهاني متروك، وابن زحر فيه لين.
وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٦٢ - ٦٣): «إذا اجتمع في إسناد خبر عبيدالله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبدالرحمٰن؛ لا يكون متن ذٰلك الخبر إلاَّ مما عملت أيديهم؛ فلا يحل الاحتجاج بهٰذه الصحيفة».
وأغلظ القول في ابن زحر مما جعل ابن حجر يقول في «التهذيب» (٧ / ١٣): «ليس في الثلاثة من اتّهم إلاَّ علي بن يزيد، وأمّا الآخران؛ فهما في الأصل صدوقان، وإن كانا يخطئان».
والحديث عند ابن مردويه.
انظر: «لقط المرجان» (٢١٢)، و «الجامع الكبير» (رقم ٦٠٤٩)، و «كنز العمال» (رقم ٤٠٥٥)، و «أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان» (ص ٨٩ - ٩٤ / رقم ٣٢).

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٥٢٥ و٢١ / ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٢٠، ٤٥٢).

الأرض النجسة[١].

وكذٰلك توجد الشياطين في «كل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاعر الحج؛ فإنه مأوى الشياطين، ويتصورون بصورة بني آدم أحياناً حتى يظن كثير من الناس أنهم من الإنس، وأنهم رجال الغيب، ويقولون: الأربعون الأبدال بجبل لبنان أو غيره من الجبال، وهي مأوى الجن، وهم رجال الغيب»[٢]، و «المسافرون إلى هٰذه الجبال إنما يسافرون إلى مأوى الشياطين وما يرونه من الخوارق هناك هو من إضلال الشياطين لهم كما تفعله الشياطين عند الأصنام، فإنهم يضلُّون عابديها بأنواع حتى يظن أن الصنم كلَّمه، وقد يظهرون للسّدنة أحياناً كما كانوا في الجاهلية، وكذٰلك يوجد عند النصارى من هٰذا كثير»[٣]، و «الأودية مظان الجن؛ فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض»[٤]، ويوجد الجن أيضاً في غير مساكن الإنس و «لهٰذا يوجدون كثيراً في الخراب والفلوات، ويوجدون في مواضع النجاسات[٥] كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين

---

(١) «حقيقة الصيام» (ص ٤٨ ـ ٤٩ / ط السادسة). وانظر: «تيسير العبادات لأرباب الضرورات» (ص ٩٢).

(٢) «الرد على الأخنائي» (ص ١٧٥).

(٣) «الرد على الأخنائي» (ص ١٧٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٤، ٣٠٤)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢٤ / ٢٧٨).

(٥) قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٣ / ١٥٩ ـ ط محمد محيي الدين): «أنه [أي: الرسول ﷺ] نهى عن البول في الجحر. قال: قد يكون من=

والمقابر»(١).

* تصورات الزنادقة والصابئة والفلاسفة ومشركي العرب حول الجن:

وبذلك يُعلم أن الجن ليست مخلوقة من جنس الملائكة ولا من جنس الإنسان، قال شيخ الإسلام: «وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

* قول الزنادقة بأن إبليس خلق الظلمة والسباع:

قال الكلبي: نزلت في الزنادقة، قالوا: إن الله وإبليس شريكان؛ فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨].

فقيل: هو قولهم: الملائكة بنات الله، وسمى الملائكة جنّاً لاجتنانهم عن الأبصار، وهو قول مجاهد وقتادة.

وقيل: قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس، وهم بنات الله.

وقال الكلبي: قالوا ـ لعنهم الله ـ: بل تزوج من الجن فخرج بينهما الملائكة.

= مساكن الجن، فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه».

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢٨)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٠ ـ ٤٣).

وقوله: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠]:

قال بعض المفسرين كالثعلبي: وهم كفار العرب، قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله»[(١)].

قال: «فإن هؤلاء جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم، و «الجن» قد قيل: إنه يعم الملائكة؛ كما قيل في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨]، وإن كان قد قيل في سبب ذٰلك: زعم بعض مشركي العرب أن الله صاهر إلى الجن فولدت الملائكة.

*** الصابئة الفلاسفة وبعض مشركي العرب كانوا يعبدون الملائكة:**

فقد كانوا يعبدون الملائكة أيضاً كما عبدتها الصابئة الفلاسفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]؛ يعني: أن الملائكة لم تأمرهم بذٰلك، وإنما أمرتهم بذٰلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين، وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه. وهو شيطان من الشياطين.

---

(١) «التفسير الكبير» (٧ / ٣٦٢)، و «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٢٧١ ـ ٢٧٢).

ولهٰذا قال تعالى: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [يسٓ: ٦٠ - ٦٢].

وقال: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

فهم وإن لم يقصدوا عبادة الشيطان وموالاته، ولٰكنهم في الحقيقة يعبدونه ويوالونه.

*** الفلاسفة مؤمنون بقليل مما جاءت به الرسل من أمر الملائكة:**

فقد تبين أن هٰؤلاء الفلاسفة الصابئة المبتدعة مؤمنون بقليل مما جاءت به الرسل في أمر الملائكة؛ في صفتهم وأقدارهم، وذٰلك أن هٰؤلاء القوم إنما سلكوا سبيل الاستدلال بالحركات الفلكية والقياس على نفوسهم مع ما جحدوه وجهلوه من خلق الله وإبداعه»[(١)].

*** كفار العرب قالوا: الملائكة بنات الله:**

قال: «وأما الذين كانوا يقولون من العرب: إن الملائكة بنات الله، وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة؛ فقد نفاه الله عنه بامتناع الصاحبة، وبامتناع أن يكون منه جزء؛ فإنه صمد، وقوله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وهٰذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون إلا من أصلين سواء في ذٰلك تولد الأعيان التي تسمى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ١٣٥ - ١٣٦).

الجواهر وتولد الأعراض والصفات، بل ولا يكون تولد الأعيان إلا بانفصال جزء من الوالد، فإذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد، وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الإنس، فلم يقل أحد منهم أن له صاحبة؛ فلهٰذا احتج بذٰلك عليهم، وما حكي عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن؛ فهٰذا فيه نظر، وذٰلك إن كان قد قيل؛ فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة، وكذٰلك ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود من أن العزير ابن الله؛ فإنه قد نفاه سبحانه بهٰذا وبهٰذا. . . »[١].

*** الصلة بين الشيطان[٢] والملائكة:**

و «الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله»[٣].

*** الصلة بين الشيطان والإبل:**

والجن لهم علم وقدرة، وترى وتتكلم؛ فصفاتها تختص بها[٤]، ومن ذٰلك يُعْلَم أن قول النبي ﷺ عن الإبل: «إنها جن، خلقت من جن» ليس المراد به ما يتبادر إلى الذهن من أن مادتهما واحدة.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٢٨٢)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٣٦٣).

(٢) قال سيبويه: «الشيطان في اللغة: كل متمرد عات من الجن والإنس والدواب، وليس هٰذا الاسم خاصّاً بالجن». نقله القرافي في «الذخيرة» (٢ / ١٥٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٤٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٢١١، ٢١٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن لحوم الإبل: «فإنها حلال بالكتاب والسنـة والإجمـاع، ولٰكن فيها من القوة الشيطانية ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «إنها جن خلقت من جن»[1]، وقد قال ﷺ

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ٣٨٤)، وعبدالرزاق في «المصنف» (رقم ١٦٠٢)، وأحمد في «المسند» (٥ / ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧)، والطيالسي في «المسند» (رقم ٩١٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (رقم ٥٠١ - «المنتخب»)، والشافعي في «الأم» (١ / ٩٢) و«مسنده» (رقم ١٩٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢ / ٥٦) و«الكبرى» (رقم ٨١٤)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٧٦٩)، والمحاملي في «أماليه» (رقم ٨٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١ / ٣٨٤)، والروياني في «المسند» (رقم ٨٩٨)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم ١٧٠٢ ـ «الإحسان»)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (رقم ٣٣٠١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٤٤٩) و«معرفة السنن والآثار» (رقم ٥١١١)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ٥٠٤)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢ / ٣٣٤)؛ من طرق عن الحسن البصري عن عبدالله بن مغفّل؛ قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي في أعطان الإبل ومبارك الإبل؛ لأنها خلقت من الشياطين، ونصلي في مرابض الغنم».

وفي رواية لأحمد (٥ / ٥٥): «لا تصلوا في عطن الإبل؛ فإنها من الجن خلقت، ألا ترون عيونها وهبابها إذا نفرت، وصلوا في مراح الغنم؛ فإنها هي أقرب من الرحمة»

قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢ / ٣٣٣): «وحديث عبدالله بن مغفل رواه نحو خمسة عشر رجلاً عن الحسن، وسماع الحسن من عبدالله بن مغفل صحيح»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢ / ٢٦): «رجال أحمد رجال الصحيح»، وصححه الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢ / ٢٣).

قلت: انظر تفصيل ذٰلك في: «المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس» (٤ / ١٧١٢ ـ ١٧١٤، ١٧٣٥ ـ ١٧٣٧).

= قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢ / ٣٣٤) عقب الحديث: «وفي بعض هٰذه الآثار؛ فإنها جن خلقت من جن»، وقال قبل: «وجاء في الحديث الثابت: أنها جنّ خلقت من جنٍّ».

فلعل هٰذا مستند ابن تيمية رحمه الله في نقل هٰذا الحديث، وهو بالمعنى ساقه ابن عبدالبر في معرض التفرقة بين مراح الغنم وعطن الإبل ضمن كلام له سيأتي إن شاء الله تعالى، واكتفى صاحب «الحاوي في تخريج أحاديث مجموع الفتاوي» (ص ١١٢ / رقم ٥٧٣) في التخريج بقوله: «أخرجه ابن ماجه وأحمد» ولم يشر إلى لفظيهما؛ فأوهم أنه عندهما بلفظ: «إنها جن خلقت من جن» كما أورده ابن تيمية، وهو خلاف ذٰلك، وهٰذا قصور ظاهر في التخريج.

قال ابن حبان في «صحيحه» (٤ / ٦٠٢ ـ «الإحسان») عقب الحديث: «قوله ﷺ: «فإنها خلقت من الشياطين» أراد به أن معها الشياطين، وهٰكذا قوله ﷺ: «فليدرأه ما استطاع، فإن أبى؛ فليقاتله، فإنه شيطان». ثم قال في خبر صدقة ابن يسار عن ابن عمر: «فليقّاتله؛ فإن معه القرين»».

قلت: قد يتأيد هٰذا التأويل بما أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» من مرسل خالد بن معدان: «إن الإبل خلقت من الشياطين، وإن وراء كل بعير شيطان»، ونقل المناوي في «فيض القدير» (٢ / ٣٢٠) عن ابن جرير قوله: «معناه أنها خلقت من طباع الشياطين، وأن البعير إذا نفر كان نفاره من شيطان يعدو خلفه فينفره، ألا ترى إلى هيئتها وعينها إذا نفرت؟» انتهى.

وقال الزمخشري عن الجاحظ: «زعم بعضهم أن الإبل فيها عرق من سفاد الجن بهٰذا الحديث وغلطوا، وإنما ذٰلك لأن للشيطان فيها متسعاً، حيث سبقت أولاً إلى إغراء المالكين على إخلالهم بشكر النعمة العظيمة فيها، فلما زواها عنهم لكفرانهم أغرتهم أيضاً على إغفال ما لهم من حق جميل الصبر على الرزية بها وسولت في الجانب الذي يستعملون فيه نعمتي الركوب والحلب أنه الآثام وهو بالحقيقة الأيمن» انتهى.

فيما رواه أبو داود: «الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم؛ فليتوضأ»[1]؛ فأمر بالتوضؤ من الأمر العارض من الشيطان، فأكل لحمها يورث قوة شيطانية تزول بما أمر به النبي ﷺ من الوضوء من لحمها، كما صح ذلك عنه من غير وجه من حديث جابر بن سمُرة[2] والبراء بن

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٢٢٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧ / ٨)، وأبو داود في «السنن» (كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، ٤ / ٢٤٩ / رقم ٤٧٨٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢ / ٤٦٤ / رقم ١٢٦٧، ١٢٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ١٦٧، ١٦٩ / رقم ٤٤٣ و٤٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣ / ٤٦٤)؛ عن أبي وائل القاص؛ قال: «دخل عليَّ عروةُ بن محمد السعدي، فكلّمه رجل، فأغضبه، فقام فتوضأ، ثم رجع وقد توضأ، فقال: حدثني أبي عن جدي. . .»، وساقه.

وصحابي الحديث عطية بن عروة السعدي نزل الشام، وله ثلاثة أحاديث، ترجمته في «طبقات ابن سعد» (٧ / ٤٣٠)، و «الطبقات» للإمام مسلم (١ / ١٩٤ / رقم ٤٣٢ ـ بتحقيقي)، و «الجرح والتعديل» (٦ / ٣٨٣)، و «الاستيعاب» (٣ / ١٤٤)، و «أسد الغابة» (٤ / ٤٤)، و «الإصابة» (٢ / ٤٨٥).

وابنه محمد صدوق، ووهم من ذكره في الصحابة.

وانظر: «الإصابة» (٣ / ٤٧٥)، و «الميزان» (٣ / ٦٤٨).

وعروة بن محمد مجهول، وقال عنه في «التقريب»: «مقبول»؛ أي: إذا توبع. ولم أظفر له بمتابعة؛ فإسناده ضعيف.

وأعله شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٥٨٢) بجهالة كل من عروة وابنه محمد.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٣٦٠) عن جابر بن سمرة: «أن رجلاً سأل =

عـــــازب[1] وأسيـــــد بـــــن الحضيـــــر[2] وذي

= رسول الله ﷺ: أأتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إن شئت فتوضأ، وإن شئت فلا توضأ». قال: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم؛ فتوضأ من لحوم الإبل». قال: أُصلي في مرابض الغنم؟ قال: «نعم». قال: أُصلي في مبارك الإبل؟ قال: «لا»».

و (مرابض): جمع مربض، موضع الربوض، وهو للغنم بمنزلة الاضطجاع للإنسان، والبروك للإبل، والجثوم للطير. وانظر: «مجمع بحار الأنوار» (٣ / ٦١٩).

ولم يحدد أحد من شراح «صحيح مسلم» اسم السائل للرسول ﷺ. وانظر: «تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم» (ص ١١٣ رقم ٢٠٥ ـ بتحقيقي).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم ١٨٤)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٨١)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٥١٣)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨ / رقم ١٥٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ٤٦)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١ / ٢١ ـ ٢٢)، وابن المنذر في «الأوسط» (١ / ١٣٨ / رقم ٢٩)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٨٨، ٣٠٣) والروياني في «المسند» (١ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠ / رقم ٤١٥)، وابن حبان في «الصحيح» (ص ٧٨ ـ موارد)، وابن الجارود في «المنتقى» (ص ١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١ / ١٥٩)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢ / ٣٣٣)، وهو صحيح.

قال ابن عبدالبر: «وقد روي عن النبي ﷺ هٰذا المعنى من حديث أبي هريرة، والبراء، وجابر بن سمرة، وعبدالله بن مغفل، وكلها بأسانيد حسان، وأكثرها تواتراً وأحسنها حديث البراء».

وقال ابن خزيمة: «لم نر خلافاً بين علماء الحديث أن هٰذا الحديث صحيح من جهة النقل لعدالة ناقليه»، وصححه الإمام أحمد؛ كما في «الإصابة» (٢ / ٤١٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٣٥٢، ٣٩١)، والطحاوي في «شرح معاني =

= الآثار» (١ / ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١ / ٢٥)؛ عن الحجاج بن أرطأة، عن عبدالله بن عبدالله، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن أسيد بن حضير، وفيه: «توضؤوا من لحوم الإبل، ولا توضؤوا من لحوم الغنم»، و «صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في معاطن الإبل».

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١ / ٢٥ / رقم ٣٨): «سألت أبي عن حديث رواه عبيدة الضبي عن عبدالله بن عبدالله الرازي عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن ذي الغرة الطائي عن النبي ﷺ في الوضوء من لحم الإبل؛ قال: توضؤوا.

ورواه جابر الجعفي عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن أبي ليلى عن سليك الغطفاني عن النبي ﷺ، وحدثنا سعدويه؛ قال: حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج بن أرطأة عن عبدالله عن ابن أبي ليلى عن أسيد بن حضير عن النبي ﷺ، قلت لأبي: فأيهما الصحيح؟ قال: ما رواه الأعمش عن عبدالله بن عبدالله الرازي عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن البراء عن النبي ﷺ، والأعمش أحفظ».

وانظر: «إتحاف المهرة» (١ / ٣٦٨).

(١) أخرج عبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٣ / ٦٧ و٥ / ١١٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥ / ١٢٦ / رقم ٢٦٦٧)، وأبو يعلى في «المسند» رواية ابن المقرئ ـ كما في «المطالب العالية» (١ / ١٠٢ / رقم ١٥٧ ـ «المسندة») ـ، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦)؛ عن عبيدة الضبي، عن عبدالله بن عبدالله ـ يعني قاضي الري ـ، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن ذي الغرة؛ قال: «عرض أعرابي لرسول ﷺ ورسول الله ﷺ يسير، فقال: يا رسول الله! تدركنا الصلاة ونحن في أعطان الإبل؛ فنصلي فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا». فقال: أنتوضأ من لحومها؟ قال: «نعم». قال: أفنصلي في مرابض الغنم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال: أفنتوضأ من لحومها؟ قال: «لا»».

وغيرهم[1]؛ فقال مرة: «توضؤا من لحوم الإبل، ولا توضؤا من لحوم

= وإسناده ضعيف.

قال محمد بن عبدالهادي في «تنقيح التحقيق» (١ / ٥٠١): «عبيدة الضبي ـ فهو بضم العين ـ وهو عبيدة بن معتب، وقد ضعفوه، وقال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال الفلاس: كان سيء الحفظ متروك الحديث».

قلت: أخطأ فيه عبيدة، ورواه غيره عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن البراء رفعه.

قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣ / ٤٤٧): «والحديث خطأ، والصحيح عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن البراء عن النبي ﷺ، وعبيدة ضعيف الحديث».

ونحوه عند ابن حجر في: «الإصابة» (٢ / ٤١٤).

قلت: حديث البراء هو قبل السابق، وانظر التعليق على الحديث السابق.

(١) مثل سليك الغطفاني، كما ورد في كلام ابن أبي حاتم في التعليق قبل السابق.

وورد النهي عن عبدالله بن عمرو؛ كما في «مصنف ابن أبي شيبة» (١ / ٣٨٥، ٣٨٦)، والنهي عن الصلاة في معاطن الإبل مذهب مالك في «المدونة الكبرى» (١ / ٩٠)، والشافعي في «الأم» (١ / ٩٣)، وأحمد في «مسائل أبي داود» له (٤٧).

ونقله ابن قدامة في «المغني» (٢ / ٦٧) عن إسحاق وأبي ثور، ونقل ابن المنذر في «الأوسط» (٢ / ١٨٩) عن أحمد أنه رخص أن يصلِّي في موضع فيه أبوال الإبل إذا لم يكن معاطن الإبل التي نهي عن الصلاة فيها، والتي تأوي إليها بالليل، وكان يقول: عليه الإعادة إذا صلى في معاطن الإبل.

واختلفوا في الحكمة من النهي عن الصلاة في معاطن الإبل، وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢ / ٣٣٣): «إن الإبل لا تكاد تهدأ، ولا تقر في العطن بل تثور؛ فربما قطعت على المصلي صلاته، وجاء في الحديث الثابت أنها جن =

الغنم، وصلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في معاطن الإبل»، فمن توضأ من لحومها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب من الحقد وقسوة القلب التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله المُخَرَّجِ عنه في «الصحيحين»[(١)]: «إن الغلظة وقسوة القلوب في الفدادين أصحابِ الإبل، وإن السَّكِينة في أهل الغنم»[(٢)]، وقال في موضع آخر: وروي في الإبل: «إنها جن خلقت من جن»[(٣)]، وروي: «على ذروة كل بعير شيطان»[(٤)]؛ فالإبل فيها قوة شيطانية، والغاذي

= خلقت من جن، فبين العلة في ذٰلك، وقد قيل: إنما كان يستتر بها عند الخلاء، وهٰذا لا يعرف في الأحاديث المسندة، وفي الأحاديث المسندة غير ذٰلك».

قلت: وهٰذا الأخير أقوى مما في «مجمع بحر الأنوار» (٣ / ٦١٩): «وسبب النهي المذكور أن الإبل تزدحم في المنهل، فإذا شربت رفعت رؤوسها ولا تؤمن من نفارها وتفرقها، فتؤذي المصلي أو تلهيه عن صلاته، أو تنجسه برشاش أبوالها».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٣٣٠١، ٣٤٩٩، ٤٣٨٨، ٤٣٨٩، ٤٣٩٠)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ٥٢ بعد ٨٥، ٩١)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١ / ١٠، ٢٥ / ٢٤٠).

وانظر: «القواعد النورانية الفقهية» (٦ ـ ٧)، و «حقيقة الصيام» (٤٧ ـ ٤٨ ـ ط السادسة).

(٣) مضى تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ٤٩٤)، والدارمي في «السنن» (٢ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم ١٧٠٣ ـ «الإحسان»)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٢٩٩٣) و «الأوسط» (رقم ١٩٤٥)؛ عن حمزة بن عمرو =

شبيه بالمغتذي.

* إطفاء القوة الشيطانية:

وفي الحديث الذي في «السنن» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء»[١]، قال النبي ﷺ: «فإذا غضب أحدكم؛ فليتوضأ»، فإذا توضأ العبد من لحوم الإبل كان في ذٰلك من إطفاء القوة الشيطانية ما يزيل المفسدة، بخلاف من لم يتوضأ منها؛ فإن الفساد حاصل معه»[٢].

وقال: «فلما كانت الإبل فيها من الشيطنة ما لا يحبه الله ورسوله؛ أمر بالتوضؤ من لحمها، ونهى عن الصلاة في أعطانها لأنها مأوى الشياطين»[٣].

= الأسلمي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها؛ فسموا الله ولا تقصروا عن حاجاتكم».
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ١٣١): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط»، ورجالهما رجال الصحيح؛ غير محمد بن حمزة، وهو ثقة».

(١) مضى تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٥٢٣)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢٥٠ ـ ٢٥١).
ونقله بنحوه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ط محمد محيي الدين عبدالحميد).

(٣) «حقيقة الصيام» (ص ٤٨).
قلت: ويتأيد قوله بأن النبي ﷺ «كان يوتر على البعير»؛ كما في: «صحيح البخاري» (رقم ٩٩٩، ١٠٩٦، ١٠٩٨)، و «صحيح مسلم» (رقم ٧٠٠ بعد =

* معنى الإبل من الشياطين:

وفسر قوله ﷺ: «إنها من الشياطين»[1]، فقال: «يريد ـ والله أعلم ـ أنها من جنس الشياطين ونوعهم، فإن كل عاتٍ متمرد شيطان من أي الدواب كان؛ كالكلب الأسود شيطان، والإبل شياطين الأنعام كما للإنس شياطين وللجن شياطين، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أركبوه برذوناً فجعل يهملج به، فقال: «إنما أركبوني شيطاناً»[2]، والتجالس والاجتماع، ولذلك كان على كل ذروة بعير

= ٣٦)، و «موطأ مالك» (١ / ١٢٤)، وغيرها؛ عن ابن عمر.

قال ابن حبان في «الصحيح» (٤ / ٦٠٤ ـ ٦٠٥ ـ «الإحسان»): «لو كان الزجر عن الصلاة في أعطان الإبل لأجل أنها خلقت من الشياطين؛ لم يصلِّ ﷺ على البعير؛ إذ محال أن لا تجوز الصلاة في المواضع التي قد يكون فيها الشيطان ثم تجوز الصلاة على الشيطان نفسه، بل معنى قوله ﷺ: «إنها خلقت من الشياطين» أراد به أن معها الشياطين على سبيل المجاورة والقرب».

وانظر غير مأمور: «فيض القدير» (٤ / ٢٠٠)، والآتي من كلام شيخ الإسلام؛ ففيه دقة متناهية.

(١) مضى ضمن حديث في التعليق على (ص ٣٩ - ٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا ـ كما في «تحرير الجواب» (ص ٢٥٤ ـ بتحقيقي ضمن مجلة «الحكمة» / العدد الرابع) ـ، والدينوري في «المجالسة» (رقم ٩٨٦ ـ بتحقيقي) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ترجمة عمر) ـ، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣ / ٨٢١، ٨٢٢ ـ ٨٢٣، ٨٢٤)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠، ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ «أخبار الشيخين»)، وابن سعد في «طبقاته» (٣ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

وبنحوه عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨ / ١٤٦ ـ ط دار الفكر)، وأحمد =

شيطان.

*** حكمة الوضوء من لحوم الإبل:**

والغنم هي من السكينة، والسكينة من أخلاق الملائكة؛ فلعل الإنسان إذا أكل لحم الإبل أورثته نفاراً وشماساً وحالاً شبيهاً بحال الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفىء النار بالماء؛ فأمر بالوضوء من لحومها كسراً لتلك الصورة وقمعاً لتلك الحال، وهٰذا لأن قلب الإنسان وخلقه يتغير بالمطاعم التي يطعمها، ولهٰذا حرَّم الله الخبائث»[1].

*** طعام الجن:**

قال رحمه الله: «والجن يأكلون ويشربون وينكحون كالإنس[2]،

= في «الزهد» (٢ / ٣٠ ـ ط دار النهضة)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣ / ٨٢٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٠٦)، ومن طريق الخطيب في «المتفق والمفترق» (٣ / ٢٠٥٢ / رقم ١٧١٥)، وابن جرير في «التاريخ» (٥ / ٢٤٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٢٦١ ـ ترجمة عمر)، وابن الجوزي في «مناقب عمر» (ص ١٥٠).

(١) «شرح العمدة» (١ / ٣٣١ ـ ٣٣٢).

(٢) قال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٥): «اختلف أيضاً: هل يأكلون ويشربون ويتناكحون [أي: الجن] أم لا؟ فقيل بالنفي وقيل بمقابله، ثم اختلفوا؛ فقيل: أكلهم وشربهم تشمم واسترواح، لا مضغ ولا بلع، وهو مردود».

وقال العيني في «عمدة القاري» (١٦ / ٣١٠): «للناس في «أكل الجن وشربهم ثلاثة أقوال:

ويطيقون الأخذ عن الأنس، ويفهمون كلامهم»[1]؛ «فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون ويشربون، وينكحون وينسلون، ويغتذون وينمون بالأكل والشرب، وهٰذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميزون بها عن الملائكة؛ فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل»[2].

و «روى مسلم في «صحيحه»[3] عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أن الجن سألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زاد إخوانكم»».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه كان يحمل مع رسول الله

= **(أحدها)**: : أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون، وهٰذا قول ساقط.
(الثاني): أن صنفاً منهم يأكلون ويشربون، وصنفاً منهم يأكلون ولا يشربون، وعن وهب: خالص الجن ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون، منهم السعالي والغيلان والقطرب وغيرها.
(الثالث): أن جميع الجن يأكلون ويشربون لظاهر الأحاديث الصحيحة وعمومها، واختلف أصحاب هٰذا القول في أكلهم وشربهم؛ فقال بعضهم: أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ ولا بلع، وهٰذا قول لا يَرِدُ عليه دليل، وقال بعضهم: أكلهم وشربهم مضغ وبلع، وهٰذا القول هو الذي تشهد به الأحاديث الصحيحة» اهـ.

(١) «تفسير آيات أشكلت» (١ / ٢٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١٩٢).

(٣) (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم٤٥٠).

ﷺ أداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه؛ قال: «أبغني أحجاراً أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه، فقلت: ما بال العظم والروثة؟! فقال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوتُ اللهَ لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلاّ وجدوا عليها طعاماً»». رواه البخاري[1].

فبيَّن له ﷺ ما هو طعام الجن ونهانا عنه، وتبرأ ممن يستنجي به»[2].

وقال قبل ذٰلك: «ولا يقال: الجميع زاد الجن؛ لأنه قد بَيَّنَ «إنما زادُهم كلُّ عظم ذُكِرَ اسم الله عليه»، وهو ﷺ لم يُبِحْ للجن المؤمنين إلا ما ذُكر اسم الله عليه».

*** إنكار بعض مشركي العرب أن يكون الجن يأكل ويشرب ويتناسل:**

قال رحمه الله: «وأيضاً؛ فمشركو العرب وأهل الكتاب يُقِرُّون بالملائكة وإن كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعاً واحداً، فمن خرج منهم عن طاعة الله أسقطه وصار شيطاناً، وينكرون

---

(١) برقم (٣٨٦٠).

(٢) «شرح العمدة» (١ / ١٥٨ ـ ١٦٠). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٣٠٦، و٢١ / ٢٠٥، ٥٠٩، ٥٧٧ ـ ٥٧٨ و٣٥ / ٢٤٠)، و «التفسير الكبير» (٤ / ١٢ ـ ١٣)، و «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦ / ٣٧١).

أن يكون إبليس كان أبا الجن، وأن يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويشربون.

* إنكار المتفلسفة للملائكة والجن:

فهٰؤلاء النصارى الذين ينكرون هٰذا مع كفرهم هم خير من هٰؤلاء المتفلسفة، فإن هٰؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم إلا ما يثبتونه من العقول والنفوس، أو من أعراض تقدم بالأجسام كالقوى الصالحة، وكذٰلك الجن جمهور أولٰئك يثبتونها، فإن العرب كانت تثبت الجن وكذٰلك أكثر أهل الكتاب، وهٰؤلاء لا يثبتونها، ويجعلون الشياطين القوى الفاسدة»[1].

* قدرات الجن وتشكلاتهم:

«والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم؛ فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها[2]، وفي صور الإبل والبقر والغنم

---

(١) «التفسير الكبير» (٧ / ٣٨١).

(٢) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٢٣٣) عن نافع؛ قال: «كان عبدالله ابن عمر يوماً عند هدم له، فرأى وبيص جانٍّ، فقال: اتبعوا هٰذا الجانَّ فاقتلوه. قال أبو لبابة الأنصاري: إني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجنَّان التي تكون في البيوت؛ إلاَّ الأبتر وذا الطفيتين؛ فإنهما اللذان يخطفان البصر ويتتبعان ما في بطون النساء».
قال المازري: «الحق الذي لا شك فيه أن الجن ثلاثة أقسام:
● قسم يأكل ويشرب، ويركب ويظعن، وينزل وينكح ويغسل، ويؤمن ويكفر، ويصلي ويصوم ويقرأ القرآن ويحج البيت ويجاهد بعضهم بعضاً، وجل طعامهم العظم والروث.

والخيـل والبغـال والحمير، وفـي صـور الطيـر، وفـي صـور بنـي آدم. . .»[1]، «كما تمثل إبليس في صورة سراقة بن جشعم[2]، ومع

= ● وقسم خلقه الله سريع الانفكاك، يتلون على كل حال لون، ويتصور على كل صورة: تارة على صورة الآدمي، وتارة على صورة البهائم، وتارة على صورة الطير والوحش، وتارة على صورة الحيات والضفادع، وهم يتهيئون في الصحراء والبراري وعلى رؤوس الجبال والآكام والدهاليس، ويطيرون بين السماء والأرض، ويسترقون السمع من السماء، ويرجمون بالشهاب الثاقب؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، ومنهم الغيلان والسعالى، وطبعهم الفساد في الأرض، يخوّفون النساء والصبيان، ويطعنون في خواصرهم وأصلابهم، وينجسون المياه، ويفسدون الأطعمة بأنواع المفاسد، ويتأذى منه من شرب منه أو أكل بقضاء الله تعالى وقدره.

● وقسم ثالث: وهو أبو مرة وجنوده، وهو إبليس، جعلهم الله روحانيين لا يأكلون ولا يشربون، وليس لهم قدرة على شيء من المفاسد لضعفهم ورقة جواهرهم سوى ما أقدرهم الله تعالى عليه من وساوس الآدميين والتزيين والتسويل والتسويف».

وانظر: «حاشية الرهوني على شرح الزرقاني» (٢ / ٨٨ ـ ٨٩)، و «حاشية المدني على كنون» بهامشه.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨ / ٤٥٨ و١٠ / ٤٠٦، ٥٩٣، ٦١١، ٦١٢ و١١ / ٢٨٧، ٣٠٠، ٥٢٧ و١٣ / ٧٨، ٧٩ و١٧ / ٤٥٧ و١٩ / ٤٤)، و «الجواب الصحيح» (٢ / ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٨ و٣ / ٣٢٩)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٩٤ و٤ / ٢٩٤ و٧ / ٥٢٩)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٢٩)، و «منهاج السنة» (٨ / ٢٦٢).

(٢) أورد السيوطي في «لقط المرجان» (ص ١٩٣)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي؛ عن ابن عباس قال: «جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في =

هٰذا. . . لم يكن فيهم [أي: البشر] من يعتقد أن. . . الجن من جنس الآدميين مطلقاً؛ لما استشعروه من نوع فرق»(١).

* استحالة تصور الجن بصورة النبي ﷺ:

ومع هٰذا كله لا يستطيع أيُّ جِنٍّ كان أن يتمثل بصورة النبي ﷺ في المنام؛ لقوله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»(٢).

= صورة سراقة بن مالك بن جشعم، فقال الشيطان: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فأقبل جبريل على إبليس، فلما رآه ويده كانت في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده وولى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة! إنك جار لنا. قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] ـ وذٰلك حين رأى الملائكة ـ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]».

قلت: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣ / ٧٨)، وأورده ابن إسحاق في «السيرة» (٢ / ٢١٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٢ / ٣٨٦). وانظر: (ص ٢٣٨) من هٰذا الكتاب.

(١) «بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسيس الجهمية» (٢ / ٤٩٢).

وسيأتي معنا إن شاء الله في الفصل الثالث نماذج كثيرة في تصور الجن والشياطين بشتى الصور؛ لإضلال بني آدم.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٩٩٣)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ٢٢٦٦)؛ عن أبي هريرة رفعه.

وفي الباب عن أبي قتادة وابن عباس وأبي سعيد وجابر وأنس وأبي مالك الأشجعي عن أبيه وأبي جحيفة وابن مسعود وأبي بكرة.

وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٢٧٨)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٣٦٣).

واعلم أن هٰذه القدرة على التصوير بصور الحيوانات وغيرها إنما هي من خلق الله تعالى لهم، و «من قال: إن شيئًا من الحوادث لم يخلقها الله تعالى؛ فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية»[1]، عكس ما تقوله القدرية من الإمامِيّة والمعتزلة وغيرهم: يزعمون أن الله تعالى لا يقدر على نفس أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس[2].

*** إمكان رؤية الجن:**

«والجن يراهم كثير من الناس»[3]، بل إن بعض الحيوانات

---

(١) «منهاج السنة» (٣ / ٣٢).

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢ / ٢٩١).

(٣) «الجواب الصحيح» (٤ / ٢٨٩).

وهٰذا محمول على رؤيتهم على الصورة التي يتصورن بها، وأمَّا ما رواه البيهقي في «مناقب الشافعي» عن الربيع: سمعت الشافعي يقول: «من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته؛ إلاَّ أن يكون نبياً»؛ فقد نقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٤) وقال: «وهٰذا محمول على من يدَّعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان؛ فلا يقدح فيه»، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور، وبمثل كلام الحافظ قال السخاوي في «الإيقاظ» (٣١).

قلت: ونقل أبو يعلى الفرَّاء دعوى المعتزلة بعدم رؤية الجن؛ فقال: «الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة، يجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة، خلافاً للمعتزلة في دعواهم أنها رقيقة، وأن امتناع رؤيتنا لهم من جهة رقتها، وهو مردود؛ فإن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية، ويجوز أن يخفى عن رؤيتنا بعض الأجسام الكثيفة إذا لم يخلق الله فينا إدراكها».

يرونهم؛ فـ «قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إذا سمعتم صياح الديكة؛ فسلوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب؛ فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً»»[1].

وسلف الأمة وأئمتها وجمهور نظارها وعامتها على أن الجن يمكن رؤيته[2].

وقد سُئل رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]: «هل ذٰلك عام لا يراهم أحد أم يراهم بعض الناس دون بعض؟ وهل الجن والشياطين جنس واحد ولد إبليس أم جنسين: ولد إبليس وغير ولده»؟؟

*** الشياطين هم مردة الإنس والجن وجميع الجن ولد إبليس:**

فأجاب رحمه الله بقوله:

«الحمد لله، الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهٰذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم

= وفيه أيضاً: «قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «قال بعض المعتزلة: الجن أجسام رقيقة بسيطة. قال: وهٰذا عندنا غير ممتنع إن ثبت به سمع».

وانظر في ذٰلك: «فتح الباري» (٦ / ٣٤٤.)

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٣٣٠٣)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ٢٧٢٩)، وغيرهما؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٩٠).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٢/ ١٤٩)، وسيأتي مزيد تفصيل في الفصل الرابع.

الإنس فيها، وليس فيه أنهم لا يراهم من الإنس بحال؛ بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضًا[1]، لٰكن لا يرونهم في كل حال، والشياطين هم مردة الإنس والجن، وجميع الجن ولد إبليس[2]، والله

---

(١) والدليل على إمكان رؤية الإنسان للجن على الصورة التي يتشكل عليها ما رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد / رقم ٤٦١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة / رقم ٥٤١)؛ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن عفريتاً من الجنّ تفلت عليَّ البارحة ـ أو كلمة قالها ـ ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]».

وكذا قصة أبي هريرة وغيره مع الشيطان. انظر: (ص ٤٥٧ - ٤٧٢).

(٢) قلت: أخرج أبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٤٤) عن عقيل، عن ابن شهاب؛ أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]: «فإبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس، وآدم من الإنس وهو أبوهم، وإبليس من الجن وهو أبوهم، وقد تبين للناس ذٰلك حين قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ . . . أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠]».

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤ / ٢٢٧)، وعزاه لأبي الشيخ وابن أبي حاتم، وهو في «تفسيره» (٧ / ٢٣٦٧).

وروي هٰذا عن الحسن البصري أيضاً؛ فروى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥ / ٢٦٠) عن الحسن؛ أنه قال: «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنّ كما أنَّ آدم أصل الإنس».

قلت: ويؤيد القول بأن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة / رقم =

أعلم»[1].

*** الجهل بماهية الجن لا يعني عدم وجودهم:**

و «سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن قائل يقول: إن لم يتبين لي حقيقة ماهيَّة الجن وكُنْه صفاتهم، وإلاّ؛ فلا أتبع العلماء في شيء؟

فأجاب: أما كونه لم يتبين له كيفية الجن وماهيتهم؛ فهٰذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه، لم ينكر وجودهم؛ إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رآهم، وفيهم من رأى من رآهم، وثبت ذٰلك عنده بالخبر واليقين.

*** تكليم بعض الناس للجن وأمرهم إياهم:**

ومن الناس من كلَّمَهم وكلَّمُوه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم، وهٰذا يكون للصالحين وغير الصالحين، ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم؛ لطال الخطاب، وكذٰلك ما جرى لغيرنا، لٰكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به»[2].

= ٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكـة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥ / ٧)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٣٢).

*** وجود الجن والرد على منكريهم:**

«والإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم، لم ينكر ذٰلك إلا شواذ من بعض الأمم...[1] فذكر الملائكة والجن عام في الأمم، وليس في الأمم أمة تنكر ذٰلك إنكاراً عاماً، وإنما يوجد إنكار ذٰلك في بعضهم مثل من قد يتفلسف، فينكرهم لعدم العلم لا للعلم بالعدم...»[2].

و «وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها»[3].

---

(١) قال في «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٠٢): «... ولهٰذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن؛ إذ لم يكن ظهور هٰذا في المنقول عن الرسول كظهور هٰذا، وإن كانوا مخطئين في ذٰلك...».

(٢) «النبوات» (ص ٣٤، ٣٥).

(٣) ومن الطريف أن نذكر أن علماء أهل السنة لم يختلفوا في أن الجن موجودون، وأنهم مكلفون؛ حتى إنهم اختلفوا في شيطان الجن إذا مر بين يدي المصلي، هل يقطع الصلاة أم لا؟

قال شيخ الإسلام: «وقد تنازع العلماء في شيطان الجن إذا مر بين يدي المصلي: هل يقطع؟ على قولين هما قولان في مذهب أحمد، كما ذكرها ابن حامد وغيره:

أحدهما يقطع لهٰذا الحديث ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود يقطع للصلاة: «الكلب الأسود شيطان»؛ فعلل بأنه شيطان، وهو كما قال رسول ﷺ؛ فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذٰلك=

و «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذٰلك، فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة[1] من ينكر ذٰلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذٰلك[2].

= بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة».

وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٢).

(١) قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني في كتاب «الإرشاد» (٢٧١ ـ ٢٧٢): «فإن قيل: بيِّنوا مذهبكم في الجن والشياطين. قلنا: نحن قائلون بثبوتهم، وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم؛ فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق اللبيب والمعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونصَّ الشرع على ثبوته، ولا يبقى لمن ينكر إبليس وجنوده والشياطين المسخرين في زمن سليمان كما أنبأ عنهم آي من كتاب الله تعالى» اهـ.

وقال الونشريسي في «المعيار المعرب» (١٢ / ٣٠٩): «قيل: الصواب أن حكم من أنكر وجود الجن من المعتزلة أنه كافر؛ لأنه جحد نص القرآن والسنن المأثورة والإجماع الضروري، وآية الأحقاف وسورة ﴿قل أوحي﴾ [أي: سورة الجن] وخطاب الجن والإنس معلوم بالضرورة، وكذا ذكر توعدهم بالنار؛ فهو بنص القرآن» اهـ.

(٢) وقع اضطراب في هٰذه الفقرة من الأصل؛ ففيه: «وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذٰلك كما يوجد في طوائف المسلمين...»!! وأثبتنا الصواب من نقل الشبلي عن شيخ الإسلام ابن تيمية في «آكام المرجان» (ص ١٣)، وارتضى قوله وتابعه على ذٰلك السيوطي في «لقط المرجان» (ص ١٧).

وهٰذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار.

*** الجن أحياء فاعلون بالإرادة وليسوا أعراضاً:**

ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفاتٍ وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة[1]، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة؛ لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم، كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل إنكار الملائكة ولا إنكار معاد الأبدان ولا إنكار عبادة الله وحده لا شريك له ولا إنكار أن يرسل الله رسولاً من الإنس إلى خلقه... ونحو ذٰلك مما تواترت به الأخبار عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٠).

ونقل كلام شيخ الإسلام هٰذا وارتضاه الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٤١٣)، وهاك نص كلام بعض الأئمة في ذٰلك:

قال إمام الحرمين في «الشامل»: «إن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأساً، ولا يبعد لو أنكر ذٰلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة، وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار!!»، ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة تركناها للاكتفاء بما ذكره المصنف في هٰذه الرسالة.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً =

و «المقصود هنا أن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذٰلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب[1]، وكذٰلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد سام، والهند وغيرهم من أولاد حام، وكذٰلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث؛ فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن، بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم، سواء أكان ذٰلك سائغاً عند أهل الإيمان أو كان شركاً؛ فإن المشركين يقرؤون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن.

*** الرقية بما لا يفهم:**

ولهٰذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يُفْقَه معناها؛ لأنها

= وينفون وجودهم الآن، ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها، ومنهم من قال: إنما لا يرون لأنهم لا ألوان لهم. قال إمام الحرمين: والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم مثل هٰذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين».

(١) ذهب بعض حكماء وفلاسفة اليهود إلى إنكار الشياطين، ومنهم ابن كمونة في كتابه «تنقيح الملل الثلاث» (ص ١١)، واعتنى بآرائه في هٰذا الموضوع (اسبينوزا) في «رسالة في اللاهوت والفلاسفة» (ص ١٣١)، ومما ينبغي أن يشار إليه افتراء الكوثري على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ادعائه بتأثر ابن تيمية بابن كمونة هٰذا في بعض المسائل.

مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك.

وفي «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي؛ قال: «كنَّا نَرْقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذٰلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»»[1].

وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن جابر؛ قال: «نهى رسول ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى! قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»»[2].

*** بقراط يؤمن بالصرع:**

«وجماهير الأمم يقر بالجن، ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء[3]

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم ٢٢٠٠)، وأبو داود في «السنن» (كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، رقم ٣٨٨٦)؛ عن عوف بن مالك رفعه.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢١٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨ / ٣٤)، وأبو يعلى في «المسند» (رقم ٢٢٩٩)، والطحاوي في «شرح معاني في الآثار» (٤ / ٣٢٨)؛ عن جابر بن عبدالله رفعه.
وانظر كلامه رحمه الله في: «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٣).

(٣) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٣٣٦): «لٰكن نَفْيهم هٰذا كَنَفْيِ الطبيب للجن؛ لأنه ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن، وإلا؛ فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن».

ونحوهم، وأما أكابر القوم؛ فالمأثور عنهم إما الإقرار بها، وإما أن لا يحكى عنهم في ذٰلك قول، ومن المعروف عن بقراط أنه قال في بعض المياه: إنه ينفع من الصرع، لست أعني الذي يعالجه أصحاب الهياكل وإنما أعني الصرع الذي يعالجه الأطباء(١). وأنه قال: طبنا مع طب

= وانظر عن إنكار الفلاسفة للجن: «النجاة» لابن سينا (ص ١٦٧ ـ ١٦٨)، و «تهافت التهافت» لأبي الوليد بن رشد، و «آراء المدينة الفاضلة» لأبي نصر الفارابي (ص ٩٣ ـ ٩٤).

قلت: قال الحافظ في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٣): «قوله ـ أي: البخاري في «صحيحه» ـ: «باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم» أشار بهٰذه الترجمة إلى إثبات وجود الجن وإلى كونهم مكلفين، فأما إثبات وجودهم؛ فقد نقل إمام الحرمين في «الشامل» عن كثير من الفلاسفة والزنادقة والقدرية أنهم أنكروا وجودهم رأساً. قال: ولا يتعجب ممن أنكر ذٰلك من غير المشرعين، إنما العجب من المشرعين مع نصوص القرآن والأخبار المتواترة. قال: وليس في قضية العقل ما يقدح في إثباتهم. قال: وأكثر ما استروح إليه من نفاهم: حضورهم عند الإنس بحيث لا يرونهم، ولو شاؤوا لأبدوا أنفسهم. قال: وإنما يستبعد ذٰلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات. وقال القاضي أبو بكر: وكثير من هٰؤلاء يثبتون وجودهم وينفونه الآن، ومنهم من يثبتهم وينفي تسلطهم على الإنس. وقال عبدالجبار المعتزلي: الدليل على إثباتهم السمع دون العقل؛ إذ لا طريق إلى إثبات أجسام غائبة؛ لأن الشيء لا يدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق، ولو كان إثباتهم باضطرار لما وقع الاختلاف فيه، إلاَّ أنا قد علمنا بالاضطرار أن النبي ﷺ كان يتدين بإثباتهم».

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠ / ١١٤ ـ ط السلفية): «انحباس الريح قد يكون سبباً للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تتحبس في منافذ الدّماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه =

أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا.

*** تأثير الجن في بدن الإنس:**

وليس لمن أنكر ذٰلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي، وإنما معه عدم العلم؛ إذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذٰلك، كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه، وليس في هٰذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن، وإن كان قد علم من غير طِبِّه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية، وكذٰلك للجن تأثير في ذٰلك كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١)، وفي الدم الذي هو البخار الذي تسميه الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة

= من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنّج من الأعضاء؛ فلا يبقى الشخص معه منتصباً، بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصَّرْع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم: إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإمَّا لإيقاع الأذيَّة به، والأول هو الذي أثبته الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيِّرة العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها، وممن نص منهم على ذٰلك أبقراط؛ فقال لما ذكر علاج المصروع: **هٰذا إنما ينفع في الذي سببه أخلاط، وأما الذي يكون من الأرواح؛ فلا**» اهـ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ٢١٧٥)؛ عن صفية بنت حيي، وفيه قصة.

البدن»[1].

*** مشركو العرب وأهل الكتاب يجعلون الجن من عصاة الملائكة وهم خير من المتفلسفة في ذٰلك:**

«وأيضاً؛ فمشركو العرب وأهل الكتاب يقرون بالملائكة وإن كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعاً واحداً، فمن خرج منهم عن طاعة الله أسقطه وصار شيطاناً، وينكرون أن يكون إبليس كان أباً للجن، وأن يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويشربون؛ فهٰؤلاء النصارى الذين ينكرون الجن هٰذا مع كفرهم هم خير من هٰؤلاء المتفلسفة، فإن هٰؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم إلا ما يثبتونه من العقول والنفوس أو من أعراض تقوم بالأجسام كالقوى الصالحة، وكذٰلك الجن جمهور أولٰئك يثبتونها، فإن العرب كانت تثبت الجن، وكذٰلك أكثر أهل الكتاب، هٰؤلاء لا يثبتونها ويجعلون الشياطين القوى الفاسدة»[2].

*** شبهات من أنكر الجن من الفلاسفة والملاحدة:**

قال رحمه الله: «كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة... يضعون لفظ «الملائكة» على ما يثبتونه من العقول والنفوس وقوى النفس، ولفظ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٢)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموع الرسائل المنيرية» (٢ / ١١٨ ـ ١١٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٢٩٣).

«الجن» و «الشياطين» على بعض قوى النفس[1]، ثم يقولون: نحن

---

(١) قال الغزالي في «المضنون الكبير»: «الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الأنواع، مثال ذٰلك القدرة؛ فإنها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة، وهما مخالفا اللون، واللون والقدرة والعلم أعراض قائمة بغيرها، فكذٰلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف، ومع ذٰلك؛ فكل واحد جوهر قائم بنفسه، وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك؛ فلا يدري أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والإنسان، أو الاختلاف في الأعراض كالاختلاف بين الإنسان الناقص والكامل؟! وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان، وهو أن يكون النوع واحداً، والاختلاف واقعاً في العوارض كالاختلاف بين الخيِّر والشرير والاختلاف بين النبي والولي، والظاهر أن اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى، وهٰذه الجواهر المذكورة لا تنقسم، أعني أن محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم؛ فإن العلم الواحد لا يحل إلا في محل واحد، وحقيقة الإنسان كذٰلك؛ فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير متضادين، وأما أن هٰذا الجوهر غير منقسم، وهل هو متحيز أم لا؛ فهٰذا الكلام عائد إلى معرفة الجزء الذي يتجزأ، فإن استحال الجزء الذي لا يتجزأ؛ فهٰذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز، وإن لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ؛ فيمكن أن يكون هٰذا الجوهر متحيزاً، وقد قال قوم: لا يجوز أن يكون غير منقسم ولا متحيز؛ فإن الله تعالى غير منقسم ولا متحيز، فما الذي يفصل هٰذا من ذٰلك؟ وهٰذا غير مبرهن عليه؛ لأنه ربما تباينا في حقيقة الذات، وإن سلب عنهما الانقسام والتحيز والأمور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لأن ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالَّيْن في محل واحد؛ فإن إيجاب احتياجهما إلى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما؛ فكذٰلك سلب الاحتياج إلى المحل، والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين، ويمكن أن تشاهد هٰذه الجواهر ـ أعني جواهر الملائكة ـ وإن كانت غير محسوسة، وهٰذه المشاهدة على ضربين:

= **إما على سبيل التمثيل**؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وكما كان النبي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي.

والقسم الثاني أن يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما أن نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها؛ فكذٰلك بعض الملائكة، وربما كان هٰذا البدن المحسوس موقوفاً على إشراق نور النبوة كما أن محسوسات عالمنا هٰذا موقوف عند الإدراك على إشراق نور الشمس، وكذا في الجن والشياطين» اهـ.

قال الغزالي في «الإحياء» (٣ / ٢٧) في بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس بعد تمهيد مقدمة ما مثاله: «فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء، والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر، أعني ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعو إلى الخير، أعني ما ينفع في الدار الآخرة، فهما خاطران مختلفان، فافتقر إلى اسمين مختلفين؛ فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً، والخاطر المذموم ـ أعني الداعي إلى الشر ـ يسمى وسواساً، ثم إنك تعلم أن هٰذه الخواطر حادثة، ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث، ومهما اختلفت الحوادث دل ذٰلك على اختلاف الأسباب، هٰذا ما عرف من سُنَّةِ الله تعالى في ترتيب المُسَبَّبَاتِ على الأسباب؛ فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسودَّ بالدخان؛ علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، وكذٰلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان؛ فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى (ملكاً)، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى (شيطاناً)، واللطف يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى (توفيقاً)، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى (إغواء وخذلان)؛ فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة، و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفادة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذٰلك، و (الشيطان) عبارة عن خلق شأنه ضد ذٰلك، وهو الوعد =

نثبت ما أخبرت به الأنبياء وأقر به جمهور الناس من الملائكة والجن والشياطين»[1].

= بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر؛ فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك».

ونقل هٰذا الكلام عن الغزالي الشيخ جمال الدين القاسمي في «مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن» (ص ٤٥ ـ ٤٧) وعلق على قوله: «كما كان النبي ﷺ يرى جبريل في صورة دحية الكلبي» بقوله: «وقال الغزالي قبل ذٰلك في مبحث الرؤية: وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى أنه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي، بل أنه ظهرت الصورة للرسول مثالاً مؤدياً عن جبريل ما أوحى إليه، وكذٰلك قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]».

وعلق على قوله: «وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى (شيطاناً)»، فقال: «يؤيده آية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾، و (الوساوس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة، ويشبه ما للغزالي هنا قول من قال: إن الشيطان قوة من جملة القوى الإنسانية، وهٰكذا قال الراغب: كل قوة ذميمة للإنسان؛ فهو شيطان».

(١) «مجموع الفتاوى» (١ / ٢٤٣).

وقد قال رحمه الله في «بغية المرتاد» (ص ٢١٩ ـ ٢٢٠): «ولهٰذا يؤول بهم [أي الفلاسفة] الأمر إلى أن يجعلوا الملائكة والشياطين أعراضاً تقوم بالنفس، ليست أعياناً قائمة بنفسها حية ناطقة، ومعلوم بالاضطرار أن هٰذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون، وإن كان قد يعني بالشيطان العاتي المتمرد من كل نوع، وقد يعني به بعض الناس عرضاً، وهٰذا كما يجعلون كلام الله ما يفيض على نفس النبي من غير أن يثبتوا لله تعالى كلاماً خارجاً عما في نفس النبي وعند التحقيق؛ فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى وأجمل، وحينئذ؛ فيكون القرآن كلام النبي ﷺ . . .» إلخ كلامه.

* ابن سينا ينكر الملائكة والجن:

وقال: «والمتفلسفة الذين لم يعرفوا الملائكة والجن كابن سينا وأمثاله[1] ظنوا أن هٰذه الخوارق من قوى النفس، قالوا: والفرق بين النبي والساحر أن النبي يأمر بالخير والساحر يأمر بالشر، وجعلوا ما يحصل للممرور من هٰذا الجنس إذ لم يعرفوا صرع الجن للإنسان، وأن الجني يتكلم على لسان الإنسان كما قد عرف ذٰلك الخاصة والعامة وعرفه علماء الأمة وأئمتها»[2] اهـ.

= قلت: وهٰذا بعينه قد ردده بعض العقلانيين في هٰذا العصر، فقال بعضهم: «إن الشيطان عبارة عن وسواس الشر في الإنسان»!!
انظر: «إعلام الأنام بمخالفات شيخ الأزهر شلتوت للإسلام» (ص ٥٣ ـ ٥٤ ـ ط الأولى).

(١) نقل القاسمي رحمه الله في «مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن» (ص ٤٣) عن ابن سينا في كتاب «الحدود» قوله: «الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم، من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة. (قال:) وليس هٰذا رسمه؛ بل هو معنى اسمه».
وقال أبو البقاء في «كلياته» (ص ٣٥١ ـ ط مؤسسة الرسالة) بعده: «أي: هٰذا بيان لمدلول هٰذا اللفظ، مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية، سواء كان معدوماً في الخارج أو موجوداً ولم يعلم وجوده فيه، فإن التعريف الإسمي لا يكون إلَّا كذٰلك، بخلاف التعريف الحقيقي؛ فإنه عبارة عن تصور ما له حقيقة خارجية في الذهن». (ثم قال أبو البقاء): «وقد دل الكتاب وأخبار الأنبياء على وجود الجن، وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة أيضاً».

(٢) «النبوات» (ص ٣١٥). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٩ / ٢٤٩)، وسيأتي كلامه رحمه الله عن الصرع في الفصل الرابع مطولاً.

وقال عن بعض الفلاسفة ـ كابن سينا ومن تبعه ـ: «أخذوا أسماء جاء بها الشرع، فوضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع، ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء؛ فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع، **فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة**، وهٰذا كلفظ «المُلْك» و «الملكوت» و «الجبروت» و «اللوح المحفوظ» و «المَلَك» و «الشيطان» و «الحدوث» و «القدم» وغير ذٰلك»[١] اهـ.

وأفاد رحمه الله عن بعض الفرق التي ضلَّت عن الحق أن منهم مَنْ عبَّر «بلفظ (الملائكة)، و (الشياطين) عن قوى النفس المحمودة والمذمومة.

«وبالضرورة من الدين أن الرسل أرادوا بالملائكة والشياطين أعياناً قائمة بأنفسها متميزين، لا مجرد أعراض قائمة بنفس الإنسان؛ كالقوة الجاذبة والماسكة والدافعة والهاضمة، وقوة الشهوة والغضب، وإن كان قد يسمى بعض الأعراض باسم صاحبه»[٢] اهـ.

«وكذٰلك يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله من أن الغرائب في هٰذا العالم سببها قوة فلكية أو طبيعية أو نفسية»[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٠٢).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٣٨٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٣٣٧، ٣٣٩).

*** متأخرو الصوفية وأهل الكلام والفلاسفة يفسرون الملائكة والشياطين بقوى النفس:**

قال: «وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والألم، لا بإثبات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها، وقد وقع في هٰذا الباب من كلام كثير من متأخري الصوفية ما لم يوجد مثله من أئمتهم ومتقدميهم، كما وقع في كلام كثير من متأخري أهل الكلام والنظر من ذٰلك ما لا يوجد من أئمتهم ومتقدميهم»[1].

وقد وصل الأمر بطوائف من أهل الضلال ـ كبعض البراهمة ـ إلى الكفر الصريح؛ فتجد الفرد منهم قد «أنكر ما لا يُحسُّه عموم الناس في الدنيا؛ حتى أنكر الملائكة والجن، بل وجحد ربَّ العالمين سبحانه؛ فهٰؤلاء هم الكفار الدهرية المعطلة المحضة، وابن سينا وأمثاله يردون على هٰؤلاء، لٰكن يردون عليهم ـ أحياناً ـ بحجج

---

(١) «التفسير الكبير» (٢ / ٥٠ ـ ٥١).
وانظر: «مجموع الفتاوى» (٦ / ٢٤ ـ ٢٥)، و«رسالة في علم الباطن والظاهر» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ٢٣٤)، وفي «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٩٩)، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٥١)؛ قال: «وهم يزعمون أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط، وهٰذا ضلال عظيم» اهـ.
وانظر ما قدّمناه قريباً من نقلٍ عن الغزَّالي.

فاسدة»[١].

*** أسباب الآيات والخوارق عند أرسطو:**

وبعض الفلاسفة رام الجمع بين «ما جاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ـ أرسطو وأمثاله ـ، ولهٰذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية؛ إذ كانت هٰذه هي المؤثرات في هٰذا العالم عندهم، وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات وما للسحرة من العجائب هو من قوى النفس، لٰكن الفرق بينهما أن ذٰلك قصده الخير، وهٰذا قصده الشر»[٢].

*** الرد على من أنكر الجن من الفلاسفة والملاحدة:**

قال رحمه الله عن هٰذا القول الأخير: «وهٰذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بُسط الكلام عليه في موضع آخر؛ فإنه مبني على إنكار الملائكة وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم.

*** إنكار الفلاسفة للمعجزات وخوارق الجن:**

ثم إن هٰؤلاء لا يقرون من المعجزات إلا بما جرى على هٰذا الأصل، وأمكن أن يقال فيه: هٰذا مثل نزول المطر، وتسخير السباع، وإمْرَاضِ الغير وقتله، ونحو ذٰلك، وأما قلب العصا حيَّةً وإحياء الموتى

---

(١) «درء تعارض العقل مع النقل» (٥ / ١٣١).

(٢) «الجواب الصحيح» (٦ / ٢٤).

وإخراج الناقة من الهضبة وانشقاق القمر وأمثال ذٰلك؛ فلا يقرون به، وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب أفعال الجن وبسبب أفعال الملائكة، وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذٰلك إلا من هو أجهل الناس وكذٰلك من فسرها بقوى النفس، وهٰذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب»[١].

*** سبب الإنكار: القول بوحدة الوجود عند الفلاسفة وغلاة الصوفية:**

وقال عن أصحاب القول الذي قبله: «وهٰؤلاء المتأخرين مع ضلالهم وجهلهم يدَّعون أنهم أعلم وأعرف من سلف الأمة ومتقدميها؛ حتى آل الأمر بهم إلى أن جعلوا الوجود واحداً كما فعل ابن عربي صاحب «الفصوص» وأمثاله، كأنهم دخلوا من هٰذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدَّعون مع ذٰلك أن الشيوخ المتقدمين كالجنيد ابن محمد وسهل بن عبدالله التستري وإبراهيم الخواص وغيرهم ماتوا وما عرفوا التوحيد، وينكرون على الجنيد وأمثاله إذا ميزوا بين الربِّ والعبد؛ كقوله: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، ولعمري إن توحيدهم الذي جعلوا فيه وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الإلحاد الذي أنكره المشايخ المهتدون[٢]، وهم عرفوا أنه باطل،

---

(١) «الجواب الصحيح» (٦ / ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) بين ضلال القائلين بوحدة الوجود جمع غفير من العلماء المحققين، على رأسهم شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، في كثير من كتبهما، ومن العلماء من أفرد الرد على هؤلاء بتصانيف مستقلة، ومن أجمعها الجهود التالية:

ـ «القول المبني في ترجمة ابن عربي» للسخاوي، واختصره في «الكفاية في =

وأنكروه وحذَّروا الناس منه، وأمروهم بالتمييز بين الربِّ والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث، وأن التوحيد أن يعلم مباينة الربِّ لمخلوقاته وامتيازه عنها، وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ثم إنهم يدعون أنهم أعلم بالله

= طريق الهداية»، وفرغت من نسخ الأصل تمهيداً لتحقيقه إن يسر الله ذلك، وانظر كتابنا «مؤلفات السخاوي».

- «نعمة الذريعة إلى نصرة الشريعة» لإبراهيم بن محمد الحلبي (ت ٩٤٥)، وهو مطبوع عن دار المسير.

- «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد» للحسين بن الأهدل اليمني، نشره أحمد بكير في تونس.

- «الرد على القائلين بوحدة الوجود» لعلي بن سلطان القاري، نشره علي رضا عن دار المأمون.

- «رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي» جمعها وحققها ونشرها الدكتور موسى بن سليمان الدويش، وهي عبارة عن أربع رسائل تراثية: (الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون لابن تيمية، وفتاوى السعودي، ونتيجة التوفيق والعون في الرد على القائلين بصحة إيمان فرعون، لبدران الخليلي، وشرح السيد عارف على رسالة ابن كمال في تنزيه ابن عربي).

- «رسالة في الرد على أهل وحدة الوجود» للتفتازاني، طبعت في استانبول سنة ١٢٩٤هـ.

- «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للبقاعي نشره عبدالرحمن الوكيل.

- «ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» لعبدالقادر بن حبيب السندي، نشر دار البخاري ـ المدينة.

- «كتاب الفتوحات المكية وما وراءه من آياد خفية» لكمال أحمد عون، طبع مصر.

من المرسلين، وأن الرسل إنما تستفيد معرفة الله من مِشْكَاتهم، ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل؛ كقولهم: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]؛ فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، وقولهم: إن العذاب مُشتقٌّ من العُذُوبة، ويقولون: إن كلام نوح في حق قومه ثناءٌ عليهم بلسان الذِّم، ويفسرون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] بعلم الظاهر، بل ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ فلا يعلمون غيره، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره، فإنه لا غير له، فلا يرون غيره، أو يقولون في قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]: إن معناه قدر ذٰلك أنه ليس موجود سواه، فلا يتصور أن يُعْبَدَ غيرُه؛ فكل من عبد الأصنام والعجل ما عبد غيرَه لأنه ما ثَمَّ غيره.

وأمثال هٰذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، وجماع القول في ذٰلك أن هٰذا الباب نوعان:

أحدهما: أن يكون المعنى المذكور باطلاً لكونه مخالفاً لما علم؛ فهٰذا هو في نفسه باطل؛ فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق.

والثاني: ما كان في نفسه حقاً لٰكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذٰلك؛ فهٰذا الذي يسمونه «إشارات»،

و «حقائق التفسير» لأبي عبدالرحمٰن فيه من هٰذا الباب شيء كثير»[1].

قال: «وكذٰلك ما أثبتوه من القوة الفعَّالة المتصرفة هي عندهم تحصل للساحر وغيره، وذٰلك أنهم لا يعرفون الجن والشياطين، وقد أخبروا بأمور عجيبة في العالم فأحالوا ذٰلك على قوة نفس الإنسان، فما يأتي به الأنبياءُ من الآياتِ والسَّحَرةُ والكُهَّانُ وما يخبر به المصروع والممرور هو عندهم كله من قوة نفس الإنسان؛ فالخبر بالغيب هو لاتصالها بالنفس الفلكية ويسمونها (اللوح المحفوظ)، والتصرف هو بالقوة النفسانية، وهٰذا حذق ابن سينا وتصرفه لما أخبر بأمور في العالم غريبة لم يمكنه التكذيب بها، فأراد إخراجها على أصولهم، وصرح بذٰلك في «إشارته» وقال: هٰذه الأمور لم نثبتها ابتداءً، بل لما تحققنا أن في العالم أموراً من هٰذا الجنس أردنا أن نبين أسبابها.

*** الهند والترك وعُبَّاد الأصنام يقرون بوجود الجن والشياطين:**

وأما أرسطو وأتباعه؛ فلم يعرفوا هٰذه الأمور الغريبة، ولم يتكلموا عليها ولا على آيات الأنبياء، ولٰكن كان السحر موجوداً فيهم، وهٰؤلاء من أبعد الأمم عن العلوم الكلية والإلهية، فإن حدوث هٰذه الغرائب من الجن واقترانهم بالسحرة والكهان مما قد عرفه عامة الأمم وذكروه في كتبهم غير العرب مثل الهند والترك وغيرهم من المشركين وعباد الأصنام وأصحاب الطلاسم والعزائم، وعرفوا أن كثيراً من هٰذه

---

(١) انظر: «رسالة في علم الباطن والظاهر» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و «التفسير الكبير» (٢ / ٥٠ ـ ٥١).

الخوارق هو من الجن والشياطين، وهٰؤلاء الجهال لم يعرفوا ذٰلك، ولهٰذا كان من أصلهم أن النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يطلب أن يكون نبياً، وكذٰلك ابن سبعين وغيره، والنبوة الحق هي إنباء الله لعبده، ونبي الله من كان الله هو الذي ينبئه ووحيه من الله، وهٰؤلاء وحيهم من الشياطين؛ فهم من جنس المتنبئين الكذابين؛ كمسيلمة الكذاب[1] [والأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة كان له من الشياطين مَنْ يخبره ببعض الأمور المُغَيَّبَةِ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأتُه لمَّا تبَيَّن لها كفره، فقتلوه، وكذٰلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هٰؤلاء

---

(١) قد كان مسيلمة يدَّعي أن معه رئياً في أول زمانه، ولذٰلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه:

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ ورَايَةِ شَادِنٍ وخلَّةِ جِنِّيٍّ وتَوْصِيْلِ طَائِرِ

وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام كما ذكر ذٰلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦ / ٣٢٧) عن عمير بن طلحة، عن أبيه: «أنه جاء اليمامة، فقال: أين مسيلمة؟ فقال: مَنْ؟ رسول الله؟ فقال: لا، حتى أراه. فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ فقال: نعم. قال: من يأتيك؟! قال: رجس. قال: أفي نور أم ظلمة؟ فقال: في ظلمة. فقال: أشهد أنك كذَّاب وأن محمداً صادق، ولٰكن كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضَر. واتَّبعه هٰذا الأعرابي الجلف».

وانظر: «مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن» (ص ٢٤)، و «تاريخ الرسل والملوك» (٣ / ٢٨٦)، و «الكامل» (٢ / ٣٦٢).

وانظر: «مجمع الزوائد» (٧ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، و «عقيدة ختم النبوَّة» (ص ١٧٨ ـ ١٨١)، و(ص ٣٤٧) من هٰذا الكتاب.

كثيرون، مثل: الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبدالملك بن مروان، وادَّعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتُسَبِّحُ الرُّخامة إذا مسحها بيده، وكان يُرِي الناسَ رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جناً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبدالملك: إنك لم تُسَمِّ الله. فسمَّى الله، فطعنه، فقتله][1]، بل أولٰئك أحذق منهم؛ فإنهم كانت تأتيهم أرواح فتكلمهم وتخبرهم بأمور غائبة وهي موجودة في الخارج لا في أنفسهم، وهٰؤلاء لا يعرفون مثل هٰذا، **ووجود الجن والشياطين في الخارج وسماع كلامهم أكثر من أن يمكن سطر عشره هنا**، وكذٰلك صَرْعُهم للإنس وتكلُّمهم على ألسنتهم، والفرق بين النبي والساحر أعظم من الفرق بين الليل والنهار»[2].

قال: «وجماهير الأمم يُقِرُّ بالجن، ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلاّ شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم، وأما أكابر القوم؛ فالمأثور عنهم إما الإقرار بها وإما أن لا يحكى عنهم في ذٰلك قول.

*** ليس لمن أنكر الصَّرْعَ حجة يعتمد عليها:**

وليس لمن أنكر ذٰلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي، وإنما

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) «النبوات» (ص ٢٥٠ ـ ٢٥١). وانظر تتمة كلامه هناك.

معه عدم العلم إذا كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذٰلك؛ كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه، وليس في هٰذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وإن كان قد علم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية، وكذٰلك للجن تأثير في ذٰلك كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١)، وفي الدم الذي هو البخار الذي تسمية الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة البدن كما قد بسط هٰذا في موضع آخر»(٢).

قال: «بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها، بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسباً مشابهاً لها»(٣).

*** إبطال قول الفلاسفة في الجن بالمناظرة العقلية:**

وقال ـ مُفْحِماً للمنكرين ـ: «الباري تعالى إما أن تكون رؤيته ممكنة، وإما أن لا تكون، فإن كانت ممكنة؛ بطل قولكم بإثبات موجود غير محسوس، ولم يبق هنا وهم باطل يحكم في غير

---

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١١٨ ـ ١١٩)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٢)، وقد سبق هٰذا الكلام قبل قليل.

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (١ / ٧٤).

المحسوس بحكم باطل، فإنكم لرؤية الباري أشد منعاً من رؤية الملائكة والجن وغير ذٰلك، فإذا جوزتم رؤيته؛ فرؤية الملائكة والجن أولى، وإن قلتم: بل رؤيته غير ممكنة؛ قيل: فهو حينئذ غير محسوس، فلا يقبل فيه حكم الوهم، والحكم بأن كل مرئي لا بد أن يكون في جهة من حكم الوهم.

وأما إذا قدرنا موجوداً غير محسوس يُرَى لا في جهة [رؤية] غير الرؤية المتعلقة بذوات الجهة؛ كان إبطال هٰذا مثل إبطال موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وإلا؛ فإذا ثبت وجود هٰذا الموجود كانت الرؤية المتعلقة به مناسبة له ولم تكن كالرؤية المعهودة للأجسام.

فهٰذه الطريق ونحوها من المناظرة العقلية إذا سُلك يتبين به أن كل من كان إلى السنة أقرب كان قوله إلى العقل أقرب، وهو يوجب نصر الأقربين إلى السنة بالعقل، لٰكن لما كان [بعض] الأقربين إلى السنة سلَّموا للأبعدين عنها مقدمات بينهم، وهي في نفس الأمر باطلة مخالفة للشرع والعقل؛ لم يمكن أن يكون قولهم مطابقاً للأمر في نفسه، ولا يمكن نصره لا بشرع صحيح ولا بعقل صريح لمن غرضه معرفة الحق في نفسه لا بيان رجحان بعض الأقوال على بعض»[(١)].

وقال في معرض رده على ابن سينا في كتابه «الإشارات والتنبيهات»: «فقد قلنا غير مرة: إن الوهم قد فسروه بالقوة التي تتصور معاني جزئية في محسوسات جزئية، وهٰذا الوهم إنما تصرفه في

(١) «منهاج السنة النبوية» (٢ / ٣٤٠ ـ ٣٤١).

الجزئيات من المعاني، وأما هٰذه القضايا؛ فهي قضايا كلية؛ فهي من حكم العقل الصريح، فالمخالف لها مخالف لصريح العقل، وهو المتّبع لقضايا الوهم الفاسد، فإنه يثبت موجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق، أو موجوداً لا داخل العالم ولا خارجه، وهٰذا الموجود لا يثبته في الخارج إلا الوهم والخيال الفاسد، لا يثبته لا عقل صريح ولا نقل صحيح، بل ولا وهم مطابق ولا خيال مستقيم، كما لا يثبته حِسٌّ سليم؛ فنفاة ذٰلك ينفون موجب العقل والشرع والحس السليم والوهم المستقيم والخيال القويم، ويثبتون ما لا يدرك إلا بوهم فاسد وخيال فاسد.

وقوله[1]: «على أن ما يدفعه الوهم ولا يقبله إذا كان في المحسوسات؛ فهو مدفوع منكر».

فيقال له: هٰذا أيضاً حجة عليكم؛ فإن المنازع يقول: إنه لم يقم دليل شرعي ولا عقليّ على إثبات موجود لا يمكن أن يعرف بالحس بوجه من الوجوه، وإن كان لا يمكن أن يعرفه كثير من الناس بحسه ولا يمكن أن يعرف بالحس في كثير من الأحوال.

*** الموجودات نوعان: غيب وشهادة:**

وقد عرف من مذهب السلف وأهل السنة والجماعة أن الله يمكن أن يُرى في الآخرة، وكذٰلك الملائكة والجن يمكن أن تُرى، وما يقوم بالمرئيات من الصفات يمكن أن يعرف بطريقها؛ كما تعرف

(١) أي: ابن سينا في «الإشارات والتنبيهات» (١ / ٤٠٥).

المسموعات بالسمع، والملموسات باللمس، ويقول: إن الرسل صلوات الله عليهم قسموا الموجودات إلى غيب وشهادة، وأمروا الإنسان بالإيمان بما أخبروا به من الغيب.

وكون الشيء شاهداً وغائباً أمر يعود إلى كونه الآن مشهوداً أو ليس الآن بمشهود، فما لم يكن الآن مشهوداً يمكن أن يشهد بعد ذٰلك، بخلاف هٰؤلاء النفاة؛ فإنهم قسموا الموجودات في الخارج إلى محسوس وإلى معقول لا يمكن الإحساس به بحال.

وهٰذا مما ينفيه صريح العقل لا مما يثبته، وإنما المعقول الصرف ما كان ثابتاً في العقل كالعلوم الكلية، وليس للكليات وجود في الخارج، مع أنه قد يقال: إنه يمكن الإحساس بها أيضاً إذا أمكن الإحساس بمحلها، كما يمكن الإحساس بأمثالها من الأعراض؛ كالعلم والقدرة والإرادة وغير ذٰلك.

لٰكن نحن لا نحس الآن بهٰذه الأمور بالحس الظاهر، وعدم إحساسنا الآن بذٰلك لا يمنع أن الملائكة يمكنها الإحساس بذٰلك، وأنه يمكننا الإحساس بذٰلك في حال أخرى، وأنه يمكن كل واحد أن يحس بما في باطن غيره، كما يمكنه الإحساس الآن بوجهه وعينه، وإن كان الإنسان لا يَرَى وَجْهَهُ وعَيْنَهُ؛ فقد يشهد الإنسان من غيره ما لا يشهده من نفسه، وقد بُسط الكلام على هٰذه الأمور في غير هٰذا الموضع.

*** الحِسُّ حِسَّان: ظاهر وباطن:**

وأيضاً؛ فالحسُّ نوعان: حسٌّ ظاهر يحسه الإنسان بمشاعره

الظاهرة فيراه ويسمعه ويباشره بجلده، وحس باطن كما أن الإنسان يحس بما في باطنه من اللذة والألم والحب والبغض والفرح والحزن والقوة والضعف وغير ذٰلك.

والروح تحس بأشياء لا يحس بها البدن، كما يحس من يحصل له نوع تجريد بالنوم وغيره بأمور لا يحس بها غيره.

ثم الروح بعد الموت تكون أقوى تجرداً؛ فترى بعد الموت وتحس بأمور لا تراها الآن ولا تحس بها.

وفي الأنفس من يحصل له ما يوجب أن يرى بعينه ويسمع بأذنه ما لا يراه الحاضرون ولا يسمعونه، كما يرى الأنبياء الملائكة ويسمعون كلامهم، كما يرى كثير من الناس الجن ويسمعون كلامهم.

وأما ما يقوله بعض الفلاسفة: إن هٰذه المرئيات والمسموعات إنما هي في نفس الرائي لا في الخارج؛ فهٰذا مما قد عُلم بطلانه بأدلة كثيرة، وقد بُسط الكلام على ذٰلك في غير هٰذا الموضع.

*** العلم اليقيني بوجود الجن يكون بالخبرة كما يكون بالتواتر:**

ومن كان له نوع خبرة بالجن: إما بمباشرته لهم في نفسه وفي الناس، أو بالأخبار المتواترة له عن الناس؛ علم من ذٰلك ما يوجب له اليقين التام بوجودهم في الخارج، دع ما تواتر من ذٰلك عن الأنبياء.

وكذٰلك ما تواتر عن الأنبياء من وصف الملائكة هو مما يوجب العلم اليقيني بوجودهم في الخارج؛ كقصة ضيف إبراهيم المكرمين ومجيئهم إلى إبراهيم، وإتيانه لهم بالعجل السمين ليأكلوه، وبشارتهم

لسارة بإسحاق ويعقوب، ثم ذهابهم إلى لوط ومخاطبتهم له، وإهلاك قرى قوم لوط، وقد قص الله هٰذه القصة في غير موضع.

وكـذٰلك قصـة مريم وإرسـال الله إليهـا جبريل في صورة بشر حتى نفخ فيهـا الروح، وكـذٰلك قصـة إتيان جبريـل إلى النبي ﷺ: تـارة فـي صـورة أعـرابـي[1]، وتـارات فـي صـورة دحيـة

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٨) من حديث جبريل، وفيه وصف جبريل بأنه «رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد».
ولم يرد وصفه بأعرابي في جميع الطرق التي وقفتُ عليها مع عنايةٍ خاصة به، بسبب تدريسي «الصحيح المسند» للإمام مسلم، ولٰكن ورد فيه قوله: «يا محمد»، وهٰذه من صفة الأعراب، وورد وصفه في حديث أبي عامر الأشعري في «مسند أحمد» (٤ / ١٢٩ ـ ١٣٠): «جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته، يحسبه رجلاً من المسلمين»، وفي حديث ابن عباس عند البزار: «في هيئة رجل شاحب مسافر»، وكذا في حديث أنس عند البزار دون لفظة: «شاحب»، وفي غير حديث: «في صورة شاب»، وزاد بعضهم: «عليه ثياب السفر»، وفي بعضها عند الطبراني في «الكبير» (١٢ / ٤٣٠) عن ابن عمر: «ما رأينا رجلاً أحسن وجهاً ولا أطيب ريحاً ولا أشد توقيراً للنبي ﷺ»، وعند الطيالسي في «مسنده» (١ / ٢١ ـ ٢٢ ـ مع ترتيبه «المنحة») عن عمر: «فجاءه رجل عليه ثوبان أبيضان مقوَّم حسن النحو والناحية»، وفي «مسند أحمد» (٢ / ١٠٧) عن ابن عمر عقبه: «وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية»، وفي «تعظيم قدر الصلاة» عن أنس: «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ في صورة رجل لا نعرفه، وكان قبل ذٰلك يأتيه في صورة دحية».
ووردت أحاديث عديدة فيها وصف جبريل في صورة رجل. انظر: «صحيح البخاري» (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة وكيف كان بدء الوحي، وباب إذا قال أحدكم آمين).

الكلبي[1].

فمن علم أن الروح قد تحسُّ بما لا يحس به البدن، وأن من الناس من يحس بروحه وبدنه ما لا يحسه غيره من الناس؛ توسع له طرق الحس، ولم ير الحس مقصوراً على ما يحبه جمهور الناس في الدنيا بهٰذا البدن، فإن هٰذا الحس إنما يدرك بعض الموجودات.

وحينئذ، فإذا قيل: إن كل قائم بنفسه أو كل موجود يمكن الإحساس به؛ فإنه يراد بذٰلك ما هو أعم من هٰذا الحس بحيث يدخل في ذٰلك هٰذا وهٰذا، وليس للنفاة دليل على إثبات ما ليس بمحسوس بهٰذا الحس، والعقليات التي يثبتونها إنما هي الكليات الثابتة في الذهن، وتلك في الحقيقة وجودها في الأذهان لا في الأعيان.

وهٰذا منتهى ما عند ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة.

*** كمال الإنسان عند الفلاسفة:**

ولهٰذا كان كمال الإنسان عندهم أن يصير عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود، ويجعلون النعيم والعذاب أمرين قائمين بالنفس من جملة أعراضها، لا ينفصل شيء من ذٰلك عنها، وقد بيَّنا بعض ما في هٰذا القول من الضلال في غير هٰذا الموضع.

ولهٰذا جعل في منطقه العلوم اليقينية العقلية هي هٰذه العقليات، ونفى أن تكون المشهورات العملية من اليقينيات، ونفى أن يكون ما

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٦٣٤، ٤٩٨٠)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٤٥١)؛ عن أسامة بن زيد.

يثبت الموجودات الحسية الغائبة من اليقينيات، وسمى هٰذه وهميات؛ فبإنكاره هٰذا أنكر الموجودات الغائبة عن إحساس أكثر الناس في هٰذه الدنيا، فلم يصدق بالموجودات الغائبة، ولا بكثير مما يشاهد في هٰذا العالم من الملائكة والجن وغير ذٰلك، وبإنكار المشهورات أن تكون يقينية؛ أنكر موجب القوة العملية في النفس التي بها تستحسن ما ينفعها من الأعمال وتستقبح ما يضرها، فأخرج الأعمال التي لا تكمل النفس إلا بها من أن تكون يقينية، كما أخرجها من أن تكون من الكمال، ولم يجعل كمال النفس إلا مجرد علم مجرد، لا حُبَّ معه لله تعالى في الحقيقة، وإنما الأعمال عندهم لأجل إعداد النفس لنيل ما يظنونه كمالاً من العلم.

وهٰذا العلم الذي يدَّعونه غالبه جهل، وما فيه من العلم؛ فليس علماً بموجودات معينة، وإنما هو علم بأمور مطلقة في الذهن لا وجود لها في الخارج، فلم يحصل له من الكمالات العلمية والعملية ما يوجب سعادتهم في الآخرة ولا نجاتهم من النار، وكان كثير من اليهود والنصارى أقرب إلى السعادة والنجاة منهم كما قد بُسط في موضعه...»(١).

ويقال لمن أنكر وجود الجن من أهل الإسلام: إنه قد ثبت «في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إذا سمعتم نهاق الحمير؛ فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٦ / ١٠٧ ـ ١١٢).

صياح الديك؛ فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً»[1].

وفي «سنن أبي داود» عن جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل؛ فتعوذوا بالله منهن، فإنهن يَرَيْنَ ما لا ترون»[2].

وثبت في «الصحيحين» عنه من حديث أبي هريرة؛ أنه قال: «إذا أذّن المؤذن أدبر الشيطان وله ضُراط[3] حتى لا يسمع التأذين، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم ٣٣٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء...، باب استحباب الدعاء عند صياح الديكة، رقم ٢٧٢٩)، وغيرهما، ولفظه عندهما: «إذا سمعتم صياح الديكة، فأسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً»، وعند مسلم: «فإنها رأت شيطاناً».
وانظر (ص ٥٥) من هٰذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٥١٠٤)، وأحمد في «المسند» (٣ / ٣٠٦، ٣٥٥ ـ ٣٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، وأبو يعلى في «المسند» (رقم ٢٢٢١)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم ٥٥١٧، ٥٥١٨)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ٣٠٦٠).
وإسناده جيد.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «قوله: «له ضراط»؛ قال عياض: يمكن حمله على ظاهره لأنه جسم متغذ، يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنها عبارة عن شدة نفاره».
قلت: وسيأتي بيان ذٰلك في صفحة (٥٢٩ - ٥٣٢).

قضى التأذين أقبل، فإذا ثوّبَ بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يكن يذكر؛ حتى يضلَّ الرَّجُل لم يدرِ كم صلَّى»[١].

فإذا كان التأذين يطرد الشيطان، ونباح الكلاب يكون عند رؤية الشياطين»[٢]؛ فهٰذا دليل على أن بعض المخلوقات ترى ما لا يراه البعض الآخر، وقد جاء الخبر عن الصادق المصدوق، وبالتالي وجب الإيمان والتصديق به.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب فضل التأذين، رقم ٦٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم ٣٧٩)، وغيرهما.

(٢) من «الاستقامة» (٢ / ١٨ ـ ١٩) باختصار يسير.

الفصل الثاني

عموم رسالة النبي محمد ﷺ إلى الثقلين

* الله رب كل شيء بما فيهم الجن.
* الله تعالى هو الإلٰه الحق والغاية من خلق الجن.
* قول أهلَ الكلام في علة الخلق وحكمته.
* إرسال الرسل إلى الثقلين.
* عموم رسالة النبيِّ محمدﷺ إلى الجن والإنس.
* الجن مخاطبون بفروع الشريعة.
* كفار الجن وفساقهم يستحقون النار.
* مصير أهل الإيمان من الجانّ.
* هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلاّ نذر؟
* الدليل على أنَّ الجنَّ مكلَّفون.
* الجن أصحاب مذاهب شتى.
* مؤمنو الجن يقتلون السَّابَّ للنبي ﷺ من كفَّارهم.

الفصل الثاني

عموم رسالة النبي محمد ﷺ إلى الثقلين

*** الله ربُّ كل شيء بما فيهم الجن:**

إن الله عز وجل هو وحده خالق ومدبر كل شيء؛ فلا شريك له، ولا منازع له، والبشر كلهم قلوبهم مفطورة على الإقرار بذٰلك، ولم ينكر ذٰلك إلا شرذمة قليلون ضلوا عن الحق، وكان أشهر من أنكر الخالق جلَّ وعلا عدوُّ الله فرعون ـ لعنه الله ـ على الرغم من أنه كان يقر به سبحانه في حقيقة نفسه ويعلم ذٰلك علم اليقين، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقول فرعون لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] سؤال جاحد منكر لرب العالمين، وليس سؤالاً عن حقيقة الرب نفسه.

ولا أدل على وجود الخالق سبحانه من اعتراف أشد أعداء الله تعالى بذٰلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإبليس معترف بهٰذه الحقيقة... قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر:

٣٦]، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١) [صٓ: ٨٢]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾(٢) [الإسراء: ٦٢]، وأمثال هٰذا

---

(١) لذٰلك؛ فإن لإبليس نصيباً من الإثم من كل ضلال وغواية في الجن والإنس. وانظر ذٰلك في: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٧٢٩).

(٢) اعلم أنه لم يؤمر بالسجود من جنس الشياطين إلا إبليس؛ كما في: «بغية المرتاد» (ص ٢٢٥).

وقال في «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٨٨): «إن أول ذنب عصي الله به كان من أبي الجن وأبي الإنس ـ أبوي الثقلين المأمورين ـ، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق، وهو ترك المأمور به ـ وهو السجود إباءً واستكباراً ـ، وذنب أبي الإنس كان ذنباً صغيراً، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهو إنما فعل المنهي عنه وهو الأكل من الشجرة. . . » اهـ.

وانظر منه أيضاً: (١٠ / ٢٧١)، وفند شبهة إبليس في: «التفسير الكبير» (٤ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣) بقوله: «وهي حجة باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس، ولهٰذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس، وما عُبِدَت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، ويظهر فسادها بالعقل من وجوه خمسة:

أحدها: أنه ادّعى أن النار خير من الطين، وهٰذا قد يُمْنَع؛ فإن الطين فيه السكينة والوقار والاستقرار والثبات والإمساك ونحو ذٰلك، وفي النار الخفَّة والحدَّة والطيش، والطين فيه الماء والتراب.

الثاني: أنه ـ وإن كانت النار خيراً من الطين؛ ـ فلا يجب أن يكون المخلوقُ من الأفضلِ أَفْضَلَ؛ فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله، وهٰذا التراب يخلق منه الحيوان والمعادن والنبات ما هو خير منه، والاجتماع على فضل الإنسان على غيره بفضل أصله على أصله حجة فاسدة احتج بها إبليس، وهي حجة الذين يحتجون بأنسابهم، وقد قال النبي ﷺ: «من قَصَّرَ به عملُه؛ لم يبلغْ به نسبُه».

من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره»[1] اهـ.

والرسول ﷺ لما قرأ السجدة؛ سجد وسجد المسلمون معه، وكذا المشركون والجن[2].

= **الثالث**: أنه ـ وإن كان مخلوقاً من طين؛ ـ فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به؛ فلهٰذا قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]؛ فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالموجب للتفضيل هٰذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله.

الرابع: أنه مخلوق بيدي الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، وهو كالأثر المروي عن النبي ﷺ مرسلاً وعن عبدالله بن عمرو في تفضيله على الملائكة حيث قالت الملائكة: «يا رب! قد خلقت لبني آدم الدنيا، يأكلون فيها ويشربون ويلبسون وينكحون؛ فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا! فقال: لا أفعل. ثم أعادوا، فقال: لا أفعل. ثم أعادوا، فقال: وعزتي! لا أجعل صالح من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان».

الخامس: أنه لو فرض أنه أفضل؛ فقد يقال: إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر» اهـ.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٥٦).

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (كتاب سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين، رقم ١٠٧١، وكتاب التفسير، باب **﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾**، رقم ٤٨٦٢)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الصلاة، باب ما جاء في السجدة في النجم، رقم ٥٧٥)؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس».
وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٣ / ٤٧).
وقول شيخ الإسلام: «لما قرأ السجدة»؛ أي: التي في سورة النجم.

*** الله تعالى هو الإله الحق، والغاية من خلق الجن:**

فإذا كان الله سبحانه هو الخالقَ والمدِّبرَ شؤون خلقه؛ فهو سبحانه ـ بداهةً ـ الذي يستحق العبادة وحده دون سواه، والخلق كلهم لا بد لهم من عبادة الله وحده؛ فهي سبيل نجاتهم، ولا يصلحون إلا بعبادته وبمحبته جل وعلا؛ فإنه «لا بد للنفس من محبوب لذاته لا تصلح إلا به ولا تكمل إلا به، وذٰلك هو إلٰهها؛ فليس لها إلٰه يكون به صلاحها إلا الله، ولهٰذا قال الله تعالى: ﴿... لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ...﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ليس ذٰلك للإنسان فقط، بل وللملائكة والجن؛ فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون، لهم علم وعمل اختياري[١]، ولا صلاح لهم إلا بمرادهم المحبوب لذاته، وهو معبودهم، ولا يجوز أن يكون معبوداً محبوباً لنفسه إلا الله، فلو كان في السماوات والأرض إلٰه إلا الله لفسدتا؛ فلهٰذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له»[٢].

والله عز وجل ما خلق الثقلين إلا لعبادته سبحانه[٣].

---

(١) معلوم أن الملائكة ليس لهم اختيار في أعمالهم، ولعل وجه عدم استثنائه رحمه الله الملائكة أنهم اختاروا عبادة الله تعالى الدائمة على حرية الاختيار والإرادة التي ترجع إليهم بعد ذٰلك، كما هو الحال في الثقلين، والله أعلم.

(٢) «الجواب الصحيح» (٦ / ٣٦).

(٣) ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بحث نفيس في كتابه القيم «درء تعارض العقل والنقل» (٨ / ٤٦٨ ـ ٤٨٢) مفاده أن الله عز وجل ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته سبحانه، وأن هٰذه الغاية التي أرادها منهم بأمره، وبها =

* قول أهل الكلام في علة الخلق وحكمته:

وأهل الكلام تكلموا في علة الخلق وحكمته، وتكلم كل قوم بحسب علمهم؛ فأصابوا وجهاً من الحق، وخفي عليهم وجوه أخرى؛ فلهم ثلاثة أقوال في ذلك، وقد وافق كل طائفة ناس من أصحاب الأئمة الأربعة: أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

والذي يهمنا هنا القول الثالث: وهو: «قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب، لكن بحسب علمه؛ فقالوا: خلقهم ليعبدوه ويحمدوه ويثنوا عليه ويمجدوه، وهم من خلقه لذلك، وهم من وجد منه ذلك؛ فهو مخلوق لذلك، وهم المؤمنون، ومن لم يوجد منه ذلك؛ فليس مخلوقاً له.

قالوا: وهذه حكمة مقصودة وهي واقعة، بخلاف الحكمة التي أثبتتها المعتزلة؛ فإنهم أثبتوا حكمة هي نفع العباد، ثم قالوا: خلق من

= تحصل سعادتهم ونجاتهم، وإن كان منهم من لم يعبده ولم يجعله عابداً له، وأن المعروف عند السلف والخلف أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرون به، وهذا من لوازم خلقهم ضروري فيهم، وإن قدر أنه حصل بسبب كما أن اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم، وأن هذا هو الإقرار والشهادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]؛ فانظره؛ فإنه مفيد.
وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٥٤٦)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٧٥، ٧٨)، و «الفتاوى العراقية» (٣٠٧ ـ ٣٠٨).

علم أنه لا ينتفع بالخلق بل يتضرر به؛ فتناقضوا، ونحن أثبتنا حكمة علم أنها تقع فوقعت، وهي معرفة عباده المؤمنين به وحمدهم له وثناؤهم عليه وتمجيدهم له، وهٰذا واقع من المؤمنين.

قالوا: وقد يخلق من يتضرر بالخلق لنفع الآخرين، وفعل الشر القليل لأجل الخير الكثير حكمة؛ كإنزال المطر لنفع العباد وإن تضمن ضرراً لبعض الناس.

قالوا: وفي خلق الكفار وتعذيبهم اعتبار للمؤمنين وجهاد ومصالح، وهٰذا القول اختيار القاضي أبي حازم بن القاضي أبي يعلى، ذكره في كتابه «أصول الدين» الذي صنفه على كتاب محمد بن الهيصم الكرَّامي.

*** قول الكرَّاميَّة في علة الخلق وحكمته:**

قالوا: وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هو مخصوص بمن وقعت منه العبادة، وهٰذا قول طائفة من السلف والخلف. قالوا: والمراد بذٰلك من وجدت منه العبادة؛ فهو مخلوق لها، ومن لم توجد منه؛ فليس مخلوقاً لها، وعن سعيد بن المسيب؛ قال: «ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني»، وكذٰلك قال الضحاك والفراء وابن قتيبة ـ وهٰذا قول خاص بأهل طاعته ـ، قال الضحاك: هي للمؤمنين. وهٰذا قول الكرامية، كما ذكره محمد بن الهيصم؛ قال: ويدل عليه قوله قبل ذٰلك ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤]. ثم قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: هٰؤلاء المؤمنين الذين تنفعهم الذكرى.

قالوا: وهي غاية مقصودة واقعة، فإن العبادة وقعت من المؤمنين، وهٰذا القول اختيار أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهما ممن يقول: إنه لا يفعل لعلة.

قالوا ـ واللفظ للقاضي أبي يعلى ـ: هٰذا بمعنى الخصوص لا العموم: أنَّ البُلْه والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، وكذٰلك الكفار يخرجون من هٰذا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ . . .﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩]؛ فمن خلق للشقاء ولجهنم لم يخلق للعبادة.

*** الرد على الكرّاميّة:**

قلت: قول هٰؤلاء الكرّاميّة ومن وافقهم وإن كان أرجح من قول الجهمية والمعتزلة فيما أثبتوه من حكمة الله، وقولهم في تفسير الآية وإن وافقوا فيه بعض السلف؛ فهو قول ضعيف مخالف لقول الجمهور ولما تدل عليه الآية، فإن قصد العموم ظاهر في الآية، وبين بياناً لا يحتمل النقيض؛ إذ لو كان المراد المؤمنين فقط لم يكن فرق بينهم وبين الملائكة، فإن الجميع قد فعلوا ما خلقوا له ولم يذكر الإنس والجن عموماً ولم تذكر الملائكة، مع أن الطاعة والعبادة وقعت من الملائكة دون كثير من الإنس والجن.

وأيضاً؛ فإن سياق الآية يقتضي أن هٰذا ذم وتوبيخ لمن لم يعبد الله منهم لأن الله خلقه لشيء فلم يفعل ما خلق له، ولهٰذا عقبها بقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧]؛ فإثبات العبادة ونفي هٰذا يبين أنه خلقهم للعبادة، ولم يرد منهم ما يريده

السادة من عبيدهم من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، ولهٰذا قال بعد ذٰلك: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾؛ أي: نصيباً: ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩]؛ أي: المتقدمين من الكفار، أي نصيباً من العذاب، وهٰذا وعيد لمن لم يعبده من الإنس والجن؛ فذكر هٰذا الوعيد عقيب هٰذه الآية من أولها إلى آخرها يتضمن وعيد من لم يعبده.

وذكر عقابه لهم في الدنيا والآخرة؛ فقال تعالى في أولها: ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ١ ـ ٦]، ثم ذكر قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨ ـ ٩]، ثم ذكر وعيد الآخرة بقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٠ ـ ١٣]، ثم ذكر وعده للمؤمنين؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ٢٣]، ثم ذكر قصص من آمن فنفعه إيمانه ومن كفر فعذبه بكفره؛ فذكر قصة إبراهيم ولوط وقومه وعذابهم، ثم قال: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ * وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٧ ـ ٣٨]؛ أي: في قصة موسى آية أيضاً: هٰذا قول الأكثرين، ومنهم من لم يذكر غيره كأبي الفرج[1]، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . . . وَفِى مُوسَىٰٓ﴾، وهو

---

(١) في «زاد المسير» (٨ / ٣٩).

ضعيف أن قصة فرعون وعاد هي من جنس قوم لوط، فيها ذكر الأنبياء ومن اتبعهم ومن خالفهم، يدل بها على إثبات النبوة وعاقبة الطيبين والعصاة.

وأما قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ فتلك آيات على الصانع جل جلاله، وقد تقدمت، ولأنه لا ينفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بمثل هٰذا الكلام الكثير مع أن قبله لا يصلح العطف عليه، وهو قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧]، ثم قال: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾، ثم ذكر أنه بنى السماء بأيدٍ وفرشَ الأرض وخلقَ من كل شيء زوجين لعلكم تذكرون، فلما بين الآيات الدَّالَّة على ما يجب من الإيمان وعبادته؛ أمر بذٰلك، فقال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ . . .﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١] الآية، ثم بيَّن أن هٰؤلاء المكذبين من جنس من قبلهم ليتأسى الرسول والمؤمنون ويصبروا على ما ينالهم من أذى الكفار، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣].

*** الأمر بالطاعة للإنس والجن:**

فهٰذا كله يتضمن أمر الإنس والجن بعبادته وطاعته وطاعة رسله واستحقاق من يفعل العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا قال بعد ذٰلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧]؛ كان هٰذا مناسباً لما تقدم مؤتلفاً معه؛ أي: هٰؤلاء الذين أمرتهم إنما خلقتهم لعبادتي ما أريد منهم غير

ذٰلك ولا رزقاً ولا طعاماً.

فإذا قيل: لم يُرِدْ بذٰلك إلا المؤمنين؛ كان هٰذا مناقضاً لما تقدم - يعني: في السورة -، وصار هٰذا كالعذر لمن لا يعبده ممن ذمَّه الله ووبَّخه، وغايته يقول: أنت لم تخلقني لعبادتك وطاعتك، ولو خلقتني لها لكنتُ عابداً، وإنما خلقتَ هٰؤلاء فقط لعبادتك، وأنا خلقتَني لأَكفُرَ بك وأُشرِكَ بك وأُكذِّبَ رسُلَك وأَعبُدَ الشيطانَ وأُطيعَه، وقد فعلتُ ما خلقتني له كما فعلَ أولٰئك المؤمنون ما خلقتهم له؛ فلا ذنبَ لي ولا أستحق العقوبة؛ فهٰذا وأمثاله مما يلزم أصحاب هٰذا القول، وكلام الله منزَّه عن هٰذا، وهم إنما قالوا هٰذا لأن الله تعالى فعَّال لما يريد، قالوا: فلو كان أراد منهم أن يطيعوه؛ لجعلهم مطيعين كما جعل المؤمنين.

*** قول القدرية في علة الخلق وحكمته:**

والقدرية يقولون: لم يرد من هٰؤلاء ولا هٰؤلاء إلا الطاعة، لٰكن هو لم يجعل لا هٰؤلاء ولا هٰؤلاء مطيعين، بل الإرادة بمعنى الأمر يأمر بها الطائفتين؛ فهٰؤلاء عبدوه بأن أحدثوا إرادتهم وطاعتهم، وهٰؤلاء عصوه بأن أحدثوا إرادتهم ومعصيتهم.

*** قول أهل السنة في علة الخلق وحكمته:**

وأولٰئك علموا فساد قول القدرية من جهة أن الله خالق كل شيء وربُّه ومليكه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في ملكه إلا ما شاءه، ولا يكون في ملكه شيء إلا بقدرته وخلقه ومشيئته، كما دل على ذٰلك السمع والعقل، وهذا مذهب الصحابة قاطبة وأئمة

المسلمين وجمهورهم، وهو مذهب أهل السنة؛ فلأجل هٰذا عدل أولٰئك في تفسير الآية إلى الخصوص؛ فإنهم لم يمكنهم الجمع بين الإيمان بالقدر وبين أن يكون خلقهم لعبادته، فلم تقع منهم العبادة له، وقالوا: من ذرأه لجهنم لم يخلقه لعبادته، فمن قال: خلق الخلق ليعبده المؤمنون منهم سلك هٰذا المسلك.

*** قول نفاة الحكمة كالأشاعرة وغيرهم:**

وأما «نفاة الحكمة»؛ كالأشعري وأتباعه كالقاضي أبي بكر وأبي يعلى، وغيرهم؛ فهٰؤلاء أصلهم أن الله لا يخلق شيئاً لشيء[1]؛ فلم يخلق أحداً لا لعبادة ولا لغيرها، وعندهم ليس في القرآن لام كي، لٰكن قد يقولون في القرآن لام العاقبة؛ كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وكذٰلك يقولون في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعنون: كان عاقبة هٰؤلاء جهنم، وعاقبة المؤمنين العبادة من غير أن يكون الخالق قصد أن يخلقهم لا لهٰذا ولا لهٰذا، ولٰكن أراد خلق كل ما خلقه

---

(١) انظر في المسألة: «شرح الكوكب المنير» (١ / ٣١٢)، و «شفاء العليل» (ص ١٠٣)، و «المحصول» (٢ / ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٤٢، ٢٩١)، وشرحه «نفائس الأصول» (٩ / ٣٩٩٥) للقرافي، و «تيسير التحرير» (٣ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و «جمع الجوامع» (٢ / ٢٣٣)، و «الإبهاج» (٣ / ٤١)، و «نبراس العقول» (٣٢٣ ـ ٣٢٨)، و «الإحكام» لابن حزم (٨ / ٧٧ وما بعد)، و «إيثار الحق على الخلق» (ص ١٨١ وما بعد)، و «إعلام الموقعين» (٢ / ٧٥)، و «الموافقات» (٢ / ٩ وما بعد) وتعليقي عليه، و «تعليل الأحكام» لمحمد مصطفى شلبي؛ ففيه بحث وافٍ عن هٰذا الموضوع.

لا لشيء آخر.

*** الرد على نفاة الحكمة:**

فهٰذا قولهم، وهو ضعيف؛ لوجوه:

(أحدها): أن لام العاقبة التي لم يقصد فيها الفعل لأجل العاقبة إنما تكون من جاهل أو عاجز؛ فالجاهل كقوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: ٨] لم يعلم فرعون بهٰذه العاقبة، والعاجز كقولهم: لِدُوا للموت وابنوا للخراب؛ فإنهم يعلمون هٰذه العاقبة لٰكنهم عاجزون عن دفعها، والله تعالى عليم قدير؛ فلا يقال: إن فعله كفعل الجاهل العاجز.

(الثاني): أن الله أراد هٰذه الغاية بالاتفاق؛ فالعبادة التي خلق الخلق لأجلها هي مرادة له بالاتفاق، وهم يسلمون أن الله أرادها، وحيث تكون اللام للعاقبة لا يكون الفاعل أراد العاقبة، وهٰؤلاء يقولون خلقهم وأراد خلقهم وأراد أفعالهم وأراد عقابهم عليها، فكلّ ما وقع فهو مراد له، ولٰكنه عندهم لا يفعل مراداً أراد أصلاً؛ لأن الفعل للعلة يستلزم الحاجة، وهٰذا ضعيف بيّن الضعف، وأهل الخصوص قالوا مثل هٰذا الجواب.

وطائفة أخرى قالوا: هي على العموم لٰكن المراد بالعبادة تعبيده لهم وقهره لهم ونفوذ قدرته ومشيئته فيهم، وأنه أصارهم إلى ما خلقهم له من السعادة والشقاوة، هٰذا جواب زيد بن أسلم وطائفة، وهٰذا القول الثاني في تفسير الآية.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن جريج عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ قال: «جبلهم على الشقاوة والسعادة»(١)، وقال وهب بن منبه: «جبلهم على الطاعة، وجبلهم على المعصية»، وهٰذا يشبه قول من قال في تفسير قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»(٢): أي على ما كتب له من سعادة وشقاوة، كما قال ذٰلك طائفة منهم: ابن المبارك وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وقد قيل لمالك: أهل القدر يحتجون علينا بهٰذا الحديث! فقال: احتجوا عليهم بآخره، وهو قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٣).

وهٰذا الجواب يصلح أن يجاب به من أنكر العلم كما كان على

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٧ / ١١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧ / ٦٢٥) له ولابن المنذر، ولم يعزه لابن أبي حاتم، وهو غير موجود في مطبوعه (١٠ / ٣٣١٣).
وانظر: «زاد المسير» (٨ / ٤٢ ـ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، رقم ١٣٥٨، ١٣٥٩، وباب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣٨٥، وكتاب التفسير، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾، رقم ٤٧٧٥)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر، باب معنى «كل مولود يولد على الفطرة»، رقم ٢٦٥٨)؛ عن أبي هريرة رفعه.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣٨٤، وكتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم ٦٦٠٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر، باب معنى «كل مولود يولد على الفطرة»، رقم ٢٦٥٩)؛ عن أبي هريرة رفعه.

ذٰلك طائفة من القدماء وهم المعروفون بالقدرية في لغة مالك. . .».

إلى أن قال: «ومن فسر هٰذه الآية بأن المراد ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هو ما جبلهم عليه وما قدره عليهم من السعادة والشقاوة وأن ذٰلك هو معنى الحديث؛ فإن هٰؤلاء جعلوا معنى يعبدون بمعنى يستسلمون لمشيئتي وقدرتي، فيكونون مُعَبَّدِيْنَ مُذَلَّلِيْنَ كي يجري عليهم حُكمي ومشيئتي لا يخرجون عن قضائي وقَدَرِي؛ فهٰذا معنى صحيح في نفسه وإن كانت القدريَّةُ تُنكره؛ فبإنكارهم لذٰلك صاروا من أهل البدع، بل الله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وفي استعاذة النبي ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزها بر ولا فاجر من شر ما ذرأ وبرأ، وأعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده»(١).

---

(١) أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ١ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وأحمد في «المسند» (٣ / ٤١٩)، وأبو يعلى في «المسند» (١٢ / ٢٣٧)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢ / ٦٩٦ ـ ٦٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧ / ٩٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٤٢)، وأبو زرعة الرازي في «مسنده»، وابن أبي شيبة، والبزار، والحسن بن سفيان ـ كما في «الإصابة» (٢ / ٣٩٦)، وزاد نسبته في «كنز العمال» (٢ / ٦٦٥) لابن منده وأبي نعيم في «الدلائل» وقال: «وهو صحيح» ـ؛ عن أبي التياح؛ قال: «قلت لعبدالرحمٰن بن خَنْبش ـ بوزن جعفر؛ كما في «الإكمال» (٢ / ٣٤٢) ـ التميمي ـ وكان كبيراً ـ: أدركتَ رسولَ ﷺ؟ قال: نعم. قلتُ: كيف صنع رسولُ الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال رضي الله عنه: إن الشياطين تحدَّرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشِّعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة من نارٍ يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل، فقال: يا محمد! قل. قال ﷺ: «ما أقول؟». قال: قل أعوذ بكلمات الله. . . قال رضي الله عنه: فطُفِئت =

فكلماته التامة هي التي كوَّن بها الأشياء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢] لا يجاوزها بر ولا فاجر، ولا يخرج أحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور، وهٰذا المعنى قد دل عليه القرآن في غير موضع؛ كقوله:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩].

وقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله في السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

... ونحو ذٰلك.

ولٰكن قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لم يرد به هٰذا المعنى الذي ذهبوا إليه وحاموا حوله من أن المخلوقات كلها تحت مشيئته وقهره وحكمه؛ فالمخلوقات كلها

= نارُهم، وهزمهم الله تعالى».

قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٤٥٧): «إسناده جيّد».

داخلة في هٰذا، لا يشذ منها شيء عن هٰذا، وقد قال تعالى: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي... ﴾ الآية [يس: ٦٠ - ٦١]، وقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ١٧]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨]؛ فهٰذا ونحوه كثير في القرآن، لم يرد بعبادة الله إلا العبادة التي أمرت بها الرسل، وهي عبادته وحده لا شريك له، والمشركون لا يعبدون الله بل يعبدون الشيطان وما يدعونه من دون الله، سواء عبدوا الملائكة أو الأنبياء والصالحين أو التماثيل والأصنام المصنوعة؛ فهٰؤلاء المشركون قد عبدوا غير الله تعالى كما أخبر الله بذٰلك؛ فكيف يقال: إن جميع الإنس والجن عبدوا الله لكون قدر الله جارياً عليهم؟!

والفرق ظاهر بين عبادتهم إياه التي تحصل بإرادتهم واختيارهم وإخلاصهم الدين له وطاعة رسوله، وبين أن يعبدهم هو وينفذ فيهم مشيئته وتكون عبادتهم لغيره للشيطان وللأصنام من المقدور.

وهٰذا يشبه قول من يقول من المتأخرين: أنا كافر بربٍّ يُعْصَى! فيجعل كل ما يقع طاعة كما جعله هٰؤلاء عبادة لله تعالى لكونهم تحت المشيئة، وكان بعض شيوخهم يقول عن إبليس: إن كان عصى الأمر؛ فقد أطاع المشيئة!! لٰكن هٰؤلاء مباحية يسقطون الأمر.

* دفاع شيخ الإسلام عن العلماء:

وأما زيد بن أسلم ووهب بن منبه ونحوهم؛ فحاشاهم من مثل هٰذا؛ فإنهم كانوا من أعظم الناس تعظيماً للأمر والنهي والوعد والوعيد، ولٰكن قصدوا الرد على المكذبين بالقدر، القائلين بأنه يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وهٰؤلاء حقيقة قولهم: أنه لا يقدر على تعبيدهم وتصريفهم تحت مشيئته، فأرادوا إبطال قول هٰؤلاء، ونِعْمَ ما أرادوا؛ لٰكن الكلام فيما أريد بالآية.

وقول أولٰئك الإباحية يشبه قول من قال: إن العارف إذا شهد المشيئة سقط عنه الملام، وإنه إذا شهد الحكم - يعني المشيئة - لم يستحسن ولم يستقبح سببه... ونحو هٰذا من أقوال هٰؤلاء الذين تشبه أقوالهم أقوال المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] كما قد بسط الكلام عليه، وبين أن إثبات القدر السابق حق، لٰكن ذٰلك هو الذي يصير العبد إليه ليس هو الذي فطر عليه؛ كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ؛ هل تحسون فيها من جدعاءَ؟!»(١)؛ فقد بيَّن النّبيُّ ﷺ بمَثَلٍ ضربه أنَّ البهيمة تولد سليمة ثم تُجْدَعُ، والجَدْعُ كان مُقدَّراً عليها، كذٰلك العبد يُولَدُ على الفطرة سليماً، ثم يُفْسَدُ بالتهود والتنصير، وذٰلك كان مكتوباً أن يكون.

---

(١) سبق تخريجه قريباً.

وصاحب هٰذا القول إنما قاله ليبيّن ما خلقوا له، وقد قصد هٰذا طائفة فسروا العبادة بأمر واقع عام، وليست هي العبادة المأمور بها على ألسن الرسل؛ ففي «تفسير ابن أبي طلحة» المضاف إلى ابن عباس: إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهاً[1]، وهٰذه العبودية؛ كقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وفسرت طائفة (الكره) بأنه جريان حكم القدر؛ فيكون كالقول قبله، والصحيح أنه انقيادهم لحكمه القدري بغير اختيارهم؛ كاستسلامهم عند المصايب، وانقيادهم لما يكرهون من أحكامه الشرعية، فكل أحد لا بد له من انقياده لحكمه القدري والشرعي؛ فهٰذا معنى صحيح قد بُسط في غير هٰذا الموضع، لٰكن ليس هو العبادة.

وكذٰلك قال بعضهم[2]: إلا ليخضعوا لي ويتذللوا؛ قالوا: ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق.

---

(١) قول ابن عباس في «صحيفة ابن أبي طلحة» (ص ٤٦٦ / رقم ١٢٠١).
وهو في: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠ / ٣٣١٣) و «تفسير ابن جرير» (٦ / ٢٧)، ونسبه في «الدر المنثور» (٦ / ١١٦) لهما.
وانظر عن سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس: «العجاب في بيان الأسباب» (١ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧) لابن حجر العسقلاني.

(٢) هو قول ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨ / ٤٣).

وقد ذكر أبو الفرج[1] قول ابن عباس هٰذا؛ قال: «وبيان هٰذا قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وهٰذه الآية توافق من قال: إلا ليعرفون؛ كما سيأتي، وهٰؤلاء الذين أقروا بأن الله خالقهم لم يقروا بذٰلك كرهاً، بخلاف إسلامهم وخضوعهم له؛ فإنه يكون كرهاً، وأما نفس الإقرار؛ فهو فطري فطروا عليه وبذلوه طوعاً.

وقيل «قول رابع»: روى ابن أبي حاتم[2] عن زائدة عن السدي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ قال: «خلقهم للعبادة، فمن العبادة عبادة تنفع ومن العبادة عبادة لا تنفع»، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، هٰذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع شركهم، وهٰذا المعنى صحيح، لٰكن المشرك يعبد الشيطان، وما عدل به الله لا يعبد، ولا يسمى مجرد الإقرار بالصانع عبادة لله مع الشرك بالله، ولٰكن يقال كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ فإيمانهم بالخالق مقرون بشركهم به، وأما العبادة؛ ففي الحديث: «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك»[3]؛ فعبادة المشركين وإن جعلوا بعضها لله لا

---

(١) ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨ / ٤٢).

(٢) غير موجود في «التفسير» المجموع لابن أبي حاتم!! ولم يورده د. محمد عطا يوسف في جمعه «تفسير السدي الكبير».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وأبو يعلى (١١ / رقم ٦٥٥٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢ / ١٥٥)، والبيهقي في=

يقبل منها شيئاً، بل كلها لمن أشركوه، فلا يكونون قد عبدوا الله سبحانه، ومثل هٰذا قول من قال: إلا لِيوحِّدُون، فأما المؤمن؛ فيوحِّده في الشِّدة والرَّخاء، وأما الكافر؛ فيوحِّده في الشِّدَّة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقيل «قول خامس» ذكره ابن أبي حاتم[١] عن ابن جريج؛ قال: «ليعرفون». قال: وروي عن قتادة، وذكره البغوي[٢] عن مجاهد؛ قال: وقال مجاهد: «إلا ليعرفون»[٣].

قال[٤]: «وهٰذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، ودليله قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

= «الأربعين الصغرى» (٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

(١) غير موجود في «التفسير» المجموع لابن أبي حاتم!!

(٢) في تفسيره «معالم التنزيل في التفسير والتأويل» (٥ / ٢٣٠ ـ ط دار الفكر).

(٣) قول مجاهد نقله الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧ / ٢١) عن مجاهد، وقال: «وهو مجاز مرسل أيضاً من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في «الإرشاد»، ولعل السر فيه التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة».
وقد أسنده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (رقم ٢٢٥، ٣٤٤٢ ـ بتحقيقي) بسند ضعيف جداً ومنقطع إلى مجاهد عن ابن عباس.

(٤) أي: البغوي في تفسيره «معالم التنزيل في التفسير والتأويل» (٥ / ٢٣٠ ـ ط دار الفكر).

﴿ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]».

فيقال: هٰذا المعنى صحيح، وكونه إنما عرف بخلقهم يقتضي أن خلقَهم شرطٌ في معرفتهم، لا يقتضي أن يكون ما حصل من المعرفة هو الغاية التي خلقوا لها، وهٰذا من جنس قول السدي؛ فإن هٰذا الإقرار العام هم مشركون فيه، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾، لٰكن ليس هٰذا هو العبادة.

[ومن قال: «إن العبادة» هي المعرفة الفطرية الموجودة فيها، وأن ذٰلك هو الإيمان وهو داخل في الثقلين فقط؛ فإن ذٰلك لو كان كذٰلك لم يكن في الثقلين كافر، والله أخبر بكفر إبليس وغيره من الجن والإنس، وقد قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥]، وأخبر أنه يملؤها منه ومن أتباعه، وهٰذا يبيِّن أنه لا يدخلها إلاّ مَنْ اتَّبعه؛ فعلم أن من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس، ومعلوم أن الكفار ليسوا بمؤمنين ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين، ولٰكن اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ. . .﴾ [النساء: ٢٦] الآية.

وقد تكون لبيان العاقبة الكونية؛ كما في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ. . .﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية، وهٰذا كقوله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾ [هود:

١١٨ - ١١٩]؛ أي: خلق قوماً للاختلاف وقوماً للرحمة.

وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فاللام في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وإن كانت هي اللام في هٰذه الآية؛ فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده، ولهٰذا تنقسم في كتاب الله إلى إرادة دينية، وإرادة كونية، كما تنقسم في كتاب الله تعالى الكلمات والأمر والحكم والقضاء والتحريم والإذن وغير ذٰلك][1].

فهٰذه «الأقوال الأربعة»[2] قول من عرف أن الآية عامة فأراد أن يفسرها بعبادة تعم الإنس والجن، واعتقد أنه (إن) فسرها بالعبادة المعروفة، وهي الطاعة لله والطاعة لرسله؛ لزم أن تكون واقعة منهم، ولم تقع؛ فأراد أن يفسرها بعبادة واقعة، وظن أنه إذا فسرها بعبادة لم تقع لزمه قول القدرية، وأنه خلقهم لعبادته فعصوه بغير مشيئته وغير قدرته، ففروا من قول القدرية وهم معذورون في هٰذا الفرار، لٰكن فسرها بما لم يرد بها كما يصيب كثير من الناس في الآيات التي يحتج أهل البدع بظاهرها؛ كاحتجاج الرافضة بقوله: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] على مسح ظهر القدمين؛ فترى المخالفين لهم يذكرون أقوالاً ضعيفة، وهٰذا يقول مجروراً بالمجاورة؛ كقولهم:

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٣٥ - ٢٣٦).

(٢) بل خمسة على ما عدَّ رحمه الله.

جحرُ ضَبٍّ خربٍ. . . ونحو هٰذا من الأقوال الضعيفة، وكذٰلك ما قالوه في قوله ﷺ: «فحج آدم موسى»[1] وأمثال ذٰلك.

و «القول السادس» ـ وإن كان أبو الفرج لم يذكر فيها إلا أربعة أقوال[2] ـ وهو الذي عليه جمهور المسلمين: إن الله خلقهم لعبادته، وهو فعل ما أمروا به، ولهٰذا يوجد المسلمون قديماً وحديثاً يحتجون بهٰذه الآية على هٰذا المعنى حتى في وعظهم وتذكيرهم وحكاياتهم، كما في حكاية إبراهيم بن أدهم: «ما لهٰذا خُلِقْتَ، ولا بهٰذا أُمِرْتَ»[3]، وفي حديث إسرائيلي: «يا ابن آدم! خلقتك لعبادتي؛ فلا تلعب، وتكفَّلتُ برزقك؛ فلا تتعب، فاطلبني تجدني؛ فإنْ وجدتني وجدتَ كلَّ شيء، وإنْ فُتُّكَ فاتك كلُّ شيء، وأنا أحبُّ إليك مِنْ كلِّ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى عليه السلام، رقم ٣٤٠٩، وكتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله تعالى، رقم ٦٦٢٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم ٢٦٥٢).

(٢) انظرها في: «زاد المسير» (٨ / ٤٢ ـ ٤٣).

(٣) قيل: هٰذا لإبراهيم بن أدهم في أثر أخرجه الحميدي في «الذهب المسبوك» (رقم ٥٦ ـ بتحقيقي)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧ / ٣٦٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦ / ٢٨٣ ـ ٢٨٥)، وابن أبي الدنيا في «التوابين» (ص ١٧١ / رقم ٦٤).

وأورده الطرطوشي في «سراج الملوك» (١ / ٤٠ ـ ٤٢)، والذهبي في «السير» (٧ / ٣٨٩)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤ / ١٥٢) و «سلوة الأحزان» (ص ٨٢).

والأثر أيضاً في: «الرسالة القشيرية» (ص ٨).

شيء»[1]، وهٰذا هو المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره من السلف، فذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: «إلا لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي»[2].

قالوا: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١]، وهٰذا اختيار الزَّجَّاج[3] وغيره، وهٰذا هو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت، قال ابن أبي حاتم[4]: ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]: «لآمرهم وأنهاهم»، كذٰلك روي عن الربيع بن أنس؛ قال: «ما خلقتهما إلا للعبادة»[5].

---

(١) وأخرج الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٧٤) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥ / ٣٥٠ / أ) ـ، والديلمي في «الفردوس» (٣ / ١٦٦)، والحاكم في «تاريخ نيسابور» ـ كما في «الدر المنثور» (٧ / ٦٢٥) ـ، والبيهقي في «الشعب» (٤ / ١٣٤ / رقم ٤٥٦٣)؛ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إني والجن والإنس في نبإٍ عظيم، أخلُقُ ويُعْبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي».
وإسناده ضعيف؛ فهو منقطع.
عبدالرحمٰن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد الحضرميان لم يدركا أبا الدرداء.

(٢) ذكره عنه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧ / ٢١)، ولم يعزه لأحد.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٥ / ٣٥٠) للزجاج.

(٤) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم»، ولم يذكره السيوطي في «الدر المنثور»، ولا وجود له في مطبوع «تفسير مجاهد» أيضاً.

(٥) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم» ولا في «الدر المنثور».

ويدل على هٰذا مثل قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: لا يؤمر ولا ينهى.

وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]؛ أي: لولا عبادتكم.

وقوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠- ١٣١].

وقوله: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ...﴾ [يس: ٦٠ - ٦١] الآيات وما بعدها.

وقالت الجن لما سمعوا القرآن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ...﴾ [الأحقاف: ٣٠] الآية وما بعدها.

وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا...﴾ [الجن: ١٤] الآية وما بعدها[١].

---

(١) وانظر في ذٰلك: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٨٩، ٣٠٥)، و«منهاج السنة النبوية» (٥ / ١٠٢ ـ ١٠٣ و٨ / ١٠٩)، و«النبوات» (ص ٣٩٩)، و«التفسير الكبير» (٦ / ١٦٦)، و«قاعدة جليلة» (٤٤).

وقد قال في القرآن في غير موضع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]؛ فقد أمرهم بما خلقهم له وأرسل الرسل إلى الإنس والجن[(١)]، ومحمد ﷺ أرسل إلى الثقلين وقرأ القرآن على الجن، وقد روي أنه لما قرأ عليهم سورة الرحمٰن وجعل يقرأ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]؛ يقولون: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»[(٢)].

---

(١) انظر: «النبوات» (٤٠٤، ٤١٧).

(٢) قال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٣٠٧): «و «الآلاء» في اللغة: هي النعم، وهي تتضمن القدرة.

قال ابن قتيبة: لما عدد الله في هٰذه السورة سورة الرحمٰن نعماءه، وذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته؛ جعل كل كلمة من ذٰلك فاصلة بين نعمتين ليفهم النعم ويقررهم بها.

وقد روى الحاكم في «المستدرك» (٢ / ٤٧٣)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٢٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١٠٧٤ و٥ / ١٨٥٨)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١ / ١٨١)، والبيهقي في «الدلائل» (٢ / ٢٣٢)؛ من طريق الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن ابن المنكدر، عن جابر عن النبي ﷺ؛ قال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ الرحمٰن حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً! ما قرأت عليهم هٰذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»».

وإسناده ضعيف.

فيه تدليس الوليد بن مسلم، وزهير بن محمد ـ وإنْ كان صدوقاً ـ؛ فإن أهل الشام إن رووا عنه فتكثر المناكير في روايته، والوليد شامي.

نعم، لم يتفرد به؛ فقد تابعه مروان بن محمد عند البيهقي في «الدلائل» (٢ / =

فهٰذا هو المعنى الذي قصد بالآية قطعاً، وهو الذي تفهمه جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه، ويعترفون بأن الله خلقهم ليعبدوه لا لِيُضَيِّعوا حقَّه.

وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل؛ أن النبي ﷺ قال له: ««يا معاذ! أتدري ما حق الله على عباده؟». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذٰلك؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم»»[1].

وفي «المسند» عن ابن عمر، عن النبي ﷺ؛ قال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعْبَدَ اللهَ وحده لا شريك له، وجعل

= ٢٣٢)؛ إلا أنه شامي، فبقيت العلة الثانية.

وله شاهد عن ابن عمر عند: ابن جرير في «التفسير» (٢٧ / ٧٢)، والبزار في «مسنده» (رقم ٢٢٦٩ زوائده).

وإسناده ضعيف، فيه علل، وحسنه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢١٥٠) بمجموع هٰذين الطريقين!

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم ٢٨٥٦، وكتاب الأدب، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم ٥٩٦٧، وكتاب الاستئذان، باب من أجاب بِلبيك وسعديك، رقم ٦٢٦٧، وكتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم ٦٥٠٠، وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم ٧٣٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم ٣٠)؛ عن معاذ رفعه.

رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذُّلُّ والصَّغَارُ على من خالف أمري، ومن تَشَبَّه بقوم؛ فهو منهم»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢ / ٥٠، ٩٢)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٤٠٣١ ـ مختصراً)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥ / ٣١٣)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ٨٤٨ ـ «المنتخب»)، وابن الأعرابي في «معجمه» (رقم ١١٣٧)، والهروي في «ذم الكلام» (ق ٥٤ / ب)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢ / ٧٣)، والذهبي في «السير» (١٥ / ٥٠٩)؛ عن عبدالرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي منيب الجُرَشي، عن ابن عمر رفعه.

وإسناده حسن، رجاله ثقات؛ خلا عبدالرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، صدوق يخطىء، تغير بأخرة ولم ينفرد به؛ فقد تابعه الأوزاعي؛ كما عند الطحاوي في «المشكل» (١ / ٨٨ ـ ط الهندية، و١ / ٢١٣ / رقم ٢٣١ ـ ط مؤسسة الرسالة).

وجوَّد ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٩) سنده، وصححه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١ / ٣٤٢)، وحسَّنه ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ٢٢٢).

وعلَّق البخاري في «صحيحه» (٦ / ٩٨): «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

وله شاهد مرسل عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥ / ٣٢٢)، وابن المبارك في «الجهاد» (رقم ١٠٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (رقم ٣٩٠)؛ عن الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة ـ وهو مترجم في «الجرح والتعديل» (٤ / ١٠)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ـ، عن طاوس رفعه.

وحسن إسناده ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣ / ٤٤٦).

وأخرجه يحيى بن آدم في «الخراج» (٢٥٥) من مرسل مكحول، وسعيد بن =

ثم للناس على هٰذا القول قولان:

قول أهل السنة المثبتة للقدر، وقول نفاته؛ فصارت الأقوال في الآية «سبعة»، وفي الحكمة «خمسة».

فأما أهل السنة المثبتون للقدر؛ فيقولون: قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لا يستلزم وقوع العبادة منهم، كما قال أصحاب هٰذه الأقوال المتقدمة، ولا يستلزم نفي المقدور أن يكون في ملكه ما لا يشاء أو يشاء ما لا يكون، كما قالت القدرية؛ فهٰؤلاء يقولون: لم يقع ما خلقهم له لكونه يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء، أولٰئك قالوا: إذا كان ما يشاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فما لم يقع لم يشأه، فما لم يقع من العبادة لم يشأها، وهٰذا معنى صحيح، ثم قالوا: وما خلقهم له فلا بد أن يشاء أن يخلقه، فلما لم يشأه أن يخلق هٰذا لم يخلقهم له.

فالطائفتان أصل غلطِهم ظنُّهم أنما خلقهم لما يشاء وقوعه، وأولٰئك يقولون: يشاء أن يخلقه، وهٰؤلاء يقولون: يشاء وقوعه منهم بمعنى يأمرهم به، وما عندهم أن له مشيئة في أفعال العباد غير الأمر،

= منصور في «سننه» (٢ / ١٥٣) من مرسل الحسن.

والحديث يصل بمجموع طرقه إلى الصحة إن شاء الله تعالى.

انظر: «المجالسة» (رقم ٧٥٤ ـ بتحقيقي)، و «الفروسية» (ص ١٥٤ ـ بتحقيقي) لابن القيم، و «الإرواء» (٥ / ١٠٩ ـ ١١١ / رقم ١٢٦٩)، و «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ط الأولى ـ للطبعة الجديدة).

ولابن رجب رسالة مستقلّة في شرحه.

وهم يعصون أمره؛ فلهٰذا قالوا: يكون ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، كما يقولون: يفعلون ما نهاهم عنه، ويتركون ما أمرهم به، وهٰذا المعنى صحيح إذا أُرِيْدَ الأمرُ الشرعيُّ؛ لٰكن القدرية النفاة لا يقولون: إنه شاء إلا بمعنى أمر؛ فعندهم ما ليس طاعة من أفعال العباد ما لا يشاءه؛ فإنه لا يخلقه عندهم، وإذا لم يخلقه لم يشأه؛ فإنه ما شاء أن يخلقه خلقه باتفاق المسلمين.

والقدرية لا تنازع في هٰذا، لا ينازعون في أنه ما شاء أن يفعله هو فعله، وأنه قادر على أن يفعل ما يشاء أن يفعله، لٰكن عندهم أن أفعال العباد لا تدخل في خلقه ولا في قدرته ولا في مشيئته، ولا في مشيئته أن يفعل، لٰكن المشيئة المتعلقة بها بمعنى الأمر فقط؛ فيقولون: خلقهم لعبادته أن يفعلوها هم، وقد أمرهم بها، فإذا لم يفعلوها كان ذٰلك بمنزلة عصيان أمره.

وأما المثبتون للقدر؛ فيقولون: إنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه خالق كل شيء، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. . . وأمثال ذٰلك، فإذا خلقهم للعبادة المأمور بها ولم يفعلوها؛ لم يكن قد شاء أن تكون؛ إذ لو شاء أن تكون لكونها، لٰكن أمرهم بها وأحب أن يفعلوها ورضي أن يفعلوها وأراد أن يفعلوها إرادة شرعية تضمنها أمره بالعبادة.

ومن هنا يتبين معنى الآية؛ فإن قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] يشبه قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟

﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾ [الحج: ٣٧]، وقوله: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ . . .﴾ الآية [الطلاق: ١٢]، وكذٰلك قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤]؛ فهو لم يرسله إلا ليطاع، ثم قد يطاع وقد يعصى.

وكذٰلك ما خلقهم إلا للعبادة، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون، ومثل هٰذا كثير في القرآن، يبيِّن أنه فعل ما فعل ليكبِّروا وليعدلوا ولا يظلموا، وليعلموا ما هو متَّصف به، وغيره مما أمر الله به العباد وأحبه لهم ورضيه منهم وفيه سعادتهم وكمالهم وصلاحهم وفلاحهم إذا فعلوه، ثم منهم من يفعل ذٰلك ومنهم من لا يفعله.

وهو سبحانه لم يقل أنه فعل الأول ليفعل هو الثاني، ولا ليفعل بهم الثاني؛ فلم يذكر أنه خلقهم ليجعلهم هم عابدين؛ فإن ما فعله من الأسباب لما يفعله هو من الغايات يجب أن يفعله لا محالة، ويمتنع أن يفعل أمراً ليفعل أمراً ثانياً ولا يفعل الأمر الثاني، ولٰكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثاني؛ فيكونون هم الفاعلين له، فيحصل بفعلهم سعادتهم، وما يحبه ويرضاه لهم، فيحصل ما يحبه هو وما يحبونه هم، كما تقدم أن كل ما خلقه وأمر به غاية محبوبة لله ولعباده، وفيه حكمة له، وفيه رحمة لعباده.

فهٰذا الذي خلقهم له لو فعلوه؛ لكان فيه ما يحبه وما يحبونه،

ولٰكن لم يفعلوه؛ فاستحقوا ما يستحقه العاصي المخالف لأمره التارك فعل ما خُلِقَ لأجله من عذاب الدنيا والآخرة، وهو سبحانه قد شاء أن تكون العبادة ممن فعلها، فجعلهم عابدين مسلمين بمشيئته وهُدَاه لهم وتَحْبِيْبُه إليهم الإيمانَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]؛ فهٰؤلاء [أراد] العبادة منهم خلقاً وأمراً أمرهم بها، وخلقاً جعلهم فاعلين.

والصنف الثاني لم يشأ هو أن يخلقهم عابدين وإن كان قد أمرهم بالعبادة، والله سبحانه أعلم»(١).

*** إرسال الرسل إلى الثقلين:**

ولما كانت الغاية من خلق الإنس والجن هي العبـادة؛ أرسـل الله تعالى إليهم الرسـل ليعلموهم أمور دينهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن هٰذين الثقلين بعث إليهم الرسل كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى

(١) انتهى بطوله من «مجموع الفتاوى» (٨ / ٣٧ ـ ٥٧).

﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١][1]» اهـ.

*** عموم رسالة النبيِّ محمد ﷺ إلى الجن والإنس[2]:**

وكان آخر هٰؤلاء الرسل هو نبيّنا محمد ﷺ، وهٰذا معلوم علم اليقين، وقد وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي ذٰلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن[3]، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما حلّل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله

---

(١) «النبوات» (ص ٣٢٧).

(٢) انظر أدلة ذٰلك بالتفصيل في كتاب «تحقيق البرهان» للإمام أبي العباس ابن قدامة الحنبلي الملحق بآخر هٰذا الكتاب. وانظر: «فتاوى السبكي» (٢ / ٥٩٤ ـ وما بعدها)؛ فقد فصَّل في ذٰلك رحمه الله.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ١٧٠ و١٣ / ٧٩ ـ ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٢٢١ و١٦ / ١٥٥ و١٧ / ٥١٢ و١٩ / ١٠، ١٤، ٣٢، ٣٣، ٣٥)، و «الرد على الأخنائي» (ص ٤)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٨٩ و٢ / ٢٤، ٨٤، ١٣٩ و٤ / ٢٦١ و٦ / ١٧٢ و٧ / ٥٧٠)، و «النبـوات» (ص ١٦٩، ١٧٠، ٣٢٧، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤١٧)، و «منهاج السنة النبوية» (٥ / ١٠٢ ـ ١٠٣)، و «رسالة في علم الباطن والظاهر» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ٢٥٠)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» (٢ / ١٠٤، ١٠٧، ١١٧، ١١٨) ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية»، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦٥)، و «الجواب الصحيح» (١ / ٣٣٦ ـ فما بعد، ١٢٤، ٣٧٤، ٤٤١ و٢ / ٢٨٠ و٣ / ١٥١، ١٥٢).

ورسوله وأن يكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهٰذا أصل متفق عليه[1] بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن. . .[2] ونحو ذٰلك مما تواترت به الأخبار عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة[3] كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى إلى فرعون وغرق فرعون، ومجيء المسيح إلى اليهود وعداوتهم له، وظهور محمد ﷺ بمكة وهجرته إلى المدينة، ومجيئه بالقرآن والشرائع

---

(١) نقل هٰذا الكلام الحافظ في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٥)؛ فقال: «وقال ابن تيمية: اتفق على ذٰلك [أي: بعث النبي ﷺ إلى الإنس والجن] علماء السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين. قلت (أي: الحافظ): وثبت التصريح بذٰلك في حديث «وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الإنس والجن» فيما رواه البزّار بلفظ: وعن ابن الكلبي: «كان النبي يبعث إلى الإنس فقط، وبعث محمد إلى الإنس والجن»» اهـ.

وقال الونشريسي في «المعيار المعرب» (١٢ / ٣٠٩): «أما رسالة نبينا محمد ﷺ إليهم [أي: إلى الجن]؛ فقد اشتهر اشتهاراً يقرب من الضروري، وآيات القرآن وعموم رسالته يدل على ذٰلك؛ فمنكر ذٰلك كمنكر الإجماع، في كفره خلاف، وسماهم ابن بزيزة حثالة لا عبرة بهم» اهـ.

(٢) تقدم هٰذا المبحث؛ فانظر (ص ٥٩) من هٰذا الكتاب.

(٣) نقل كلام شيخ الإسلام هٰذا العلاّمة السفاريني في «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٠)، وأقره وارتضاه وضم إليه قولاً آخر لشيخ الإسلام رحمه الله.

الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب[(١)] والإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة التي لا يعلمها بشر إلا بإعلام الله[(٢)]. . . وغير ذٰلك»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «اعلم أنه يجب على كل بالغ عاقل من الإنس والجن أن يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، أرسله إلى جميع الخلق، إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وفرسهم وهندهم، وبربرهم وورومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم وأبيضهم، والمراد بالعجم من ليس بعربي على اختلاف ألسنتهم.

فمحمد ﷺ أُرسِلَ إلى كل أحد من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه وطرائقه وشرائعه؛ فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم ١٣٧، ١٣٨)، وأحمد في «المسند» (٢ / ٤٢١ و٣ / ١١)، والفريابي في «دلائل النبوة» (رقم ٢، ٣، ٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ترى ذٰلك مفصلاً في: «دلائل النبوة» للبيهقي، و «نهاية البداية والنهاية» أو «الفتن والملاحم» لابن كثير. وفي الباب أحاديث عديدة.

(٣) «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ٩٩ ـ ١٠٣)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٩ ـ ١٢).

من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح»[1].

*** الجن مأمورون ومنهيون كالإنس:**

و «الجن مأمورون ومنهيون كالإنس[2]، وقد بعث الله الرسل من الإنس إليهم وإلى الإنس، وأمر الجميع بطاعة الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]»[3].

«وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١] يتناول كل من خوطب بالقرآن، وكذلك قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٢) قال ابن عبدالبر: «الجن عند الجماعة مخاطبون؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣]، ولقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]».

وقال الفخر الرازي: «أطبق الكل على أن الجن مكلفون».

وقال القاضي عبدالجبار المعتزلي: «لا نعلم خلافاً بين أهل النظر أن الجن مكلفون».

انظر: «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٣). وانظر: «فتاوى السبكي» (٢ / ٥٩٤ ـ وما بعدها).

(٣) «التفسير الكبير» (١ / ١٨٣)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٩٤).

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ فالرسول من أَنفُسَ مَنْ خُوطِبَ بهٰذا الكلام؛ إذ هي كاف الخطاب.

ولمَّا خُوطب به أولاً قريش ثم العرب ثم سائر الأمم؛ صار يخص ويعم بحسب ذٰلك.

وفيه ما يخص قريشاً؛ كقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش: ١ ـ ٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وفيه ما يعم العرب ويخصهم؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]، والأميون يتناول العرب قاطبة دون أهل الكتاب، ثم قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]؛ فهٰذا يتناول كل من دخل في الإسلام بعد دخول العرب فيه إلى يوم القيامة؛ كما قال ذٰلك مقاتل بن حيان، وعبدالرحمٰن بن زيد، وغيرهما، فإن قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: في الدين دون النسب؛ إذ لو كانوا منهم في النسب لكانوا من الأميين.

وهٰذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقد ثبت في «الصحيح» أن هٰذه الآية لما نزلت سئل النبي ﷺ عنهم؛ فقال: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا؛ لتناوله رجال من أبناء

فارس»[1]؛ فهٰذا يدل على دخول هٰؤلاء لا يمنع دخول غيرهم من الأمم.

وإذا كانوا هم منهم دخلوا في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ فالمِنَّةُ على جميع المؤمنين عربهم وعجمهم سابقهم ولاحقهم. والرسول منهم لأنه إنسيٌّ مؤمنٌ، وهو من العرب أخص لكونه عربياً جاء بلسانهم، وهو من قريش أخص، والخصوص يوجب قيام الحُجَّة لا يوجب الفضل؛ إلا بالإيمان والتقوى؛ لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

*** الأنصار أفضل من الطلقاء من قريش:**

ولهٰذا كان الأنصار أفضل من الطلقاء من قريش، وهم ليسوا من ربيعة ولا مضر، بل من قحطان.

وأكثر الناس على أنهم من ولد هود، ليسوا من ولد إبراهيم، وقيل: إنهم من ولد إسماعيل؛ لحديث أسلم لما قال: «ارموا؛ فإن أباكم كان رامياً»[2]، وأسلم من خزاعة، وخزاعة من ولد إبراهيم.

وفي هٰذا كلام ليس هٰذا موضعه؛ إذ المقصود أن الأنصار أبعد

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، رقم ٢٥٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٢٨٩٩) عن سلمة بن الأكوع.
وانظر عن فقهه: «الفروسية» لابن القيم (ص ٩١، ١٣٦، ٤٣٩ ـ بتحقيقي).

نسباً من كل ربيعة ومضر مع كثرة هٰذه القبائل. و [مع هٰذا هم أفضل] من جمهور قريش؛ إلا من السابقين الأولين من المهاجرين وفيهم قرشي وغير قرشي، ومجموع السابقين ألف وأربع مئة غير مهاجري الحبشة.

*** القرآن خطاب للثقلين والرسول منهم جميعاً:**

فقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ يخص قريشاً والعرب، ثم يعم سائر البشر؛ لأن القرآن خطاب لهم، والرسول من أنفسهم، والمعنى: ليس بِمَلَكٍ لا يُطِيقون الأَخْذَ منه ولا جنيٍّ، ثمَّ يَعُمُّ الجن؛ لأن الرسول أُرسِل إلى الإنس والجن، والقرآن خطاب للثقلين، والرسول منهم جميعاً، كما قال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]؛ فجعل الرسل التي أرسلها من النوعين مع أنهم من الإنس، فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون ويشربون، وينكحون وينسلون، ويغتذون، وينمون بالأكل والشرب، وهٰذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميزون بها عن الملائكة؛ فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل؛ فصار الرسول من أَنفُسَ الثقلين باعتبار القدر المشترك بينهم الذي تميزوا به عن الملائكة، حتى كان الرسول مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة.

وكذٰلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، هو كقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا

فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]»(١).

«والله سبحانه يرسل الرسل من جنس المرسل إليهم؛ لأنه أتم لحصول المقصود بالرسالة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩]، ولهٰذا يقول: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣]، وكان الرسول يبعث إلى قومه خاصة وبعث محمد إلى الناس عامة، وهو مرسل إلى الثقلين: الجن والإنس، ولهٰذا قالت الجن لما سمعت القرآن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ...﴾ [الأحقاف: ٣١] الآيات في سورة الأحقاف(٢)، وقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ...﴾ [الجن: ١٣] الآيات(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١٨٩ ـ ١٩٣)، و«التفسير الكبير» (٦ / ٢٠٣ ـ ٢٠٧).

(٢) من الآية (٢٩) إلى الآية (٣٢)، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

(٣) [الجن: ١٣ ـ ١٥]، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ=

ولهٰذا قرأ رسول الله ﷺ عليهم سورة الرحمٰن، وقد خاطب الله بها الثقلين: الجن والإنس[(١)]، وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، هٰذا يقال لهم يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] و ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] قولان: قيل: هو خطاب للعرب، وقيل: هو خطاب لجميع الناس.

والتحقيق أنه خوطب به أولاً العرب، بل خوطب به أولاً قريش، ثم العرب، ثم سائر الناس من أهل الكتاب والأميين غير العرب.

فقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾: الكاف كاف الخطاب؛ فهو خطاب لمن جاءه الرسول وبلغه القرآن الذي جاء به، كما قال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩][(٢)]؛ فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب بهٰذه

= بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

(١) الحديث المشار إليه سبق تخريجه (ص ١١٦).

(٢) قال في «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١٤٨ ـ ١٤٩): «... فإن محمداً ﷺ قد عرف بالاضطرار من دينه أنه مبعوث إلى جميع الإنس والجن، والله تعالى خاطب بالقرآن جميع الثقلين؛ كما قال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فكل من بلغه القرآن من إنسي وجني فقد أنذره الرسول به، والإنذار هو الإعلام بالمخوف، والمخوف هو العذاب، ينزل بمن عصى أمره ونهيه...».

قلت: قال إمام الحرمين في «الإرشاد» (٢٨٣) في أثناء الكلام مع العيسوية: =

الآية من جميع الأمم، وهو من أنفسهم من الإنس ليس من الملائكة، فإنه لو كان من الملائكة لم يطيقوا الأخذ عنه.

وكذٰلك قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١] هو خطاب لكل من خوطب بالقرآن وهم جميع الخلق، والجن يدخلون في ذٰلك أيضاً؛ فإن الرسول إلى الجن والإنس منهم ليس من الملائكة، والجن يأكلون ويشربون وينكحون كالإنس ويطيقون الأخذ عن الإنس ويفهمون كلامهم، بخلاف الرسول الملكي، وما يبين أنه عام في العرب وغيرهم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]، ثم قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]»[١].

«ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به؛ فهو كافر، سواء كان إنسياً أو جنياً»[٢].

= «وقد علمنا ضرورة أنه ﷺ ادّعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين». انظر: «فتح الباري» (٦ / ٣٤٥).

(١) «تفسير آيات أشكلت» (١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٨).

(٢) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٢٣٦) عن أبي السائب، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: سمعته قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هٰذه العَوامر؛ فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد=

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

وأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا[2] * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ١ ـ ٦]؛ أي؛ السفيه منا في أظهر قولي العلماء.

= فليقتله؛ فإنه شيطان».

وفي رواية عنده أيضاً: «قال رسول الله ﷺ: «إن لهٰذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم شيئاً منها؛ فحرّجوا عليها ثلاثاً، فإن ذهب، وإلاّ؛ فاقتلوه؛ فإنه كافر».

(١) انظر: «النبوات» (ص ٣٨، ٢٦٤).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً على قول الجن هٰذا: «وهٰؤلاء الجن المؤمنون أكمل عقلاً وديناً من هٰؤلاء النصارى» اهـ. انظر: «الجواب الصحيح» (٤ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

* استعاذة بعض الناس بالجن:

وقال غير واحد من السلف[(١)]: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي؛ قال: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من شر سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغياناً وكفراً، «[وفي «صحيح البخاري» عن ابن مسعود في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم أولٰئك الجن والإنس يعبدونهم»، ففي هٰذا أنه لم يضر الذين أسلموا عبادة غيرهم بعد الإسلام لهم وإن كانوا هم أضلوهم أولاً][(٢)]»؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٦ ـ ٨]، وكانت الشياطين تُرْمَى بالشهب قبل أن ينزل القرآن[(٣)]، لٰكن كانوا أحياناً

---

(١) الاستعاذة بالجن أوردها الإمام ابن جرير عن جماعة من السلف في «تفسيره» (١٤ / ١٠٨ ـ ١٠٩)، منهم: ابن عباس، والحسن، وإبراهيم، وقتادة، ومجاهد، والربيع بن أنس.

وأورد رحمه الله بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ قال: «زاد الكفار طغياناً» اهـ.

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٢٤)، و «قاعدة عظيمة» (ص ٢٤)، وأثر ابن مسعود أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ...﴾، رقم ٤٧١٤، وباب ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾، رقم ٤٧١٥).

(٣) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان =

يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا، كما قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۞ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

*** الجن على مذاهب شتى فمنهم السني والبدعي:**

قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١٠ ـ ١١]؛ أي: على مذاهب شتى، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرك والنصراني

= الكهان، رقم ٢٢٢٩ ـ ط قرطبة، ورقم ٥٧٨٠ ـ ط دار المعرفة) عن ابن عباس؛ أنه قال: «أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هٰذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يُرْمَى بها لموت أحد ولا لحياته، ولٰكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هٰذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هٰذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه؛ فهو حق، ولٰكنهم يقرفون فيه ويزيدون».

وانظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤ / ٢٢١ ـ ط قرطبة).

والسُّنِّيُّ والبدعِيُّ، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ يسترقون السمع [الجن: ١٢]: أخبروا أنهم لا يعجزونه لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منها، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾ [الجن: ١٣ ـ ١٤]؛ أي: الظالمون، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار وظلم، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۞ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۞ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۞ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۞ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ١٤ ـ ٢٢]؛ أي: ملجأ ومعاذ، ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٣ ـ ٢٤].

* إسلام جن نصيبين:

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به وهم جن نصيبين، كما ثبت ذٰلك في «الصحيح» من حديث ابن مسعود(١)، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمٰن، وكان إذا قال: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]؛ قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»(٢).

---

(١) سيأتي نصه وتخريجه.

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٦).

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابِّهم؛ فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علفاً لدوابكم»، قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بها؛ فإنها لإخوانكم من الجن»[1]، وهٰذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة، وبذٰلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذٰلك، وقالوا: فإذا مُنِعَ من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم؛ فما أُعِدَّ للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى.

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن، وهٰذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سُخِّروا لسليمان عليه السلام؛ فإنهم سُخِّروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله؛ لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك»[2].

وذكر نحوه في موضع آخر بزيادات؛ فقال: «المقصود أن محمداً ﷺ بعث إلى الثقلين، واستمع الجن لقراءته وولوا إلى قومهم منذرين؛ كما أخبر الله عز وجل، وهٰذا متفق عليه بين المسلمين. ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون: إنهم جاؤوه بعد هٰذا، وإنه قرأ عليهم القرآن وبايعوه، وسألوه الزاد لهم ولدوابهم؛ فقال لهم: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يعود أوفر ما يكون لحماً،

---

(١) سبق تخريجه (ص ٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٧).

ولكم كل بعرة علف لدوابكم»، قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زاد إخوانكم من الجن»[1]، وهٰذا ثابت في «صحيح مسلم» وغيره من حديث ابن مسعود.

وقد ثبت في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة نهيه ﷺ عن الاستنجاء بالعظم والروث في أحاديث متعددة[2].

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن سلمان؛ قال: «قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة! قال: فقال: أجل! لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن نستنجي باليمين، وأن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وأن نستنجي برجيع أو عظم»[3].

وفي «صحيح مسلم» وغيره أيضاً عن جابر؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن نتمسح بعظم أو ببعر»[4].

وكذٰلك النهي عن ذٰلك في حديث خزيمة بن ثابت[5] وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٥٠).

(٢) انظرها مع تخريجي المسهب لها في «الخلافيات» للبيهقي (٢ / ٥١ وما بعدها، ٧٧ / رقم ٣٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم ٢٦٢)، وخرجته بإسهاب في تعليقي على «الخلافيات» (٢ / ٥٠، ٧٦ / رقم ٣٣٥، ٣٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم ٢٦٣).

(٥) الحديث صحيح.
وقد تكلمت على طرقه وخرجتها بتطويل وإسهاب في تعليقي على «الخلافيات» للإمام البيهقي (٢ / ٧٩ ـ ٨٢)؛ فانظره غير مأمور.

وقد بين علة ذٰلك في حديث ابن مسعود؛ ففي «صحيح مسلم» وغيره عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن»، قال: «فانطلق بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم. فقال النبي ﷺ: فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زاد إخوانكم»(١).

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة: «أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها؛ قال: «من هٰذا؟»، قلت: أبا هريرة. قال: «أبغي أحجاراً استنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً»»(٢).

ولما نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٥٠).
وخرجته بإسهاب في تعليقي على «الخلافيات» (٢ / ٨٩ ـ ١٠٠)، ولله الحمد والمنة.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن، رقم ٣٨٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

دوابهم؛ كان هٰذا تنبيهاً على النهي عما يفسد طعام الإنس وطعام دوابهم بطريق الأولى، لٰكن كراهة هٰذا والنفور عنه ظاهر في فطر الناس، بخلاف العظم والروثة؛ فإنه لا يعرف نجاسة طعام الجن؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعددة بالنهي عنه، **وقد ثبت بهٰذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه، وقرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد.**

*** إنكار ابن عباس رؤية النبي ﷺ الجن:**

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس؛ أنه كان يقول: «إن النبي ﷺ لم ير الجن ولا خاطبهم، ولٰكن أخبره [الله][1] أنهم سمعوا القرآن»[2]، وابن عباس قد علم ما دل عليه القرآن من ذٰلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من إتيان الجن إليه ومخاطبته إياهم، وأنه أخبره بذٰلك في القرآن وأمره أن يخبر به، وكان ذٰلك في

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم ٧٧٣، وكتاب التفسير، باب منه، رقم ٤٩٢١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٤٩)؛ عن ابن عباس، والمذكور لفظ مسلم.

وقد علق عليه المازري في «المعلم بفوائد مسلم» (١ / ٢٦٨)؛ فقال: «ظاهر الحديث أنهم آمنوا عند سماع القرآن، ولا بد لمن آمن عند سماعه أن يعلم حقيقة الإعجاز وشرائط المعجزة، وبعد ذٰلك يقع له العلم بصدق الرسول ﷺ؛ فإمّا أن يكون الجن علموا ذٰلك أو علموا من كتب الرسل المتقدمة ما دلّهم على أنه هو النبي الصادق المبشَّر به».

أول الأمر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء وملئت حرساً شديداً، وكان في ذٰلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة، كما قد بُسط في موضع آخر، وبعد هٰذا أتوه وقرأ عليهم القرآن، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمٰن وصار كلما قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]؛ قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»(١).

وقد ذكر الله في القرآن من خطاب الثقلين ما يبين هٰذا الأصل؛

---

(١) سبق تخريجه (ص ١١٦). ونقل كلام شيخ الإسلام هٰذا الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٥٥)، ثم عقب عليه بقوله: «قلت: عبدالله بن مسعود أعلم بقصة الجن من عبدالله بن عباس؛ فإنه حضرها وحفظها وابن عباس كان إذ ذاك طفلاً رضيعاً؛ فقد قيل: إن قصة الجن كانت قبل الهجرة بثلاث سنين، وقال الواقدي: كانت سنة إحدى عشرة من النبوة وابن عباس في حجة الوداع كان قد ناهز الاحتلام، والله أعلم» اهـ.
وقال العيني في «عمدة القاري» (١٦ / ٣٠٩): «هٰذا النفي من ابن عباس إنما هو حيث استمعوا التلاوة من صلاة الفجر، ولم يرد به نفي الرؤية والتلاوة مطلقاً، وقال القرطبي: معنى حديث ابن عباس لم يقصدهم بالقراءة؛ فعلى هٰذا فلم يعلم رسول الله ﷺ باستماعِهم ولا كَلَّمَهم، وإنما أعلمه الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ [الجن: ١]. . . وقيل: يجمع بين ما نفاه ـ أي: ابن عباس ـ وما أثبته غيره بتعدد وفود الجن على النبي ﷺ» اهـ.
وقال الإمام البيهقي في «دلائل النبوة»: «هٰذا الذي حكاه عبدالله بن عباس إنما هو أول ما سمعت الجنّ قراءة النبي ﷺ وعلمت بحاله، وفي ذٰلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبدالله بن مسعود، ورأى آثارهم وآثار نيرانهم».

كقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]؛ أي: مذاهب شتى، مسلمون وكفار، وأهل سنة وأهل بدعة، وقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤ ـ ١٥]، والقاسط: الجائر، يقال: قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل»[(١)].

*** الجن مخاطبون بفروع الشريعة:**

وقد «سئل الشيخ رحمه الله عن الجان المؤمنين: هل هم مخاطبون «بفروع الإسلام» كالصوم والصلاة وغير ذلك من العبادات، أو هم مخاطبون بنفس التصديق لا غير؟

فأجاب: لا ريب أنهم مأمورون بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب؛ فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم[(٢)]، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة؛ فلا يكون

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٥ ـ ٣٩)، و «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢١ ـ ١٢٤ و٢ / ١١٩).
وانظر: «الجواب الصحيح» (١ / ٤٤١، ٤٤٥ و٢ / ٤٠).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبدالقوي الطوفي في «شرح مختصر الروضة» (٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧) في معرض كلامه على مسألة تكليف الكفار بفروع الشريعة؛ قال: «وقع النزاع بين بعض الفقهاء في سنتنا هذه، وهي سنة «ثمان وسبع مئة»=

= للهجرة المحمدية صلوات الله على منشئها في أن الجن مكلفون بفروع الدين أم لا؟

واستُفتي فيها شيخنا أبو العباس أحمد بن تيمية بالقاهرة أيده الله تعالى؛ فأجاب فيها بما ملخصه: أنهم مكلفون بها بالجملة، لٰكن لا على حد تكليف الإنس بها؛ لأنهم مخالفون للإنس بالحد والحقيقة، فبالضرورة يخالفونهم في بعض التكاليف.

قلت (القائل هو الطوفي): مثاله أن الجن قد أُعطي بعضهم قوة الطيران في الهواء؛ فبهٰذا يخاطب بقصد البيت الحرام للحج طائراً، والإنسان لعدم تلك القوة فيه لا يخاطب بذٰلك، فهٰذا في طرف زيادة تكليفهم على تكليف الإنس.

وأما من جهة نقص تكليفهم عن تكليف الإنس؛ فكل تكليف يتعلق بخصوص طبيعة الإنس ينتفي في حق الجن لعدم تلك الخصوصية فيهم.

والدليل على تكليف الجن بالفروع: الإجماع على أن النبي ﷺ أرسل بالقرآن الكريم إلى الجن والإنس، فجميع أوامره ونواهيه متوجّهة إلى الجنسين، وهي مشتملة على الأصول والفروع، نحو ﴿**آمنوا بالله**﴾، ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾.

وقد تضمن هٰذا الدليل: أن كفار الإنس مخاطبون بها، وكذٰلك كفار الجن لتوجه القرآن بجميع ما فيه إلى مؤمني الجنسين وكفارهم» اهـ.

قلت: أخرج الإمام أحمد في «المسند»(١ / ٢٧٨) **بإسناد حسن** عن ابن عباس: «أن رجلاً خرج فتبعه رجلان ورجل يتلوهما يقول: ارجعا. قال: فرجعا. قال: فقال له: إن هٰذين شيطانان، وإني لم أزل بهما حتى رددتهما، فإذا أتيت النبي ﷺ؛ فأقرئه السلام، وأعلمه أنّا في جمع صدقاتنا، ولو كانت تصلح له لأرسلنا بها إليه. قال: فنهى رسول الله ﷺ عند ذٰلك عن الخلوة».

قلت: قال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح... ومن الواضح أن الذي أمر الشيطانين بالرجوع كان من مؤمني الجن، ولذٰلك كانت صدقاتهم لا تصلح للناس؛ إذ لم تكن من مادتهم التي يرون، والتي يعرفون» اهـ.

ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، لٰكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهٰذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين»(١).

*** كفار الجن وفساقهم يستحقون النار:**

وكذٰلك لم يتنازعوا أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار(٢)، كما يدخلها من الآدميين(٣).

و «سئل رحمه الله عن قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن

= ففي هٰذا الحديث دليل على تكليف الجن بدفع الصدقات وجمعها ووضعها في موضعها من مستحقيها.

(١) انظر: «الفروع» (١ / ٦٠٤)؛ فقد نقل ابن مفلح عن شيخه ابن تيمية هٰذا القول ورضيه، ونقله عن «الفروع» العلامة السفاريني في «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٤) وأقره.

(٢) قال ابن عبدالبر: «الجن عند الجماعة مكلفون. وقال عبدالجبار: لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك؛ إلّا ما حكى زرقان عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وليسوا بمكلفين. قال: والدليل للجماعة ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهم من العذاب، وهٰذه الخصال لا تكون إلّا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن لا يفعل»، وانظر «فتح الباري» (٦ / ٣٤٤).

(٣) قال رحمه الله في «النبوات» (٣٩٦ ـ ٣٩٧): «وقد اتفق العلماء على أن كفارهم يدخلون النار، كما أخبر الله بذٰلك في قوله: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]».

﴿مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠]: ما المزيد؟ فأجاب: والصحيح أنها تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على سبيل الطلب؛ أي: هل من زيادة تزاد فيَّ، والمزيد: ما يزيده الله فيها من الجن والإنس؛ كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؛ حتى يضع رب العزة فيها قدمه»، ويروى: «عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط»[(١)]. . . » اهـ.

وقال: «ولا تمتلىء جهنم إلا من أتباع إبليس من الجِنَّة والناس؛ كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥]، ولهٰذا أثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وأنس: «إن الجَنَّة يبقى فيها فضل، فينشىء الله لها أقواماً في الآخرة، وأما النار؛ فإنه ينزوي بعضها إلى بعض حتى يضع عليها قدمه فتمتلىء بمن دخلها من أتباع إبليس»»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، رقم ٤٨٤٩، ٤٨٥٠)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، رقم ٢٨٤٦)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.
وما سبق من «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٤٦). وانظر: «الاختيارات الفقهية» (ص ٧٠).

(٢) حديث أبي هريرة مضى تخريجه قريباً.
وأما حديث أنس؛ فأخرجه البخاري في «صحيح» (كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، رقم ٤٨٤٨، وكتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، رقم ٦٦٦١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، رقم ٢٨٤٨).
وانظر «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٧٣٨).

وقال: «وكفار الجن يدخلون النار بنصوص وإجماع المسلمين»[1].

* مصير أهل الإيمان من الجان:

لٰكن تنازعوا في أهل الإيمان منهم؛ فذهب الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد إلى أنهم يدخلون الجنة[2]، وروي في حديث رواه الطبراني: «أنهم يكونون في

---

(١) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٥).

(٢) قال السخاوي في «الإيقاظ» (ص ٣٤ ـ ٣٦): «وأما دخول مؤمني الجن الجنة؛ فاختلف العلماء فيه، والجمهور على أنهم يدخلونها. زاد الحارث المحاسبي: ونراهم فيها ولا يَرُونا، عكس ما كانوا عليه في الدنيا.
ومن قال ذٰلك ابن عباس رضي الله عنهما؛ فأخرج أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٥ / ١٦٩٥) له من رواية الضحاك؛ قال: الخلق أربعة: فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم، وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم؛ فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم؛ فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار؛ فالإنس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب.
قال الدميري في «حياة الحيوان» (٢ / ٢٠٤): «وفيه شيء».
ثم اختلفوا: أيأكلون ويشربون؟ فأثبته الضحاك، ومنعه مجاهد وقال: إنهم يلهمون التقديس والتسبيح، فيجدون فيه ما يجده أهل الجنة من اللذات.
أخرجه الدنيوري في «المجالسة» (١٢١٢ـ بتحقيقي) بسندٍ ضعيف جداً، ونقله عنه الدميري في «حياة الحيوان» (١ / ٢٠٤)، والسخاوي في «الإيقاظ» (ص ٥٩).
وقيل: إنهم لا يدخلونها، بل يكونون في ربضها ـ يعني: حولها خارجاً عنها ـ، تراهم الإنس من حيث لا يرونهم.

= قال ليث بن أبي سُليم: وذٰلك لأن الله عز وجل أخرج أباهم من الجنة، فلا يعيده، ولا يعيد بنيه.

وإنما يتأتى هٰذا على القول بأن إبليس من الجان، وبه جزم الحسن؛ فقال: لم يكن من الملائكة، وإنما أمر بالسجود معهم، وهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس ففسق عن أمر ربه وخرج عن الطاعة. وفي بسط ذٰلك طول.

وقيل: إنهم على الأعراف؛ لحديث منكر جداً في «الكنجروذيات» عن أنس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب». فسألنا عن ثوابهم؟ فقال: «على الأعراف، وليسوا في الجنة». فقالوا: وما الأعراف؟ قال ﷺ: «حائط الجنة، تجري منه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والأثمار». وأسنده الديلمي في «مسنده» من نسخة أبي هدبة ـ أحد الكذابين ـ عن أنس.

وقيل: بالتوقف عن الجواب.

فهٰذه أربعة أقوال، لٰكن الأول أكثر وأشهر، وله أدلة».

قلت: وانظر في ذٰلك «فتح الباري» (٦ / ٣٤٦). وانظر: «الحاوي في فتاوى الغماري» (٣ / ٣٨ ـ ٣٩).

قال العلامة ابن مفلح في «الفروع» (١ / ٦٠٣): «الجن مكلفون في الجملة إجماعاً، يدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي، لا أنهم يصيرون تراباً كالبهائم وثوابهم النجاة من النار، خلافاً لأبي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما... قال: وظاهر الأول ـ أي: قول الإمام أحمد ومالك والشافعي ـ أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم، خلافاً لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها؛ كمجاهد، أو أنهم في ربض ـ أي: حول ـ الجنة؛ كعمر بن عبدالعزيز. قال ابن حامد في كتابه: الجن كالإنس في التكليف والعبادات».

وانظر «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٣).

ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم»[1].

[وقد احتج الجمهور بقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٥٦]، قالوا: فدل على تأتِّي الطمث منهم؛ لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة]»[2].

وذهب طائفة منهم أبو حنيفة فيما نقل عنه إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم، ويكون ثوابهم النجاة من النار[3].

*** ترجيح القول بدخول مؤمني الجن الجنة:**

[والأول أصح، وهو قول الأوزاعي وابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد، ونقل ذٰلك عن مالك والشافعي، وأحمد بن حنبل، وهو قول أصحابهم[4].

واحتج عليه الأوزاعي وغيره بقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢] بعد ذكره أهل الجنة وأهل النار من الجن والإنس؛ كما قال في سورة الأنعام وفي الأحقاف: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٩]، بعد ذكر أهل الجنة والنار، قال عبدالرحمٰن ابن زيد بن أسلم: «درجات أهل النار تذهب سفولاً، ودرجات أهل

---

(١) قيد ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٨٦) العزو إلى «المعجم الصغير» ولم أظفر به فيه، وكذا قال الشيخ الفريوائي في كتابه عن جهود ابن تيمية في الحديث (٢ / ٣٠٥)، بينما أهمله ولم يتكلم عليه كجك في «تخريج أحاديث مجموع الفتاوى».

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٨).

(٣) أخرجه عن أبي حنيفة ابن أبي الدنيا. قاله ابن حجر في «الفتح» (٦ / ٣٤٦)، ونقله عن أبي الزناد فيما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم.

(٤) صحح هٰذا القول أيضاً ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٠)، وأورد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه بترتيب الأسماء؛ إلا أنه قدّم ابن أبي ليلى على الأوزاعي ولم يعز هٰذا القول لأحد!!

الجنة تذهب صعوداً».

*** حال الجن كالإنس منهم المعاهد والمحارب والمسالم:**

فنبينا ﷺ هو مع الجن كما هو مع الإنس، والإنس معه إما مؤمن به، وإما مسلم له، وإما مسالم له، وإما خائف منه، كذلك الجن منهم المؤمن به، ومنهم المسلم له مع نفاق، ومنهم المعاهد المسالم لمؤمني الجن، ومنهم الحربي الخائف من المؤمنين]»(١).

وقال أيضاً: «وأما مؤمنهم؛ ففيهم قولان، وأكثر العلماء على أنهم يثابون أيضاً ويدخلون الجنة، وقد روي أنهم يكونون في ربضها يراهم الإنس من حيث لا يرون الإنس، عكس الحال في الدنيا، وهو حديث رواه الطبراني في «معجمه الصغير» يحتاج النظر في إسناده.

*** حجة من قال بدخول مؤمني الجن الجنة:**

وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف(٢) على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢، والأحقاف: ١٩]، وقد ذكر الجن والإنس الأبرار والفجار في الأحقاف والأنعام، واحتج الأوزاعي وغيره بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾

---

(١) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٣٩٧).

(٢) نقل ذلك الحافظ في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٦) وعزاه لـ «تفسير ابن أبي حاتم»، وليس في المطبوع منه.
وانظر: «حاشية الرهوني على شرح الزرقاني» (٢ / ٨٨)، و «حاشية المدني على كنون» (بهامش حاشية الرهوني).

[الرحمٰن: ٥٦]، وقد قال تعالى في الأحقاف: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۞ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ [الأحقاف: ١٨ - ١٩]، وقد تقدم قبل هٰذا ذكر أهل الجنة، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأحقاف: ١٦]، ثم قال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

قال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم: «درجات أهل الجنة تذهب علواً، ودرجات أهل النار تذهب سفلاً»، وقد قال تعالى عن قول الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ [الجن: ١١]، وقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ۞ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: ١٤ ـ ١٥]؛ ففيهم الكفار والفساق والعصاة، وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الإنس.

*** كل نوع من الجن يميل إلى نظيره من الإنس:**

وكل نوع من الجن يميل إلى نظيره من الإنس؛ فاليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، والمسلمون مع المسلمين، والفساق مع الفساق، وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع»[١] اهـ.

*** هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟**

على قولين:

---

(١) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٥ ـ ٦٦).

فقيل: فيهم رسل[1]؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

---

(١) وهٰذا قول الضحاك أخرجه عنه ابن جرير في «تفسيره» (٨ / ٣٦): «أنه سئل عن الجن: هل كان منهم من نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] يعني بذٰلك أن رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن؟ فقالوا: بلى، وهو قول أبي محمد بن حزم؛ فقد قال: لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس ألبتة قبل محمد ﷺ؛ لأنه ليس الجن من قوم الإنس، وقد قال النبي ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة». قال: وباليقين ندري أنهم قد أنذروا، وأفصح أنه كان لهم أنبياء منهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾» اهـ.

وقال السيوطي في «لقط المرجان» (ص ٣٩): «جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي، كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد».

قال السبكي: «ولا شك أن الجن مكلفون من الأمم الماضية كما هم مكلفون في هٰذه الملة، والتكليف إنما يكون بسماعهم من رسول الله أو من صدق عنه، أما كون ذٰلك إنسياً أو جنياً؛ فلم يرد فيه دليل قاطع، وظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك، والأكثرون على خلافه، وتحقيق ذٰلك مما لا فائدة فيه، ولا يترتب عليه خير، غير أننا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الإنس بقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وظاهر هٰذا أنهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى، والظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأتمرون في الشرائع بقوله، وهو من أنبياء بني إسرائيل».

وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٨٦ ـ ٨٧)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٨٩).

وانظر في المسألة: «البيان والتحصيل» (١٨ / ٥٣١ ـ ٥٣٢)، و «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٤)، و «لقط المرجان» (ص ٣٩ - ٤١).

وقيل: الرسل من الإنس، والجن فيهم النذر[1]، [والأكثرون على أنه لا رسل فيهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وعن الحسن البصري؛ قال: «لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء». ذكره عنه طائفة؛ منهم: البغوي، وابن الجوزي، وقال قتادة: «ما نعلم أن الله أرسل رسولاً قط إلا من أهل القرى؛ لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمور». رواه ابن أبي حاتم، وذكره طائفة][2]، وهٰذا أشهر[3]؛ فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد ﷺ، وأنهم ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ . . .﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠] الآية، قالوا: وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢]، وإنما يخرج من المالح[4]، وكقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا

---

(١) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢ / ٣٢٣)، و«معالم التنزيل» (٢ / ١٨٤)، «معاني القرآن» (٢ / ٣٢١)، «جامع البيان» (٨ / ٢٧)، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢ / ١٧٧).

(٢) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٣٩٦).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٤) انظر قول الإمام ابن قاضي الجبل في: «تحقيق البرهان» الملحق بهٰذا الكتاب (ص ٦٥٤)، وقول ابن مفلح في: «الفروع» (١ / ٦٠٣)، والسفاريني في «لوامع الأنوار» (٢ / ٢٢٣). وانظر: «آكام المرجان» (ص ٤٩)، و«حاشية الرهوني على شرح الزرقاني» (٢ / ٩٠)، و«حاشية المدني على كنون» (بهامش حاشية الرهوني، ٢ / ٩٠).

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] والقمر في واحدة.

* الدليل على أن الجن مكلفون:

وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم؛ فدلائله[١]

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «طريق الهجرتين» (ص ٣٩٠ ـ ٣٩١) عند قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟... ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٢].

فهٰذا يدل على تكليف الجن من وجوه متعددة:

(أحدها): أن الله سبحانه وتعالى صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

(الثاني): أنهم ولوا إلى قومهم منذرين، والإنذار هو الإعلام للخوف بعد انعقاد أسبابه؛ فعُلِمَ أنهم مُنذِرون لهم بالنار إن عصوا الرسول.

الثالث: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وأنه يهدي إلى الحق، وهٰذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له، وأنه هاد إلى صراط مستقيم، وهٰذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة.

الرابع: أنهم قالوا لقومهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وهٰذا صريح في أنهم مكلفون مأمورون بإجابة الرسول وهي تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر.

الخامس: أنهم قالوا: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، والذنب: مخالفة الأمر.

السادس: أنهم قالوا: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهٰذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله لم يجره من العذاب الأليم، وهٰذا صريح في تعلق الشريعة الإسلامية بهم.

السابع: أنهم قالوا: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ﴾ =

كثيرة، مثل ما في «مسلم» عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فانطلقوا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون، وكل بعرة علف لدوابكم. فقال النبي ﷺ: «لا تستنجوا بالعظم والروث»[1]، وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم وعلفهم، وهذا يبين أنما أباح لهم من ذلك ما ذكر اسم الله عليه دون ما لم يذكر اسم الله عليه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]؛ فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله، والعقوبة إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور، وليس هو هنا التصديق.

*** معصية إبليس لم تكن تكذيباً:**

وأيضاً؛ فإبليس الذي هو أبو الجن لم تكن معصيته تكذيباً؛ فإن الله أمره بالسجود وقد علم أن الله أمره، ولم يكن بينه وبين الله رسول يكذبه، ولما امتنع عن السجود لآدم عاقبه الله العقوبة البليغة، ولهذا قال النبي ﷺ: «إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان

= أَوْلِيَآءُ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن إجابة داعي الله منهم، وقد استدل بها على أنهم كانوا متعبدين بشريعة موسى كما هم متعبدون بشريعة محمد، وهذا ممكن، والآية لا تستلزمه».

وانظر غير مأمور: «بدائع الفوائد» له (٢ / ١٦ ـ ١٧).

(١) سبق تخريجه (ص ٥١، ص ١٣٧).

يبكي . . . »[1] الحديث.

وقد قال تعالى في قصة سليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ . . .﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وقد جعل في ذٰلك ما أمرهم به من طاعة سليمان، وقد قال تعالى عن إبليس: إنه عصى ولم يقل كذَّب، وقد قال تعالى عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ . . .﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١] الآية؛ فأمروا بإجابة داعي الله الذي هو الرسول، والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . . .﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأيضاً؛ فقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]؛ فبين أن الثقلين جميعاً تلت عليهم الرسل آيات الله، ولهٰذا لما قرأ رسول الله ﷺ سورة على الصحابة؛ قال: «للجن كانوا . . .» الحديث[2]، دعاهم إلى طاعة الله لما فيه من الأمر والنهي، لا إلى مجرد حديث لا طاعة معه؛ فإن مثل هٰذا التصديق كان مع إبليس؛ فلم يغن عنه من الله شيئاً.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم ٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٦).

* الجن يحجون ويصلون ويجاهدون:

والدلائل الدالة على هٰذا الأصل وما في الحديث والآثار من كون الجن يحجون ويصلون ويجاهدون وأنهم يعاقبون على الذنب كثيرة جداً.

* الجن أصحاب مذاهب شتى:

وقد قال فيما أخبر عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]؛ قالوا: مذاهب شتى: مسلمين، ويهود، ونصارى، وشيعة، وسنة[١]؛ فأخبر أن منهم الصالحون، ومنهم دون الصالحين، فيكون إما مطيعاً في ذٰلك فيكون مؤمناً، وإما عاصياً في ذٰلك فيكون كافراً[٢]، ولا ينقسم مؤمن إلى صالح وإلى غير

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٨٨)، وأحمد في «الناسخ والمنسوخ» ـ كما في «آكام المرجان» ـ؛ عن السّدّيّ رحمه الله أنه قال: «الجن أهواء مثلكم: شيعة، ورافضة، ومرجئة، وقدرية».
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ٢٧٤)، وعزاه لأبي الشيخ في «العظمة».
وانظر «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٠) لابن حجر الهيتمي.

(٢) جاء في «البيان والتحصيل» (١٨ / ٥٣١): «قال أصبغ: وسمعت ابن القاسم يقول: للجن الثواب والعقاب. وتلا قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤- ١٥]».
قال محمد بن رشد معلقاً على قول ابن القاسم: «استدلال ابن القاسم على ما ذكره من أن للجن الثواب والعقاب بما تلاه من قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا =

صالح، فإن غير الصالح لا يعتقد صلاحه لترك الطاعات؛ فالصالح هو القائم بما وجب عليه، ودون الصالح لا بد أن يكون عاصياً في بعض ما أمر به، وهو قسم غير الكافر، فإن الكافر لا يوصف بمثل ذٰلك، وهٰذا يبين أن فيهم من يترك بعض الواجبات، والله أعلم»[1].

*** مؤمنو الجن يقتلون السَّابَّ للنبي ﷺ من كفارهم:**

«وقد ذكروا أن الجن الذين آمنوا به كانت تقصد من يَسُبَّه من الجن الكفار فتقتله قبل الهجرة وقبل الإذن في القتال له وللإنس، فيقرها على ذٰلك، ويشكر ذٰلك لها.

قال سعيد بن يحيى الأموي في «مغازيه»: حدثني محمد بن سعيد ـ يعني: عمه ـ: قال محمد بن المُنْكَدِر أنه ذكر له عن ابن عباس أنه قال: «هتف هاتف من الجن على جبل أبي قبيس[2]، فقال:

= ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ استدلالٌ صحيح بيِّن لا إشكال فيه، بل هو نص جلي في ذٰلك، والقاسطون في هٰذه الآية هم الجائرون عن الهدى والمشركون، بدليل قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾؛ ففي الجن مسلمون ويهود ونصارى ومجوسٍ وعبدة أوثان. قاله بعض أهل التفسير في تفسير قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾؛ قال: يريد المؤمنين، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ قال: يريد غير المؤمنين. وقوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: مختلفين في الكفر: يهود، ونصارى، ومجوس، وعبدة أوثان».

(١) «قاعدة عظيمة» (١٥٥)، و «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٣٣ ـ ٢٣٧) باختصارٍ. وانظر: «التفسير الكبير» (٦ / ١٦٦)، و «منهاج السنة النبوية» (٨ / ١٠٩).

(٢) هو جبل معروف بمكة مشرف على المسجد الحرام. وانظر: «معجم البلدان» للحموي (٤ / ٣٠٨).

قَبَّــحَ اللـــهُ رَأْيَكُـــمْ آلَ فِهْـــرٍ ... مــا أدَقَّ العُقــولَ والأحــلام

حينَ تُغْضي لمنْ يَعيْبُ عليها ... ديــنَ آبــائِهــا الحُمــاةِ الكِــرامِ

حالَفَ الجِنّ جِنَّ بُصرى عليكُمْ ... ورِجــال النَّخيْــلِ والآطــامِ[1]

تــوشِــكُ الخَيْــلُ تَــرَوهــا نهــاراً ... تقتــلُ القــوم فــي حــرامِ تِهــامِ

هلْ كَريمٌ منكُمْ لهُ نَفْسُ حُرٍّ ... مــاجِــدُ الجَــدَّتيــنِ والأعمــامِ

ضــاربــاً ضَــرْبَــةً تكــونُ نكــالاً ... ورَوَاحــاً مِــنْ كُــرْبَــةٍ واغتِنــامِ

قال ابن عباس: فأصبح هٰذا الشعر حديثاً لأهل مكة، يتناشدوه بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «هٰذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له: مسعر، والله مخزيه». فمكثوا ثلاثة أيام؛ فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول:

نحــنُ قَتَلْنــا فــي ثــلاثٍ مسعــرا ... إذ سفَّــه الحــقَّ وسَــنَّ المُنكــرا

قَنَّعْتُــهُ سيفــاً حُســامــاً مُبتــرا ... بشَتْمِـــهِ نَبِيِّنـــا المُطَهَّـــرا

فقال رسول الله ﷺ: «هٰذا عفريت من الجن اسمه سَمْحَج، آمن بي، سميته عبدالله، أخبرني أنه في طلبه منذ ثلاثة أيام». فقال علي: جزاه الله خيراً يا رسول الله»[2].

---

(١) هي الأبنية المرتفعة كالحصون وغيرها. انظر: «اللسان» (١ / ٩٣).

(٢) إسناده ضعيف، وهو منقطع، والأموي ضعيف. وقد أخرج تسمية النبي ﷺ إياه عبدالله ضمن قصة طويلة: الطبراني في «الكبير» وهو في القسم الناقص منه، وعزاه له ابن حجر في «الإصابة» (٢ / ٧٨)، وعنه أبو سعيد النقاش في «فنون العجائب» (رقم ٩٢ ـ بتحقيقي)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (رقم =

* **الجن الصالح يصرع من يقول بخلق القرآن:**

بل قد حدث ما هو أدهش من ذٰلك؛ فقد قال أبو قاسم [القشيري]: «سمعت محمد بن الحسين، سمعت محمد بن علي الحافظ، سمعت أبا معاذ القزويني، سمعت أبا علي الدلال، سمعت أبا عبدالله بن قهرمان، سمعت إبراهيم الخواص يقول: انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان، فجعلت أؤذن في أذنه، فناداني الشيطان من جوفه: دعني أقتله، فإنه يقول: القرآن مخلوق»(١).

قلت [القائل: ابن تيمية]: هٰذه الحكاية موافقة لأصول السنة، وقد ذكروا نحوها حكايات، واعترض في ذٰلك الغزالي وغيره بأن هٰذا استدلال بكلام الشياطين في أصول الدين، وذكر عن الإمام أحمد في

= ٦٩٦) و «جزء من حديثه» (رقم ١٤٧ ـ بتحقيقي)، والشيرازي في «الألقاب»، والدارقطني في «الأفراد»؛ كما في «الإصابة» (٢ / ٧٨)؛ عن عبدالله بن الحسين المصيصي، حدثتني مَنوس الجنِّيَّة به. . . وفيه قصة طويلة.

وإسناده واهٍ جداً.

فيه عبدالله بن الحسين المصيصي، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٤٦): «يقلب الأخبار ويسرقها، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد»، وقال ابن حجر في «اللسان» (٦ / ١٠٣): «أحد المتروكين».

ومَنوس امرأة لا تعرف؛ كما في «اللسان» (٦ / ١٠٣) أيضاً.

قال ابن كثير في «الفصول في اختصار سيرة رسول الله ﷺ» عنه (ص ٢٤٧): «وقد روينا في «الغيلانيات» خبراً من حديث رجل منهم يقال له عبدالله بن سمحج. وفي إسناده غرابة».

وانظر: «الصارم المسلول» (٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩٢).

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١ / ٤١ ـ ٤٢).

ذٰلك حكاية باطلة ذكرها في «المنخول»؛ فقال: «رُبَّ رجل يعتقد الشيء دليلاً وليس بدليل كما يذكر».

وجواب هٰذا أن الجن فيهم المؤمن والكافر، كما دلَّ على ذٰلك القرآن، ويعرف ذٰلك بحال المصروع، ويعرف بأسباب قد يقضي بها أهل المعرفة، فإذا عرف أن الجني من أهل الإيمان كان هٰذا مثل ما قصه الله في القرآن من إيمان الجن بالقرآن، وكما في السيرة من أخبار الهواتف.

وإبراهيم الخوَّاص من أكبر الرجال الذين لهم خوارق؛ فله علمه بأن هٰذا الجني من المؤمنين لما ذكر هٰذه الحكاية على سبيل الذم لمن يقول بخلق القرآن»[1].

* * *

(١) «الاستقامة» (١ / ١٩٦ ـ ١٩٧).
وما بين المعقوفتين من إضافتي.

الفصل الثالث

تعرض الشيطان للإنسان

* أولاً : تعرض الشياطين للأنبياء والمرسلين .

ـ الشيطان وقصته مع آدم عليه السلام ، تعرض الشيطان لموسى عليه السلام ، تصور الشيطان بصورة الخضر وتلبيسه على الجهال .

ـ لعب الشيطان باليهود .

ـ نبأ الجن مع سليمان عليه السلام .

ـ استغلال الشياطين قصة سليمان في تضليل من بعده .

ـ تعرض الشيطان للمسيح عليه السلام .

ـ الشيطان ولعبه بالنصارى .

ـ تعرض الشيطان للنبي محمد ﷺ .

* ثانياً : تعرض الشيطان لبني الإنسان من غير الأنبياء .

ـ استمتاع الإنس بالجن والعكس .

ـ حكم استخدام الجن من قبل الإنس .

ـ اسم «الكاهن» ليس مذموماً عن أهل الكتاب .

ـ العرّاف اسم عام للكاهن والمنجم والرّمال .

ـ وسوسة الشيطان للإنسان وإمكان رؤيته .

ـ مبدأ الشر من الوسوسة .

ــ الوسوسة نوعان : إنسية وشيطانية .

ــ لم يستعذ المستعيذون بمثل المعوذتين .

ــ معنى الوسوسة وفي مٰا تكون .

ــ أنواع الوسوسة .

ــ سبب كثرة الوسوسة .

ــ بغض الوسواس وكرهه من علامة الإيمان وسبب ذٰلك .

ــ وسوسة الشيطان للمصلي في صلاته وتلاعبه به .

ــ الشيطان يلقي الوساوس ويلهم الشر .

ــ الفرق بين الإلهام والوسوسة .

ــ الفرق بين وسوسة النفس والشيطان .

ــ حقيقة الوسوسة والعلاقة بينها وبين الوحي .

ــ بيان أنواع ما يلقي في القلب من الوسواس .

ــ الشيطان وإيقاعه بني الإنسان في الشرك والحرام .

ــ الاستغاثة وسؤال غير الله عز وجل .

ــ لعب الشيطان بالسحرة وأصحاب العزائم .

ــ سخرية الجن ممن يتعاملون معهم .

ــ تمثيل الجن لقرنائهم الأمور الغائبة .

ــ التقرب إلى الجن بالمطعومات .

ــ سؤال القبور من باب عبادة الشيطان وهي في حقيقتها عبادة الشيطان .

ــ طلب الشياطين السجود وفعل الفواحش ممن يعاملونهم .

ــ السحر من الخوارق الشيطانية .

ــ من مكايد الشيطان الإفتاء في الدين بغير علم .

الفصل الثالث

تعرض الشيطان للإنسان

* الشيطان وقصته مع آدم عليه السلام(١):

---

(١) قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتاب «الغيث المسجم» (٢ / ٢٤ ـ ٢٥):
«سألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبع مئة وثمانية عشر أو سنة سبع مئة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠]؛ فأجاب بما قاله المفسرون في الجواب، وهو آدم وحواء، وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل، وقال: أخاف من هٰذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك، وما يدريك لعله يكون بهيمةً أو كلباً. فلم تزل في همٍّ حتى أتاها ثانياً وقال: سألت الله أن يجعله بشراً سوياً، وإن كان كذٰلك؛ فسميه «عبد الحارث»، وكان اسم إبليس في الملائكة «الحارث»؛ فذٰلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾. وهٰذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقلت له: هٰذا فاسد من وجوه:
الأول: أنه تعالى قال في الآية الثانية: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ فهٰذا دليل على أن القصة في حق جماعة.
الثاني: أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر.

= **الثالث**: أن الله تعالى علَّمَ آدم الأسماء كلَّها؛ فلا بد وأنه كان يعلم أن الحارث اسمٌ لإبليس.

الرابع: أنه تعالى قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وهٰذا يدل على أن المراد به الأصنام؛ لأن «ما» لما لا يعقل، ولو كان إبليس؛ لقال: «من» هي التي لمن يعقل.

فقال الشيخ تقي الدين: «قد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهٰذا قضي؛ لأنه سمى أولاده الأربعة: عبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد الدار، والضمير في يشركون له ولأعقابه الذين يسمون أولادهم بهٰذه الأسماء وأمثالها.

قلت: وهٰذا أيضاً فاسد؛ لأنه تعالى قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وليس كذٰلك إلاَّ آدم؛ لأن الله تعالى خلق حوَّاء من ضلعه.

فقال [أي: ابن تيمية]: المراد بهٰذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية؛ فما رأيت التطويل معه» اهـ.

قلت: قال ابن كثير في «تفسيره»: «يذكر المفسرون آثار وأحاديث هي ـ والله أعلم ـ من آثار أهل الكتاب...».

ثم قال: «أمّا نحن؛ فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هٰذا، وأنه ليس المراد من هٰذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذٰلك المشركون من ذريته»، وعلق عليه شيخنا محمد نسيب الرفاعي بقوله: «ونحن نؤيد هٰذا القول لأن آدم نبيٌّ معصوم، ويستحيل أن يشرك بالله».

قلت: ونحن نقول بما قالوا رحمهم الله، ولا سيما أن المرفوع في ذٰلك لا يثبت، وهو:

ما أخرجه أحمد في «المسند» (٥ / ١١)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٠٧٧)، والروياني في «مسنده» (رقم ٨١٦)، والبزار في «مسنده» (ق ٢٥٤ ـ الكتانية)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (رقم ١٤٦٢، ١٤٦٦)، وابن جرير في=

الشيطان قد عرض للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومع ذٰلك لم يقدح هٰذا في نبوتهم شيئاً؛ فـ «قد قال موسى لما قتل القبطي: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ...﴾ [القصص: ١٥]، وذكر الله في قصته آدم وحواء: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ

= «التاريخ» (١ / ١٤٨) و «التفسير» (١٣ / رقم ١٥٥١٣)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٦٨٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥ / ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٥٤٥)؛ جميعهم عن عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «لما حملت حواء طاف إبليس بها، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه (عبد الحارث)، فسمَّته (عبد الحارث)، فعاش ذٰلك وكان ذٰلك من وحي الشيطان وأمره».

قال الترمذي: «حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً؛ إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ولم يرفعه».

قلت: أخرجه ابن عدي (٣ / ٢٩٨) من طريق سليمان الشاذكوني، حدثنا غندر، عن شعبة، عن قتادة، به مرفوعاً.

والشاذكوني متَّهم؛ فهٰذه الطريق عدم، ولذا قال ابن عدي عنه: «هٰذا من حديث شعبة عن قتادة منكر، لا أعرفه إلا من حديث الشاذكوني عن غندر عنه، وإنما يروي هٰذا الحديث عن قتادة عمر بن إبراهيم».

وقال عقب الموطن الأول: «وهٰذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر بن إبراهيم».

ورواية عمر بن إبراهيم عن قتادة فيها ضعف؛ فالإسناد ضعيف.

وانظر في نكارة القصة تعليق العلامة الأستاذ محمود شاكر رحمه الله على «تفسير ابن جرير» (١٣ / ٣٠٩ _ ٣١٠).

تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠ ـ ٢١]»[١].

«وهٰذا كلام مَنْ يُعْرَفُ قائله[٢]، ليس شيئاً يلقى في القلب لا يدرى ممَنْ هو، وإبليس قد أمر بالسجود لآدم؛ فأبى واستكبر، فلم يكن ممن لا يعرفه آدم، وهو ونسلُه يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، وأما آدم؛ فقد رآه، وقد يرى الشياطين والجنَّ كثيرٌ من الإنس، لٰكن لهم من الاجتنان والاستتار ما ليس للإنس»[٣].

«ولهٰذا كان البلاء العظيم من الشيطان، لا من مجرد النفس؛ فإن الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها، ويذكر لها ما فيها من المحاسن التي هي منافع لا مضار؛ كما فعل إبليس بآدم وحواء؛ فقال:

﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢٠ ـ ١٢١].

وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]»[٤].

«وآدم عليه السلام أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) يعني: كلام إبليس لآدم وزوجه وقسمه لهما.

(٣) «التفسير الكبير» (٧ / ٥٦٨)، و«مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٠٩).

(٤) «التفسير الكبير» (٣ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]»(١).

* ظلم آدم هو الظن بصدق إبليس:

وذنب آدم عليه السلام هو أنه «ظن صدق الشيطان الذي ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ - ٢٢]؛ فالشيطان غرهما وأظهر نصحهما، فكانا في قبول غروره وما أظهر من نصحه حالهما مناسباً لقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] لما حصل من التفريط، لا لأجل هوى وحظ يزاحم الإلٰهية، وكانا محتاجيْن إلى أن يُربِّهما ربوبيّة تكمِّل علمَهما وقصدَهما، حتى لا يغترا بمثل ذٰلك؛ فهما يشهدان حاجتهما إلى الله ربهما الذي لا يقضي حاجتهما غيره»(٢).

* تعرض الشيطان لموسى عليه السلام:

عرض إبليس ـ لعنه الله ـ لموسى عليه السلام حين دخل المدينة، ووجد فيها رجليْن يقتتلان: أحدهما من أتباعه وشيعته، والآخر من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى، فقضى عليه، فكانت هٰذه الفعلة والقتلة من الشيطان؛ فـ «قد قال موسى لما قتل القبطي: ﴿هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ

---

(١) «الجواب الصحيح» (٣ / ٤٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٨٧).

وانظر: «الجواب الصحيح» (٥ / ٣٢٣)؛ فقد أشار هناك إلى قصة إبليس مع آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض.

﴿مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]»[١].

كما أن الشيطان أيضاً عرض له حين سار هو وفتاه في طلب الخضر عند مجمع البحرين، فأنسى فتاهُ الحوتَ؛ قال شيخ الإسلام: «وقال فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]»[٢].

*** تصور الشيطان بصورة الخضر والدليل على موته:**

قال رحمه الله: «وكذٰلك الذين يرون الخضر ـ أحياناً ـ هو جني رآه، وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال: إنني الخضر. وكان ذٰلك جنياً لبس على المسلمين الذين رأوه، وإلا؛ فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات، ولو كان حيّاً على عهد رسول الله ﷺ؛ لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه؛ فإن الله فرض على كل نبي أدرك محمداً ولو كان من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: إن بُعِثَ محمدٌ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

الميثاق على أمته: لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه»[1].

*** لم ير الخضر أحد من الصحابة:**

ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر[2]، ولا أنه أتى إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣ / ٣٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣٧٠ ـ آل عمران)، وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٢ / ٤٧) ـ.

(٢) أخرج الدينوري في «المجالسة» (١٠٢ ـ بتحقيقي) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦ / ٤٢٦ ـ ط دار الفكر)، وابن العديم في «بغية الطلب» (٧ / ٣٣٠٢ ـ ٣٣٠٣) ـ: حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، نا مالك بن إسماعيل، نا صالح بن أبي الأسود أخو منصور بن أبي الأسود، عن محفوظ بن عبدالله الحضرمي، عن محمد بن يحيى؛ قال: «بينما علي بن أبي طالب رضي الله عنه يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: يا مَنْ لا يشغله سَمْعٌ عن سَمْعٍ! ويا مَنْ لا يغلطه السائلون! يا مَنْ لا يتبرَّم بإلحاح الملحِّين! أذقني بردَ عفوك وحلاوةَ رحمتك. قال: فقال [له] علي رضي الله عنه: يا عبدالله! دعاؤك هٰذا؟ قال: وقد سمعته؟ قال: نعم. قال: فادع الله به دُبر كلِّ صلاةٍ؛ فوالذي نفس الخضر بيده؛ لو كان عليك من الذُّنوب عددُ نجوم السَّماء ومطرها وحَصْباء الأرض وترابها؛ لغفر لك أسرع من طرفة عين».

وإسناده واهٍ جدّاً.

صالح بن أبي الأسود الكوفي الخياط واهٍ؛ كما في «الميزان» (٢ / ٢٨٨)، وقال ابن عدي في «الكامل» (٤ / ١٣٨٤): «أحاديثه ليست بالمستقيمة»، وقال (٤ / ١٣٨٥): «وفي أحاديثه بعض النكرة، وليس هو بذٰلك المعروف». وانظر: «اللسان» (٣ / ١٦٦)، و «المغني» (١ / ٣٠٢).

ومحمد بن يحيى لعله ابن رزين المصيصي، وهو دجال يضع الحديث؛ كما في «الميزان» (٤ / ٦٣)، وكُذِب على علي ما لم يكذب على أحدٍ من الخَلْق، وحصر الكذابين عليه بتعداد مفردات أسمائهم أمر شاق، ويكاد يكون =

= مستحيلاً!! ولم يورد المزي في «تهذيب الكمال» (٢٠ / ٤٧٣ ـ ٤٧٩) ضمن الرواة عنه من يتسمى بهٰذا الاسم.

ومحفوظ بن عبدالله الحضرمي مترجم في «التاريخ الكبير» (٨ / ٥٨) و «ثقات ابن حبان» (٧ / ٥٢٠)، وأوردوا عنه ثلاثة من الرواة ليس من بينهم صالح، ولٰكن سموا أباه (علقمة)، وإن لم يكن هو؛ فمجهول.

وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢ / ٢٧٩ / رقم ١٥٢٤): حدثنا محمد بن إسماعيل ـ وهو أبو إسماعيل الترمذي ـ، به، وفيه: «عن محفوظ بن عبدالله ـ شيخ من حضرموت ـ، عن محمد بن يحيى، به».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (رقم ٦٢): حدثنا أبو إسحاق يعقوب بن يوسف مولى بني أسد، عن مالك بن إسماعيل، به.

ولٰكنه جعل بين محفوظ ومحمد بن يحيى: «شيخ من حضرموت»، وأخشى أن تكون هٰذه العبارة وصفاً لمحفوظ كما عند الفاكهي، و «عن» قبلها من زيادة المحقق، والإسناد واهٍ على أي حال.

ثم وجدتها «عن شيخ» من طريق ابن أبي الدنيا في «الإصابة» (١ / ٤٤٥)، وقال عقبها: «وأخرجه الدينوري في «المجالسة» من هٰذا الوجه»!!

وعزاه الدميري في «حياة الحيوان» (١ / ٢٧٢) لابن أبي الدنيا في «الهواتف».

وقال ابن حجر في «الإصابة» (١ / ٢٤٥): «وقد روى أحمد بن حرب النيسابوري... عن يزيد بن الأصم، عن علي بن أبي طالب... فذكر نحوه».

وقال: «ورواه محمد بن معاذ الهروي عن أبي عبيد المخزومي عن عبدالله بن الوليد عن محمد بن حميد عن سفيان الثوري نحوه».

وطريق يزيد بن الأصم أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤ / ١١٨)، والتيمي في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٥١٤ ـ ٥١٥ / رقم ١٢٤١ ـ ط زغلول)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦، ٤٢٦)، وابن العديم في «بغية الطلب» (٧ / ٣٣٠٢ ـ ٣٣٠٣)، وابن الجوزي في

النبي ﷺ؛ فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدراً من أن يلتبس الشيطان عليهم[(١)]، ولٰكن لَبَّس على كثير من بعدهم؛ فصار يتمثل لأحدهم في صورة النبي[(٢)] ويقول: أنا الخضر. وإنما هو شيطان»[(٣)].

«فإن خضر موسى مات كما بين في غير هٰذا الموضع، والخضر الذي يأتي كثيراً من الناس إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي

= «الموضوعات» (١ / ١٩٨) و «مثير العزم الساكن» (٢ / ١٤ ـ ١٥ / رقم ٢٦٥).

ومدارها عن مجاهيل ووضاعين. وانظر: «اللآلىء المصنوعة» (١ / ١٦٨).

وهٰذه الطرق فيها أن الرجل الذي التقاه عليّ رضي الله عنه هو الخضر!!

والخبر أورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢ / ٣٠٩ ـ ط دار الكتب العلمية): عن محمد بن بشر العبدي؛ قال: حدثنا بعض أشياخنا قال: «اعتمر عليّ. . .» وذكر نحوه. وهو في: «ربيع الأبرار» (٢ / ٢٢٧) بنحوه.

وقال ابن حجر في «الفتح» (٦ / ٤٣٥): «وروي عن علي أنه دخل الطواف، فسمع رجلاً يقول. . . (الحديث)؛ فإذا هو الخضر. أخرجه ابن عساكر من وجهين، في كلٍّ منهما ضعف، وهو في «المجالسة» من الوجه الثاني، وجاء في اجتماعه ـ أي: الخضر ـ ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار، أكثرها واهي الإسناد»، وساق بعضاً منها.

وانظر لزاماً: «الفوائد الحديثية» (ص ٨١ ـ ٨٨) لابن القيم وتعليقي عليه.

(١) قال ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢ / ٣٢٥ ـ ط دار الكتب العلمية): حدثني محمد بن داود؛ قال: حدثنا أبو الربيع الزّهرانيّ؛ قال: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن إبراهيم في الرجل يرى الضوء بالليل؛ قال: «**هو من الشيطان، لو كان هٰذا فضلاً لأوثر به أهل بدر**».

(٢) كذا في المطبوع، ولعله: «في صورة الخضر»؛ فتأمل.

(٣) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٦٦ ـ ٦٧).

كذاب، ولا يجوز أن يكون ملكاً مع قوله: «أنا الخضر»؛ فإن الملك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي، وأنا أعرف ممن أتاه الخضر وكان جنياً مما يطول ذكره في هٰذا الموضع»[1].

«وكثير من الناس من رأى من قال: «إني أنا الخضر»، وإنما كان جنياً، ثم صار من الناس من يكذب بهٰذه الحكايات؛ إنكاراً لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكل من الطائفتين مخطىء؛ فإن الذين رأوا من قال: «إني أنا الخضر» هم كثيرون صادقون، والحكايات متواترات، لٰكن أخطأوا في ظنهم أنه الخضر، وإنما كان جنياً، ولهٰذا يجري مثل هٰذا لليهود والنصارى؛ فكثيراً ما يأتيهم في كنائسهم من يقول إنه الخضر، وفي ذٰلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هٰذا الموضع، يبين صدق من رأى شخصاً وظن أنه الخضر، وأنه غلط في ظنه أنه الخضر، وإنما كان جنياً[2]، وقد يقول: أنا المسيح أو موسى أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان؛ فكل هٰذا قد وقع، والنبي ﷺ يقول: «من رآني في المنام؛ فقد رآني حقّاً؛ فإن الشيطان لا يتمثل في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١ / ٢٤٩).
وانظرها: (١٣ / ٢١٦)، و «منهاج السنة النبوية» (٤ / ٩٤ و٨ / ٢٦٢)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦١)، و «فوائد حديثية» (٨٣ ـ بتحقيقي) لابن القيم. وما سيأتي.

(٢) للشيخ الشعراني الصوفي كتاب اسمه «الميزان الخضرية» قال فيه أنه تقابل مع الخضر وسأله عن اختلاف المذاهب، فأجابه الخضر، فكتب جوابه في الكتاب المذكور!!

صورتي»[1].

قال ابن عباس: في صورته التي كان عليها في حياته.

وهٰذه رؤيا في المنام، وأما في اليقظة؛ فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة؛ فمن جهله أُتي»[2].

*** حكم من اعتقد أن أحد أولياء الله يكون مع النبي ﷺ كالخضر مع موسى عليهما السلام:**

«من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام؛ فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا؛ ضربت عنقه؛ لأن الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام، ولا كان يجب عليه طاعته، بل قال له: «إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه»[3]، وكان مبعوثاً إلى بني إسرائيل؛ كما قال نبينا ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم ١١٠)، ومسلم في «مقدمة صحيحه» (باب التغليظ في الكذب على رسول الله ﷺ، رقم ٣)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.
وانظر: «فتاوى ابن رشد» (١ / ٦١١ ـ ٦١٢)، و «الاعتصام» للشاطبي (١ / ٣٣٥ ـ ط دار ابن عفان).

(٢) «التفسير الكبير» (٤ / ٢٧٣).
وانظر غير مأمور بسطي للرد على الزاعمين أنهم يرون النبي ﷺ يقظة في كتابي: «قصص لا تثبت» (٣ / ١٩٨ وما بعد).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ١٢٢، ٣٢٧٨، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧، ٦٦٧٢)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٣٨٠)؛ عن ابن عباس.

قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[1]»[2].

*** لعب الشيطان باليهود[3]:**

لقد لبس الشيطان عليهم حتى جعلهم يذبحون أبناءهم وبناتهم، لا لله؛ ولكن للشياطين أنفسهم؛ كما في «الزبور» المزمور: مئة وخمسة[4].

«وقد أخبر الله عن اليهود بأنهم عبدوا الطاغوت، وأنه لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

*** معنى الطاغوت:**

وهو اسم جنس يدخل فيه الشيطان، والوثن، والكهان، والدرهم، والدينار... وغير ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التيمم، باب التيمم، رقم ٣٣٥، وكتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم ٤٣٨).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٣١٥).

(٣) هناك فرقة من اليهود تسمى (الصدوقيون)، وهي فرقة صغيرة، أنكرت وجود الملائكة والشياطين.
انظر: «الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه» (ص ٢٥٩) لحسن ظاظا، و «مقارنة الأديان» (ص ٢٣٠) لأحمد شلبي، و «قاموس الكتاب المقدس» (ص ٥٣٩).

(٤) انظر: «الجواب الصحيح» (٣ / ٨٤ ـ فما بعد).

وقال: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ. . . ﴾ [البقرة: ١٠١ ـ ١٠٢] الآية.

وهم أشد عداوة للمؤمنين من النصارى، وكفرهم أغلظ، وهم مغضوب عليهم، ولهٰذا قيل: إنهم تحت النصارى في النار، واليهود وإن لم يعبدوا المسيح فقد افتروا عليه وعلى أمه بما هو أعظم من كفر النصارى، ولهٰذا جعل الله النصارى فوقهم إلى يوم القيامة.

فالنصارى مشركون يعبدون الله ويشركون به، وأما اليهود؛ فلا يعبدون الله، بل هم معطلون لعبادته، مستكبرون عنها، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، بل هم متبعون أهواءهم، عابدون للشيطان»[(١)].

*** نبأ الجن مع سليمان عليه السلام:**

من المعلوم أن «الله سخَّر الجنَّ لسليمان تطيعه طاعة الملوك؛ فإن سليمان كان نبياً ملكاً، مثل داود ويوسف»[(٢)].

*** طاعة الجن لسليمان ليست كطاعتهم للسحرة:**

«وطاعة الجن والشياطين لسليمان صلوات الله عليه لم تكن من جنس معاونتهم للسحرة والكهان والكفار وأهل الضلال والغي، ولم تكن الآية والمعجزة والكرامة التي أكرمه الله بها هي ما كانوا يعتادونه

---

(١) «التفسير الكبير» (٧ / ٧٦). وانظره: (٧ / ١٠٣).

(٢) «النبوات» (ص ٣٩٧).

مع الإنس؛ فإن ذٰلك إنما كان يكون في أمور معتادة؛ مثل إخبارهم أحياناً ببعض الغائبات، ومثل إمراضهم وقتلهم لبعض الإنس، كما أن الإنس قد يُمْرِضُ ويَقتل غيره، ثم هم إنما يعاونون الإنس على الإثم والعدوان إذا كان الإنس من أهل الإثم والعدوان، يفعلون ما تهواه الشياطين؛ فتفعل الشياطين بعض ما يهوونه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وأما التسخير الذي سخروه لسليمان؛ فلم يكن لغيره من الأنبياء فضلاً عن من ليس بنبي، وقد سأل ربَّه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده؛ فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [صٓ: ٣٥ ـ ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ * وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ - ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ

﴿ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٤].

وكذٰلك ما ذكره من قول العفريت له: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

فهٰذه الطاعة من التسخير بغير اختيارهم في مثل هٰذه الأعمال الظاهرة العظيمة ليس مما فعلته بأحد من الإنس، وكان ذٰلك بغير أن يفعل شيئاً مما يهوونه من العزائم والأقسام والطلاسم الشركية، كما يزعم الكفار أن سليمان سخرهم بهٰذا؛ فنزهه الله من ذٰلك بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

*** طاعة الجن لنبينا محمد ﷺ:**

وأما طاعة الجن لنبينا وغيره من الرسل كموسى؛ فهٰذا نوع آخر، فإن هٰذا طاعتهم فيما أمرهم الله به من عبادته وطاعته كطاعة الإنس لنبينا، حيث أرسل إلى الطائفتين فدعاهم إلى عبادة الله وحده وطاعته ونهاهم عن معصيته التي بها يستحقون العذاب في الآخرة، وكذٰلك الرسل دعوهم إلى ذٰلك، وسليمان منهم؛ لٰكن هٰذا إنما ينتفع به منهم من آمن طوعاً، ومن لم يؤمن؛ فإنه يكون بحسب شريعة ذٰلك الرسول: هل يُتْرَك حتى يكون الله هو الذي ينتقم منه أو يُجَاهَد[1]؟

---

(١) انظر: «النبوات» (ص ١٠، ١٦، ١٥٨، ١٦٨، ١٧١، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٩٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٨)، و «الجواب الصحيح» (٦ / ١٦٧ ـ ١٦٨)، و «مجموع الفتاوى» (٨ / ١٢١ و١١ / ٣٠٦ و١٣ / ٨٩ و٣٥ / ١٨٢).

*** حال نبينا محمد ﷺ مع الجن أكمل من حال سليمان عليه الصلاة والسلام:**

وسليمـان كان على شريعة التوراة واستخدامـه لمن لم يؤمن منهم هو مثل استخدام الأسير الكافر؛ فحال نبينا مع الجن والإنس أكمل من حال سليمان وغيره؛ فإن طاعتهم لسليمان كانت طاعة ملكية فيما يشاء، وأما طاعتهم لمحمد؛ فطاعة نبوة ورسالة فيما يأمرهم به من عبادة الله، وطاعة الله واجتناب معصية الله؛ فإن سليمان ﷺ كان نبيـاً ملكـاً ومحمـد كـان عبـداً رسـولاً(١) مثـل إبـراهيـم عليهـم

(١) قال أبو نعيم الحافظ في أواخر «دلائل النبوة» (ص ٥٢٣ ـ ط الهندية، أو ٢ / ٧٦٢ ـ ط النفائس) ما نصه: «فإن قيل: فإن سليمان كانت تأتيه الجن، وإنها كانت تعتاص عليه حتى يصفدها ويقيدها.
قيل: فإن محمداً ﷺ كانت الجن تأتيه راغبة إليه، طائعة له، معظمة لشأنه، ومصدقة له، مؤمنة به، متبعة لأمره، متضرعة له، مستمدين منه، ومستمنحين له زادهم ومأكلهم؛ فجعل كل روثة يصيبونها تعود علفاً لدوابهم، وكل عظم يعود طعاماً لهم، وصُرفت لنبوته أشراف الجن وعظماؤهم التسعة الذين وصفهم الله تعالى، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ. . .﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ. . .﴾ إلى قوله: ﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٧]، وأقبلت إليه ﷺ الألوف منهم مبايعين له على الصوم والصلاة والنصح للمسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً؛ فسبحان من سخرها لنبوته ﷺ بعد أن كانت شراراً تزعم أن لله ولداً؛ فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى؛ هٰذا أفضل مما أعطي سليمان عليه السلام».
وقال (ص ٥٢٨): «فإن قلت: فإن سليمان كان يسخر الشيطان لأمور الدنيا؛ فكانوا يعملون له ذٰلك، كما ذكر الله ما يشاء من محاريب وتماثيل من قلل =

السلام»[1].

*** استغلال الشياطين قصة سليمان في تضليل من بعده:**

«لما مات سليمان عمدت الشياطين إلى أنواع من الشرك، فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يُسَخِّرُ الجن بهٰذا؛ فصار هٰذا فتنة لمن صدّق بذٰلك، وصاروا طائفتين: طائفة علمت أن هٰذا من الشرك والسحر[2] وأنه لا يجوز، فطعنت في سليمان

= الجبال وبطون الأودية والبحار.

فالقول فيه: إن النبي ﷺ لو تمنى تسخيرهم لما امتنعوا عليه، ولٰكن اختار العبودية مع النبوة لمَّا خيره الله عزَّ وجلَّ بين أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً نبياً، فأكبَّ الدنيا على وجهها، وزهد فيها؛ فسخرت له غير أهلها، فكانت الملائكة المقربون أنصاره وأعوانه وأناسه، يقاتلون بين يديه في الحروب كفاحاً، ويمنعون عنه ويدافعون دونه».

وسيأتي كلام شيخ الإسلام مختصراً. انظر: (ص ٥٩٤ وما بعدها) من هٰذا الكتاب، وخرجت تخيير الله لنبيه ﷺ بين أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً نبياً في تعليقي على «الموافقات» (١ / ٥٤٤)، وهو صحيح.

(١) «النبوات» (ص ٣١٦ ـ ٣١٨).

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «الفتاوى الكبرى» (١ / ٣٥٩): «أما الأحكام التي هي من جنس السحر؛ فمن الممتنع أن يكون نبي من الأنبياء كان ساحراً. . . [ثم قال]: لما سخر الله له [أي: لسليمان] الجن والإنس والطير؛ زعم قوم أن ذٰلك بأنواع من السحر، حتى إن طوائف من اليهود والنصارى لا يجعلونه نبياً بل حكيماً، فنزهه الله عن ذٰلك، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ. . .﴾ [البقرة: ١٠٢] إلى آخر الآية» اهـ.

كما فعل ذٰلك كثير من أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ، وطائفة قالت: سليمان نبي، وإذا كان قد سخر بهٰذا دل على أن هٰذا جائز؛ فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشرك والتعزيم والإقسام بالشرك والشياطين ماتحبه الشياطين وتختاره، ويساعدونهم لأجل ذٰلك على بعض مطالب الإنس؛ إما إخباراً بأمور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً، وإما تصرف في بعض الناس؛ كما يقتل الرجل أو يمرض بالسحر، أو تسرق الشياطين له بعض الأموال... ونحو ذٰلك مما فيه إعانة الشياطين للإنس على أمور تريدها الإنس؛ لأجل مطاوعة الإنس وموافقتهم للشياطين على ما تريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان.

وكثير منهم يضيف ذٰلك إلى سليمان وإلى «آصف بن برخيا»، ويصورون خاتم سليمان، وقد يأخذون الرجل الذي صار من إخوانهم إلى مواضع، فيرونه شخصاً، ويقولون: هٰذا سليمان بن داود؛ كما قد جرى مثل ذٰلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين، وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان؛ فنزَّه الله تعالى سليمان من كذب هٰؤلاء، وهٰؤلاء الذين جعلوه يسخِّر الشياطين بنوع من الشرك والسحر، هٰؤلاء جرحوه، وهٰؤلاء زعموا أنهم يتبعونه؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ... وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢ ـ

١٠٣]»[1].

[بيَّن سبحانه أن هٰذا لا يضر ولا ينفع؛ إذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح، والضرر هو الشر الخالص أو الراجح، وشر هٰذا إما خالص وإما راجح][2].

*** تعرض الشيطان للمسيح:**

إن الشيطان اللَّعين سلطه الله على المسيح عليه السلام كما يقول النصارى، «فحصره في الجبل أربعين يوماً يمتحنه، وقال له في بعض أحواله: «إن كنت ابن الله فقل لهٰذه الصخور تصير خبزاً. فقال له المسيح مجيباً له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز، بل بكل كلمة تخرج من الله. ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس،

---

(١) «الجواب الصحيح» (٣ / ٣٨٧ ـ ٣٨٩). وانظره: (٦ / ١٣ ـ ١٦).

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٢)، و «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢٩).

ومن الأمور المهمة جداً: التنبيه على انتشار صحيفة في كثير من البلدان الإسلامية بعنوان: «**السبعة العهود السليمانية وأسماء الله الحسنى**» تأخذ طابع القداسة، وتشتمل على بعض الآيات وكثير من الطلسمات السحرية، تنسب زوراً وبهتاناً إلى سليمان عليه السلام، وهٰذا بريء منه الإسلام، وتزعم سحرة اليهود أن الله عز وجل أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل إلى نبيه سليمان عليه السلام، فأبطل الله سبحانه وتعالى قولهم وافتراءهم على هٰذين الملكين، وبرأ نبيه سليمان مما نحلوه إليه، وبيَّن أنه من عمل الشياطين.

وانظر: «جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود» (ص ٢٢٣).

وأقامه على قرنة الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله؛ فارم بنفسك من ها هنا؛ فإنه مكتوب: إن الملائكة توكل بك لئلا تعثر رجلك بالحجر. قال يسوع: ومكتوب أيضاً: لا تُجرِّب الربَّ إلٰهك. ثم ساقه إلى جبل عالٍ، وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها، وقال له: إن خررت على وجهك ساجداً لي جعلت هٰذا الذي ترى كله لك. قال له المسيح: اغرب أيها الشيطان؛ فإنه مكتوب: اسجد للرب إلٰهك، ولا تعبد شيئاً سواه. ثم بعث الله عز وجل ملكاً اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر وأطلق السبيل للمسيح»[1].

*** مكايد الشيطان ولعبه بالنصارى:**

فقد زعمت النصارى أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه، وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب، وأنه كانت الذرية في جنس إبليس؛ فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم[2].

وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية فصلاً بديعاً في أسباب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية؛ كغالية العباد والشيعة وغيرهم، وأنها ثلاثة أشياء، الثاني منها: خوارق ظنوها آيات، وهي من أحوال الشياطين، والثالث منها أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب.

ثم ذكر رحمه الله صوراً كثيرة من ضلال الشياطين للنصارى،

---

(١) «الجواب الصحيح» (٤ / ١٠٨). وانظره: (٤ / ١٦٧).

(٢) انظر ذٰلك مفصلاً في: «الجواب الصحيح» (٢ / ٤١٦ ـ ٤١٩).

منها: تصور الشياطين لبعضهم بصور بني آدم من صالحيهم وعبادهم[(١)]، بل إن بعض الشياطين كانت تتمثل لكثير من النصارى بصورة رجل جميل حسب اعتقادهم في المسيح، ويخبرهم أنه المسيح[(٢)]!!

«فأضل الشيطانُ النصارى وأشباههم، فأشركوا بالله وعصوا الرسول، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم؛ فجعلوا يرغبون إليهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم مع معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسنتهم»[(٣)].

«ولهٰذا يعتقد كثير من هٰؤلاء أنهم يكلمون الله ويكلمهم، ويقول أحدهم: أوقفني وقال لي وقلت له، وتكون مخاطبته ومناجاته مع هٰذا المثال العلمي بحسب ما عندهم من الاعتقاد في الله تعالى، وكثير منهم يتمثل له الشيطان ويقول: أنا ربك. فيخاطبه ويظنه ربه، وإنما هو الشيطان»[(٤)].

*** ادعاء الشياطين أنهم أنبياء:**

«وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً ما تجيء ويدعي أحدهم أنه نبي أو صالح ويقول: أنا فلان النبي أو الصالح. ويكون شيطاناً، وفي

---

(١) انظر هٰذا بتوسع في: «الجواب الصحيح» (٢ / ٣١٥ ـ ٣٣٧).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٠٢، ١٠٧)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٣٥)، و «العبودية» (١٨٨ ـ ١٨٩).

(٤) «الجواب الصحيح» (٣ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

ذٰلك حكايات متعددة؛ مثل حكاية الراهب الذي جاءه جاءٍ، وقال: أنا المسيح، جئت لأهديك. فعرف أنه الشيطان، فقال: أنت قد بلغت الرسالة، ونحن نعمل بها، فإن جئت اليوم بشيء يخالف ذٰلك؛ لم نقبل منك»(١).

*** تعرض الشيطان للنبي محمد ﷺ:**

كانت الشياطين تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهم وتفسدَ عبادتهم، كما جاءت الجن إلى النبي ﷺ بشعلة من النار تريد أن تحرقه، فأتاه جبريل بالمعوذة المعروفة التي تضمنها الحديث المروي عن أبي التياح؛ أنه قال: «سأل رجل عبدالرحمٰن بن خنبش ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدرك النبي ﷺ ـ: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: تحدرت عليه من الشعاب والأودية، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ. قال: فرعب رسول الله ﷺ، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد! قل. قال: «ما أقول؟». قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر؛ من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما يخرج من الأرض ومن شر ما ينزل فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق يطرق؛ إلا طارقاً يطرق بخير، يا رحمٰن! قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله عز وجل»(٢).

---

(١) «مجموع الرسائل الكبرى» (١ / ٨١)، و«التفسير الكبير» (١ / ٢١١ ـ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ١ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩) ـ وقال: «في =

وثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عفريتاً من الجن جاء يفتك بي البارحة ليقطع عليَّ صلاتي، فأمكنني الله عز وجل منه، فذَعَتُّه[1] أردت أن آخذه فأربطه إلى سارية من المسجد حتى تصبحوا فتنظروا

= إسناده نظر» ـ، وأحمد في «المسند» (٢ / ١٩)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢ / ٦٩٦ ـ ٦٩٧)، وأبو زرعة الرازي في «مسنده»، وابن منده، وأبو بكر بن أبي شيبة، والبزار، والحسن بن سفيان ـ كما في «الإصابة» (٤ / ٣٠٠ ـ ٣٠١) ـ؛ عن جعفر بن سليمان بن أبي التياح: قلت لعبدالرحمٰن بن خَنْبَش ـ وكان شيخاً كبيراً ـ. . . مثل ما عند المصنف.

وعند أبي زرعة وابن منده والدارقطني: عن جعفر؛ قال: «سأل رجل عبدالله ابن خَنْبش وكان رجلاً من بني تميم. . .».

وحكى ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢ / ٢ / ٤٢) أن عفان رواه عن جعفر؛ فقال: «عن عبدالله بن خنبش»، قال: «وعبدالرحمٰن أصح»، وأعاده تحت (عبدالرحمٰن) في (٢ / ٢ / ٢٨٨).

وفي رواية ابن أبي شيبة: «سأل رجل عبدالرحمٰن بن خنبش. . .»؛ فذكره.

قال البزار: «لم يروِ عبدالرحمٰن غيره فيما علمت».

وقال ابن منده: «في حديثه إرسال»، وتعقَّبه أبو نعيم بأنَّ أبا التَّيَّاح صرَّح بسؤاله له؛ يعني: فلا إرسال فيه.

ولعل ابن منده أراد أنه لم يصرّح بذٰلك من رسول الله ﷺ، لٰكن المعتمد على مَنْ جزم بأنَّ له صُحبةً. قاله ابن حجر في «الإصابة» (٤ / ٣٠١).

و (خَنْبَش)؛ أوله خاء معجمة مفتوحة، بعدها نون ساكنة، وباء مفتوحة معجمة بواحدة، وآخره شين معجمة؛ كما في «الإكمال» (٢ / ٣٤٢)، و «التبصير» (٢ / ٥٤١)، و «تصحيفات المحدّثين» (٢ / ٩٦٩)، و «الاستيعاب» (٨٣١).

(١) أي: خنقته؛ كما قال النضر بن شميل.

إليه[1]، ثم ذكرت قول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [صٓ: ٣٥]، فرده الله تعالى خاسئاً»[2].

وعن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يصلي، فأتاه الشيطان، فأخذه ﷺ فصرعه فخنقه، قال رسول الله ﷺ: «حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس»»[3].

أخرجه النسائي، وإسناده على شرط البخاري؛ كما ذكر ذٰلك أبو عبدالله المقدسي في «مختاره» الذي هو خير من «صحيح الحاكم».

وعن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي صلاة الصبح وهو خلفه، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته؛ قال:

---

(١) قال المازري في «المعلم بفوائد مسلم» (١ / ٢٧٦): «الجن أجسام روحانية لا يتأتى فيها الربط ولا الإيثاق؛ فيحمل هنا على أنه قد يتشكل على صورة يتمكن ذٰلك فيها على العادة، ثم يُمنَع أن يعودَ إلى ما كان عليه حتى يتأتى اللعب به، وإن خُرِقت العادة أمكن غير ذٰلك».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٤٦١، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٣٨٤).

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦ / ٤٤٢ / رقم ١١٤٣٩) ـ وهو في «تفسيره» (رقم ٤٥٤) ـ عن إسحاق بن إبراهيم ـ وهو ابن راهويه، والحديث في «مسنده» (٣ / ٨١٤، رقم ١٤٥٣) ـ، أخبرنا يحيى بن آدم، نا أبو بكر بن عياش، عن حصين، عن عُبيدالله بن عبدالله، عن عائشة، به.
ورجاله ثقات؛ إلا أن أبا بكر بن عياش ساء حفظه لما كبر، وحصين تغيَّر حفظه بأخرة.
والحديث صحيح له شاهد. انظر الحديث المتقدم وما سيأتي.

«لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي؛ فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين ـ الإبهام والتي تليها ـ، ولولا دعوة أخي سليمـان؛ لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد؛ فليفعل»»[(١)].

رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه».

وفي «صحيح مسلـم» عن أبي الـدرداء؛ أنه قال: «قام رسول الله ﷺ يصلي، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك». ثم قال: «ألعنك بلعنة الله ـ ثلاثاً ـ». وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من صلاته قلنا: يا رسول الله! سمعناك تقول شيئاً في الصلاة لم نسمعك تقوله قبل ذٰلك، ورأينـاك بسطت يدك! قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة؛ فلم يستأخر، ثم أردت أن آخذه، ولولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ٨٢)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ٩٤٦ ـ «المنتخب»)؛ من طريقين عن أبي سعيد.
وقد روى أبو داود في «سننه» (رقم ٦٩٩) منه: «من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين قبلته أحد؛ فليفعل». أفاده ابن كثير في «تفسيره» (٧ / ٦٢ ـ ط الشعب).
ولذا أورده الهيثمي في «المجمع» (٢ / ٨٧) وعزاه لأحمد، وقال: «رجاله ثقات»، ولم يشر إلى الموجود عند أبي داود منه على عادته وشرطه، والله الموفق.

المدينة»»[1]»[2].

«وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الشيطان عرض لي، فشد علي ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه، فذعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [صٓ: ٣٥]؛ فرده الله خاسئاً»[3].

فهٰذا الحديث يوافق الأول ويفسره، وقوله: «ذعته»؛ أي: خنقته[4]؛ فبين أن مد اليد كان لخنقه، وهٰذا دفع لعدوانه بالفعل، وهو الخنق، وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئاً.

*** علة عدم ربط النبي ﷺ للشيطان في السارية:**

وأما الزيادة وهو ربطه إلى السارية؛ فهو من باب التصرف الملكي الذي تركه لسليمان؛ فإن نبينا ﷺ كان يتصرف في الجن كتصرفه في الإنس تصرف عبد رسول، يأمرهم بعبادة الله وطاعته،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، رقم ٥٤١).

(٢) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٨ ـ ٤١)، و «مجموع الفتاوى» (١ / ١٦٩ ـ ١٧١).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٢١٠ ـ وهٰذا لفظه ـ، رقم ٤٦١، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان، رقم ٥٤١).

(٤) كذا قاله النضر بن شميل (أحد رواة الحديث عند مسلم).

لا يتصرف لأمر يرجع إليه وهو التصرف الملكي؛ فإنه كان عبداً رسولاً وسليمان نبي ملك، والعبد الرسول أفضل من النبي الملك، كما أن السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين»[1].

*** نوم الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس:**

«ولما نام هو [ﷺ][2] وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر؛ قال لأصحابه: «ارتحلوا؛ فإن هٰذا مكان حضرنا فيه شيطان»[3]، وقال: «إن الشيطان أتى بلالاً فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام»، وكان النبي ﷺ وكَّلَ بلالاً أن يوقظهم عند الفجر[4]، والنوم الذي يشغل عما

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥١). وانظرها: (١٣ / ٨٩).

(٢) ما بين المعقوفتين من إضافاتي.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢١ / ١٣) بعد ذكره أحاديث مشابهة لهٰذا الحديث وكان هٰذا آخرها: «فعلل ﷺ الأماكن بالأرواح الخبيثة كما يعلل بالأجسام الخبيثة، وبهٰذا يقول أحمد وغيره من فقهاء الحديث، ومذهبه الظاهر عنه: أن ما كان مأوىً للشياطين ـ كالمعاطن والحمامات ـ حرمت الصلاة فيه، وما عرض الشيطان فيه ـ كالمكان الذي ناموا فيه عن الصلاة ـ؛ كرهت فيه الصلاة». وهٰذا ما نصص عليه في كتابه «حقيقة الصيام» (ص ٦٢ ـ ٦٤).

(٤) أخرج مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم ٦٨٠)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليله، حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: «اكلأ لنا الليل». فصلى بلال ما قُدِّر له، وقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته =

أمر به والنعاس من الشيطان ـ وإن كان معفواً عنه ـ، ولهٰذا قيل: النعاس في مجلس الذكر من الشيطان، وكذٰلك الاحتلام في المنام من الشيطان، والنائم لا قلم عليه»[1].

«وليس كل ما كان من الشيطان يعاقب عليه العبد، ولٰكن يفوته به نوع من الحسنات؛ كالنسيان؛ فإنه من الشيطان، والاحتلام من الشيطان، والنعاس عند الذكر والصلاة من الشيطان، والصعق عند الذكر من الشيطان، ولا إثم على العبد فيما غلب عليه إذا لم يكن ذٰلك بقصد منه أو بذنب»[2].

ولذٰلك؛ فإن النبي ﷺ عمل على إغلاق كل مدخل للشيطان؛ فـ «في «الصحيحين» عن علي بن الحسين، عن صفية بنت حيي أم

= مواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس؛ فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً؛ ففزع رسول الله ﷺ، فقال: أي بلال!». فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ بنفسك. قال: «اقتادوا». فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة؛ قال: «من نسي الصلاة؛ فليصلِّها إذا ذكرها؛ فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]».
قال يونس: وكان ابن شهاب يقرؤها: «للذِّكرى»». لفظ مسلم، وفيه لفظ: «ليأخذ كلُّ رجل برأس راحلته؛ فإنَّ هٰذا منزل حضرنا فيه الشيطان».

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٢١ ـ ٥٢٢). وانظرها: (٢١ / ١٣، ٤٥٢ و٢٢ / ٣٦، ٢٩٩)، و«الفتاوى العراقية» (ص ٣٢٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥ / ١٠٠)، و«التفسير الكبير» (٥ / ٤٢).

المؤمنين؛ قالت: «كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني[1]، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا؛ فقال النبي ﷺ: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو شيئاً»»[2]؛ ففي هٰذا الحديث أن مسكنها كان في دار أسامة بن زيد، وأن النبي ﷺ قام معها ليقلبها إلى مسكنها[3]، وأنه مر به رجلان من الأنصار، ولو كان منزلها متصلاً بالمسجد لم يحتج إلى شيء من ذٰلك؛ فإن المسجد لم يكن فيه ما يخافه، ولٰكن خرج معها من المسجد ليوصلها إلى مسكنها، والرجلان مرّا به في الطريق لم يكن مرورهما في المسجد؛ فإن المسجد لم يكن طريقاً بالليل، ولو رأياه في المسجد لم يحتج أن يقول ما قال، بل رأياه

(١) أي: ليرجعني إلى بيتي.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦ / كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٨١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، رقم ٥٦٤٣).

(٣) «حجر أزواج النبي ﷺ لم يبنهن كلهن مع بناء المسجد أولاً؛ فإنه لم يكن حينئذ مزوجاً بتسع، بل بنى بعائشة وكان قد تزوجها بمكة، وكذٰلك سودة، ثم بحفصة؛ فلهٰذا كانت حجرهن لاصقة بالمسجد، وآخر من تزوجها صفية بنت حيي لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة، وحينئذ اتخذ لها بيتاً، وكان بيتها أبعد عن المسجد من غيره». قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٤٦٢).

ومعه امرأة خارجاً من المسجد، فقال ما قال لئلا يقذف الشيطان في قلوبهما شيئاً من الظن السيىء؛ فيهلكا بذلك»[1]؛ «فإنه ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن.

* إسلام قرين الرسول ﷺ:

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ كما في «الصحيحين»[2]، [و] عن النبي ﷺ؛ أنه قال: ««ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن». قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا؛ إلا أن الله أعانني عليه فأسْلَمَ، فلا يأمرني إلا بخير»»[3]»[4].

---

(١) «كتاب الرد على الأخنائي» (ص ١٢٤).

(٢) مضى تخريجه (ص ١٩١).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٨١٤) عن ابن مسعود.

وخرجته بإسهاب في تعليقي على «المجالسة» (رقم ٢٢٨٩).

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧ / ١٥٧): «فأسلم؛ برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع؛ قال: معناه أسلمُ أنا من شرّه وفتنته، ومن فتح؛ قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً، ورجَّح الخطابي الرفع ورجح القاضي عياض الفتح».

وانظر: «مشكل الآثار» (رقم ١٠٩)، و «دلائل البيهقي» (٧ / ١٠٠ ـ ١٠١)، و «صحيح ابن حبان» (١٤ / ٣٢٨)، وفيها تأييد إسلامه الحقيقي على رواية الفتح.

وانظر ما سيأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص ٥١١ ـ ٥١٢).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٤٦٢).

وانظر: «الاستقامة» (١ / ٣٨)، و «النبوات» (ص ٤١٦).

* تعرض الشيطان لبني الإنسان من غير الأنبياء:

روي «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هٰذا؛ فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبداً»(١).

وحكاية عبدالله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول: «لا بعد، لا بعد: مشهورة»(٢).

ومن تعرضه للإنسان ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في معرض كلامه عن غزوة أحد: «وكان الشيطان قد نعق في الناس أن محمداً قد قتل؛ فمنهم من تزلزل لذٰلك فهرب، ومنهم من ثبت فقاتل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»(٣)(٤).

---

(١) ذكر ذٰلك الغزالي في «كشف علوم الآخرة»، وعنه القرطبي في «التذكرة» (١ / ١٠١)، وهو مما لم يصح، وجل ما في كتاب أبي حامد الضعيف والواهي؛ قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٤٣٤): «وقد أكثر في هٰذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغترّ بشيء منها».

(٢) «مجموع الفتاوي» (٤ / ٢٥٦).
وانظر قصة الإمام أحمد في: «الحلية» (٩ / ١٨٣)، و «صفة الصفوة» (٢ / ٣٥٧)، و «مناقب أحمد» (٤٠٨)؛ كلاهما لابن الجوزي، و «التذكرة» للقرطبي (١ / ١٠٢ ـ ط مكتبة الصحابة)، و «مصايب الإنسان» (١٥٠) لابن مفلح، و «السير» (١١ / ٣٤١) وقال الذهبي فيه: «هٰذه حكاية غريبة تفرد بها ابن عَلم، والله أعلم».

(٣) «ثلاث رسائل في الجهاد» (ص ٦٦).

(٤) أخرج إسحاق بن راهويه في «مسنده» أن الشيطان صاح يوم أحد أن محمداً قد=

وقال رحمه الله: «لم يذكر الله في القرآن رسولاً قبل نوح، ولا أمّة أهلكها قبل أمته، وقد قال تعالى في قصته: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال طائفة من السلف منهم محمد بن كعب القرظي: «هٰذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليس، فقال لهم: لو صوَّرتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة. ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم. فعبدوهم». رواه عبد بن حميد في تفسيره عن محمد بن كعب...».

وذكر ابن جرير في «تفسيره»: روى سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس - يعني: ابن مخرمة بن نوفل - قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]؛ قال: «كانت أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم. ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولٰئك ونسخ

= قتل، وأخرج ابن المنذر عن عمر؛ قال: «تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدتُ الجبل، فسمعتُ يهود تقول: قتل...»، وذكر نحوه.
انظر: «لباب النقول في اسباب النزول» (ص ٥٩).

العلم؛ عُبدت»[1].

وروي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان، وطمسها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب»[2].

* إستمتاع الإنس بالجن والعكس.

«قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وهذا بعد قوله: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال غير واحد من السلف: أي: كثير ممن أغويتم من الإنس وأضللتموهم.

قال البغوي[3]: «قال بعضهم: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهيئونها ويسهل سبيلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي، قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً».

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٩ / ٦٢).

(٢) «قاعدة عظيمة» (ص ٤٢ ـ ٤٤).

(٣) في «معالم التنزيل» (٢ / ٤١٨ ـ ط دار الفكر).

وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري؛ قال: ما كان استمتاع بعضهم ببعض؛ إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس[1].

وعن محمد بن كعب؛ قال: هو الصحابة في الدنيا[2]. وقال ابن السائب: استمتاع الإنس بالجن استعاذتهم بهم[3]، واستمتاع الجن بالإنس أن قالوا: قد أسرنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا، فيزدادون شرفاً في أنفسهم وعِظَماً في نفوسهم، وهٰذا كقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦].

قلت: الاستمتاع بالشيء هو أن يتمتع به، ينال به ما يطلبه ويريده ويهواه، ويدخل في ذٰلك استمتاع الرجال بالنساء بعضهم لبعض؛ كما قال: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ [النساء: ٢٤]، ومن ذٰلك الفواحش؛ كاستمتاع الذكور بالذكور والإناث بالإناث.

*** الاستمتاع معناه الاستخدام:**

ويدخل في هٰذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة؛ كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم، ويدخل في ذٰلك الاستمتاع بالأموال كاللباس، ومنه قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤ / ١٣٨٧، ١٣٨٨ رقم ٧٨٩٣، ٧٨٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤ / ١٣٨٨ رقم ٧٨٩٤).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٤، ٣٠٤ و١٩ / ٣٣ ـ ٣٤)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٢٣).

﴿قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم؛ فهي تستمتع بخدمته، ومنهم من يمتع بكسوة أو نفقة، ولهٰذا قال الفقهاء: أعلا المتعة خادم، وأدناها كسوة يجزي فيها الصلاة.

وفي الجملة استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس، قال تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قال مجاهد: هي المودات التي كانت لغير الله[١].

وقال الخليل: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]؛ فالمشرك يعبد ما يهواه، واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه، وقد وقع في الإنس والجن هٰذا كله.

وتارة يخدم هٰؤلاء لهٰؤلاء في أغراضهم، وهٰؤلاء لهٰؤلاء في أغراضهم؛ فالجن تأتيه بما يريد من صورة أو مال أو قتل عدوه،

---

(١) تفسير مجاهد (١ / ٩٣ ـ ٩٤)، ونقله عنه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص ٥٤) وابن جرير في «تفسيره» (٢ / ٧١).

والإنس يطيع الجن؛ فتارة يسجد له، وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له، وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة، وكذٰلك الجنيات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال، وهٰذا كثير في رجال الجن ونسائهم؛ فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنسي، وقد يفعل ذٰلك بالذكران. . .

ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة؛ كما يخبر الكهان؛ فإن في الإنس من له غرض في هٰذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذٰلك، فإن كان القوم كفاراً كما كانت العرب[1]؛ لم تبال بأن يقال: إنه كاهن كما كان بعض العرب كهاناً، وقدم النبي ﷺ المدينة وفيها كهان، وكان المنافقون يطلبون التحاكم إلى الكهان، وكان أبو أبرق الأسلمي أحد الكهان قبل أن يسلم، وإن كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن، بل يجعل ذٰلك من باب الكرامات، وهو من جنس الكهان؛ فإنه لا يخدم الإنسي بهٰذه الأخبار إلا لما يستمتع به من الإنسي: بأنه يطيعه الإنسي في بعض ما يريده؛ إما في شرك، وإما في فاحشة، وإما في أكل حرام، وإما في قتل نفس بغير حق.

*** معنى القوة الملكية والبهيمية والشيطانية:**

فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» لمحمود شكري الآلوسي (٣ / ٢٦٩ وما بعد).

والعصيان، ولهم لذة في الشر والفتن، يحبون ذٰلك وإن لم يكن فيه منفعة لهم، وهم يأمرون السارق أن يسرق، ويذهبون إلى أهل المال فيقولون: فلان سرق متاعكم؟ ولهٰذا يقال: القوة الملكية، والبهيمية والسَّبْعِيَّة والشيطانية؛ فإن الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح، والبهيمية فيها الشهوات؛ كالأكل والشرب، والسَّبْعِيَّة فيها الغضب وهو دفع المؤذي، وأما الشيطانية؛ فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة.

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هٰذه، وإنما يعرفون الشهوة والغضب، والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة، لٰكن المذموم هو العدوان فيهما.

*** الشيطان يأمر بالحسد:**

وأما الشيطان؛ فيأمر بالشر الذي لا منفعة فيه ويحب ذٰلك، كما فعل إبليس بآدم لما وسوس له، وكما امتنع من السجود له؛ فالحسد يأمر به الشيطان، والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود، لٰكن يبغض ذٰلك، وقد يكون بغضه لفوات غرضه، وقد لا يكون.

ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم في إحضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة؛ فقد يأتون ببعض ذٰلك وقد يدلونه على كنز وغيره، واستمتاع الجن بالإنس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية.

* **استغاثة الإنس بمشايخهم وحضور الجن على هيئة المشايخ:**

ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الإنس من شرك وقتل وفواحش؛ فتارة يتمثل الجني في صورة الإنسي، فإذا استغاث به بعض أتباعه أتاه، فظن أنه الشيخ نفسه، [ومثل هٰذا واقع كثيراً في زماننا وغيره، وأعرف من ذٰلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري، وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم، فظنوا أن ذٰلك من بركة الاستغاثة بي أو بغيري، وإنما هو شيطان أضلهم وأغواهم][(١)]، وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به: يا سيدي فلان! فينقل الجني ذٰلك الكلام إلى الشيخ بمثل صوت الإنسي حتى يظن الشيخ أنه صوت الإنسي بعينه، ثم إن الشيخ يقول: نعم، ويشير إشارة يدفع بها ذٰلك المكروه، فيأتي الجني بمثل ذٰلك الصوت والفعل، فيظن ذٰلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه، وهو الذي فعل ذٰلك؛ حتى إن تابع الشيخ قد يكون يده في إناء يأكل، فيضع الجني يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام، فيظن ذٰلك التابع أنه شيخه حاضر معه، والجني يمثل للشيخ نفسه مثل ذٰلك الإناء، فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ أنه يده في ذٰلك الإناء، فإذا حضر المريد ذكر له الشيخ أن يدي كانت في الإناء فيصدقه، ويكون بينهما مسافة شهر، والشيخ موضعه ويده لم تطل، ولٰكن الجني مُثِّل للشيخ ومُثِّل للمريد، حتى ظنَّ كلٌّ منهما أن أحدهما

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٥٠)، وانظرها: (١ / ٣٥٩).

عند الآخر، وإنما كان عنده ما مَثَّلَه الجِنِّيُّ وخَيَّلَه.

وإذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب: إما سرقة، وإما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله، أو علة في النساء. . . أو غير ذٰلك؛ فإن الجني قد يمثل ذٰلك؛ فيريه صورة المسروق، فيقول الشيخ: ذهب لكم كذا وكذا، ثم إن كان صاحب المال معظماً، وأراد أن يدله على سرقته؛ مثّل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذي فيه المال، فيذهبون إليه، فيجدونه كما قال، والأكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه؛ لأن الذي سرق المال معه أيضاً جني يخدمه، والجن يخاف بعضهم من بعض كما أن الإنس يخاف بعضهم بعضاً، فإذا دل الجني عليه جاء إليه أولياء السارق فآذوه، وأحياناً لا يدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه، كما يصيب من يعرف اللصوص من الإنس تارة يعرف السارق ولا يعرف به؛ إما لرغبة ينالها منه، وإما لرهبة وخوف منه، وإذا كان المال المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه؛ فهٰذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض.

والجن مكلفون كتكليف الإنس؛ ففيهم الكفار والفساق والعصاة، وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الإنس، وكل نوع من الجن يميل إلى نظيره من الإنس؛ فاليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، والمسلمون مع المسلمين، والفساق مع الفساق[1]، وأهل البدع والجهل مع أهل الجهل

---

(١) في «مجموع الفتاوى»: «والفساق مع المفسدين»، وما أثبتناه من «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٦). وانظر: (ص ١٥٠) من هٰذا الكتاب.

والبدع[1]، واستخدام الإنس لهم مثل استخدام الإنس للإنس بشيء:

منهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بغير علم، وقد يظنون ذٰلك من كرامات الصالحين، وإنما هو من أفعال الشياطين.

ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة: إما إحضار ماله، أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم، أو دفع من يؤذيه... ونحو ذٰلك؛ فهٰذا كاستعانة الإنس بعضهم ببعض في ذٰلك.

*** أهل الطاعة يأمرون الجن بالمعروف وينهونهم عن المنكر كالإنس:**

و «النوع الثالث»: أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الإنس في مثل ذٰلك، فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله، وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الإنس وينهاهم، وهٰذا حال نبينا ﷺ وحال من اتبعه واقتدى به من أمته، وهم أفضل الخلق؛ فإنهم يأمرون الإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله، وينهون الإنس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله؛ إذ كان نبينا محمد ﷺ مبعوثاً بذٰلك إلى الثقلين: الإنس والجن، وقد قال الله له:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨ / ٥٣٤)، و «النبوات» (ص ١٦٩، ٤٠٥).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

*** نداء عمر لسارية:**

وعمر رضي الله عنه لما نادى: «يا سارية! الجبل» قال: «إن لله جنوداً يبلغون صوتي»(١)، وجنود الله هم

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦ / ٣٧٠)، وأبو نعيم في «الدلائل» (رقم ٥٢٥ ـ ٥٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٢٨٦ ـ ترجمة عمر، و٧ / ق ١٠ ـ ترجمة سارية)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (رقم ٢٥٣٧) و «كرامات الأولياء» (رقم ٦٧)، وابن الأعرابي في «كرامات الأولياء»، والديرعقولي في «فوائده»، وحرملة في «حديث ابن وهب»، والدارقطني، والخطيب في «الرواة عن مالك»، وابن مردويه ـ كما في «الإصابة» (٤ / ٩٨) و «تخريج السخاوي للأربعين السلمية» (ص ٤٤ ـ ٤٦) ـ، والسلمي في «أربعين الصوفية» (رقم ٥)؛ بأسانيد بعضها حسن؛ كما قال الحافظ ابن حجر والسخاوي، وجوَّد بعضها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧ / ١٢٩)، وقال بعد أن أورده من طرق: «فهٰذه طرق يشدّ بعضها بعضاً».

وألَّف القطب الحلبي في صحته جزءاً. قاله السيوطي في «الدرر المنتثرة» (رقم ٤٦١).

وأورده التيمي في «سير السلف» (ق ٢٠ / أ ـ ب).

قال ابن رجب رحمه الله في «فتح الباري» (٩ / ٣٧٧) عند قول عمر: «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة»: «ليس فكر عمر في تجهيز الجيوش في الصلاة من حديث النفس المذموم؛ بل هو من نوع الجهاد في سبيل الله، فإنه كان عظيم الاهتمام بذٰلك؛ فكان يغلب عليه الفكر فيه في الصلاة وغيرها، ومن شدة اهتمامه بذٰلك غلب عليه الفكر في جيش سارية بن زُنَيم بأرض العراق وهو يخطب يوم الجمعة على المنبر، فألهمه الله، فناداه، فأسمعه الله صوته، ففعل سارية ما أمره به عمر، فكان سبب الفتح والنصر» اهـ.

= وقال السخاوي رحمه الله في «المقاصد الحسنة» (ص ٤٧٤ / رقم ١٣٣١): «حديث «يا سارية! الجبل الجبل» قاله عمر بن الخطاب وهو يخطب يوم جمعة، حيث وقع في خاطره أن الجيش الذي أرسله مع أسامة إلى فارس لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال ذٰلك في أثناء خطبته ورفع بها صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا من جانب واحد، ففتح الله عليهم، قال: وهو حسن كما قال شيخنا [يعني: ابن حجر]».

وعلق عليه عبدالله الغماري بقوله: «بل صححه ابن تيمية، وحمل ذٰلك على أنه من فعل الجن، وهو تخريف بالغ»!!

قلت: وهٰذا تجني على شيخ الإسلام كما ترى؛ فإن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يقل أن المناداة من فعل الجن كما زعم الغماري، بل قال: إن الجن الصالحين أو الملائكة هم الذين بلّغوا صوتَ عمر إلى سارية بأنهم نادوه بمثل صوت عمر، وإلاَّ؛ فصوت عمر لا يصل بنفسه في هٰذه المسافة البعيدة، ومعتمده في ذٰلك رحمه الله هو قول عمرَ نفسِه: «إن لله جنوداً يبلغون صوتي».

فقول الغماري مردود عليه، و:

«ما ضرَّ تغلب وائل أهجوتَها ... أم بُلتَ حيث تناطح البحران»

ولو سمع شيخ الإسلام مقالة الغماري؛ لقال:

أخو عديّ أمسى يساجلني ... ما لِعديّ وما لذا العمل

قلت: ويعدُّ شيخ الإسلام ابن تيمية نداء عمر لسارية من الكرامات التي ظهرت لأمير المؤمنين عمر؛ فقد قال رحمه الله في كتاب «النبوات» (ص ٧ ـ ٨): «ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها؛ كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر، وإظهار أبي مسلم لمّا أُلقِي في النار أنها صارت عليه برداً وسلاماً».

وقال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٧٦): «وكرامات الصحابة

من الملائكة ومن صالحي الجن؛ فجنود الله بلغوا صوت عمر إلى سارية، وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر، وإلا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هٰذه المسافة البعيدة، وهٰذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه؛ فيقول: يا فلان! فيعان على ذٰلك، فيقول: الواسطة بينهما يا فلان. وقد يقول لمن هو بعيد عنه: يا فلان! احبس الماء، تعال إلينا، وهو لا يسمع صوته، فيناديه الواسطة بمثل ذٰلك: يا فلان! احبس الماء، أرسل الماء؛ إما بمثل صوت الأول إن كان لا يقبل إلا صوته، وإلا؛ فلا يضر بأي صوت كان إذا عرف أن صاحبه قد ناداه، وهٰذه حكاية:

*** للجن بريد كالإنس:**

كان عمر مرة قد أرسل جيشاً، فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر، فقال عمر: من أين لكم هٰذا؟ قالوا: لشخص صفته كيت وكيت فأخبرنا. فقال عمر: ذاك أبو الهيثم بريد الجن، وسيجيء بريد الإنسان بعد ذٰلك بأيام(١).

= والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً: مثل... وعمر بن الخطاب لمّا أرسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى «سارية»، فبينما عمر يخطب؛ فجعل يصيح على المنبر: يا سارية! الجبل. يا سارية! الجبل. فقدم رسول الجيش فسأل فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدواً فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية! الجبل. يا سارية! الجبل. فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله».

(١) قال الذهبي في «السير» (٢ / ٣٥٧) عن زائدة[هو ابن قدامة]: حدثنا عاصم بن كليب الجرمي، حدثني أبي: «أنه أبطأ على عمر خبر نهاوند وابن مقرّن، وأنه كان يستنصر، وأن الناس كانوا مما يرون من استنصاره ليس همهم إلاّ نهاوند =

* **استخدام بعض الناس للجن في المباحات:**

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه إياه، فيخرج الناس يتحدثون به؛ فإن الجن تسمعه وتخبر به الناس، والذي يستخدمون الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان، لٰكن أعطي ملكاً لا ينبغي لأحد بعده، وسخرت له الإنس والجن، وهٰذا لم يحصل لغيره، والنبي ﷺ لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته؛ قال: «فأخذته، فذعتُّه حتى سال لعابه على يدي، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، ثم ذكرت دعوة أخي سليمان، فأرسلته»[1]...

وكثير ممن يرى هٰذه العجائب الخارقة يعتقد أنها من كرامات

= وابن مقرّن، فجاء أعرابي مهاجر، فلما بلغ البقيع؛ قال: ما أتاكم عن نهاوند؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: لا شيء. فأرسل إليه عمر، فأتاه، فقال: أقبلت بأهلي مهاجراً حتى وردنا مكان كذا وكذا، فلما صدرنا إذا نحن براكب على جمل أحمر ما رأيت مثله، فقلت: يا عبدالله! من أين أقبلت؟ قال: من العراق. قلت: ما خبر الناس؟ قال: اقتتل الناس بنهاوند، ففتحها الله، وقتل ابن مقرّن، والله؛ ما أدري أي الناس هو؟ ولا ما نهاوند؟ فقال: أتدري أي يوم ذاك من الجمعة؟ قال: لا. قال عمر: لٰكني أدري، عُدّ منازلك. قال: نزلنا مكان كذا، ثم ارتحلنا فنزلنا منزل كذا، حتى عدّ. فقال عمر: ذاك يوم كذا وكذا من الجمعة، لعلك تكون لقيت بريداً من برد الجن؛ فإن لهم برداً، فلبثت ما لبثت، ثم جاء البشيرُ بأنهم التقوا ذٰلك اليوم».

وهٰذا سند رجاله ثقات.

(1) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٢١٠)، وأخرجه أيضاً بنحوه (رقم ٤٦١، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان، رقم ٥٤١). وانظر: (ص ١٨٨ من هٰذا الكتاب).

الأولياء. . .

*** بعض الناس يظن أفعال الشياطين كرامات:**

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان، وما يفعله الشياطين من العجائب، وظنوا أنها لا تكون إلا لرجل صالح؛ فصار من ظهرت هٰذه له يظن أنها كرامة، فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الأولياء، وكذٰلك غيرهم يظن فيه ذٰلك، ثم يقولون: الولي إذا تولى لا يعترض عليه؛ فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول؛ مثل: ترك الصلاة المفروضة، وأكل الخبائث والخمر والحشيشة والميتة وغير ذٰلك، وفعل الفواحش، والفحش والتفحش في المنطق، وظلم الناس، وقتل النفس بغير حق، والشرك بالله، وهو مع ذٰلك يظن فيه أنه ولي من أولياء الله، قد وهبه الله هٰذه الكرامات بلا عمل فضلاً من الله تعالى، ولا يعلمون أن هٰذه من أعمال الشياطين، وأن هٰذه من أولياء الشياطين تضل بها الناس وتغويهم، [ومن حكم لمرتكب المحرمات وهو عالم بأنها من المحرمات أنه ولي لله تعالى؛ فهو كافر باتفاق المسلمين][1]، [والشيطان قد يجري بعض الخوارق على يدي ولي الرحمٰن، يلبسها عليه لنقص درجته ولا يعلم الولي أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذٰلك عن ولاية الله تعالى][2].

ودخلت الشياطين في أنواع من ذٰلك:

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح» (٢ / ١٤٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٠٢).

*** الشيطان يأتي للإنسان في النوم ويعطيه شيئاً حقيقياً:**

فتارة يأتون الشخص في النوم، يقول أحدهم: أنا أبو بكر الصديق، وأنا أُتوِّبُك لي، وأصيرُ شيخَك، وأنت تُتوِّبُ الناس لي، ويلبسه؛ فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه؛ فلا يشك أن الصديق هو الذي جاءه ولا يعلم أنه الشيطان، وقد جرى مثل هٰذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام.

وتارة يقص شعره في النوم، فيصبح فيجد شعره مقصوصاً، وتارة يقول: أنا الشيخ فلان؛ فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه وقص شعره، وكثيراً ما يستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت، فيأتونه في صورة ذٰلك الشيخ، وقد يخلصونه مما يكره؛ فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه، أو أن ملكاً تصور بصورته وجاءه، ولا يعلم أن ذٰلك الذي تمثل إنما هو الشيطان لما أشرك بالله أضلته الشياطين، والملائكة لا تجيب مشركاً.

*** قد يسلم إنسان على يد جني صالح:**

وتارة يأتون إلى من هو خالٍ في البرية وقد يكون ملكاً أو أميراً كبيراً، ويكون كافراً، وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت، فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام ويتوبه، فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه، ويدله على الطريق، ويقول: من أنت؟ فيقول: أنا فلان، ويكون من مؤمني الجن.

*** الجن يتصورون بصورة ابن تيمية ويدعون الكفار إلى الإسلام:**

كما جرى مثل هٰذا لي: كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هٰذا إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذٰلك الشخص: أنا ابن تيمية؛ فلم يشك ذٰلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذٰلك ملك ماردين، وأرسل بذٰلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولاً وكنت في الحبس، فاستعظموا ذٰلك وأنا لم أخرج من الحبس، ولٰكن كان هٰذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم؛ لما جاؤوا إلى دمشق، كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذٰلك إكرامي ليظن ذاك أني أنا الذي فعلت ذٰلك.

قال لي طائفة من الناس: فلم لا يجوز أن يكون ملكاً؟ قلت: لا، إن الملك لا يكذب، وهٰذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذٰلك.

وكثير من الناس رأى من قال: إني أنا الخضر، وإنما كان جنياً، ثم صار من الناس من يكذب بهٰذه الحكايات؛ إنكاراً لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكلا الطائفتين مخطىء؛ فإن الذين رأوا من قال: إني أنا الخضر، هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات، لٰكن أخطأوا في ظنهم أنه الخضر، وإنما كان جنياً، ولهٰذا يجري مثل هٰذا لليهود والنصارى؛ فكثيراً ما يأتيهم في كنائسهم من يقول: إنه الخضر، وكذٰلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول: إنه الخضر.

وفي ذٰلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هٰذا الموضع، يبين صدق من رأى شخصاً وظن أنه الخضر، وأنه غلط في ظنه أنه الخضر، وإنما كان جنياً، وقد يقول: أنا المسيح، أو موسى، أو محمد، أو أبو بكر، أو عمر، أو الشيخ فلان؛ فكل هٰذا قد وقع، والنبي ﷺ قال: «من رآني في المنام؛ فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[١].

قال ابن عباس: في صورته التي كان عليها في حياته.

وهٰذه رؤية في المنام، وأما في اليقظة؛ فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة؛ فمن جهله أتي[٢].

*** الشيطان أتى الحواريين في صورة عيسى عليه الصلاة والسلام:**

ومن هنا ضلت النصارى حيث اعتقدوا أن المسيح بعد أن صلب كما يظنون أنه أتى إلى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهٰذا مذكور في «أناجيلهم»، وكلها تشهد بذٰلك، وذاك الذي جاء كان شيطاناً؛ قال: أنا المسيح، ولم يكن هو المسيح نفسه، ويجوز أن يشتبه مثل هٰذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين، ولٰكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه؛ فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه، ولم يرفع حتى بلغ رسالات ربه؛ فلا حاجة إلى مجيئه بعد أن رفع إلى

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٩٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٢٦٦، ٢٢٦٧)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

(٢) انظر ما مضى: (ص ١٧٣ - ١٧٥) وتعليقنا عليه.

السماء.

*** الشيطان يتمثل بصورة الحلَّاج:**

وأصحاب الحلاج لما قتل كان يأتيهم من يقول: أنا الحلاج؛ فيرونه في صورته عياناً، وكذٰلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة.

*** شيخ الإسلام ابن تيمية يعرف خط الجن وكتابتهم:**

وأراني صادقٌ من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن ـ وقد رأيت خط الجن غير مرة[1] ـ، وفيه كلام من كلام الجن، وذٰلك

---

(١) قال الحافظ السخاوي في «الإيقاظ» (ص ٣١ ـ ط الدار السلفية): «وقد ثبت لنا عن غير واحد من العلماء الصلحاء اجتماع الجن بهم، كما في ترجمة القاضي الخِلعي، وأنهم انقطعوا عنه مدة، وسألهم عن سبب ذلك، فقالوا: إن في بيتك الأترجّ، ونحن لا ندخل بيتاً فيه أترجّ».
قلت: انظر هٰذه القصة في ترجمة القاضي الخِلعي في «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٧٦)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٢٥٤).
وفيهما أيضاً عن أبي الفضل الجوهري الواعظ؛ قال: «كنت أتردد إلى الخلعي، فقمت في ليلة مقمرة ظننت الصبح؛ فإذا على باب مسجده فرس حسنة، فصعدت، فوجدت بين يديه شاباً لم أر أحسن منه يقرأ القرآن، فجلست أسمع إلى أن قرأ جزءاً، ثم قال الشيخ: آجرك الله! قال: نفعك الله. ثم نزل، فنزلت خلفه، فلما استوى على الفرس طارت به. فغشي عليَّ، والقاضي يصيح بي: اصعد يا أبا الفضل. فصعدت، فقال: هٰذا من مؤمني الجنّ، يأتي في الأسبوع مرةً يقرأ جزءاً ويمضي».
وأخرج الدينوري في «المجالسة» (٣٩٦ ـ بتحقيقي) عن أبي عمران التمّار؛ قال: «غدوت يوماً قبل الفجر إلى مجلس الحسن الجعدي، وإذا باب المسجد=

المعتقد يعتقد أن الشيخ حي، وكان يقول: انتقل ثم مات، وكذٰلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن، وقيل: كان بعد هٰذا يأتي أصحابه في صورته، فيعتقدون أنه هو، وكذٰلك الذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد ابن الحنفية قد كان يأتي إلى بعض أصحابهم جني في صورته، وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم أحياناً ويكون المرئي جنياً»[1].

= مغلق، ورجل يدعو، وقومٌ يؤمِّنون على دعائه. قال: فجلست حتى جاء المؤذن، فأذَّن وفتح باب المسجد، فدخلت؛ فإذا الحسن جالس وحده وجهه إلى القبلة، فجلست حتى صلَّى الصبح وتفرَّقَ الناس عنه، فقلت له: رأيتُ عجباً اليوم! فقال: وما الذي رأيت؟ قلتُ: جئتُ قبل الفجر وأنت تدعو وقومٌ يؤمِّنون على دعائك، ثم دخلت؛ فما رأيت في المسجد غيرَك. فقال: أولئك جنٌّ من أهل نصيبين يشهدون معي ختمة القرآن كل ليلة جمعة، ثم ينصرفون».

وأورده السيوطي في «لقط المرجان» (ص ٥٨) وعزاه إلى «المجالسة».

قلت: وللشعراني الصوفي كتاب اسمه «كشف الران عن أسئلة الجان» ذكر في مقدمته أن الجن جاؤوه وسألوه عن نحو ثمانين مسألة من مسائل التوحيد، وطلبوا منه أن يجيبهم عليها؛ فألف هٰذا الكتاب تحقيقاً لرغبتهم، والكتاب مطبوع بمصر.

والشيخ المدابغي الشافعي كان في بيته جني يلازمه يستفيد منه في صورة قط، والشيخ لا يعلم، ولما علم به وطلب منه أن يأتيه بنقود خرج ولم يعد، وكان كثير من علماء المغرب يُعلِّمون الجن القرآن ويلقنوهم في الطريق. انظر: «الحاوي في فتاوي الغماري» (٣ / ٧٠).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٨٠ ـ ٩٥)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٨٣ ـ ١٩٧ و٤ / ٢٦١ ـ ٢٧٥)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٠ ـ ٧٢).

وانظر: «قاعدة عظيمة» (١٥٤ ـ ١٥٥).

* **حكم استخدام الجن من قبل الإنس:**

«والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

ـ فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذٰلك؛ فهٰذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذٰلك من خلفاء الرسول ونوابه.

ـ ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له[١]؛ فهو كمن

---

(١) فصل الشيخ ابن عثيمين حفظه الله هٰذا الإجمال في «مجموع الفتاوى والرسائل» (٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٣١٨)، وقد اتخذ بعض الرقاة كلام شيخ الإسلام رحمه الله متكئاً على مشروعية الاستعانة بالجن المسلم في العلاج بأنه من الأمور المباحة، ولا أرى في كلام شيخ الإسلام ما يسوغ لهم هٰذا، فإذا كان من البدهيات المسلم بها أن الجن من عالم الغيب يرانا ولا نراه، الغالب عليه الكذب، معتد ظلوم غشوم، لا يعرف العذر بالجهل، مجهولة عدالته لذا روايته للحديث ضعيفة؛ فما هو المقياس الذي نحكم به على أن هٰذا الجني مسلم وهٰذا منافق أو كافر وهٰذا صالح وذاك طالح؟!
لذا الاستعانة بالجن المسلم (كما يدعي البعض) في العلاج لا تجوز؛ للأسباب التالية:
أولاً: قد ثبت أن النبي ﷺ رقى ورُقي وأمر أصحابه بالرقية؛ فاجتمع بذٰلك فعله وأمره وإقراره ﷺ، فلو كانت الاستعانة بالجن المسلم كما يدعي البعض فضيلة ما ادخرها الله عن رسوله ﷺ يوم سحرته يهود، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم وهم خير الخلق وأفضلهم بعد أنبيائه، وفيهم من أصابه الصرع، وفيهم من أصابته العين، وفيهم من تناوشته الأمراض من كل جانب، فما نقلت لنا كتب السنة عن راقٍ فيهم استعان بالجن.
ثانياً: الاستعانة بالجني المسلم ـ كما يدّعي البعض ـ تعلق قلب الراقي بهٰذا =

= الجني، وهٰذا ذريعة لتفشي استخدام الجن مسلمهم وكافرهم، ومن ثم يصبح وسيلة من وسائل الشرك بالله جل وعلا وخرق ثوب التوحيد، ومن فهم مقاصد الشريعة تبين له خطورة هذا الأمر؛ فما قاعدة (سد الذرائع) إلا من هذا القبيل.
ثالثاً: يجب المفاصلة بين الراقي بالقرآن والساحر ـ عليه لعنة الله ـ، وهٰذا الأمر فيه مشابهة لفعل السحرة؛ فالساحر يستعين بالجن ويساعدونه ويقضون له بعض حوائجه، لذا قد يختلط الأمر على من قلَّ حظُّه من العلم، فيساوي بين الراقي بالقرآن والساحر، فيروج بذٰلك سوق السحرة، وهٰذا من المفاسد العظيمة على العقيدة.
رابعاً: من المعلوم أن الجن أصل خلقته من النار، والنار خاصيتها الإحراق، فيغلب على طبعه الظلم والاعتداء وسرعة التقلب والتحول من حال إلى حال؛ فقد ينقلب من صديق إلى ألد الأعداء، ويذيق صاحبه سوء العذاب لأنه أصبح خبيراً بنقاط ضعفه.

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

فمن أراد التخلص من هٰذا الأمر؛ فليستشعر أن الحق في اتباع النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين والتابعين من أئمة الهدى والتقى والدين، وليترك التعرج على كل ما خالف طريقتهم كائناً ما كان؛ فهل بعد سبيل الله ورسوله إلاّ سبيل الشيطان؟ والله أعلم.
وقد سئل الشيخ عبدالله بن جبرين ـ كما في «الفتاوى الذهبية» (ص ١٩٨) ـ: «هل للمعالج أن يستخدم جنياً مسلماً في معرفة إذا ما كان الشخص به مس أو غير ذلك؟».
فأجاب بقوله: «الجواب: لا أرى ذٰلك؛ فإن المعتاد أن الجن تخدم الإنس إذا أطاعوها، ولا بد أن تكون الطاعة مشتملة على فعل محرم أو اقتراف ذنب؛ فإن الجن غالباً لا يتعرضون للإنس إلا إذا تعرضوا لهم أو كانوا من الشياطين، ثم

استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهٰذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له؛ فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذٰلك، وهٰذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى؛ فغايته أن يكون في عموم أولياء الله، مثل النبي الملك مع العبد الرسول؛ كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

*** استعمال الجن في الإثم والعدوان:**

ـ ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله: إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل؛ كتمريضه وإنسائه العلم[1]... وغير ذٰلك من الظلم، وإما في فاحشة؛ كجلب من يطلب منه الفاحشة؛ فهٰذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر؛ فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي؛ فهو عاص: إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة، فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل

= إن بعض الإخوان الصالحين ذكروا أن الجن المسلمين قد يخاطبونهم ويجيبون على أسئلة يلقونها ولا نفهم بعض أولٰئك الإخوان بأنهم يعملون شركاً أو سحراً، فإذا ثبت هٰذا؛ فلا مانع من سؤالهم، ولا يلزم تصديقهم في كل ما يقولون، والله أعلم.»

وانظر: «الرقية والرقاة بين المشروع والممنوع» (ص ٧٠ ومابعد).

(١) انظر: «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١ / ٩٦ ـ قسم العقيدة).

أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة... ونحو ذٰلك؛ فهٰذا مغرور قد مكروا به.

وكثير من هٰؤلاء قد لا يعرف أن ذٰلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية؛ فيمكرون به بحسب اعتقاده، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان؛ أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذٰلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه صالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

*** الشيطان يتمثل بصورة من يستغيث به المشركون:**

ولهٰذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها؛ فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له، ولهٰذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره؛ جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به، وإن كان منتسباً إلى الإسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين؛ جاء في صورة ذٰلك الشيخ، وإن كان من

مشركي الهند؛ جاء في صورة من يعظمه ذٰلك المشرك.

*** الشيطان يتوسط بين المستغيث والمستغاث به:**

ثم إن الشيخ المستغاث به إنْ كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرِّفْه الشَّيطانُ أنه تمثَّل لأصحابه المستغيثين به، وإنْ كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هٰذا بصورة مكاشفة ومخاطبة، فقال: يرونني الجن شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به، قال: فأخبر الناس به، ويوصلون إلي كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه، فيوصلون جوابي إليه.

*** الإنس يستعملون الحيل ويدخلون النار فلا تؤذيهم:**

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هٰذه الخوارق إذا كذَّب بها من لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هٰذا بطريق الحيلة كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج ودهن الضفادع، وغير ذٰلك من الحيل الطبيعية، فيعجب هٰؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هٰذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبير[1]: إنكم لصادقون في

---

(١) يعني نفسه رحمه الله؛ فقد كشف كثيراً من ألاعيب ومخاريق الدجاجلة من البطائحية الرفاعية، الذين كانوا يستخدمون هٰذه الأدهان ويدخلون النار فلا تحرقهم، فيلبّسون بذٰلك على العوام والسّذّج، فيظنون أنهم أصحاب كرامات، وقد تحدّاهم شيخ الإسلام وناظرهم في مشهد كبير بقصر الإمارة والميدان =

ذٰلك، ولٰكن هٰذه الأحوال شيطانية؛ أقروا بذٰلك وتاب منهم من تاب

= بحضرة الخلق من الأمراء ـ أمثال أمير دمشق والأمير الكبير الحاج بهادر وغيرهما ـ والكتاب والعلماء والفقراء والعامة يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس وثمان مئة، تحداهم أن يغسلوا أجسادهم بالخل والماء الحار ويدخلون النار وهو يدخل معهم وقال لهم: ندخل جميعاً بعد أن نغتسل بالخل والماء الحار؛ فمن احترق فهو مغلوب ـ أو قال: فعليه لعنة الله ـ. فعند ذٰلك طلبوا الصلح والعفو عن الماضي والتوبة، فظهر عجزهم للحاضرين وبان كذبهم وتلبيسهم للأمراء الذين كانوا يشدون من أزرهم، وسأل الأمير شيخ الإسلام عن ما يطلب منهم، فقال: متابعة الكتاب والسنة.

وهٰذه الواقعة حصل بها عزُّ الدين، وظهورُ كلمته العليا، وقهرُ الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذٰلك من أهل البدع المضلة والأحوال الفاسدة، والتلبيس على المسلمين.

أمّا عن دخول شيخ الإسلام النار وعزمه على ذٰلك ومدى جوازه؛ فقد قال رحمه الله: «ونحن لا نستحِل أن نأمر أحداً بأن يدخل ناراً، ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار... لٰكن هٰؤلاء يزعمون أن لهم أحوالاً يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذٰلك، ويقولون لنا: هٰذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع؛ فليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه، سواء وافق الشرع عليه أم خالفه، وأنا قد استخرت الله سبحانه أنَّهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم؛ فعليه لعنة الله وكان مغلوباً. ولما سأله الأمير: أتفعل ذٰلك؟ فقال له: نعم، قد استخرت الله في ذٰلك وأُلقي في قلبي أن أفعله. ونحن لا نرى هٰذا وأمثاله ابتداءً؛ فإنَّ خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً وظاهراً لحجة أو حاجة.

وانظر ذٰلك مفصلاً في: «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ١٣٣ ـ ١٥٥)، و «العقود الدّرّيّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية» للحافظ محمد بن عبدالهادي (١٩٤ ـ ١٩٥).

الله عليه لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله؛ فلا تحصل عند ما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمٰن لأوليائه»[1].

*** اسم «الكاهن» ليس مذموماً عند أهل الكتاب:**

«الكاهن عند العرب: هو الذي يتكلم بكلام مسجوع، وله قرين من الجن.

وهٰذا الاسم ليس بذمٍّ عند أهل الكتاب، بل يُسمُّون أكثر العلماء بهٰذا الاسم، ويُسَمُّون هارون عليه السلام وأولاده الذين عندهم التوراة بهٰذا الاسم، والقدر المشترك: العلم بالأمور الغائبة والحكم بها؛ فعلماء أهل الكتاب يخبرون بالغيب ويحكمون به عن الوحي الذي أوحاه الله، وكهان العرب كانت تفعل ذٰلك عن وحي الشياطين، وتمتاز بأنها تسجع الكلام بخلاف اسم الساحر؛ فإنه اسم معروف في جميع الأمم.

وقد يدخل في ذٰلك عندهم المخدوم الذي تخبره الشياطين ببعض الأمور الغائبة»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٣٠٧ ـ ٣١٠)، و «مجموع الرسائل والمسائل» (١٣٣ ـ وما بعدها).

(٢) «النبوات» (ص ٤١١ ـ ٤١٢).

* إنكار المعتزلة للكهانة:

والمعتزلة أنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات[1].

«والقرآن أخبرنا بالسحر في سورة البقرة بخلاف الكاهن؛ فإن القرآن ذكر اسمه، ولو تدبروا لعلموا أن الكاهن هو المذكور في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قيل له: «إن منا قوماً يأتون الكهان. قال: «فلا يأتوهم»»[2]. وسئل عن الكهان وما يخبرون به، فأخبر أن الجن تسترق السمع وتخبرهم به[3].

* الفرق بين الكاهن والساحر:

فالكتاب والسنة أثبتا وجود الكاهن، وأحمد قد نص على أنه يقتل كالساحر، لٰكن الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف بقتلٍ وإمراضٍ وغير ذٰلك، وهٰذا تطلبه النفوس أكثر، وابن صياد كان كاهناً، ولهٰذا قال له النبي ﷺ: «قد خبأت لك خبياً». فقال: الدُّخّ.

---

(١) «النبوات» (ص ١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السُّلَميّ رفعه، وخرجته بتفصيل في تعليقي على «الموافقات» (١ / ٦٠ ـ ٦٤) للشاطبي.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤ / ٨١ و١١ / ٢٨٣، ٣٠٤)، و «الجواب الصحيح» (١ / ٤٠٠)، و «الرد على الأخنائي» (ص ٢١٦)، و «النبوات» (ص ٣٠١).

فقال: «اخسأ؛ فلن تعدوا قدرك، إنما أنت من إخوان الكهّان»[1].

ولما قضى في الجنين بغُرَّة؛ قال حَمَلُ بن مالك: أَنَدِي من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذٰلك يطل؟! فقال: «إنما أنت من إخوان الكهان»[2] من أجل سجعه الذي سجع؛ فكانوا يسجعون

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٣٥٤، ١٣٥٥، ٢٦٣٨، ٣٠٢٣، ٣٣٣٧، ٦١٧٣، ٦١٧٤، ٦١٧٥)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩٣٠)؛ عن ابن عمر.

وأخرجه مسلم في «الصحيح» (رقم ٢٩٢٤)، وأحمد في «المسند» (١ / ٣٨٠)، وغيرهم؛ عن ابن مسعود.

واختلفوا في معنى (الدُّخ)، وأصح الأقوال أنَّ ابن صياد لم يهتد مما أضمر له ﷺ من الدخان الوارد في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]؛ فلم يهتد إلا لهٰذا اللفظ الناقص على عادة الكهان، إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يُدركه الشهاب، ويدل عليه قوله ﷺ في الحديث نفسه: «اخسأ؛ فلن تعدو قدرك»؛ أي: القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يبين من تحقيقه، ولا يصل به إلى بيان وتحقيق أمور الغيب، ومعنى (اخسأ): اقعد. انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨ / ٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٩٠٥، ٦٩٠٦، ٦٩٠٧، ٦٩٠٨، ٧٣١٧، ٧٣١٨)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ١٦٨٢)؛ عن المغيرة بن شعبة رفعه.

وأخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٦٩١٠)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٦٨١)؛ عن أبي هريرة رفعه.

والغُرَّة من كل شيء: أنفسه، والمراد من الحديث: النسمة من الرقيق ذكراً كان أو أنثى، يكون ثمنها نصف عشر الديَّة. قاله البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٢٠٧).

أساجيع، وقد رأيت من هٰؤلاء شيوخاً يسجعون أساجيع كأساجيع الكهان، ويكون كثيراً منها صدقاً، ولهٰذا جمع الله بين الكاهن والشاعر في قوله:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٣].

وكذٰلك في الشعراء ذكر الكاهن والشعر بعد قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . . . ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] إلى قوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

والرسول في آية الحاقة: محمد، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٧].

فلما أخبر به أنه قول رسول ـ وهو ملك من الملائكة ـ نفى أن يكون قول شيطان، ولما أخبر هناك أنه قول رسول من البشر نفى أن يكون قول شاعر أو كاهن؛ فهٰذا تنزيه للقرآن نفسه(١)، ونزه الرسول أن

---

(١) فالقرآن الكريم منزه عن قولهم، ولا يستطيعون هم ولا أعوانهم من شياطين الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.
انظر في ذٰلك: «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٧٦ و١٤ / ١٩٧ ـ ١٩٨)، =

يكون على الغيب بضنين؛ أي: متهم، وأن يكون بمجنون؛ فالجنون فساد في العلم، والتهمة فساد في القصد؛ كما قالوا: ساحر أو مجنون.

وقال في الطور: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣١].

وقد أخبر عن الأنبياء قبله أنه ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون»[(١)].

ومن الآيات الدالة على نبوة وصدق النبي ﷺ: «ما ذكره من أن السماء مئلت حرساً شديداً وشهباً، بخلاف ما كانت العادة جارية به، قال تعالى:

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ١٠].

= و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٣٩٦)، و «النبوات» (ص ١٥٧، ١٥٨، ١٨٩، ٢٣٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٤٨، ٣٢١)، و «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١ / ٤٠٩، ٤٢٧ و٥ / ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٣٢)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٣٦٤ و٥ / ٤٨ و٦ / ٢٧١ و٧ / ٦٥).

(١) «النبوات» (ص ٤١٠ ـ ٤١١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

*** الكفار لم يكذبوا الجن فيما أخبروا به من امتلاء السماء بالشهب والحرس:**

وهٰذا كان النبي ﷺ يقرؤه على الناس وهم يقرؤنه، ولم ينكره أحد، ولا ارتاب به مؤمن، ولا احتج به عليه كافر؛ فدل أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذٰلك من الاستماع.

ومعلوم أن هٰذا أمر يراه الناس بأبصارهم؛ فإن امتلاء السماء بالشهب أمر يراه الناس كلهم، فلو لم يكن كذٰلك؛ لكان الناس يكذبون بهٰذا، مؤمنهم وكافرهم؛ فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطئوا، يمتنع اتفاقهم على الكذب وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب، وعلى كتمان ما يعلمونه وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب.

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هٰذا كان موجوداً ـ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ـ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت، فلما لم ينكر ذٰلك أحد، بل تظاهرت الأخبار(١)

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٤ / ٣٨): «وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب، وهٰذا أمر خارق العادة، حتى =

بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب، الذي لم يُعهد مثله حتى صاروا يشكون: هل ذٰلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا: إن كان في كواكب الأفلاك؛ فهو خراب العالم، فلما رأوه فيما دونها؛ علموا أنه لأمر حدث.

ففي «الصحيحين» من حديث ابن عباس؛ قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين السماء، أرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا: ما هٰذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهي بنخل عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هٰذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا:

﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

= خاف بعض الناس أن يكون ذٰلك لخراب العالم حتى نظروا: هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب علموا أنه لأمر حَدَث، وأُرسلت الجنُّ تطلب سبب ذٰلك حتى سمعت القرآن؛ فعلمت أنه كان لأجل ذٰلك».

فأنزل الله عز وجل على نبيِّه محمد ﷺ:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ . . . ﴾ [الجن: ١][(١)].

وفي لفظ البخاري بنخلة قريباً من مكة، وهو الصواب.

*** كيفية استراق الجن للسمع:**

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذٰلك بحال، والصواب أنه كان الرمي بها كما هو الآن أحياناً، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن ابن عباس، ورواه أيضاً أحمد في «مسنده»: «أن رسول الله ﷺ بينما هو في نفر من الأنصار؛ إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم: «ما كنتم تقولون في هٰذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية؟». قالوا: كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك، وُلد مولود. فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذٰلك كذٰلك، ولٰكن الله إذا قضى في خلقه أمراً يسمعه أهل العرش، فيسبحون، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم، فيسبح من تحت ذٰلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض: لم سبحتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم. فيقولون: ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا؟! فيسألونهم، فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا، الأمر الذي كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى سماء

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾، ٨ / ٦٦٩ / رقم ٤٩٢١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح. . .، ١ / ٣٣١ ـ ٣٣٢ / رقم ٤٤٩).

الدنيا، فيتحدثون به، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض، فيحدثونهم، فيخطئون ويصيبون، فيحدث الكهان»[1].

وفي «الصحيحين» عن عائشة؛ قالت: «قلت: يا رسول الله! إن الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقاً. قال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مئة كذبة»[2].

وروى البخاري في «صحيحه» عن عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العَنَان ـ وهو السحاب ـ، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم»[3].

وفي «صحيح البخاري» أيضاً عن أبي هريرة؛ قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤ / ١٧٥٠ / رقم ٢٢٢٩)، وأحمد في «مسنده» (١ / ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الطب، باب الكهانة، ١٠ / ٢١٦ / رقم ٥٧٦٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤ / ١٧٥٠ / رقم ٢٢٢٨) ـ واللفظ له ـ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦ / ٣٠٤ / رقم ٢٢١).

فُزِّعَ[1] عن قلوبهم؛ قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هٰكذا بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة، فيلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، الكلمة التي سمعت من السماء، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[2].

ورواه محمد بن إسحاق عن الزهري، وقال في آخره: «ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهٰذه النجوم، فانقطعت الكهانة؛ فلا كهانة»[3].

ورواه معمر عن الزهري، وقال: «فقلت للزهري: أوكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: يقول الله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ...﴾ [الجن: ٩] الآية. قال: غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي ﷺ»[4].

---

(١) أي: ذهب الفزع والخوف عنهم.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، سورة سبأ، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، رقم ٤٨٠٠) وفي «خلق أفعال العباد» (رقم ٦٠)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٣٩٨٩)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٢٢٣)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ١٩٤)، والحميدي في «المسند» (رقم ١١٥١)؛ من طرق عن سفيان بن عيينة، حدثنا عمرو بن دينار، سمعت عكرمة، عن أبي هريرة رفعه.

(٣) «سيرة ابن هشام» (١ / ٢٢٠).

(٤) رواه عبدالرزاق في «التفسير» (٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢) ـ وعنه ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص ٤٢٩) ـ عن معمر، به.

وروى الطبري عن داود: ثنا عاصم بن علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: «كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي، وكان الوحي إذا أوحي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة رمى بها على الصفوان(١)، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي(٢)؛ خر لجباههم من في السماء من الملائكة، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فينادون: قال ربكم: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

قال: فإذا نزل إلى السماء الدنيا قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتاً، وكذا وكذا حياة، وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خصباً، وما يريد أن يصنع وما يريد أن يبتدي تبارك وتعالى، فنزلت الجن، فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس ما يكون في الأرض، فبينما هم كذٰلك؛ إذ بعث النبي ﷺ فزجرت الشياطين، ورموهم بالكواكب، فمنعوا، فجعل لا يصعد أحد إلا احترق، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذٰلك، فقالوا: هلك من في السماء، وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحر كل يوم بعيراً لآلهتهم، فينطلق صاحب الغنم، فيذبح كل يوم شاة، فينطلق صاحب البقر، فيذبح كل يوم بقرة، فقال لهم رجل: ويلكم! لا تهلكوا أموالكم؛ فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها

(١) الصفوان: هو الحجر الملس، ويستعمل اللفظ في الجمع والمفرد. انظر: «المصباح المنير» (ص ٣٤٤).

(٢) الصلصلة: هي صفاء صوت الرعد. انظر: «لسان العرب» (١١ / ٣٨٢).

شيء. فأقلعوا، وقد أسرعوا في أموالهم، وقال إبليس: حدث في الأرض حدث، فأتوني من كل مكان في الأرض بتربة، فجعل لا يؤتى بتربة أرض إلا شمها، فلما أتي بتربة تِهامة قال: ها هنا حدث الحدث. فصرف الله إليه نفراً من الجن وهو يقرأ القرآن، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا...﴾ [الجن: ١]؛ حتى ختم الآية: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]»[1].

ورواه أبو زرعة عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه، ورواه البيهقي من طرق عن حماد بن سلمة عن عطاء أيضاً.

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وقبل ذٰلك لم يكن الحرس شديداً، ولا كانت السماء مملوءة حرساً وشهباً كما هي الآن يرمى بها أحياناً، وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع؛ أي: يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلى حديث غيره مختفياً بسماعه مسترقاً له؛ فكانت الشياطين تسترق (أي: تستمع) ما تقوله الملائكة، فلما بعث محمد ﷺ صار أحدهم إذا سمع وجد

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ٢٤٠) من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، به مع اختلاف طفيف.
ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ١٨٠) من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، بمثله.
وأخرجه ابن جرير (٢٦ / ٣٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢ / ٢٤١ ـ ٢٤٢)، والتيمي في «الدلائل» (٦٨)؛ من طريق آخر فيه ضعف.

الشهاب قد أرصد له؛ فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذٰلك»[1].

واعلم أن هٰذا الغيب الذي قد علموه باستراقهم ليس من علم وغيب الله تعالى المختص به[2].

«وأخبار الكهان فيها كذب كثير، والكاهن قد عرف أنه يكذب كثيراً مع فجوره، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، والكهانة جنس معروف، ومعروف أن الكاهن يتلقى عن الشيطان ولا بد من كذبهم وفجورهم»[3].

*** مناظرة شيخ الإسلام للمنجمين وتبيينه لفساد صناعتهم:**

«وهٰكذا «المنجمون»، حتى إني خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم، وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها، قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مئة كذبة حتى نصدق في كلمة، وذٰلك أن مبنى علمهم على أن الحركات العلوية هي السبب في الحوادث، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، وهٰذا إنما يكون إذا علم السبب التام الذي لا يتخلف عنه حكمه، وهٰؤلاء أكثر ما يعلمون إن علموا جزءاً يسيراً من جملة الأسباب الكثيرة، ولا يعلمون بقية

(١) «الجواب الصحيح» (٦ / ٥٧ - ٦٧). وانظر: «الفتاوى الكبرى» (١ / ٣٥٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤ / ١٩٧).
(٣) «النبوات» (ص ١٥٥).

الأسباب ولا الشروط ولا الموانع، مثل من يعلم أن الشمس في الصيف تعلو الرأس حتى يشتد الحر، فيريد أن يعلم من هٰذا مثلاً أنه حينئذ أن العنب الذي في الأرض الفلانية يصير زبيباً، على أن هناك عنباً وأنه ينضج، وينشره صاحبه في الشمس في وقت الحر فيتزبب؛ فهٰذا وإن كان يقع كثيراً؛ لٰكن أخذ هٰذا من مجرد حرارة الشمس جهل عظيم؛ إذ قد يكون هناك عنب وقد لا يكون، وقد يثمر ذٰلك الشجر إن خدم وقد لا يثمر، وقد يؤكل عنباً وقد يعصر، وقد يسرق وقد يزبب، وأمثال ذٰلك»[1].

*** أمور السحر والكهان خارجة عما اعتاده الإنس:**

«وأما السحر والكهانة؛ فهو من إعانة الشياطين لبني آدم؛ فإن الكاهن يُخْبِرُه الجنُّ، وكذٰلك الساحر إنما يَقْتُلُ ويُمْرِض ويصعد في الهواء ونحو ذٰلك بإعانة الشياطين له؛ فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس بإعانة الشياطين لهم، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]؛ فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض؛ فاستخدم هٰؤلاء هٰؤلاء، وهٰؤلاء هٰؤلاء في أمور كثيرة، كل منهم فعل للآخر ما هو غرضه ليعينه على غرضه، والسحر والكهانة من هٰذا الباب.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ١٧٢ ـ ١٧٣)، و «الفتاوى الكبرى» (١ / ٣٥٤).

* **الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه:**

وكذٰلك ما يوجد لعباد الكفار من المشركين وأهل الكتاب، ولعباد المنافقين والملحدين من المظهرين للإسلام والمبتدعين منهم؛ كلها بإعانة الجن والشياطين، لٰكن الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه، فإذا كان القوم كفاراً لا ينكرون السحر والكهانة كما كانت العرب وكالهند والترك والمشركين ظهروا بهٰذا الوصف؛ لأن هٰذا معظم عند تلك الأمة، وإن كان هٰذا مذموماً عند أولٰئك، كما قد ظهر ذم هٰؤلاء عند أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، أظهرته الشياطين فيمن يظهر العبادة، ولا يكون مخلصاً لله في عبادته متبعاً للأنبياء، بل يكون فيه شرك ونفاق وبدعة، فتظهر له هٰذه الأمور التي ظهرت للكهان والسحرة حتى يظن أولٰئك أن هٰذه من كرامات الصالحين، وأن ما هو عليه هٰذا الشخص من العبادة هو طريق أولياء الله، وإن كان مخالفاً لطريق الأنبياء؛ حتى يعتقد من يعتقد أن لله طريقاً يسلكها إليه أولياؤه غير الإيمان بالأنبياء وتصديقهم»(١).

* **قلب الإنسان إذا فرغ من ذكر الله حلت به الشياطين:**

و «الذي قد عُلِمَ بالسمع والعقل أنه إذا فَرَغَ [أي: الإنسان] قلبُه من كل شيء حلَّتْ فيه الشياطين، ثمَّ تنزَّلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهان؛ فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذٰلك؛ تولاه

---

(١) «النبوات» (ص ٣١١ ـ ٣١٢)، وانظره: (ص ٣١٣).

الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]، وقال الشيطان فيما أخبر الله عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [صَ: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً، وإنما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله، فمن لم يكن كذٰلك تولته الشياطين.

وهٰذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية بالأحوال الشيطانية، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة، وظنوا أن ذٰلك من كرامات أولياء الله المتقين»[١].

*** إرسال الشياطين على الكافرين:**

مع أن هٰذه الأمور هي من فعل الشياطين يقيناً؛ فإن الله تعالى كما يرسل الرسل بالرسالة التي يقيم بها الحجة على الخلق، فيهدي من اتبعهم ويدخلهم في رحمته، ويعاقب من عصاهم ويجعلهم من المستوجبين للعذاب؛ فإنه أيضاً يرسل الشياطين، لٰكنه إرسال كوني قدّره وقضاه، على فئة معينة، وهم الكفار[٢]؛ كما يرسل الريح

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٢) قال الإمام ابن القيم في «شفاء العليل» (٦٢ ـ ٦٣): «قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

فالإرسال ها هنا إرسال كوني قدري كإرسال الرياح، وليس بإرسال ديني =

= شرعي؛ فهو إرسال تسليط، بخلاف قوله في المؤمنين: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]؛ فهٰذا السلطان المنفي عنه على المؤمنين هو الذي أرسل به جنده على الكافرين.

قال أبو إسحاق: ومعنى الإرسال ها هنا: التسليط، تقول: قد أرسلت فلاناً على فلان: إذا سلطته عليه، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه.

قلت: ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

وقوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: فالأز في اللغة: التحريك والتهييج، ومنه يقال لغليان القدر: الأزيز؛ لتحرك الماء عند الغليان، وفي الحديث: «كان لصدر رسول الله ﷺ أزيز كأزيز المرجل من البكاء»، وعبارات السلف تدور على هٰذا المعنى.

قال ابن عباس: «تغريهم إغراء». وفي رواية أخرى عنه: «تسلُّهم سلاًّ». وفي رواية أخرى: «تحرضهم تحريضاً». وفي أخرى: «تزعجهم للمعاصي أزعاجاً». وفي أخرى: «توقدهم إيقاداً»؛ أي: كما يتحرك الماء بالوقد تحته.

قال أبو عبيدة: الأزيز: الإلهاب والحركة؛ كالتهاب النار في الحطب، يقول: أز قدرك؛ أي: ألهب تحتها النار، وائتزت القدر: إذا اشتد غليانها، وهٰذا اختيار الأخفش، والتحقيق أن اللفظة تجمع المعنيين جميعاً.

قالت القدرية: معنى ﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: خلينا بينهم وبينها ليس معناه التسليط، قال أبو علي: الإرسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرسل وما يريد؛ فمعنى الآية: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

بالعذاب؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣](١).

* العرَّاف اسم عامٌّ للكاهن والمُنَجِّم والرَّمَّال:

«والدلالة الدالة على فساد هٰذه الصناعة وتحريمها كثيرة، وليس هٰذا موضعها، وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من أتى عرافاً، فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»(٢)، و (العراف) قد قيل: إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرَّمَّال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهٰذه الطرق، ولو قيل: إنه في اللغة اسم لبعض هٰذه الأنواع؛ فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي؛ كما

= قال الواحدي: وإلى هٰذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية. قال: وليس المعنى على ما ذهبوا إليه.

وقال أبو إسحاق: والمختار أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقال: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وإنما معنى الإرسال: التسليط.

قلت: وهٰذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما في الحديث: «إذا أرسلت كلبك المعلم»؛ أي: سلطته ولو خلي بينه وبين الصيد من غير إرسال منه لم يبح صيده، وكذٰلك قوله في عاد: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]؛ أي: سلطناها وسخرناها عليهم».

(١) انظر: «الجواب الصحيح» (١ / ١٤٦ ـ ١٤٧، ١٤٩ و٥ / ٣٣٥)، و «بغية المرتاد» (ص ٣٩٢)، و «الاستغاثة في الرد على البكري» (١ / ٢١٥، ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤ / ١٧٥١ / رقم ٢٢٣٠) عن صفيَّة، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما»[1].

*** وسوسة الشيطان للإنسان وإمكانه رؤيته:**

أولاً: «قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ ـ ٦] فيها أقوال، ولم يذكر ابن الجوزي[2] إلا قولين، ولم يذكر الثالث وهو الصحيح، وهو أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] لبيان الوسواس؛ أي: الذي يوسوس من الجِنَّة ومن الناس في صدور الناس؛ فإن الله تعالى قد أخبر أنه جعل لكل نبي عدواً: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وإيحاؤهم: هو وسوستهم، وليس من شرط الموسوس أن يكون مستتراً عن البصر، بل قد يشاهد، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠ ـ ٢١]، وهٰذا كلام من يعرف قائله ليس شيئاً يُلقَى في القلب لا يُدْرَي ممَن هو، وإبليس قد أمر بالسجود لآدم فأبى واستكبر، فلم يكن ممن لا يعرفه آدم وهو ونسله يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، وأما آدم؛ فقد رآه.

*** رؤية الإنس للشياطين:**

وقد يرى الشياطينَ والجنَّ كثيرٌ من الإنس، لٰكن لهم من

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ١٧٣).

(٢) في «زاد المسير» (٩ / ٢٧٩).

الاجتنان والاستتار ما ليس للإنس، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وفي التفسير والسيرة: إن الشيطان جاءهم في صورة بعض الناس[1]، وكذٰلك قوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦].

وفي حديث أبي ذر عن رسول الله ﷺ: «نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن». قلت: أوللإنس شياطين؟ قال: نعم، شر من شياطين الجن»[2].

---

(١) قال جماهير المفسرين: إن الشيطان جاءهم في صورة سراقة بن مالك بن جشعم، وقاله شيخ الإسلام. انظر: (ص ٥٢ ـ ٥٣) من هٰذا الكتاب.
وهٰذا مروي عن ابن عباس عند: ابن جرير في «التفسير» (١٠ / ١٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥ / ١٧١٥ / رقم ٩١٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣ / ١١١)، وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٤ / ٧٧ ـ ٧٨).
وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢ / ٨٩ ـ ط دار الجيل)، و «سبل الهدى والرشاد» (٣ / ٢٣١)، و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٢ / ٩٤)، و «زاد المعاد» (٣ / ٥٠).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨ / ٢٧٥) عن جعفر بن عون، وأحمد في «المسند» (٥ / ١٧٩) ثنا يزيد، و (٥ / ١٧٨) ثنا وكيع، وأبو داود الطيالسي في «المسند» (رقم ٤٧٨) ـ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٣ / ٢٩١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٩ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥) ـ؛ جميعهم عن المسعودي، عن أبي عمرو الشامي، عن عبيد بن الخَشْخاش، عن أبي ذر، ذكرهُ ضمن حديث طويل.

وأيضاً؛ فالنفس لها وسوسة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]؛ فهٰذا توسوس به نفسه لنفسه كما يقال: حديث النفس، قال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به»[(١)]. أخرجاه في «الصحيحين».

فالذي يوسوس في صدور الناس: نفسه، وشياطين الجن، وشياطين الإنس.

والوسواس الخناس: يتناول وسوسة الجِنَّة ووسوسة الإنس،

= وإسناده ضعيف جداً.

عبيد بن الخَشْخَاش ليِّن؛ كما في «التقريب»، وضعَّفه الدارقطني في «العلل» (٧ / ٦٥)، ونقل البرقاني في «سؤالاته» (رقم ٣٢٧) عن الدارقطني قوله: «متروك»، وقال ابن حجر في «التهذيب» (٧ / ٦٥): «قال البخاري: لم يذكر سماعاً من أبي ذر».

وأبو عمرو الشامي ضعيف.

والمسعودي هو عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عتبة، صدوق، اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط.

وعزاه في «الدر المنثور» (٣ / ٣٤٢) لابن مردويه أيضاً، وفاته العزو للنسائي والطيالسي.

وفي الباب عن أبي أمامة بسندٍ ضعيف جداً عند: أحمد في «المسند» (٥ / ٢٦٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤ / ١٣٧١ / رقم ٧٧٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٢٥٨ / رقم ٧٨٧١).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٥٢٦٩، ٢٥٢٨، ٦٦٦٤)، ومسلم في «الصحيح» (رقم ١٢٧)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجِنَّة فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن.

*** الرد على الفرَّاء في أن الوسوسة تقع من الجن دون الإنس:**

وأما قول الفرّاء[1]: إن المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس: الطائفتين من الجن والإنس، وأنه سمى الجن ناساً، كما سماهم رجالاً، وسماهم نفراً؛ فهٰذا ضعيف، فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والإنس، وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع، وأيضاً؛ فكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح وبيان، وليس وسوسة الجن معروفة عند الناس، وإنما يعرف هٰذا بخبر، ولا خبر هنا، ثم قد يقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]؛ فكيف يكون لفظ الناس عاماً للجنة والناس، وكيف يكون قسيم[2] الشيء قسماً منه؟! فهو يجعل الناس قسيم الجن، ويجعل الجن نوعاً من الناس، وهٰذا كما يقول أكرم العرب من العجم والعرب، فهل يقول هٰذا أحد؟! وإذا سماهم الله تعالى رجالاً لم يكن في هٰذا دليل على أنهم يسمون ناساً، وإن قدر أنه يقال: جاء ناس من الجن؛ فذاك مع التقييد، كما يقال: إنسان من طين وماء دافق، ولا يلزم من هٰذا أن يدخلوا في لفظ الناس، وقد قال

(١) في «معاني القرآن» (٣ / ٣٠٢).
(٢) في الأصل: «قسم»، وأثبتنا ما يقتضيه السياق.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١]؛ فالناس كلهم مخلوقون من آدم وحواء، مع أنه سبحانه يخاطب الجن والإنس.

والرسول ﷺ مبعوث إلى الجنسين، لٰكن لفظ الناس لم يتناول الجن، ولٰكن يقول: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

*** الرد على الزجاج في أن الوسوسة تقع من الجن والشر يقع من الإنس:**

وكذٰلك قول الزَّجَّاج(١): إن المعنى من شر الوسواس الذي هو الجِنَّة ومن شر الناس فيه ضعف، وإن كان أرجح من الأول؛ لأن شر الجن أعظم من شر الإنس؛ فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس، ولا يستعيذ إلا من بعض الجن.

وأيضاً؛ فالوسواس الخناس إن لم يكن إلا من الجنة؛ فلا حاجة إلى قوله: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦]، فلماذا يخص

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥ / ٣٨١).
قال محقق الكتاب الدكتور عبدالجليل شلبي: «إن الزّجّاج لم يفسر هٰذه السورة [أي: سورة الناس]، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير؛ فشرحنا هٰذا الكلمات [أي: كلمات السورة] شرحاً قريباً من طريقته. وقال: وذكر الجِنّة والناس للاستعاذة بكل ما يوسوس بسوء، سواء كان من الشياطين أو الأناسي».
قلت: هٰذا الذي كتبه الدكتور عبدالجليل شلبي ليس موافقاً لما قاله الزّجّاج رحمه الله في هٰذه السورة، بل هو مثل ما قال ابن تيمية رحمه الله؛ فتأمل!!
وانظر (ص ٢٨) من هٰذا الكتاب.

الاستعاذة من وسواس الجنة دون وسواس الناس.

وأيضاً؛ فإنه إذا تقدم المعطوف اسماً كان عطفه على القريب أولى، كما أن عود الضمير إلى الأقرب أولى؛ إلا إذا كان هناك دليل يقتضي العطف على البعيد، فعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من عطفه على الوسواس.

*** القول الراجح عند شيخ الإسلام:**

ويكفي أن المسلمين كلهم يقرؤون هٰذه السورة من زمن نبيهم، ولم يُنقَلُ هٰذان القولان إلاّ عن بعض النحاة، والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ليس فيها شيء من هٰذا، بل إنما فيها القول الذي نصرناه؛ كما في «تفسير معمر» عن قتادة ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]؛ قال: «إن في الجن شياطيناً وإن في الإنس شياطيناً؛ فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن»[١]؛ فبين قتادة أن المعنى الاستعاذة من شياطين الإنس والجن.

وروى ابن وهب عن عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]؛ قال: «الخَنَّاس: الذي يوسوس مرَّة ويَخْنِسُ مرَّة من الجن والإنس»[٢]؛ فبين ابن زيد أن الوسواس الخناس من الصنفين، وكان يقال: شياطين الإنس أشد على الناس من شياطين الجن، شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهٰذا يعاينك معاينة.

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٩)، وانظر (ص ٢٣٨) من هٰذا الكتاب.

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٩).

* **قول ابن جريج في الاستعاذة:**

وعن ابن جريج ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؛ قال: «إنهما وسواسان؛ فوسواس من الجنة فهو الخناس، ووسواس من نفس الإنسان فهو قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾».

وهٰذا قول ثالث، وإن كان يشبه قول الزجاج؛ فهٰذا أحسن منه، فإنه جعل من الناس من الوسواس الذي نفس الإنسان؛ فمعناه أحسن، ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في «تفسيره»(١).

* **الوسواس أصل كل شر:**

وأيضاً؛ فإنه ذكر في الآية: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]؛ فإن كان المقصود أن يستعيذ الناس بربهم وملكهم وإلٰههم من شر ما يوسوس في صدورهم؛ فإنه هو الذي يطلب منه الخير الذي ينفعهم ويطلب منهم دفع الشر الذي يضرهم، والوسواس أصل كل شر يضرهم؛ لأنه مبدء للكفر والفسوق والعصيان، وعقوبات الرب إنما تكون على ذنوبهم، وإذا لم يكن لأحدهم ذنب؛ فكل ما يصيبه نعمة في حقه، وإذا ابتلي بما يؤلمه؛ فإن الله يرفع درجته ويأجره إذا قدر عدم الذنوب مطلقاً، لٰكن هٰذا ليس بواقع منهم، فإن كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وقد قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

---

(١) غير موجودة في «تفسيره» المجموع.

[الأحزاب: ٧٢ ـ ٧٣]؛ فغاية المؤمنين الأنبياء فمن دونهم هي التوبة، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال موسى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ودعاء نبينا بمثل ذٰلك كثير معروف؛ فكان الوسواس مبدأ كل شر، فإن كانوا قد استعاذوا بربهم وملكهم وإلٰههم من شره؛ فقد دخل في ذٰلك وسواس الجن والإنس، وسائر شر الإنس إنما يقع بذنوبهم؛ فهو جزاء على أعمالهم كالشر الذي يقع من الجن بغير الوسواس، وكما يحصل من العقوبات السماوية وهم لم يستعيذوا هنا من شر المخلوقات مطلقاً، كما استعاذوا في سورة الفلق، بل من الشر الذي يكون مبدؤه في نفوسهم، وإن كان ذكر ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣] يستعيذوا به ليعيذهم وليعيذ منهم، وهٰذا أعم المعنيين؛ فذٰلك يحصل بإعاذته من شر الوسواس الموسوس في صدور الناس؛ فإنه هو الذي يوسوس بظلم الناس بعضهم بعضاً، وبإغواء بعضهم بعضاً، وبإعانة بعضهم بعضاً على الإثم والعدوان.

*** مبدء الشر من الوسوسة:**

فما حصل لإنسي شر من إنسي؛ إلا كان مبدؤه من الوسواس الخناس، وإلا؛ فما يحصل من أذى بعضهم لبعض إذا لم يكن من

الوسواس، بل كان من الوحي الذي بعث الله به ملائكته، كان عدلاً؛ كإقامة الحدود، وجهاد الكفار، والاقتصاص من الظالمين؛ فهٰذه الأمور فيها ضرر وأذى من الظالمين من الإنس، لٰكن هي بوحي الله لا من الوسواس، وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب؛ فإنه إذا عوقب كان ذٰلك كفارة له إن كان مؤمناً، وإلا؛ كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة إلى عذاب من لم يعاقب في الدنيا.

ولهٰذا كان محمد ﷺ رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به، وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة، وباعتبار أنه في نفسه رحمة، فمن قبلها، وإلا؛ كان هو الظالم لنفسه، وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم، وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه، وقتل من قتل منهم؛ فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له وللناس؛ فكان محمد ﷺ رحمة للعالمين بكل اعتبار؛ فلا يستعاذ منه ومن أمثاله من الأنبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وإن كانوا يفعلون بأعدائهم ما هو أذى وعقوبة وألم لهم، فلم تبق الاستعاذة من الناس إلا بما يأتي به الوسواس إليهم، فيستعاذ برب الناس، ملك الناس، إلٰه الناس، على هٰذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس للمستعيذ، ومن شر الوسواس الذي يوسوس لسائر الناس حتى لا يحصل منهم شر للمستعيذ.

*** الاستعاذة تكون من الموسوسين من الناس وليس من عامتهم:**

فإذا لم يكن للناس شر إلا من الوسواس؛ كان الاستعاذة من شر الذي يوسوس لهم تحصيلاً للمقصود، وكان حسماً للمادة وأقرب إلى

العدل، وكان مخرجاً لأنبياء الله وأوليائه أن يُستَعَاذَ من شرِّهم وأن يُقْرَنُوا بالوسواس الخناس، ويكون ذٰلك تفضيلاً للجن على الإنس، وهٰذا لا يقوله عاقل.

فإن قيل: فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس؛ فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس؛ فإنه تابع لوسواس الجن.

*** الوسوسة من جنس الوشوشة:**

قيل: بل الوسوسة نوعان: نوع من الجن، ونوع من نفوس الإنس؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قٓ: ١٦]؛ فالشر من الجهتين جميعاً، والإنس لهم شياطين كما للجن شياطين، والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة، يقال: فلان يوسوس فلاناً، وقد وشوشه إذا حدثه سراً في أذنه، وكذٰلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلي، لٰكن هو بالسين المهملة أخص.

و ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره، وهو رب العالمين كلهم؛ فهو الخالق للجميع ولأعمالهم.

و ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: الذي يأمرهم وينهاهم؛ فإن الملك يتصرف بالكلام، والجماد لا ملك له؛ فإنه لا يعقل الخطاب، لٰكن له مالك، وإنما يكون الملك لمن يفهم عنه، والحيوان يفهم بعضه عن بعض؛ كما قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]، و ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ [النمل: ١٨]؛ فلهٰذا كان له ملك من جنسه ومن غير

جنسه، كما كان سليمان ملكهم، وإلا؛ فهو المعبود الذي هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها.

وقد قيل: إنما خص الناس بالذكر لأنهم مستعيذون، أو لأنهم المستعاذ من شرهم، ذكرهما أبو الفرج[1] وليس لهما وجه؛ فإن وسواس الجن أعظم، ولم يذكره بل ذكر الناس؛ لأنهم المستعيذون، فيستعيذون بربهم الذي يصونهم، وبملكهم الذي أمرهم ونهاهم، وبإلٰههم الذي يعبدونه من شر الذي يحول بينهم وبين عبادته، ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذي يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة؛ فإنه أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يرد عليهم.

*** لم يستعذ المستعيذون بمثل المعوذتين:**

وبهٰذا يتبين بعض هٰذه الاستعاذة والتي قبلها[2] كما جاءت بذٰلك الأحاديث عن النبي ﷺ: أنه لم يستعذ المستعيذون بمثلهما[3]؛ فإن

---

(1) في «زاد المسير» (٩ / ٢٧٧).

(2) يعني رحمه الله سورة الفلق.

(3) أخرجه عبدالرزاق في «التفسير» (٢ / ٤١١)، وأحمد في «المسند» (٤ / ١٤٤، ١٤٩، ١٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٥٣٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢ / ١٥٨ و٨ / ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤) و «الفضائل» (١٠١)، والدارمي في «السنن» (٢ / ٤٦٢)، والحميدي في «المسند» (٢ / ٩٤)، وأبو داود في «السنن» (رقم ١٤٦٢)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١ / ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (٢٧٠، ٢٧١)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص ١٥٦ / رقم ٣٣٤)، والروياني في «المسند» (١ / ١٤٥ / رقم ١٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧ / ٣٤٢، ٣٤٥) =

الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان؛ فهو أصل الشر كله، فمتى وقي الإنسان شره وقي عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال؛ فإن جميع هٰذه إنما تحصل بطريق الوسواس، ووقي عذاب الله في الدنيا والآخرة؛ فإنه إنما يعذب على الذنوب، وأصلها من الوسواس، ثم إن دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤] استعاذة من الوسواس الذي يعرض له والذي يعرض للناس بسببه؛ فقد وقي ظلمهم، وإن كان إنما يريد وسواسه؛ فهم إنما يسلطون عليه بذنوبه

= و «الدعاء» (٢ / ١١٠٥ / رقم ٦٧٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥ / ٣٥ / رقم ٢٥٧٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢ / ٢١٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٣ / ٢٧٦، ٢٧٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٣ / ٧٤ ـ ٧٥، ٧٦ / رقم ٧٩٥، ٧٩٦ و٥ / ١٥٠ ـ ١٥١ / رقم ١٨٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٣٩٤)؛ من طرق عن عقبة بن عامر بألفاظ، في بعضها: «ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما».

وأورد ابن كثير في «تفسيره» (٨ / ٥٥٢) في (تفسير سورتي المعوذتين) الطرق العديدة لحديث عقبة، وقال: «فهٰذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث».

وأخرج مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوّذتين، رقم ٨١٤) عن عقبة بن عامر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آياتٍ أُنزلت الليلة لم ير مثلُهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

وفي لفظ: «أُنزل عليَّ آياتٌ لم يُرَ مثلُهن قطّ: المعوّذتين».

وهي من وسواسه، قال تعالى:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

*** معنى الوسوسة وفي ما تكون:**

والوسواس من جنس الحديث والكلام، ولهٰذا قال المفسرون في قوله: ﴿مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ [قٓ: ١٦]؛ قالوا: ما تحدث به نفسه، وقد قال ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما تحدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به»(١).

*** أنواع الوسواس:**

وهو نوعان: خبر، وإنشاء.

فالخبر: إما ماض، وإما عن مستقبل؛ فالماضي يذكره به، والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً، أو أن أموراً ستكون بقدر الله أو فعل غيره؛ فهٰذه الأماني والمواعيد الكاذبة والإنشاء أمر ونهي وإباحة.

والشيطان تارة يحدث وسواس الشر، وتارة ينشىء الخير، وكان

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٣٨).

ذلك بما يشغله به من حديث النفس، قال تعالى في النسيان: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال فتى موسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]»[1].

*** سبب كثرة الوسوسة:**

و «كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات، وتعليق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلب إلى طلبها، والمكروهات التي ينصرف القلب إلى دفعها.

والوساوس: إما من قبيل الحب مثل أن يخطر بالقلب ما قد كان، أو من قبيل الطلب وهو أن يخطر في القلب ما يريد أن يفعله، ومن الوساوس ما يكون من خواطر الكفر والنفاق؛ فيتألم لها قلب المؤمن تألماً شديداً؛ كما قال الصحابة: «يا رسول الله! إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يتكلم به! فقال: «أوجدتموه؟». قالوا: نعم. قال: «ذلك صريح الإيمان»». وفي لفظ: «إن أحدنا ليجد في نفسه ما يتعاظم أن يتكلم به. فقال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»»[2].

---

(١) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ١٩٧ ـ ٢٠٩)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٥٠٩ ـ ٥١١ و١٧ / ٥٠٩ ـ ٥١٣)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٦٧ ـ ٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ١٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* **بغض الوسواس وكرهه من علامة الإيمان وسبب ذٰلك:**

قال كثير من العلماء: فكراهة ذٰلك وبغضه وفرار القلب منه هو صريح الإيمان، والحمد لله الذي كان غاية كيد الشيطان الوسوسة؛ فإن شيطان الجن إذا غُلِبَ وسوس، وشيطان الإنس إذا غُلِبَ كذب، والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو غيره، لا بد له من ذٰلك؛ فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، ويلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة، ولا يضجر؛ فإنه بملازمة ذٰلك ينصرف عنه كيد الشيطان، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

* **الشيطان يشبه قاطع الطريق:**

وكلما أراد العبد توجهاً إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسواس أمور أخرى؛ فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد يسير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه[1]، ولهٰذا قيل لبعض السلف: إن اليهود والنصارى يقولون: لا نُوسْوَسُ. فقال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب!! وتفاصيل ما يعرض للسالكين طويل موضعه.

* **بيان تجهيز عمر للجيش في الصلاة:**

وأما ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله: «إني

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» (٦ / ١٦٦)، و «البغية» (ص ٣٨٧)، و «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٣١٦ و١٥ / ٣٤٩ و١٧ / ٥١٠ _ ٥١١ و٢٨ / ٦٣٠)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢٠٢ _ ٢٠٣، ٢٠٩ _ ٢١٠).

لأجهز جيشي وأنا في الصلاة»[1]؛ فذاك لأن عمر كان مأموراً بالجهاد، وهو أمير المؤمنين، فهو أمير الجهاد[2]؛ فصار بذٰلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو: إما حال القتال وإما غير حال القتال؛ فهو مأمور بالصلاة، ومأمور بالجهاد؛ فعليه أن يؤدي الواجبين بحسب الإمكان، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومعلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينته حال

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب العمل في الصلاة، باب يُفكِّرُ الرجلُ الشيء في الصلاة، ٣ / ٨٩) معلقاً، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ٣٩٧)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢ / ١٢٣ ـ ١٢٤، ١٢٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢ / ١ / ٣٦٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٦ / ١٥١)، وصالح بن أحمد في «مسائله» (٢ / ١٩٠ ـ ١٩٤ / رقم ٧٥٠ ـ ٧٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٣٨٢)، وابن حزم في «المحلى» (٣ / ١٠٠ و٤ / ١٧٩)، وابن عبدالبر في «الاستذكار» (٢ / ٤٤٤).
وصححه ابن حجر في «الفتح» (٣ / ٩٠)، والعيني في «عمدة القاري» (٦ / ٣٣٠).
وانظر: «تغليق التعليق» (٢ / ٤٤٨)، و«مسند الفاروق» (١ / ١٨٤) لابن كثير، و«الموافقات» للشاطبي (٣ / ٩٤ ـ وتعليقي عليه).

(٢) قال الإمام ابن رجب في «فتح الباري» (٩ / ٣٧٧): «ليس فكر عمر في تجهيز الجيوش في الصلاة من حديث النفس المذموم؛ بل هو من نوع الجهاد في سبيل الله؛ فإنه كان عظيم الاهتمام بذٰلك، فكان يغلب عليه الفكر فيه، في الصلاة وغيرها». وانظر تعليقنا على: (ص ٢٠٣) من هٰذا الكتاب.

الأمن، فإذا قدر أنه نقص من الصلاة شيء لأجل الجهاد؛ لم يقدح هٰذا في كمال إيمان العبد وطاعته، ولهٰذا تخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن، ولما ذكر سبحانه وتعالى صلاة الخوف قال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]؛ فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف.

*** وسوسة الشيطان للمصلي في صلاته وتلاعبه به:**

ومع هٰذا؛ فالناس متفاوتون في ذٰلك، فإذا قوي إيمان العبد كان حاضر القلب في الصلاة، مع تدبره للأمور بها. . .

*** قصة الرجل الذي دفن المال ونسي موضعه:**

والإنسان دائماً يذكر في الصلاة ما لا يذكره خارج الصلاة، ومن ذٰلك ما يكون من الشيطان، كما يذكر أن بعض السلف ذكر له رجل أنه دفن مالاً وقد نسي موضعه، فقال: قم فصل. فقام فصلى، فذكره، فقيل له: من أين علمت ذٰلك؟ قال: علمت أن الشيطان لا يدعه في الصلاة حتى يذكره بما يشغله، ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن، لٰكن العبد الكيس يجتهد في كمال الحضور مع كمال فعل بقية المأمور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ٦٠٧ ـ ٦١٠) باختصار، وانظرها: (٢٢ / ٦١١، ٦١٣ و٢٣ / ٦)، و «الفتاوى الكبرى» (٢ / ٢٦ ـ ٢٧).

«وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط؛ حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا؛ لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى»[1].

فالشيطان ذَكَّرَهُ بأمور ماضية، حدّث بها نفسه مما كانت في نفسه من أفعاله ومن غير أفعاله؛ فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلى ولم يدر كم صلى؛ فإن الشيطان أزال ما في النفس من الذكر، وشغلها بأمر آخر حتى نسي الأول»[2].

وهٰذا من أسباب سجود السهو؛ كما هو معلوم[3].

ومن تلاعبه بالمصلي: جعله إياه يلتفت يميناً وشمالاً، وبه يضيع عليه استجماع فكره وتدبره فيما يقول؛ كما روى البخاري، وأبو داود، والنسائي؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة؟ فقال: «هو اختلاس يختلسه

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب فضل التأذين، رقم ٦٠٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهروب الشيطان عن سماعه، رقم ٣٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٢٠ و٢٢ / ٦٠٤ و٢٣ / ٥ ـ ٧، ١٥، ٢٦)، و «التفسير الكبير» (٥ / ١٨٧ و٦ / ٥٧٧ ـ ٥٧٨)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢٠٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ٦٠٤ و٢٣ / ٥ ـ ٧، ٢٦).

الشيطان من صلاة العبد»[1][2].

ومن تلاعبه بالمصلي أيضاً أنه يشككه في بقاء طهارته، فينفخ في دبره ويقول له: أحدثت، أحدثت؛ فعن «عبدالله بن زيد؛ قال: «شُكي إلى رسول الله ﷺ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة؟ قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[3]. أخرجه الجماعة؛ إلا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الالتفات في الصلاة، رقم ٧٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٤٠)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٣ / ٨٢٤، ٨٢٥ / رقم ١٤٧٠، ١٤٧١)، وأحمد في «المسند» (٦ / ٧٠، ١٠٦)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٩١٠)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٥٩٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (رقم ٤٤٠، ٤٤١، ١٠٢٨ - ١٠٣١) و «المجتبى» (٣ / ٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (رقم ٤٨٤، ٩٣١)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ٥٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، رقم ١٣٧، وباب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القُبُل والدُّبر، رقم ١٧٧، وكتاب البيوع، باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات، رقم ٢٠٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الحيض، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، رقم ٣٦١)، وأبو داود في «سننه» (١ / ٤٥، رقم ١٧٦)، والنسائي في «سننه» (كتاب الطهارة، باب الوضوء من الريح، ١ / ٨٢)، وابن ماجه في «سننه» (١ / ١٧١ / رقم ٥١٣)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٤٠)، والحميدي في «المسند» (رقم ٤١٣)، والشافعي في «المسند» (١٢)، وأبو عوانة في «المسند» (١ / ٢٣٨، ٢٦٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١ / ١٠٨ / رقم ١٠١٨)، وابن الجارود في «المنتقى» (رقم ٣)، وابن المنذر في «الأوسط» (١ / ١٣٧ / رقم ٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١ / ١١٤) و «المعرفة» (١ / ٢٠٤ /=

الترمذي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يأتي أحدكم في الصلاة، فيأخذ شعرة من دبره، فيمدها، فيرى أنه قد أحدث؛ فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[1]. رواه أحمد وأبو داود، ولفظه: «إذا أتى الشيطان أحدكم، فقال له: قد أحدثت؛ فليقل له: كذبت؛ إلا ما وجد ريحاً بأنفه أو سمع صوتاً بأذنه»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا؛ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[3]. رواه مسلم والترمذي.

= رقم ١٤٧) و «الصغرى» (رقم ٣٥) و «الخلافيات» (رقم ٣٨٩، ٣٨٦، ٦٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ١٧٢)؛ من طرق عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عباد بن تميم، عن عمّه عبدالله بن زيد رفعه.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ٩٦) وابن ماجه في «السنن» (رقم ٥١٤) من طريقين عن سعيد بن المسيب، وأحمد في «المسند» (٣ / ١٢، ٣٧، ٥١، ٥٣، ٥٤) وأبو داود في «السنن» (رقم ١٠٢٩) والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٩٦) والنسائي في «السنن الكبرى» (رقم ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤) وابن ماجه في «السنن» (رقم ١٢٠٤) وابن خزيمة في «الصحيح» (رقم ٢٩) من طرق عدة عن يحيى بن أبي كثير عن عياض بن هلال؛ كلاهما (ابن المسيب وعياض) عن أبي سعيد رفعه.
والحديث صحيح.

(٢) سبق في الذي قبله.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٣٦٢)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٧٥)، =

ورواه أحمد، ولفظه: «حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً لا يشك فيه»[1]»[2].

«وقد تنازع العلماء في شيطان الجنِّ إذا مر بين يدي المصلي: هلي يقطع؟ على قولين هما قولان في مذهب أحمد، كما ذكرهما ابن حامد وغيره:

أحدهما: يقطع؛ للحديث الذي رواه النسائي على شرط البخاري عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يصلي، فأتاه الشيطان، فأخذه، فصرعه، فخنقه، قال رسول الله ﷺ: «حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولولا دعوة سليمان؛ لأصبح موثقاً حتى يراه الناس»[3]. ورواه أحمد وأبو داود من حديث أبي سعيد، وفيه: «فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين: الإبهام والتي تليها»[4]. وهٰذا فعله في الصلاة، ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة: «الكلب الأسود شيطان»[5]؛ فعلل بأنه شيطان،

= وأبو داود في «السنن» (رقم ١٧٧)، وأحمد في «المسند» (٢ / ٤١٤)، والدارمي في «المسند» (رقم ٧٢٧)، وابن خزيمة في «الصحيح» (رقم ٢٤، ٢٨)؛ عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢ / ٣٣٠).

(٢) «شرح العمدة» (١ / ٣٤٥ ـ كتاب الطهارة).

(٣) مضى تخريجه (ص ١٨٦).

(٤) مضى تخريجه (ص ١٨٧).

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، رقم ٢٦٥) عن أبي ذر رضي الله عنه رفعه.

وهو كما قال رسول الله ﷺ عليه؛ فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب[1]، والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذٰلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»[2].

«فالليل مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذٰلك؛

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٢ / ١٠٧ ـ ط طه سعد) على قول رسول الله ﷺ: «الكلب الأسود شيطان»؛ قال: «هٰذا إن أريد به أن الشيطان يظهر في صورة الكلب الأسود كثيراً كما هو الواقع؛ فظاهر، وليس بمستنكر أن يكون مرور عدو الله بين يدي المصلي قاطعاً لصلاته، ويكون مروره قد جعل تلك الصلاة بغيضة إلى الله مكروهة له، فيأمر المصلي بأن يستأنفها، وإن كان المراد به أن الكلب الأسود شيطان الكلاب؛ فإن كل جنس من أجناس الحيوانات فيها شياطين، وهي ما عتا منها وتمرد، كما أن شياطين الإنس عتاتُهم ومتمردوهم، والإبل شيطان الأنعام، وعلى ذروة كل بعير شيطان، فيكون مرور هٰذا النوع من الكلاب ـ وهو من أخبثها وشرها ـ مبغضاً لتلك الصلاة إلى الله تعالى، فيجب على المصلي أن يستأنفها، وكيف يستبعد أن يقطع مرور العدو بين الإنسان وبين وليه حكم مناجاته له كما قطعها كلمة من كلام الآدميين أو قهقهة أو ريح أو ألقى عليه الغير نجاسة أو نوّمه الشيطان فيها؟!

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إن شيطاناً تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي»» اهـ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٢).

فالشر دائماً مقرون بالظلمة، ولهٰذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم، لٰكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار[1] . . .».

*** الشيطان يلقي الوساوس ويلهم الشرَّ:**

فما كان في النفس من إلهام وإيحاء للشر ووساوس؛ فمن الشيطان[2]، ولا يصيب إلا أصحاب القلوب الضعيفة والقاسية قلوبهم عن الإيمان، فتكون لهم فتنة[3].

والشيطان يقذف في قلوب المؤمنين وساوس مذمومة تكون سبباً في تحرُّك الإيمان الذي في قلوبهم بالكراهة لذٰلك والاستعظام له، فيورثه ذٰلك إيماناً وتقوى، ولا يقتضي ذٰلك أن يكون السبب الذي هو الوسوسة مأموراً به[4].

*** إلهام النفس الفجور يكون بواسطة الشيطان:**

«وقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨]؛ فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هٰذا أمر بالفجور وهٰذا أمر بالتقوى،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» (٥ / ٣٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٩٥).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٥٦٣).

والأمر لا بد أن يقترن به خبر.

* الفرق بين الإلهام والوسوسة:

وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة، وهٰذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي وبين الوسوسة؛ فالمأمور به إن كان تقوى الله؛ فهو من إلهام الوحي، وإن كان من الفجور؛ فهو من وسوسة الشيطان[1].

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان مما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى الله؛ فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه فجور؛ فهو من الوسواس المذموم، وهٰذا الفرق مُطَّرِدٌ لا ينتقض؛ [فيقال للحق: هو من الله، ألهمه العبد. ويقال للباطل: إنه من الشيطان وسوس، ومن النفس أيضاً لأنها أرادته؛ كما قال عمر وابن عمر وابن مسعود فيما قالوه باجتهادهم: «إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنا ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[2]. وهٰذا لفظ ابن مسعود في حديث بروع بنت واشق؛ قال: «إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»؛ لأنه حكم بحكم، فإن كان موافقاً لحكم الله؛ فهو من الله لأنه موافق لعلمه وحكمه، فهو منه باعتبار أنه سبحانه ألهمه عبده لم يحصل بتوسط الشيطان والنفس، وإن

---

(١) وهٰذا الأخير كقرآن مسيلمة الكذاب. انظر: «التفسير الكبير» (٥ / ٤٠).

(٢) سيأتي تخريجه (ص ٢٨٤).

كان خطأ؛ فالشيطان وسوس به والنفس أرادته ووسوست به، وإن كان مخلوقاً منه والله خلقه فيه لكن الله لم يحكم به][1].

*** الفرق بين وسوسة النفس والشيطان:**

وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان؛ فقال: «ما كرهَتْه نفسُك لنفسِك؛ فهو من الشيطان؛ فاستعذ بالله منه، وما أحبَّتْه نفسُك لنفسك؛ فهو من نفسك؛ فانْهَهَا عنه».

*** حقيقة الوسوسة والعلاقة بينها وبين الوحي:**

وحقيقته أن الله وَكَّلَ بالإنس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر.

*** العلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة من الشر:**

فالعلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة من الشر؛ كما قال ابن مسعود: «لَمَّةُ الملك تصديق بالحق، ولمَّة الشيطان تكذيب بالحق»[2]، وكما قال النبي ﷺ في القاضي: «أنزل الله عليه ملكاً

---

(١) ما بين المعقوفتين من «التفسير الكبير» (٥ / ٤٠).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «التفسير» (١ / ١٠٩)، وابن جرير في «التفسير» (٣ / ٨٨، ٨٩)؛ بإسنادٍ صحيح عن ابن مسعود قوله، وله حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد فيه.
وأخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم ٢٩٩١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (كتاب التفسير، ١ / ٢٧٩ / رقم ٧١)، وأبو يعلى في «المسند» (٨ / ٤١٨ / رقم ٤٩٩٩)، وعنه ابن حبان في «صحيحه» (رقم ٤٠ ـ موارد، ورقم ٩٩٧ ـ «الإحسان»)، وابن جرير في «التفسير» (٣ / ٨٨)؛ عن أبي الأحوص، عن =

يسدده»[1]، . . . .

= عطاء بن السائب، عن مرَّة الهمذاني، عن ابن مسعود مرفوعاً.
وإسناده ضعيف.
عطاء اختلط، وسماع أبي الأحوص ـ واسمه سلاَّم بن سُلَيم ـ بعد الاختلاط، وباقي رجاله ثقات.
وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في: «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧ / رقم ٦٠٦٠) ـ وعنه أبو نعيم في «فضيلة العادلين» (رقم ١٤ ـ بتحقيقي) ـ عن يزيد بن عمرو بن البراء، ثنا محمد بن موسى الشَّيباني، ثنا إبراهيم بن خُثيم بن عِرَاك بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من وَلِيَ من أمر الناس وِلايةً، وكانت نيَّتُه على الحقّ؛ وُكِّل به ملكان يوفِّقانه ويُرْشدانه، ومن ولي من أمر الناس ولاية وكانت نيَّتُه غير الحق؛ وَكَله الله إلى نفسه».
قال الطبراني عقبه: «لا يروى عن أبي هريرة إلا بهٰذا الإسناد، تفرَّد به يزيد بن عمرو بن البَراء».
وكذا قال البزار عقب إخراجه له في «مسنده» (رقم ١٣٥٠ ـ زوائده «كشف الأستار») بلفظ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً؛ وكَّل الله ملكاً عن يمينه ـ أحسبه قال: وملكاً عن شماله ـ يوفِّقانه ويُسدِّدانه، إذا أريد به خير، ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً، فأريد به غير ذٰلك؛ وكل إلى نفسه»، قال: لا نعلمه عن أبي هريرة بهٰذا اللفظ إلا من حديث عراك».
وقال السخاوي في «تخريج أحاديث العادلين» (ص ١١٤ ـ ١١٥ ـ بتحقيقي).
«ودعوى الطبراني تفرد يزيد به مردودة؛ فقد رواه البزار عن الجراح بن مخلد عن محمد بن موسى، وبالجملة؛ فمدار الطريقين على إبراهيم بن خثيم، وقد قال فيه ابن معين [في «تاريخه» (٣ / ٢١٤)]: ليس بثقة، ولا مأمون. وقال النسائي [في «ضعفائه» (رقم ١١٣)]: متروك. وقال أبو زرعة: منكر الحديث.=

= وقال الجوزجاني [في «أحوال الرجال» (رقم ٢١٥)]: كان مُقْنع، اختلط بأخرة، وضعَّفه جماعة».

قلت: انظر: «تاريخ بغداد» (٦ / ٦٥)، و «المجروحين» (١ / ١١٤)، و «الكامل» (١ / ٢٤٣) لابن عدي، و «الضعفاء والمتروكين» (١ / ٣٢) لابن الجوزي، و «الكواكب النيرات» (رقم ٨)، و «الاغتباط» (رقم ٧)، و «اللسان» (١ / ٥٣).

وبه أعلَّه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ١٩٤).

قال السخاوي: «ولٰكن للحديث شواهد من حديث عمران بن حُصَين وواثلة وغيرهما، والله أعلم».

قلت: جميع شواهده ضعيفة؛ فحديث **عمران** أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨ / ٢٤٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤ / ١٩٤): «فيه أبو داود الأعمى، وهو كذاب».

وحديث **واثلة** أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢ / ٨٤)، وتمام في «الفوائد» (٣ / رقم ٩٢٦، ٩٢٧ ـ ترتيبه)، وسندُهُ واهٍ.

قال الهيثمي في «المجمع» (٤ / ١٩٤): «وفيه جناح مولى الوليد، ضعَّفه الأزدي».

وفي الباب عن **ابن عباس** رفعه عند: تمام في «الفوائد» (رقم ٩٣١ ـ ترتيبه)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٨٨)، والخطيب في «تاريخه» (٨ / ٧٦ و١٤ / ١٢٠) ـ ومن طريقه الذهبي في «الميزان» (٤ / ٣٦٦) ـ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢ / ٧٥٧)؛ عن يحيى بن بريد الأشعري، عن ابن جريج، عن عطاء، عنه به.

ويحيى بن بريد ضعَّفه أحمد ويحيى، وقال ابن المديني: «روى أحاديث منكرة»، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤ / ١٨١): «إسناده ضعيف»، وقال صالح جزرة: «هٰذا الحديث ليس له أصل».

وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه، وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس، لٰكن الله أخبر أنه يكلم البشر وحياً، ويكلمه بملك يوحي بإذنه ما يشاء، والثالث التكليم من وراء حجاب، وقد قال بعض المفسرين: المراد بالوحي هنا الوحي في المنام، ولم يذكر أبو الفرج[1] غيره، وليس الأمر كذٰلك؛ فإن المنام تارة يكون من الله، وتارة يكون من النفس، وتارة يكون من الشيطان، وهٰكذا ما يلقى في اليقظة، والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام، ولهٰذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً؛ كما قال ذٰلك ابن عباس وعبيد بن عمير، وقرأ قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وليس كل من رأى رؤيا كانت وحياً؛ فكذٰلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحياً، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه؛ كالمصلي الذي يناجي ربه، فإذا جاز أن يوحى إليه في حال النوم؛ فلماذا لا يوحى إليه في حال اليقظة كما أوحي إلى أم موسى والحواريين وإلى النحل؟! لٰكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام؛ إلا بدليل يدل على ذٰلك؛ فإن الوسواس غالب على الناس، والله أعلم»[2].

= وانظر: «السنن الكبرى» (١٠ / ١٠٠) للبيهقي، و «التلخيص الحبير» (٤ / ١٨١ ـ ١٨٢)، و «مجمع الزوائد» (٤ / ١٩٤).

(١) في «زاد المسير» (٧ / ٢٩٧).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢١٦ ـ ٢١٨)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٨٧ ـ ٥٨٩). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤١٣).

والوسواس مبدأ كل شر، والوسوسة ـ كما قال الإمام ابن تيمية ـ: «نوعان: نوع من الجن، ونوع من نفوس الإنس؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قٓ: ١٦]؛ فالشر من الجهتين جميعاً، والإنس لهم شياطين كما للجن شياطين»(١).

*** بيان أنواع ما يلقى في القلب من الوسواس:**

مضى عند تفسير «قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان الوسواس؛ أي: الذي يوسوس من الجِنَّة ومن الناس في صدور الناس؛ فإن الله تعالى قد أخبر أنه جعل ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وإيحاؤهم هو وسوستهم، وليس من شرط الموسوس أن يكون مستتراً عن البصر، بل قد يشاهد.

وأيضاً؛ فالنفوس لها وسوسة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قٓ: ١٦].

فهٰذا توسوس به نفسه لنفسه، كما يقال: حديث النفس، قال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به»(٢). أخرجاه في «الصحيحين».

---

(١) «التفسير الكبير» (٧ / ٥٧٢).
وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥١٧)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ١٦٩).

(٢) مضى تخريجه.

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه، وشياطين الجن، وشياطين الإنس.

والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ووسوسة الإنس، وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن...»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «بل الشيطان يلتقم قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل قلبه عن ذكر الله وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي، فيزينها له، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث ذكر صفية رضي الله عنها: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[2]، وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار، سواء كان العبد مؤمناً أو كافراً»[3].

*** الشيطان وإيقاعه بني الإنسان في الشرك والحرام:**

«قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٠٩ ـ ٥١٣)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٦٧ ـ ٥٧١) باختصار.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٩١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٥٠٨).

١١٣]؛ فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء، وهم شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف، وهو المُزيَّن المحسَّن يغررون به، والغرور: هو التلبيس والتمويه، وهٰذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتفلسفة والمتكلمة وغيرهم من الأولين والآخرين»[١].

*** الاستغاثة وسؤال غير الله عز وجل:**

وقد لبَّس الشيطان على كثير من الجهال؛ فجعلهم يرجون غير الله، ويسألون غيره؛ «كما يفعل المشركون الذين اتخذوا من دون الله شفعاء، سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين أو من يُظن فيهم الصلاح، فيسألونهم ويستغيثون بهم؛ إما في مغيبهم، وإما عند قبورهم.

وكثيراً ما يتمثل لهٰؤلاء المشركين صورة ذٰلك الشخص المستغاث به، ويكون ذٰلك شيطاناً تمثل على صورته ليضل ذٰلك المستغيث به المشرك، [والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص؛ فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص، يراه كثير من الناس][٢]؛ كما كانت الشياطين تكلم الناس من الأصنام، وكما يقع كثير من ذٰلك في أرض الشرك: أرض الصين والترك والهند والغرب والجنوب والشمال، يرون أحياناً أن ميتهم قد جاء وحدثهم بأمور

(١) «مجموع الفتاوى» (٩ / ٣٣ و١٨ / ٥٦)، وانظرها: (٢٨ / ٣٦).
(٢) ما بين المعقوفتين من «الجواب الصحيح» (٣ / ٣٤٧ _ ٣٤٩).

وقضى لهم حوائج، فيظنونه قد عاش بعد موته، وإنما هو شيطان قد تمثل على صورته.

* الكفار يقدمون القرابين للشيطان:

ومنهم من يصنع قرباناً للشيطان ويقرب له ميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه، ويغنون غناءً يناسبه، ويأتون بشيخ لهم يناسب ذٰلك الشيطان؛ فيسقونه الدم أو يُفعل به الفاحشة أو ينطق بالكفر الذي يختاره الشيطان، ثم يتكلم الشيطان؛ إما منفرداً، وإما على لسان ذٰلك الشيخ ببعض ما يريدونه، وربما صعد الشيخ في الهواء وهم يرونه، وقد يُحمل للشيطان بعض هٰؤلاء الشيوخ الذين لهم حال شيطاني؛ فيطير به في الهواء فيذهب به إلى مكان آخر، وربما مشى به على الماء، لٰكن لا بد أن يكون الشيخ عاصياً لله ورسوله، وكلما كان أفجر وأكفر كان أقرب له إلى الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢][1]؛ [فإن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١ / ٨٢ ـ ٨٥، ١٥٧ ـ ١٥٩، ١٧٤، ١٧٦ ـ ١٧٩، ٣٦٢ و٧ / ٥٥٩ و٨ / ٣٥١ و١٠ / ٦١٢، ٣٩٧ و١١ / ٢٣، ٢٣٨ ـ ٢٤٠، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٨ ـ ٣١٠، ٤٩٤ ـ ٤٩٦، ٥٢٧، ٥٦٣، ٥٧٤، ٦١٠ ـ ٦١١، ٦٣٥، ٦٦٤ ـ ٦٦٥ و١٣ / ٧١، ٧٦ ـ ٧٩، ٨٤ ـ ٨٥، ٩٠ ـ ٩٥، ٢٠٧، ٢١٧ ـ ٢١٨، ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و١٤ / ٢٢٦ و١٧ / ٤٥٧، ٤٥٩ ـ ٤٦١ و١٨ / ٣٢٢ و ١٩ / ٤٧ ـ ٤٨) و «بغية المرتاد» (ص ٣٧٢)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٨٠ ـ ١٨٢، ٢٩٢ و٤ / ٢٦٤ ـ ٢٦٧، ٢٧٢ ـ ٢٧٣ و٧ / ٥٢٢ ـ ٥٢٤)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٥ ـ ٦٦، ٧١ ـ ٧٢، ١٣٦، ١٥٥، ١٦١)، و «الاحتجاج بالقدر» (٢ / ١٠٦ ـ =

الشياطين لا تتمكن من إغواء المسلمين، وإن كان فيهم جهل وظلم كما تتمكن من إغواء المشركين وأهل الكتاب][1].

*** الشياطين تهرب من الإنسان الصالح:**

وإذا كان من أولياء الله المتقين المطيعين لله ورسوله هربت منه هٰذه الشياطين[2]، وكان أعوانه جند الله من الملائكة والجن المؤمنين

= ١٠٧)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ١٣٥ ـ ١٣٧ و٢ / ٢٥٠، ٢٧٠)، و «النبوات» (ص ٨ ـ ١٢، ١٦، ١٧، ١٦٩، ١٧٠، ٣٩٣ ـ ٣٩٥، ٤٠١)، و «الجواب الصحيح» (٣ / ٣٤٧ ـ ٣٤٩)، و «الاستغاثة» (٢ / ٤٤٨ - ٤٥١).

(١) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٤٠٩).

(٢) أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦ / ق ٣٥٨) بسنده عن حصين، عن مجاهد؛ قال: «بينا أنا أصلي ذات ليلة؛ إذ قام مثل الغلام، فشددت عليه لآخذه، فوثب، فوقع خلف الحائط حتى سمعت وقعته؛ فما عاد إليَّ بعد ذٰلك».

قال مجاهد: «وإنهم يهابونكم كما تهابونهم من أجل ملك سليمان بن داود».

وأورده الذهبي في «السير» (٤ / ٤٥٣) معلقاً عن حصين عن مجاهد به.

وروى أبو يوسف في كتاب «الآثار» (١٢٨ / رقم ٥٨٥) عن أبي حنيفة، عن حماد، عن مجاهد؛ أنه قال: «إن الشيطان يتقيكم كما تتقونه، فإذا رأيتموه؛ فلا تهابوه فيركبكم، ولٰكن شدّوا عليه؛ فإنه يهرب».

وقول مجاهد هٰذا أخذه من ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقد أخرج أبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٨٦) عن مخرمة؛ قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أيما رجل منكم تخيّل له الشيطان حتى يراه؛ فلا يصدن عنه، وليمض قدماً؛ فإنهم منكم أشد فرقاً منكم منهم، فإنه إن صد عنه ركبه، وإن مضى هرب منه».

وغيرهم، وقد يطيع الشياطين لولي الله في بعض ما يأمر به من طاعة الله ورسوله تعظيماً له وإكراماً له، لا طاعة لله ولرسوله؛ فهٰذا يقع كثير، ولٰكن لم تسخر الجن والشياطين تسخيراً مطلقاً لغير سليمان عليه السلام، وهٰذه الأمور مبسوطة في غير هٰذا الموضع»[1].

*** الجن يتصورون بصورة شيخ الإسلام:**

وقد ذكر لي غير واحد ممن أعرفهم أنهم استغاثوا بي، فرأوني في الهواء، وقد أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد، مثل من أحاط به النصارى الأرمن ليأخذوه، وآخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين، لو اطَّلَعوا على ما معه لقتلوه، ونحو ذٰلك، [وهٰذا وقع لخلق كثير، ووقع لغير واحد من أصحابنا معي، لٰكن لما حكوا لي أنهم رأوني بينت لهم أني لم أكن إيَّاه، وإنما كان شيطاناً تصوّر في صورتي ليضلهم، فسألوني: لم لا يكون ملكاً؟ قلت: لأن الملائكة لا تجيب المشركين، وأنت استغثت بي

= قال مجاهد: «أنا ابتليت به حتى رأيته، فذكرت قول ابن عباس رضي الله عنهما، فمضيت قدماً، فهرب مني».

وعزاه في «آكام المرجان» (ص ٨٩) لابن أبي الدنيا.

وإسناده ضعيف؛ لقول إسماعيل بن عياش: (حدثت عن مخرمة)؛ ففيه رجل مبهم.

وانظر في المعنى المذكور: «مصنف عبدالرزاق» (٥ / ١٦٢)، و «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣ / ٣٢٥)، و «النهاية» (٢ / ٦) لابن الأثير، و «الفائق» (٤ / ١٠٣) للزمخشري.

(١) «الصفدية» (٢ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

فأشركت][1]؛ فذكرت لهم أني ما دريت بما جرى أصلاً، وحلفت لهم على ذٰلك حتى لا يظنوا أني كتمت ذٰلك كما تكتم الكرامات، وأنا قد علمت أن الذي فعلوه ليس بمشروع، بل هو شرك وبدعة، ثم تبين لي فيما بعد وبينت لهم أن هٰذه الشياطين تتصور على صورة المستغاث به[2].

*** الشيطان يأمر أولياءه بالسجود له وأكل الميتة والدم:**

وحكى لي غير واحد من أصحاب الشيوخ أنه جرى لمن استغاث بهم مثل ذٰلك، وحكى خلق كثير أنهم استغاثوا بأحياء وأموات فرأوا مثل ذٰلك، واستفاض هٰذا حتى عرف أن هٰذا من الشياطين، والشياطين تغوي الإنسان بحسب الإمكان، فإن كان ممن لا يعرف دين الإسلام أوقعته في الشرك الظاهر والكفر المحض، فأمرته أن لا يذكر الله، وأن يسجد للشيطان ويذبح له، وأمرته أن يأكل الميتة والدم ويفعل الفواحش، وهٰذا يجري كثيراً في بلاد الكفر المحض وبلاد فيها كفر وإسلام ضعيف، ويجري في بعض مدائن الإسلام في المواضع التي يضعف إيمان أصحابها، حتى قد جرى ذٰلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها، وهو في أرض الشرق قبل ظهور الإسلام في التتار كثير جداً، وكلما ظهر فيهم الإسلام وعرفوا حقيقته قَلَّتْ آثار الشياطين فيهم، وإن كان مسلماً يختار الفواحش والظلم أعانته على الظلم

---

(١) ما بين المعقوفتين من «قاعدة عظيمة».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٧)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ١٣٣)، و «قاعدة عظيمة» (١٥٤).

والفواحش، وهٰذا كثير جداً[1]، أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلها إسلام وجاهلية وبر وفجور، وإن كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولٰكن عنده قِلَّة معرفة بحقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ، وقد عرف من حيث الجملة أن لأولياء الله كرامات، وهو لا يعرف كمال الولاية، وأنها الإيمان والتقوى واتباع الرسل باطناً وظاهراً، أو يعرف ذٰلك مجملاً ولا يعرف من حقائق الإيمان الباطن وشرائع الإسلام الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية وبين النفسانية والشيطانية، كما أن الرؤيا ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ورؤيا من الشيطان. . .»[2].

«وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتاً، وكذٰلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذي ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته؛ فيظن المشرك الضال المستغيث بذٰلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه، وإنما هو الشيطان، وهٰذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء[3]؛ كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين، يتصور لهم الشيطان في صورة ذٰلك المستغاث به[4] وهو لا يشعر، وأعرف عدداً

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٤٥٨ ـ ٤٥٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٢٢١).

(٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٢): «والشيطان =

كثيراً وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الأشخاص: إني لم أعرف أن هٰذا استغاث بي!! والمستغيث قد رأى ذٰلك الذي هو على صورة هٰذا، وما أعتقد أنه إلا هٰذا...

وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي كلٌّ يذكرُ قصَّةً غير قصَّةً صاحبه، فأخبرت كلاً منهم أني لم أجب أحداً منهم، ولا علمت باستغاثته، فقيل: هٰذا يكون ملكاً. فقلت: الملك لا يُغِيْثُ المشرك، إنما هو شيطان أراد أن يضله، وكذٰلك يتصور بصورته ويقف بعرفات، فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات.

*** الشيطان يحمل أولياءه إلى عرفات بغير إحرام:**

وكثير منهم حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم، فيتجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة، وفيهم من لا يعبر مكة، وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمي الجمار... إلى أمثال ذٰلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان، حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع؛ إما مُحرَّم، وإما مكروه ليس بواجب ولا مستحب، وقد زين لهم الشيطان أن هٰذا من كرامات الصالحين، وهو من تلبيس الشيطان(١)؛ فإن الله لا يعبد إلا بما هو

= وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده؛ فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر إلا أن يتوب الله عليه».

(١) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٦٤، ٢٦٥)، و «التفسير الكبير» (٣ / ٣٥١ و٥ / ٦٨، ٢٩٦، ٣٨٢، ٣٩١)، و «مجموع الفتاوى» (٨ / ٢٠٥ و١٠ / ٧٢ و١٤ / ٢٨٩-٢٩٠ و١٥ / ١٠٠)، و «قاعدة عظيمة» (١٥٤-١٥٦).

واجب أو مستحب، وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة أو مستحبة؛ فإنما زين ذٰلك له الشيطان وإن قدر أنه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده، لٰكن ليس هٰذا مما يكرم الله به أولياءه المتقين؛ إذ ليس في فعل المحرمات والمكروهات إكرام، بل الإكرام حفظه من ذٰلك ومنعه منه، فإن ذٰلك ينقصه لا يزيده، وإن لم يعاقب عليه بالعذاب؛ فلا بد أن يخفضه عما كان ويخفض أتباعه الذين يمدحون هٰذه الحال ويعظمون صاحبها، فإن مدح المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله، وكلما ازداد العبد في البدع اجتهاداً ازداد من الله بعداً؛ لأنها تخرجه عن سبيل الله سبيل ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩] إلى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين»[(١)].

«والمقصود أن كثيراً من الضالين يستغيثون بمن يحسّنون به الظن ولا يتصور أن يقضي لهم أكثر مطالبهم كما أن ما تخبر به الشياطين من الأمور الغائبة يكذبون في أكثره، بل يصدقون في واحدة ويكذبون في أضعافها، ويقضون لهم حاجة واحدة، ويمنعونهم أضعافها، يكذبون فيما أخبروا به وأعانوا عليه؛ لإفساد حال الرجال في الدين والدنيا، ويكون فيه شبهة للمشركين كما يخبر الكاهن ونحوه»[(٢)].

---

(١) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ١٣٣ ـ ١٣٤)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٧ ـ ٤٨) باختصار.

(٢) «التفسير الكبير» (١ / ٣٦١ ـ ٣٦٢).

* **لعب الشيطان بالسحرة وأصحاب العزائم:**

الناظر في أحوال السحرة وأصحاب الأحوال الشيطانية يجدهم يفعلون ما تحبه الشياطين من الكذب والفجور والشرك وغيره، وهٰؤلاء قد تحصل لهم خوارق يظن أنها من كرامات الأولياء، وإنما هي من أحوال السحرة والكهان أتباع الشيطان(١).

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض، تارة يبرون قسمه، وكثيراً لا يفعلون ذٰلك، بل يكون ذٰلك الجني معظماً عندهم وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضي إعانتهم على ذٰلك؛ إذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذي يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه، وهٰذا تختلف أحواله؛ فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا إليه، وقد يكون ذاك منيعاً؛ فأحوالهم شبيهة بأحوال الإنس، لٰكن الإنس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد، والجن أجهلَ وأكذب وأظلم وأغدر.

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به؛ فهم كثيراً ما يعجزون عن دفع الجني(٢).

* **سخرية الجن بمن يتعاملون معهم:**

وكثيراً ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٧٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١ / ٢٩١).

للإنسي أو حبسه؛ فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذٰلك تخييلاً وكذباً، هٰذا إذا كان الذي يرى ما يخيلونه صادقاً في الرؤية، فإن عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه: إما بالمكاشفة والمخاطبة إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تضلهم الجن والشياطين، وإما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه، فإذا رأى المثال أخبر عن ذٰلك، وقد يعرف أنه مثال، وقد يوهمونه أنه نفس المرئي، وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين إذا استغاث به بعض محبيه، فقال: يا سيدي فلان! فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذٰلك الإنسي، فإذا رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذٰلك الإنسي بمثل ذٰلك الصوت، وهٰذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة»[1].

*** تمثيل الجن لقرنائهم الأمور الغائبة:**

«والجني إذا أراد أن يُري قرينه أموراً غائبة سئل عنها؛ مثَّلَها له، فإذا سئل عن المسروق؛ أراه شكل ذٰلك المال، وإذا سئل عن شخص؛ أراه صورته، ونحو ذلك»[2].

«فالإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض الأخبار

---

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٢ ـ ١٣٣)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) «النبوات» (ص ٤١٣).

تفعله الجن كثيراً مع الكهان، وهو معتاد لهم مقدور. . . والربّ قد أخبر في القرآن أن الشياطين تنزل على بعض الناس فتخبره ببعض الأمور الغائبة»[1].

*** التقرب إلى الجن بالمطعومات:**

«ومن الناس من يتقرب إلى الجن بالعدس، فيطبخون عدساً، ويضعونه في المراحيض، أو يرسلونه ويطلبون من الشياطين بعض ما يطلب منهم، كما يفعلون مثل ذٰلك في الحمام وغير ذٰلك، وهٰذا من الإيمان بالجبت والطاغوت»[2].

*** سؤال القبور من باب عبادة الأصنام وهي في حقيقتها عبادة الشيطان:**

«ومن هٰؤلاء من يأتي إلى قبر الشيخ الذي يشرك به ويستغيث به، فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح أو غير ذٰلك مما يطلبه، فيظن ذٰلك كرامة لشيخه وإنما ذٰلك كله من الشياطين، وهٰذا من أعظم الأسباب التي عبدت بها الأوثان.

وقد قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦] كما قال نوح عليه السلام، ومعلوم أن الحجر لا يضل كثيراً من الناس إلا بسبب اقتضى ضلالهم، ولم يكن أحد من عباد الأصنام يعتقد أنها خلقت السماوات والأرض، بل إنما كانوا يتخذونها شفعاء

(١) «النبوات» (ص ١٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ٢٣).

ووسائط[1] لأسباب:

- منهم من صورها على صور الأنبياء والصالحين.
- ومنهم من جعلها تماثيل وطلاسم للكواكب والشمس والقمر.
- ومنهم من جعلها لأجل الجن.
- ومنهم من جعلها لأجل الملائكة.

فالمعبود لهم في قصدهم إنما هو الملائكة والأنبياء والصالحون أو الشمس، أو القمر، وهم في نفس الأمر يعبدون الشياطين؛ فهي التي تقصد من الإنس أن يعبدوها وتظهر لهم ما يدعوهم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

وإذا كان العابد ممن لا يستحل عبادة الشياطين أوهموه أنه إنما يدعو الأنبياء والصالحين والملائكة وغيرهم ممن يحسن العابد ظنه به، وأما إن كان ممن لا يحرم عبادة الجن عرفوه أنهم الجن.

*** طلب الشياطين السجود لهم وفعل الفواحش ممن يعاملونهم:**

وقد يطلب الشيطان المتمثل له في صورة الإنسان أن يسجد له،

---

(١) «فما دام لا يخلص لله العمل؛ فلا يزال مشركاً، ولا يزال الشيطان مسلطاً عليه». من «التفسير الكبير» (٣ / ٣٧١).

أو أن يفعل به الفاحشة، أو أن يأكل الميتة ويشرب الخمر، أو أن يقرب لهم الميتة، وأكثرهم لا يعرفون ذٰلك، بل يظنون أن من يخاطبهم إما ملائكة وإما رجال من الجن يسمونهم رجال الغيب، ويظنون أن رجال الغيب أولياء الله غائبون عن أبصار الناس، وأولٰئك جن تمثلت بصور الإنس، أو رؤيت في غير صور الإنس.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]: كان الإنس إذا نزل أحدهم بواد يخاف أهله؛ قال: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من سفهائه، وكانت الإنس تستعيذ بالجن؛ فصار ذٰلك سبباً لطغيان الجن، وقالت: الإنس تستعيذ بنا!

*** الرقى والعزائم تتضمن أسماء رجال من الجن:**

وكذٰلك الرقى والعزائم الأعجمية هي تتضمن أسماء رجال من الجن يدعون ويستغاث بهم ويقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسبب ذٰلك في بعض الأمور، وهٰذا من جنس السحر والشرك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]...»[١].

(١) «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٦١ ـ ٣٦٢).

*** السحر من الخوارق الشيطانية :**

عرف أن السحر يغير الحس والعقل؛ حتى يخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو، وكذٰلك سائر الخوارق الشيطانية لا تأتي إلا مع نوع فساد في الحس أو العقل؛ كالمؤلهين الذين لا تأتيهم إلا مع زوال عقولهم، وآخرين لا تأتيهم إلا في الظلام، وآخرين تتمثل لهم الجن في صورة الإنس فيظنون أنهم إنس، أو يرونهم مثال الشيء فيظنون أن الذي رأوه هو الشيء نفسه، أو يسمعونهم صوتاً يشبه صوت من يعرفونه فيظنون أنه صوت ذٰلك المعروف عندهم، وهٰذا كثير موجود في أهل العبادات البدعية التي فيها نوع من الشرك ومخالفة للشريعة[١].

* * *

(١) «النبوات» (ص ٤٣١ ـ ٤٣٢).

الفصل الرابع

أولياء الشيطان وأحوالهم

* مكايد الشيطان وإغلاق الشرع لها على الإنسان.
* مكايد الشيطان لبني الإنسان.
* من مكايد الشيطان الإفتاء في الدين بغير علمٍ.
* من مكايد الشيطان إيقاع الشحناء والبغضاء والتلاعن والتكفير بين الناس.
* من مكايد الشيطان جعل الإنسان مسرفاً في جميع أموره.
* من مكايد الشيطان وقوع الطلاق وخراب البيوت.
* إغلاق الشرع مداخل الشيطان على الإنسان:

أولاً: النهي عن الذبح للجنّ.

ثانياً: النهي عن الجزع عند المصيبة والبطر عند النعمة.

ثالثاً: النهي عن الصَّلاة عند الشروق والغروب.

رابعاً: تحريم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه غيره سبحانه.

* الشيطان مع الصوفية والعباد.
* أحوال وتنزّلات شيطانية وذكر أمثلة من ذلك شاهدها شيخ الإسلام.
* بعض هذه التنزّلات الشيطانية كفر صراح.
* أمثلة من لعب الشياطين بأوليائهم وإجراء الخوارق على أيديهم.
* حضور الشياطين لسماع المتصوفة وحملهم إياهم على الرقص والوجد.

* جملة من الأفعال المحرمة تقع في مجالس السماع تجعل الشياطين تمد أصحابها بأنواع من الإمداد .

* عبادة هؤلاء للشياطين .

* تلبيس الشيطان على الصوفية في مصدر التلقّي .

* علامة أولياء الشيطان .

* لا يفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان إلا مَنْ نوَّر الله بصيرته .

* لا يعبد الله إلا بما شرع ووجوب وزن الناس بميزان الشرع ولا سيما أصحاب المكاشفات الشيطانية .

* الطعن في الأنبياء من عبادة الشيطان والكفر بالرحمن .

* تلبيس الشياطين على القبوريين وعباد الأصنام وقضاء بعض حاجاتهم وتصوّرهم لهم وتكليمهم إياهم .

* أحوال شيطانية يجريها الجن لبعض أوليائهم .

* كفر من يفضّل الأحوال الشيطانية على طريقة القرآن .

* حكم الاستغاثة بالجن وبيان أنها من الشيطان .

* تمثل الشياطين للكافرين وبعض الزاهدين .

* قد يجمع جريان الخوارق على يد رجل واحدٍ وتكون في بعض الأحايين من باب كرامات الأولياء ، وتارة من أحوال الشياطين .

* من أسباب الضلال وقوع الخوارق عند القبور .

* إقامة البراهين على أن هٰذه الخوارق من الشياطين .

* قصة الشيخ عبدالقادر الجيلاني مع الشيطان .

الفصل الرابع
أولياء الشيطان وأحوالهم

*** من مكايد الشيطان الإفتاء في الدين بغير علم:**

يكيد الشيطان للإنسان ليلاً نهاراً، ومن مكايده إيقاعه في الحرام؛ كالإفتاء في دين الله تعالى بغير علم، ومن المعلوم أن المجتهد إن أخطأ كان خطؤه من الشيطان ـ مع أنه مغفورٌ له ـ؛ فكيف بمن تكلم بلا اجتهاد يبيح له الكلام في الدين؟!

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن تكلم في الدين بلا علم؛ كان كاذباً وإن كان لا يتعمد الكذب، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ لما قالت له سبيعة الأسلمية وقد توفي عنها زوجها سعد ابن خولة في حجة الوداع، فكانت حاملاً، فوضعت بعد موت زوجها بليال قلائل؛ فقال لها أبو السنابل بن بعكك: ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الأجلين. فقال النبي ﷺ: «كذب أبو السنابل، بل حللت؛ فانكحي»[1]، وكذلك لما قال سلمة بن الأكوع أنهم يقولون:

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الطلاق، باب ﴿وأولات الأحمال أجلهن=

إن عامراً قتل نفسه وحبط عمله؛ فقال: «كذب من قالها، إنه لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ»[1]، وكان قائل ذٰلك لم يتعمد الكذب؛ فإنه كان رجلاً صالحاً، وقد روي أنه كان أسيد بن الحضير[2]، لٰكنه لما تكلم بلا علم كذبه النبي ﷺ.

وقد قال أبو بكر وابن مسعود وغيرهما من الصحابة فيما يفتون فيه باجتهادهم: «إن يكن صواباً؛ فمن الله، وإن يكن خطأ؛ فهو مني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[3].

فإذا كان خطأ المجتهد المغفور له هو من الشيطان؛ فكيف بمن تكلم بلا اجتهاد يبيح له الكلام في الدين؟! فهٰذا خطؤه أيضاً من الشيطان مع أنه يعاقب عليه إذا لم يتب، والمجتهد خطؤه من الشيطان وهو مغفور له، كما أن الاحتلام والنسيان وغير ذٰلك من الشيطان وهو مغفور، بخلاف من تكلم بِلا اجتهاد يبيح له ذٰلك؛ فهٰذا كاذب آثم في

= أن يضعن حملهن﴾، رقم ٥٣١٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، رقم ١٤٨٤).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٤١٩٦، ٦١٤٨، ٦٨٩١)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٨٠٢)؛ عن سلمة بن الأكوع ضمن قصة طويلة.

(٢) ورد تسميته في رواية عند مسلم في «الصحيح» (٣ / ١٤٢٩ / رقم ١٨٠٢ بعد ١٣).
وانظر: «تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم» لأبي ذر أحمد ابن سبط بن العجمي (ص ٣١٥ / رقم ٧٣٨ ـ بتحقيقي).

(٣) انظر: «الموافقات» (٤ / ٢٧٦ ـ بتحقيقي)، و «جامع بيان العلم» (٢ / ٩٩١ / رقم ١٧١٢ ـ ط دار ابن الجوزي).

ذٰلك، وإن كانت له حسنات في غير ذٰلك؛ فإن الشيطان ينزل على كل إنسان ويوحي إليه بحسب موافقته له، ويطرد بحسب إخلاصه لله وطاعته له، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وعباده هم الذين عبدوه بما أمرت به رسله من أداء الواجبات والمستحبات، وأما من عبده بغير ذٰلك؛ فإنه من عباد الشيطان لا من عباد الرحمٰن، قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يٓس: ٦٠ ـ ٦٢]»[١].

*** ومن مكايد الشيطان إيقاع الشحناء والبغضاء والتلاعن والتكفير بين الناس:**

فإن هٰذا مما يحبه ويرضاه[٢].

وقد «قيل: أول ذنب عُصِي اللهُ به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد؛ فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل هابيل.

وفي الحديث: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة، وسأحدثكم بما يخرج من ذٰلك: إذا حسدت فلا تبغض، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض»[٣]. رواه ابن أبي الدنيا من

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٤٣١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الحسد» من حديث أبي هريرة.

حديث أبي هريرة.

وفي «السنن» عن النبي ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولٰكن تحلق الدين»[1]؛ فسماه..............................

= قال الزبيدي في «الإتحاف» (٨ / ٥١): «وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وموسى بن يعقوب الزمعي، وضعّفهما الجمهور».

ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا من طريق عبدالرحمٰن بن معاوية.

وهو مرسل ضعيف.

وروى ابن رسته في «الإيمان» ـ كما في «كنز العمال» (١٦ / ٢٧ / رقم ٤٣٧٨٩) و «إتحاف السادة المتقين» (٧ / ٥٥٢، ٨ / ٧٦) ـ عن الحسن مرسلاً بلفظ: «ثلاث لم تسلم منها هٰذه الأمة: الحسد، والظن، والطيرة، فإذا...» وذكره.

وروى الطبراني في «الكبير» (رقم ٣٢٢٧)، وأبو الشيخ في «التوبيخ» (رقم ١٥٥، ٢٤٢)؛ عن حارثة بن النعمان رفعه: «ثلاث لازمات لأمتي: سوء الظن، والحسد، والطيرة؛ فإذا...»، وذكره.

وفي سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف. قاله الهيثمي في «المجمع» (٨ / ٧٨).

وأورده كذٰلك الزبيدي في «الإتحاف» (٧ / ٥٥٢، ٨ / ٥١).

وقال البخاري والدارقطني عن إسماعيل هٰذا: «منكر الحديث»، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه منكر».

انظر: «المجروحين» (١ / ١٢٧)، و «الميزان» (١ / ٢٤٥).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم ٢٥١٠)، وأحمد في «المسند» (١ / ١٦٥، ١٦٧)، والبزار في «المسند» (رقم ٢٠٠٢ ـ «زوائده»)، وأبو يعلى في «المسند» (٢ / ٣٢ / رقم ٦٦٩)؛ عن الزبير.

داءً. . . »[1].

و «إيقاع العداوة والبغضاء هي منتهى قصد الشيطان، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن إفساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولٰكن تحلق الدين»»[2].

[و][3] الفواحش والظلم وغير ذٰلك من الذنوب توقع العداوة والبغضاء، وأن كل عداوة أو بغضاء فأصلها من معصية الله، والشيطان يأمر بالمعصية ليوقع فيما هو أعظم منها، ولا يرضى بغاية ما قدر على ذٰلك.

= **وإسناده ضعيف، ولٰكنه حسن بشواهده.**

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٢٦٠)؛ عن أبي هريرة بنحوه.

وانظر: «الموافقات» (٥ / ١٥٣ ـ بتحقيقي)، و «الإرواء» (٢ / ٢٣٩)، و «صحيح الأدب المفرد» (رقم ١٩٧)، و «غاية المرام» (رقم ٤١٤).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٣٩١)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٤٩١٩)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٢٥٠٩)، وأحمد في «المسند» (٦ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥)، وهناد في «الزهد» (رقم ١٣١)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم ٥٠٩٢ ـ «الإحسان»)، والبيهقي في «الآداب» (رقم ١٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ٣٥٣٨)؛ عن أبي الدرداء رفعه.

وإسناده صحيح.

(٣) ما بين المعقوفتين من إضافاتي.

*** العداوة والبغضاء شر محض والخمر والفواحش شر فيه لذة والشيطان يدعو إليها:**

وأيضاً؛ فالعداوة والبغضاء شر محض لا يحبها عاقل، بخلاف المعاصي؛ فإن فيها لذة كالخمر والفواحش، فإن النفوس تريد ذلك، والشيطان يدعو إليها النفوس حتى يوقعها في شر لا تهواه ولا تريده، والله تعالى قد بين ما يريده الشيطان بالخمر والميسر ولم يذكر ما يريده الإنسان، ثم قال في سورة النور:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

وقال في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩].

فنهى عن اتباع خطواته[1]، وهو اتباع أمره بالاقتداء والاتباع، وأخبر أنه يأمر بالفحشاء والمنكر والسوء والقول على الله بلا علم، وقال فيها: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

---

(١) ذكر ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣ / ٣٤٠ - ٣٤٣ - ط محمد محيي الدين) مجامع أنواع حيل الشيطان وخطواته، وتدرجه مع الإنسان، لإيقاعه في شركه، وكلامه في هٰذا قوي نفيس، يحتاج إليه كل مسلم، فراجعه فإنه مهم، والله الموفّق، لا رب سواه.

* **الذنوب طاعة للشيطان:**

[والذنوب من الشرك؛ فإنها طاعة للشيطان، قال: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ...﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية، وقال [تعالى] ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]](١).

فالشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر والسوء والله يعد المغفرة والفضل ويأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وقال عن نبيه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال عن أمته: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وذكر مثل ذٰلك في مواضع كثيرة؛ فتارة يخص اسم المنكر بالنهي، وتارة يقرنه بالفحشاء، وتارة يقرن معهما البغي، وكذٰلك المعروف تارة يخصه بالأمر، وتارة يقرن به غيره؛ كما في قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وذٰلك لأن الأسماء قد يكون عمومها وخصوصها بحسب الإفراد والتركيب»(٢).

---

(١) ما بين المعقوفتين من «التفسير الكبير» (٦ / ١٧).

(٢) «التفسير الكبير» (٥ / ٣١٥ ـ ٣١٧)، و «مجموع الفتاوى» (١٥ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

*** من مكايد الشيطان جعل الإنسان مسرفاً في جميع أموره:**

«والشيطان يريد من الإنسان الإسراف في أموره كلها؛ فإنه إن رآه مائلاً إلى الرحمة زين له الرحمة حتى لا يبغض ما أبغضه الله، ولا يغار لما يغار الله منه، وإن رآه مائلاً إلى الشدة زين له الشدة في غير ذات الله حتى يترك من الإحسان والبر واللين والصلة والرحمة ما يأمر به الله ورسوله، ويتعدى في الشدة فيزيد الذم والبغض والعقاب على ما يحبه الله ورسوله؛ فهٰذا يترك ما أمر الله به من الرحمة والإحسان، وهو مذموم مذنب في ذٰلك.

ويسرف فيما أمر الله به ورسوله من الشدة حتى يتعدى الحدود، وهو من إسرافه في أمره؛ فالأول مذنب، والثاني مسرف، والله لا يحب المسرفين»[1].

*** من مكايد الشيطان وقوع الطلاق وخراب البيوت:**

ومن هنا قال طائفة من العلماء: إن الطلاق الثلاث حرمت به المرأة عقوبة للرجل حتى لا يطلق؛ فإن الله يبغض الطلاق، وإنما يأمر به الشياطين والسحرة؛ كما قال تعالى في السحر: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إن الشيطان ينصب عرشه على البحر، ويبعث جنوده؛ فأقربهم إليه منزلة أعظمهم فتنة، فيأتي أحدهم، فيقول: ما زلت به حتى شرب الخمر، فيقول: الساعة يتوب، ويأتي الآخر

(١) «التفسير الكبير» (٥ / ٢٤٧).

فيقول: ما زلت به حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيقبِّله بين عينيه، ويقول: أنت أنت»[1]. [2].

فـ «السعي في التفريق بين الزوجين من أعظم المحرمات، بل هو فعل هاروت وماروت، وفعل الشيطان الحظي عند إبليس، كما جاء به الحديث الصحيح»[3].

*** إغلاق الشرع مداخل الشيطان على الإنسان:**

وذٰلك من طرق كثيرة جداً، منها:

أولاً: النهي عن الذبح للجن.

كان العرب يذبحون للجن في الجاهلية، فأتى الإسلام، فنهاهم عن ذٰلك[4].

ثانياً: النهي عن الجزع عند المصيبة والبطر عند النعمة.

نهي عن الجزع عند المصيبة والبطر عند النعمة؛ فإنه من أعظم مداخل الشيطان، قال الإمام ابن تيمية:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سرايا لفتنة الناس، رقم ٢٨١٣) عن جابر بن عبدالله رفعه بنحوه.

وزاد الأعمش ـ في «صحيح مسلم» أيضاً ـ: «أُراه قال: فيلتزِمُهُ».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢ / ٨٨ ـ ٨٩).

(٣) «بيان الدليل على بطلان التحليل» (٦٠٩ - ٦١٠).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢ / ٥٦٤)، و «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٤٨٥)، و (ص ٣١٤ ـ ٣١٧) من هٰذا الكتاب.

«ولما كان الشيطان يدعو الناس عند هٰذين النوعين إلى تعدي الحدود بقلوبهم وأصواتهم وأيديهم؛ نهى النبي ﷺ عن ذٰلك، فقال لما قيل له ـ لما رأى إبراهيم في النزع ـ: أتبكي؟ أولم تنه عن البكاء؟ قال: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة: لهو، ولعب، ومزامير الشيطان. وصوت عند مصيبة: لطم خدود، وشق جيوب، ودعاء بدعوى الجاهلية»[1]؛ فجمع بين الصورتين. . . وقال: «ما كان من العين والقلب فمن الله، وما كان من اليد واللسان؛ فمن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣ / ٣٩٣)، والطيالسي في «المسند» (رقم ١٦٨٣)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ١٠٤٤ ـ «المنتخب»)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٣٨)، والترمذي في «الجامع» (رقم ١٠٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٤٠)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (رقم ٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧ / ٢٤١ / رقم ١٠٦٣، ١٠٦٤) وفي «السنن الكبرى» (٤ / ٦٩)، والآجري في «تحريم النرد والشِّطْرنج» (رقم ٦٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٥ / ٤٣٠ ـ ٤٣١ / رقم ١٥٣٠)؛ عن جابر بن عبدالله رفعه، ومنهم من رواه عنه عن عبدالرحمٰن بن عوف.

وإسناده حسن، وهو صحيح بمجموع شواهده.

انظر تفصيل ذٰلك في: «تحريم آلات الطرب» لشيخنا الألباني عافاه الله (ص ٥١ ـ ٥٥).

(تنبيه):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستقامة» (١ / ٢٩٢): «هٰذا الحديث من أجود ما يحتجّ به على تحريم الغناء».

الشيطان»[1]»[2].

ثالثاً: النهي عن الصلاة عند الشروق والغروب.

«والذين يعبدون الشيطان أكثرهم لا يعرفون أنهم يعبدون الشيطان، بل قد يظنون أنهم يعبدون الملائكة أو الصالحين؛ كالذين يستغيثون بهم ويسجدون لهم؛ فهم في الحقيقة إنما عبدوا الشيطان وإن ظنوا أنهم يتوسلون ويستشفعون بعباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

ولهٰذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها[3]؛ فإن الشيطان يقارنها حينئذ حتى يكون سجود عباد الشمس له، وهم يظنون أنهم يسجدون للشمس وسجودهم للشيطان، وكذٰلك

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٤ و٥ / ٤١ ـ ٤٢ ـ ط شاكر)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣ / ١ / ٢٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢ / رقم ١٢٩٣٦)، وابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤٩٥)؛ عن ابن عباس.
قال الهيثمي في «المجمع» (٣ / ١٧): «رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وفيه كلام وهو موثق»، وأعاده في (٩ / ٣٠٢) مختصراً، وعزاه للطبراني وقال: «ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».
وصححه الشيخ أحمد شاكر!!

(٢) «الاستقامة» (٢ / ٢٧٥، ٢٧٦).

(٣) سيأتي بعد ذٰلك.

أصحاب دعوات الكواكب الذين يدعون كوكباً من الكواكب ويسجدون له ويناجونه ويدعونه ويصنعون له من الطعام واللباس والبخور والتبركات ما يناسبه، كما ذكره صاحب «السر المكتوم» المشرقي، وصاحب «الشعلة النورانية» البوني المغربي وغيرهما؛ فإن هٰؤلاء تنزل عليهم أرواح تخاطبهم وتخبرهم ببعض الأمور وتقضي لهم بعض الحوائج ويسمون ذٰلك روحانية الكواكب، ومنهم من يظن أنها ملائكة وإنما هي شياطين تنزل عليهم»(١).

«وفي «صحيح مسلم» حديث عمرو بن عبسة؛ قال: «قلت: يا رسول الله! أخبرني عن الصلاة. قال: «صل صلاة الصبح، ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل؛ فإن الصلاة محضورة مشهودة؛ حتى يستقل الظل بالرمح، ثم اقصر عن الصلاة؛ فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»(٢).

والأحاديث المختصة بوقت الطلوع والغروب، وبالاستواء حديث ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بدا حاجب الشمس؛ فأخروا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس؛ فأخروا الصلاة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٥٠ _ ٤٥١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم ٨٣٢) عن عَمرو بن عَبَسة رفعه.

حتى تغيب»[١]. هٰذا اللفظ لمسلم.

وفي «صحيح مسلم» عن عقبة بن عامر؛ قال: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن، أو نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل، وحين تتضيف الشمس للغروب حتى تغرب»[٢]»[٣].

«فعلل النهي في الطلوع والغروب بمقارنة الشيطان، فقال: «ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان»، وفي الغروب قال: «ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان»[٤]، وأما مقارنة الشيطان لها حين الاستواء؛ فليس في شيء من الحديث إلا في حديث الصنابحي، قال: «إنها تطلع ومعها قرن الشيطان، فإذا ارتفعت قارنها، ثم إذا استوت قارنها، فإذا زالت قارنها، وإذا دنت للغروب قارنها، فإذا غربت قارنها»[٥]؛ فنهى رسول

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المواقيت، باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، رقم ٥٨٢، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٧٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، رقم ٨٢٩)؛ عن ابن عمر مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، رقم ٨٣١) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٣ / ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٤) مضى من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٣٤٨) من طريق أبي غسان، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي عبدالله الصنابحي، به.

الله ﷺ عن الصلاة في تلك الساعات، لٰكن الصُّنَابحي قد قيل: إنه لم تثبت له صحبة[1]، فلم يسمع هٰذا من النبي ﷺ، بخلاف حديث عمرو ابن عبسة؛ فإنه صحيح سمعه منه»[2].

«وعن عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساحية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح، وإن

= وأخرج مالك في «الموطأ» (١ / ٢١٩) ـ ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٤٥٤)، والنسائي في «المجتبى» (١ / ٢٧٥) ـ عن زيد بن أسلم، به، وفيه: «عبدالله الصنابحي».

وقال البيهقي عقبه: «ورواه معمر بن راشد عن زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي عبدالله الصنابحي. قال أبو عيسى الترمذي: الصحيح رواية معمر، وهو أبو عبدالله الصنابحي، واسمه عبدالرحمٰن بن عسيلة».

وانظر: «الطبقات» للإمام مسلم (رقم ١٩٥٥) وتعليقي عليه.

وأخرجه من طريق معمر عن زيد بن أسلم به: ابن ماجه في «السنن» (١ / ٣٩٧).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «إسناده حسن».

قلت: إلا أنه مرسل؛ فالصنابحي لم ير رسول الله ﷺ، ومات رسول الله ﷺ وهو في الجحفة في الطريق إليه بخمس أو ست ليال قبل وصوله إلى المدينة.

(١) انظر لزاماً تعليقي على «الطبقات» (رقم ١٩٥٥ ـ قسم الدراسة).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٣ / ٢٠٦).

وانظرها: (١٠ / ٤٥٠ ـ ٤٥١)، وانظرها: (١١ / ٢٩٢.و٢٢ / ٢٤، ٥٣٧، ٦٠٢ ـ ٦٠٣)، و «القواعد النورانية الفقهية» (ص ٣١)، و «تفسير آيات أشكلت» (٢ / ٦٢٥)، و «التفسير الكبير» (٥ / ١٨٧)، و «الفتاوى العراقية» (ص ٧٧)، و «كتاب الرد على الأخنائي» (ص ٦١).

أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»[1]. رواه أحمد»[2].

«وعن ابن عباس؛ قال: «أتيت وأنا نائم في رمضان، فقيل لي: إن الليلة ليلة القدر. فقمت وأنا ناعس، فتعلقت ببعض أطناب رسول الله ﷺ وهو يصلي». فقال ابن عباس: «فنظرت في الليلة؛ فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين». فقال ابن عباس: «إن الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم؛ إلاَّ ليلة القدر؛ فإنها تطلع يومئذ لا شعاع لها»[3]. رواه سعيد»[4].

والنهي «عن تحري الصلاة في هٰذا الوقت؛ لما فيه من مشابهة الكفار في الصورة، وإن كان المصلي يقصد السجود لله لا للشمس،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥ / ٣٢٤)، والمروزي في «قيام الليل» (ص ٢٥٨ ـ مختصره) من طريق بقية ثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة به.
وهٰذا إسناد ضعيف ومنقطع، ابن معدان لم يصح سماعه من عبادة، وأخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١ / ٣٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧ / ٢٩٣) من طريق آخر عنه **بسندٍ ضعيف**، فيه معاوية بن يحيى.

(٢) «شرح كتاب العمدة» (٢ / ٦٩٨ ـ كتاب الصيام).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٢٥٥، ٢٨٢)، والطيالسي في «المسند» (ص ٣٤٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١١ / ٢٩٢)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» (ص ٢٤٠٥)، والمصيصي «جزء لوين» (ص ٥٦ / رقم ٣٥) عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، **وهٰذا إسناد ضعيف**.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر، ٧٩٢) عن أُبيّ بن كعب رفعه بنحوه.

(٤) «شرح كتاب العمدة» (٢ / ٦٩٤ ـ كتاب الصيام).

لٰكن نهى عن المشابهة في الصورة؛ لئلا يفضي إلى المشاركة في القصد، فإذا قصد الإنسان السجود للشمس وقت طلوع الشمس ووقت غروبها كان أحق بالنهي والذم والعقاب، ولهٰذا يكون هٰذا كافراً»[1].

رابعاً: تحريم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه غيره سبحانه.

قال رحمه الله: «ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلاناً! أغثني، وانصرني، وادفع عني، وأنا في حسبك... ونحو ذٰلك، بل كل هٰذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[2].

*** ليس لأحد أن يرقي باسم مجهول ولا يدعو به:**

وقد سئل رحمه الله: «عمن يقول: يا أزران! يا كيان! هل صح أن هٰذه أسماء وردت بها السنة لم يحرم قولها؟

فأجاب: الحمد لله، لم ينقل هٰذه عن الصحابة أحد، لا بإسناد صحيح ولا بإسناد ضعيف، ولا سلف الأمة ولا أئمتها، وهٰذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقي به،

---

(١) «الرد على الأخنائي» (ص ٦١).
وانظر: «الاستقامة» (١ / ٢٩٧)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٢ و٢٢ / ٢٤، ٥٣٧، ٦٠٢ ـ ٦٠٣)، و «القواعد النورانية الفقهية» (ص ٣١)، و «تفسير آيات أشكلت» (٢ / ٦٢٥)، و «التفسير الكبير» (٥ / ١٨٧)، و «الفتاوى العراقية» (ص ٧٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٥٩).

فضلاً عن أن يدعو به، ولو عرف معناها وأنه صحيح؛ لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية»[1].

وقال: «والأدعية التي يدعو بها بعض العامة ويكتبها باعة الحروز من الطرقية التي فيها: أسألك باحتياط قاف وهو يوف المخاف، والطور والعرش والكرسي وزمزم والمقام والبلد الحرام. وأمثال هٰذه الأدعية؛ فلا يُؤثر منها شيء؛ لا عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، ولا عن أئمة المسلمين، وليس لأحد أن يقسم بها بحال»[2].

*** الشيطان مع الصوفية والعُبَّاد:**

من المعلوم بداهةً أن الصوفية ابتعدوا عن هدي النبوة والسلف الصالح؛ فابتدعوا من البدع ما الله به عليم؛ فدخل الشيطان عليهم مُزيِّناً ومُحسِّناً لهم تلك البدع، حتى ظنوا أن هٰذا الذي هم عليه هو الطريق الصحيح الوحيد الموصل إلى الله عز وجل، وأن غيرهم من أهل العلم الشرعي دونهم، ولم يصلوا إلى درجتهم العالية.

وظهرت على أيديهم الكثيرُ والكثير من الخوارق الشيطانية التي ضلوا بها وأضلوا كثيراً عن سواء السبيل.

*** البدعة أحب إلى إبليس من المعصية:**

وهٰؤلاء فيهم شبه من النصارى؛ لأنهم عبدوا الله على جهل[3]،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٨٣).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٤ / ٣٠٩).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» (٤ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٩٥ ـ ٩٦).

[ولهٰذا قال أئمة الإسلام ـ كسفيان الثوري وغيره ـ: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها][1].

*** ثناء الله على من يستمع إلى القرآن:**

وهٰؤلاء لهم سماع كما أن لأهل العلم والإيمان سماع، لٰكن شتان ما بين السماعيْن! فسماع أهل العلم والإيمان هو القرآن الكريم، وسماع أولٰئك هو الغناء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما أهل السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم؛ فهو سماع آيات الله تعالى، وهو سماع النبيين والمؤمنين، وأهل العلم، وأهل المعرفة، قال الله تعالى ـ لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا * وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا * وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٩).

﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وبهٰذا السماع أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وعلى أهله أثنى تعالى كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى في الأخرى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]؛ فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه.

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [صٓ: ٢٩].

*** ذم الله تعالى للمعرضين عن سماع القرآن:**

وكما أثنى تعالى على هٰذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هٰذا السماع؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦].

وهٰذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم؛ كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذٰلك، وعلى هٰذا السماع كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون، وكان عمر يقول لأبي موسى: ذَكِّرْنا ربَّنا فيقرأ وهم يستمعون[1]، [ومر النبي ﷺ بأبي موسى رضي الله عنه وهو يقرأ؛ فجعل يستمع لقراءته، فقال: «يا أبا موسى! مررت بك البارحة فجعلت أستمع لقراءتك». فقال: لو علمت لحبرته

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢ / ٤٧٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤ / ١٠٩)، وابن حبان في «الصحيح» (١٦ / ١٦٨ ـ ١٦٩ / رقم ٧١٩٦ ـ «الإحسان»)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٢٣١)؛ عن ابن شهاب أن أبا سلمة بن عبدالرحمٰن قال... وذكره.
ورجاله ثقات؛ غير أن أبا سلمة لم يسمع من عمر؛ فإسناده منقطع.
وأخرجه ابن سعد (٤ / ١٠٩) عن حبيب بن أبي مرزوق؛ قال: «بلغنا أن عمر ابن الخطاب...»، وذكره.

لك تحبيراً[1]. وقال: «لله أشد إذناً ـ أي: استماعاً ـ إلى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنَةِ إلى قَيْنَتِه»[2].

وهٰذا هو سماع المؤمنين وسلف الأمة وأكابر المشايخ؛ كمعروف الكرخي، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ونحوهم، وهو سماع المشايخ المتأخرين الأكابر؛ كالشيخ عبدالقادر، والشيخ عدي بن مسافر، والشيخ أبي مدين، وغيرهم من المشايخ رحمهم الله][3].

وهٰذا هو السماع الذي كان النبي ﷺ يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم؛ كما في «الصحيحين» عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال له: ««اقرأ علي». قال: قلت: أقرأ عليك وعليك نزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري». فقرأت عليه سورة النساء حتى

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم ٧٩٣)؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧ / ١٢٤)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ١٣٤٠)، وأحمد في «المسند» (٦ / ١٩، ٢٠)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٦١ ـ ١٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨ / ٣٠١ / رقم ٧٧٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٣ / ٣١ ـ رقم ٧٥٤ ـ «الإحسان»)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٢٣٠)؛ عن فضالة بن عُبَيد رفعه.
وإسناده ضعيف.

(٣) ما بين المعقوفتين من «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٣١٨ ـ ٣١٩).

وصلت إلى هٰذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قال: «حسبك». فإذا عيناه تذرفان»[١].

وهٰذا هو الذي كان النبي ﷺ يسمعه وأصحابه؛ كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، والحكمة هي السنة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٢]، وكذٰلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وكذٰلك يحتج عليهم يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هٰؤلاء شهيداً﴾، رقم ٤٥٨٢، وكتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، رقم ٥٠٤٩، وباب قول المقرىء للقارىء حسبك، رقم ٥٠٥٠، وباب البكاء عند قراءة القرآن، رقم ٥٠٥٥، ٥٠٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب منه، رقم ٨٠٠)؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا . . .﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ . . .﴾ [الزمر: ٧١] الآية.

*** المعتصم بسماع القرآن مهتد مفلح والمعرض عنه ضال شقي:**

وقد أخبر الله تعالى أن المعتصم بهٰذا السماع مهتد مفلح، والمعرض ضال شقي، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه، ويراد به الذكر الذي أنزله الله؛ كما قال تعالى:

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ

﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

*** آثار سماع القرآن على الإنسان:**

وهٰذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد، وهٰذا مذكور في القرآن، وهٰذه الصفات موجودة في الصحابة، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة: الاضطراب الصراخ والإغماء[1] والموت في التابعين.

وبالجملة؛ فهٰذا السماع هو أصل الإيمان، فإن الله تعالى بعث

---

(١) أخرج سعيد بن منصور في «التفسير» (رقم ٩٥)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥ / ٢٤ / رقم ١٩٠٠) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٢٠ ـ تراجم النساء) ـ، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (٧ / ٢٢٢) ـ، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (ص ١٤٧) و «تلبيس إبليس» (ص ٢٥٢) بسند صحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؛ قالت: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرىء عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم. قيل لها: فإن أناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشيّاً عليه! فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم، فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه؛ اهتدى وأفلح، ومن أعرض عن ذٰلك؛ ضل وشقي.

*** المكاء والتصدية هما سماع المشركين:**

وأما سماع المكاء والتصدية (والتصدية: هي التصفيق بالأيدي، والمكاء: مثل الصفير ونحوه)؛ فهٰذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]؛ فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة وديناً.

[فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون، يتخذون ذٰلك عبادة وصلاة؛ فذمهم الله على ذٰلك وجعل ذٰلك من الباطل الذي نهى عنه.

فمن اتخذ نظير هٰذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله؛ فقد ضاها هٰؤلاء في بعض أمورهم، وكذٰلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ ولا فعله أكابر المشايخ][1].

ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هٰذا السماع، ولا حضروه قط، ومن قال: إن النبي ﷺ حضر ذٰلك؛ فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسننه، والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في (مسألة السماع) في «صفة التصوف»، ورواه من

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٣١٩).

طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب «عوارف المعارف» أن النبي ﷺ أنشده أعرابي:

قد لسعت حَيَّةُ الهوى كَبِدِي فـلا طبيـبَ لهـا ولا رَاقِـي
إلاّ الحبيـبَ الـذي شُغِفْـتُ بـه فعنـده رُقْيَتِـي وتِـرْيَـاقِـي

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال معاوية: ما أحسن لهوكم! فقال: مهلاً يا معاوية! ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب: هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهٰذا الشأن[1].

---

(١) نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على وضع هٰذا الحديث في كثيرٍ من كتبه، مثل: «الاستقامة» (١ / ٢٩٤)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٣٨ و٢ / ٢٩٩)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥٨ ـ ٥٩، ١٦٨، ٥٩٨)، و «أحاديث القصاص» (رقم ١٣)، و «رسالة السماع والرقص» (ص ١٦٩ ـ من الجزء الثالث من «مجموعة الرسائل المنيرية»)، وعنه مرعي الكرمي في «الفوائد المجموعة» (رقم ١٦٦)، والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (رقم ٤٨٦)، والفتني في «تذكرة الموضوعات» (١٩٧ ـ ١٩٨).
وانظر: «المنار المنيف» (١٣٩)، و «المقاصد الحسنة» (٣٣٣) ـ ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ، و «مختصره» للزرقاني (٧٩٢)، و «الأسرار المرفوعة» (٢٧٩)، و «المصنوع» (٢٣٦، ٤٦٧، ٤٦٨) ـ ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مرة بواسطة السخاوي وأخرى بغير واسطة ـ، و «تنزيه الشريعة» (٢ / ٢٣٣)، و «كشف الخفاء» (٢ / ١٤١)، و «الفوائد المجموعة» (٢٥٤) للشوكاني.
والقصة عند السهروردي في «عوارف المعارف» (١٠٨ ـ ١٠٩) مسندةً، وقال: «فهٰذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلّم في صحّته =

وأظهر منه كذباً حديث آخر يذكرون فيه أنه لما بشر الفقراء بسبقهم للأغنياء إلى الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم، وأن جبريل نزل من السماء فقال: يا محمد! إن ربك يطلب نصيبه من هٰذه الخروق. فأخذ منه خرقة، فعلقها بالعرش، وأن ذٰلك هو زِيقُ الفقراء.

وهٰذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الإيمان والإسلام»[1].

= أصحابُ الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وَجْدَ أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم؛ إلا هٰذا، وما أحسنه من حُجَّةٍ للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صحَّ، ويخالج سرِّي أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هٰذا الحديث، ويأبى القلب قبوله».

قلت: فهٰذا قوله مع غلوِّه في مدح الصوفية، وذكر عباراتهم ومصطلحاتهم وتأييدها ما أمكنه ذٰلك، والمتهم في هٰذه الخرافة (عمار بن إسحاق) قال الذهبي في «الميزان» (٣ / ١٦٤ / رقم ٥٩٨٢) في ترجمته: «كأنه واضع هٰذه الخرافة التي فيها: «قد لسعت حيّةُ الهوى كبدي»؛ فإنَّ الباقين ثقات».

وقد حكم شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٥٥٨) عليه بالوضع.

وانظر: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (٤ / ٥٣٥ ـ ٥٣٩).

(١) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥٥٧ ـ ٥٦٣)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢٩٥ ـ ٢٩٩).

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (١٣٩): «ومن ذٰلك ـ أي: من الأباطيل ـ حديث: حضر رسول الله ﷺ مجلساً للفقراء ورقص حتى شقّ قميصه، فلعن الله واضعه ما أجرأه على الكذب السَّمج!!».

* أحوال وتنزلات شيطانية وذكر أمثلة من ذٰلك شاهدها شيخ الإسلام ابن تيمية:

وهٰؤلاء «يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال[1]، ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع: إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم؛ كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذٰلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى[2]، وهٰذا يعرفه أهل المكاشفة شهوداً وعياناً[3]، وهٰؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم في هٰذا النمط؛ فإن الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى إن المصروع

---

(١) أورد الشاطبي في «الاعتصام» (١ / ٢٧٦) وعزاه لأبي عبيد ـ وهو في: «فضائل القرآن» (ص ٢١٤) له، و «تفسير البغوي» (٤ / ٧٧)، و «جمال القرَّاء» (ق ٢٩ / أ) للسخاوي، و «المرشد الوجيز» (٢٠٧). وهو في: «جامع الأصول» (٢ / ٤٦٧) ـ عن سعيد بن عبدالرحمن الجمحي؛ قال: «مرّ ابن عمر برجلٍ من أهل القرآن ساقط، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط. فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط! ثم قال: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هٰذا صنيع أصحاب محمد ﷺ».
وانظر كتابنا: «القرطبي والتصوف» (ص ١٠ وما بعدها ـ ط الأولى).

(٢) انظر: «الجواب الصحيح» (٢ / ٣٤١).

(٣) نقل شيخُنا الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص ١٦٦) كلام شيخ الإسلام ابن تيمية هٰذا وعلق عليه بكلام متين في الرد على منكري الصرع، انظره: (ص ٤١٧).

يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه؛ فكذٰلك هٰؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء، وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع. وبالمغرب ضرب من الزط يقال لأحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدحلها ويطير في الهواء، ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هٰؤلاء، وهم من الزط الذين لا خلاق لهم، والجن تخطف كثيراً من الإنس وتغيبه عن أبصار الناس[1] وتطير به في الهواء، وقد باشرنا من هٰذه الأمور ما يطول

---

(١) أخرج البيهقي (٧ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦) بسند صحيح من طريق قتادة عن أبي نضرة، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى: «أن رجلاً من قومه من الأنصار خرج يصلي مع قومه العشاء، فسبته الجن، فَفُقِد، فانطلقت امرأته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقصّت عليه القصة، فسأل عنه عمر قومه، فقالوا: نعم، خرج يصلي العشاء فَفُقِد. فأمرها أن تتربّص أربع سنين، فلما مضت الأربعُ سنين؛ أتته فأخبرته، فسأل قومها؟ فقالوا: نعم. فأمرها أن تتزوج، فتزوجت، فجاء زوجها يخاصم في ذٰلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يغيب أحدكم الزمان الطويل لا يعلم أهله حياته. فقال له: إن لي عذراً يا أمير المؤمنين، فقال: وما عذرك؟ قال: خرجت أصلي العشاء، فسبتني الجن، فلبثتُ فيهم زماناً طويلاً، فغزاهم جن مؤمنون ـ أو قال: مسلمون. شك سعيد ـ، فقاتلوهم، فظهروا عليهم، فسبوا منهم سبايا، فسبوني فيما سبوا منهم، فقالوا: نراك رجلاً مسلماً ولا يحل لنا سبيك. فخيروني بين المقام وبين القفول إلى أهلي، فاخترت القفول إلى أهلي، فأقبلوا معي، أما بالليل؛ فليس يحدثوني، وأما بالنهار؛ فعصار ريح أتبعها. فقال له عمر رضي الله عنه: فما كان طعامك فيهم؟ قال: الفول، وما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما كان شرابك فيهم؟ قال: الجدف ـ قال قتادة: والجدف: ما لا يخمر من الشراب ـ. قال: فخيره عمر بين الصداق وبين امراته».

= قال سعيد: وحدثني مطر، عن أبي نضرة، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن عمر رضي الله عنه مثل حديث قتادة؛ إلا أن مطراً زاد فيه؛ قال: «فأمرها أن تعتد أربع سنين وأربعة أشهر وعشراً».

قال: وأنا عبدالوهاب، أنا أبو مسعود الجريري، عن أبي نضرة، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن عمر رضي الله عنه مثلما روى قتادة عن أبي نضرة.

وروى الأثرم والجوزجاني عن عبيد بن عمير؛ قال: «فقد رجل في عهد عمر، فجاءت امرأته إلى عمر، فذكرت ذٰلك له، فقال: انطلقي فتربصي أربع سنين. ففعلت ثم أتته، فقال: انطلقي فاعتدي أربعة أشهر وعشراً. ففعلت، ثم أتته، فقال: أين ولي هٰذا الرجل؟ فجاء وليه، فقال: طلقها. ففعل، فقال عمر: انطلقي فتزوجي من شئت. فتزوجت ثم جاء زوجها الأول، فقال له عمر: وأين كنت؟ فقال: استهوتني الشياطين؛ فوالله ما أدري في أي أرض الله كنت...»، وذكر نحو رواية البيهقي.

قلت: وذكره ابن قدامة في «المغني» (٩ / ١٣٣ ـ ١٣٤) وقال: «قال أحمد: يروى عن عمر من ثلاثة وجوه، ولم يعرف من الصحابة له مخالف».

وذكره أيضاً ابن ضويان في «منار السبيل»، وقد صححه شيخنا الألباني في «الإرواء» (٧ / ١٥٠).

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ ق، ١٣ / ٢٢ ـ ٢٣ ـ ط دار الفكر) عن أبي محمد الحسن بن أحمد بن محيميد الحمصي، حدثني بعض شيوخنا عن شيخ له: «أنه خرج في نزهة ومعه صاحب له، فبعثه في حاجة فأبطأ عليه فلم يره إلى الغد، فجاء إليه وهو ذهل العقل، فكلموه فلم يكلمهم إلّا بعد وقت، فقالوا له: ما شأنك وما قصتك؟ فقال: إني دخلت إلى بعض الخراب أبول فيه؛ فإذا حيّة، فقتلتها؛ فما هو إلّا أن قتلتها حتى أخذني شيء فأنزلني في الأرض، واحتوشني جماعة فقالوا: هٰذا قتل فلاناً. فقالوا:

وصفه»[1].

*** الشيطان يحمل شخصاً فاجراً من الصالحية إلى قرية حول دمشق:**

«ونحن نعرف كثيراً من هٰؤلاء في زماننا وغير زماننا، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق، فيجيء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس، فيدخل وهم يرونه، ويجيء بالليل إلى «باب الصغير» فيعبر منه هو ورفقته، وهو من أفجر الناس.

*** الشيطان يحمل وليه ويطير به في الهواء:**

وآخر كان بالشويك، في قرية يقال لها: «الشاهدة»؛ **يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه وكان شيطان يحمله**، وكان يقطع الطريق.

وأكثرهم شيوخ الشر يقال لأحدهم «البوي»؛ أي: المخبث، ينصبون له حركات في ليلة مظلمة، ويصنعون خبزاً على سبيل القربات؛ فلا يذكرون الله، ولا يكون عندهم من يذكر الله ولا كتاب

= نقتله. فقال بعضهم: امضوا به إلى الشيخ. فمضوا بي إليه؛ فإذا شيخ حسن الوجه، كبير اللحية أبيضها، فلما وقفنا قدّامه قال: ما قصتكم؟ فقصوا عليه القصة، فقال: في أي صورة ظهر؟ قالوا: في حيّة. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ـ ليلة الجن ـ، يقول لنا(كذا): «ومن تصوّر منكم في صورة غير صورته فقتل؛ فلا شيء على قاتله»، خلّوه. فخلوني».

قلت: هٰذا الأثر في إسناده مجهولان.

(1) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٣٠٧).

فيه ذكر الله، ثم يصعد ذٰلك البوي في الهوى وهم يرونه، ويسمعون خطابه للشيطان وخطاب الشيطان له، ومن ضحك أو شرق بالخبز ضربه الدف، ولا يرون من يضرب به.

*** الشيطان يقضي حاجة من يقرب له قرباناً:**

ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه، ويأمرهم بأن يقربوا له بقراً وخيلاً وغير ذٰلك، وأن يخنقوها خنقاً ولا يذكرون اسم الله عليها، فإذا فعلوا؛ قضى حاجتهم [ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة ـ شرّفها الله ـ وغيرها من الذبح للجنّ[1]، ولهذا روي

---

(١) قال الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٩٩ ـ ١٠٠): «نقلت من خط الشيخ العلاّمة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الحنبلي [ابن القيم]؛ قال: وقد وقعت هٰذه الواقعة بعينها في مكة سنة إجراء العين بها؛ فأخبرني إمام الحنابلة بمكة ـ وهو الذي كان إجراؤها على يده وتولى مباشرتها بنفسه ـ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني؛ قال: لما وصل الحفر إلى موضع ذكره خرج أحد الحفارين من تحت الحفر مصروعاً لا يتكلم، فمكث كذٰلك طويلاً، فسمعناه يقول: يا مسلمين! لا يحل لكم أن تظلمونا. قلت أنا له: وبأيّ شيء ظلمناكم؟ قال: نحن سكان هٰذه الأرض ولا والله ما فيهم مسلم غيري، وقد تركتهم ورائي مسلسلين، وإلا كنتم لقيتم منهم شراً، وقد أرسلوني إليكم يقولون: لا ندعكم تمرون بهٰذا الماء في أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا. قلت: وما حقكم؟ قال: تأخذون ثوراً فتزينوه بأعظم زينة وتلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا، فاذبحوه ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبدالصمد وشأنكم بباقيه، وإلا؛ فلا ندع الماء يجري في هٰذا الأرض أبداً. قلت: نعم، أفعل ذٰلك. قال: وإذا بالرجل قد أفاق يمسح وجهه وعينيه ويقول: لا إلٰه إلا الله، أين أنا؟ قال: وقام الرجل ليس به قلبة، فذهبت إلى =

= بيتي، فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل على الباب لا أعرفه، فقال: الحاج خليفة ها هنا؟ قلت: وما تريد به. قال: حاجة أقولها له. قلت له: قل لي الحاجة وأنا أبلغه إياها؛ فإنه مشغول. قال لي: قل له إنني رأيت البارحة في النوم ثوراً عظيماً قد زينوه بأنواع الحلي واللباس وجاءوا به يزفونه حتى مروا به على دار خليفة فوقفوه إلى أن خرج ورآه. وقال: نعم، هو هٰذا. ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يزفونه، حتى خرج به من مكة، فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه في بئر. قال: فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم، فاشتروا ثوراً وزينوه وألبسوه وخرجنا به نزفه حتى انتهينا إلى موضع الحفر، فذبحناه وألقينا رأسه وأطرافه ودمه في البئر التي سماها. قال: ولما كنا قد وصلنا إلى ذٰلك الموضع كان الماء يغور؛ فلا ندري أين يذهب أصلاً، ولا ندري له عيناً ولا أثراً. قال: فما هو إلا أن طرحنا ذٰلك في البئر. قال: وكأني بمن أخذ بيدي وأوقفني على مكان وقال: احفروا ها هنا. قال: فحفرنا وإذا بالماء يموج في ذٰلك الموضع، وإذا طريق منقورة في الجبل يمر تحتها الفارس بفرسه، فأصلحناها ونظفناها، فجرى الماء فيها نسمع هديره، فلم يكن إلا نحو أربعة أيام وإذا بالماء بمكة، وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يعرفون في البئر ماءً يردونه؛ فما هو إلا أن امتلأت وصارت مورداً.

قال العلامة شمس الدين: وهٰذا نظير ما كان عادتهم قبل الإسلام من تزيين جارية حسناء وإلباسها أحسن ثيابها وإلقائها في النيل حتى يطلع، ثم قطع الله تلك السنة الجاهلية على يدي من أخاف الجن وقمعها؛ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهٰكذا هٰذه العين وأمثالها لو حفرها رجل عُمَرِيٌّ يَفْرَقُ منه الشيطان لجرت على رغمهم ولم يذبح لهم عصفور فما فوقه، ولٰكن لكل زمان رجال.

قال: وهٰذا الرجل الذي أخبرني بهٰذه الحكاية كنت نزيله وجاره وخبرته فرأيته من أصدق الناس وأدينهم وأعظمهم أمانة، وأهل البلد كلمتهم واحدة على صدقه ودينه، وشاهدوا هٰذه الواقعة بعيونهم، والله الهادي للحق».

= ونقلها الفاسي في «العقد الثمين» (٤ / ٣٢١ ـ ٣٢٣) وعقب عليها بقوله: «وبئر عبدالصمد المذكورة في هٰذه الحكاية لا تعرف الآن، والعين المشار إليها عين بازان، والله تعالى أعلم».

قلت: ولم يذكر الفاسي رحمه الله استنكار ابن القيم لهٰذا الفعل!!

وانظر: «شفاء الغرام» (١ / ٣٤٩، ٣٥٠)، و «درر الفرائد» (٣٠٠ ـ ٣٠٢)، و «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» (٣ / ١٨٢ ـ ١٨٤)، و «البداية والنهاية» (١٤ / ١٢٣)، و «السلوك» للمقريزي (٢ / ١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

وأثر عمر الذي أشار إليه ابن القيم هو ما أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤ / ١٤٢٤ ـ ١٤٢٥)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» (ص ١٥٠ ـ ١٥١).

وإسناده ضعيف.

فيه ابن لهيعة وراوٍ مبهم. وانظر: «فرائد القلائد» (ص ٧٨ ـ بتحقيقي).

وهٰذه القصة مشهورة على الرغم من ضعفها، فذكرها الحموي في «معجم البلدان» (٥ / ٣٣٥).

ونقل السيوطي هٰذه الحكاية واختصرها في «لقط المرجان» (ص ١٣٤ ـ ١٣٥).

قلت: الذبح لغير الله من الجن أو غيرهم كالأنبياء والملائكة والأصنام شرك أكبر يخرج من الإسلام، وكذا دعاؤهم لقضاء الحاجات شرك أكبر يخرج من الإسلام أيضاً؛ لأن كلاًّ منهما عبادة يجب الإخلاص فيها لله وحده؛ فصرفها لغير الله شرك أكبر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ... ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٤] الآية، وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ... ﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧] الآية، وقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾، وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله...»

عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن ذبائح الجن»[(1)][(2)].

*** الجن يتمثل لرجل على شكل كلب أسود:**

وشيخ آخر أخبر عن نفسه أنه كان يزني بالنساء ويتلوط بالصبيان الذين يقال لهم «الحوارات»، وكان يقول: يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان، فيقول لي: فلان! إن فلاناً نذر لك نذراً وغداً يأتيك به، وأنا قضيت حاجته لأجلك! فيصبح ذٰلك الشخص يأتيه بذٰلك النذر، ويكاشفه هٰذا الشيخ الكافر.

قال: وكنت إذا طلب مني تغيير مثل اللاّذن[(3)] أقول حتى أغيب عن عقلي، وإذ باللاذن في يدي أو في فمي وأنا لا أدري من وضعه!!

= الحديث، وإن أصر على الذبح للجن ودعائهم لقضاء الحاجة؛ فهو مشرك شركاً أكبر، ولا عذر له لقيام الحجة عليه بالكتاب والسنة، ويقال له: كافر مشرك شركاً أكبر.

وانظر: «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية» (١ / ١٢٨ ـ ١٣٣ ـ العقيدة).

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩ / ٣١٤) عن الزهري مرسلا، ووصله ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ٣٠٢) من طريقه عن حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رفعه، وفيه عبدالله ابن أُذينة منكر الحديث جداً، يروي عن ثور بن يزيد ما ليس من حديثه، فالحديث واهٍ بمرة. وتكلمت عليه بتفصيل في تعليقي على «إعلام الموقعين» يسر الله إتمامه ونشره.

(٢) ما بين المعقوفتين من«اقتضاء الصراط المستقيم» (٢ / ٥٦٤).

(٣) اللاّذن واللاّذنة: من العلوك، وقيل: هو دواء بالفارسية، وقيل: هو ندىً يسقط على الغنم في بعض جزائر البحر. من «اللسان» (١٣ / ٣٨٥ / مادة لذن).

قال: وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور، فلما تاب هٰذا الشيخ وصار يصلي ويصوم ويجتنب المحارم؛ ذهب الكلب الأسود وذهب التغيير؛ فلا يؤتى بلاذن ولا غيره.

*** إنسان يرسل الشياطين ليصرعوا رجلاً ثم يعالجه ليحصل على المال:**

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس، فيأتي أهل ذٰلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه، فيرسل إلى أتباعه، فيفارقون ذٰلك المصروع ويعطون ذٰلك الشيخ دراهم كثيرة.

وكان أحياناً تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس، حتى إن بعض الناس كان له تين في كوارة، فيطلب الشيخ من شياطينه تيناً، فيحضرونه له، فيطلب أصحاب الكوارة التين فيجدوه قد ذهب.

*** الشياطين يسقطون الصلاة عن أوليائهم:**

وآخر كان مشتغلاً بالعلم والقراءة، فجاءته الشياطين أغرته، وقالوا له: نحن نسقط عنك الصلاة ونحضر لك ما تريد، فكانوا يأتونه بالحلوى والفاكهة؛ حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه، وأعطى أهل الحلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذٰلك المفتون بالشيطان.

فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير؛ فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال؛ فهو صاحب حال بهتاني، وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال

البهتاني، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢].

و «الحلاج»[(١)] كان من أئمة هٰؤلاء؛ أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني، وهٰؤلاء طوائف كثيرة.

فأئمة هٰؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين، ومثل الكهان الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم.

ومن هٰؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت، فيكلمهم ويقضي ديونه ويرد ودائعه، ويوصيهم بوصايا، فإنهم تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة وهو شيطان يتمثل في صورته فيظنونه إياه.

وكثير ممن يستغيث بالمشائخ يقول: يا سيدي فلان! أو: يا شيخ فلان! اقض حاجتي! فيرى صورة ذٰلك الشيخ تخاطبه ويقول: أنا أقضي حاجتك وأطيب قلبك. فيقضي حاجته، أو يدفع عنه عدوه، ويكون ذٰلك شيطاناً قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعى غيره[(٢)].

---

(١) انظر عنه: «البدر الطالع» (٢ / ٣٨ ـ ٣٩)، وعن كتبه كتابنا «كتب حذر منها العلماء» (١ / ٣٦، ٣٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣ / ٤٥٨ ـ ٤٥٩ و١٠ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧، ٤١٢ و١١ / ٦٦٦ و١٣ / ٧١ ـ ٧٥، ٧٧ ـ ٧٩ و١٤ / ٣٦٠ ـ ٣٦٣ و١٥ / ٢٢٧ و١٩ / ٤١ ـ ٤٢)، و «التفسير الكبير» (٢ / ٦ ـ ٧)، و «الاستغاثة» (١ / ٣٣٨، ٣٧٠ ـ ٣٧٢ و٢ / ٤١٦، ٥٠٦ ـ ٥٠٨، ٥٣٢، ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، و «مجموعة الرسائل=

[وهٰذه الأمور يُسْلِمُ بسببها ناسٌ ويتوب بسببها ناس يكونون أضلَّ من أصحابها، فينتقلون بسببها إلى ما هو خير مما كان عليه؛ كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الإنس قد يأتيه قوم كفار، فيدعوهم إلى الإسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا؛ وإن كان قصد ذٰلك الرجل فاسداً، وقد قال النبي ﷺ «إن الله يؤيد هٰذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم»[(1)]، وهٰذا كان كالحجج والأدلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي؛ فإنه ينقطع بها كثير من أهل الباطل، ويقوى بها قلوب كثير من أهل الحق، وإن كانت في نفسها باطلة؛ فغيرها أبطل منها، والخير والشر درجات، فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ما هو خير منه»][(2)].

وأنا أعرف من هٰذا وقائع متعددة؛ حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم، أحدهم كان خائفاً من الأرمن، والآخر كان خائفاً من التتر؛ فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء وقد دفعت عنه عدوه، فأخبرتهم أني لم أشعر بهٰذا، ولا

= والمسائل» (٢ / ٢٧٠)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٥٦ ـ ٦٢، ٦٨ ـ ٧٢، ٢٩٤ ـ ٢٩٥ و٢ / ١٣٨ ـ ١٣٩).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، رقم ٣٠٦٢).
وانظر الأرقام: (٤٢٠٣، ٤٢٠٤، ٦٦٠٦).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم ١١١).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٧٢ ـ ٧٣).

دفعت عنكم شيئاً، وإنما هٰذا الشيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى، وهٰكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم؛ يستغيث أحدهم بالشيخ، فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته، ويقول ذٰلك الشيخ: إني لم أعلم بهٰذا! فيتبين أن ذٰلك كان شيطاناً[1]، وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لي أنه استغاث باثنين كان يعتقدهما، وأنهما أتياه في الهواء، وقالا له: طيب قلبك، نحن ندفع عنك هٰؤلاء ونفعل ونصنع... قلت له: فهل كان من ذٰلك شيء؟ فقال: لا. فكان هٰذا مما دله على أنهما شيطانان؛ فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق؛ فإنهم يكذبون أضعاف ذٰلك، كما كانت الجن يخبرون الكهان.

---

(1) انظر في ذٰلك: «مجموع الفتاوى» (١ / ٨٢ ـ ٨٥، ١٥٧ ـ ١٥٩، ١٧٤، ١٧٦ ـ ١٧٩، ٣٦٢ و٧ / ٥٥٩ و١٠ / ٣٩٧ و١٣ / ٨٤ ـ ٨٥ و١٨ / ٣٢٢ و١٩ / ٤٧ ـ ٤٨ و٢٤ / ٢٩١ ـ ٢٩٢)، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٧٠)، و«بغية المرتاد» (ص ٣٧٢)، و«التفسير الكبير» (٤ / ٢٦٤ ـ ٢٦٧، ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٢٧٤ ـ ٢٧٥ و٧ / ٥٢٢ ـ ٥٢٤)، و«مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٥ ـ ٦٦، ٧١ ـ ٧٢، ٧٤ ـ ٧٥، ١٣٦، ١٥٥، ١٦١)، و«الاحتجاج بالقدر» (٢ / ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«رسالة في السماع والرقص» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٣ / ١٧٥)، و«الاستغاثة في الرد على البكري» (٢ / ٤٤٨ ـ ٤٥١)، و«النبوات» (ص ٨ ـ ١٢، ١٦، ١٧، ١٦٩، ١٧٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣٩٣ ـ ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٢ ـ ٤٠٤)، و«قاعدة جليلة» (ص ٤٣ ـ ٤٩)، و«الجواب الصحيح» (٣ / ٣٤٧ ـ ٣٤٩)، و«منهاج السنة النبوية» (١ / ٥٥٢ و٣ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«الاستقامة» (١ / ٣١٢ ـ ٣١٤، ٣٧٧، ٣٧٩).

* **قصة توبة «الشياح» وتركه لقرينه «عنتر»:**

ولهٰذا من اعتمد على مكاشفته التي هي من أخبار الجن؛ كان كذبه أكثر من صدقه؛ كشيخ كان يقال له: «الشيّاح» توّبناه وجدّدنا إسلامه، كان له قرين من الجن يقال له: «عنتر» يخبره بأشياء؛ فيصدق تارة ويكذب تارة، فلما ذكرت له أنك تعبد شيطاناً من دون الله اعترف بأنه [أشرك بالله، ثم تاب وأصبح][1] يقول له: يا عنتر! لا سبحانك؛ إنك إلٰه قذر، وتاب من ذٰلك في قصة مشهورة.

* **بعض هٰذه التنزلات الشيطانية كفر صراح:**

وقد قتل سيف الشرع من قتل من هٰؤلاء مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة وكان له قرين يأتيه ويكاشفه؛ فيصدق تارة، ويكذب تارة، وقد انقاد له طائفة من المنسوبين إلى أهل العلم والرئاسة، فيكاشفهم حتى كشف الله لهم، وذٰلك أن القرين كان تارة يقول له: أنا رسول الله، ويذكر أشياء تنافي حال الرسول، فشهد عليه أنه قال: إن الرسول يأتيني، ويقول لي كذا وكذا من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول، فذكرتُ لولاة الأمور أن هٰذا من جنس الكهان، وأن الذي يراه شيطاناً، ولهٰذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي ﷺ، بل يأتيه في صورة منكرة، ويذكر عنه أنه يخضع له، ويبيح له أن يتناول المسكر وأموراً أخرى، وكان كثير من الناس يظنون أنه

---

(١) في الأصل: «اعترف بأنه يقول له: يا عنتر! لا سبحانك»؛ فالعبارة مضطربة، ولعل سقطاً وقع لأحد النسّاخ، وما بين المعقوفتين من إضافتنا.

كاذب فيما يخبر به من الرؤية، ولم يكن كاذباً في أنه رأى تلك الصورة، لٰكن كان كافراً في اعتقاده أن ذٰلك رسول الله، ومثل هٰذا كثير.

ولهٰذا يحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان، فكلما بعدوا عن الله ورسوله ﷺ وطريق المؤمنين؛ قربوا من الشيطان.

*** أمثلة من لعب الشياطين بأوليائهم:**

فيطيرون في الهواء والشيطان طار بهم، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم، ومنهم من يحضر طعاماً وإداماً ويملأ الإبريق ماء من الهوى والشياطين فعلت ذٰلك، فيحسب الجاهلون أن هٰذه كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم.

*** الشياطين تتكلم على ألسنة أوليائهم مثل ما تتكلم الجنة على لسان المصروع:**

[فهم قوم اقترنت بهم الشياطين كما يقترنون بإخوانهم، فإذا حضروا سماع المكاء والتصدية؛ أخذهم الحال، فيزبدون ويرغون كما يفعله المصروع، ويتكلمون بكلام لا يفهمونه هم ولا الحاضرون، وهو شياطينهم تتكلم على ألسنتهم عند غيبة عقولهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع، ولهم مشابهون في الهند من عباد الأصنام ومشابهون بالغرب يسمى أحدهم المصلي، وهٰؤلاء الذين في الغرب

من جنس الزط الذين لا خلاق لهم، فإذا كان لبعض الناس مصروع أو نحوه أعطاهم شيئاً؛ فيجيئون فيضربون لهم بالدف والملائين، ويحرقون ويوقدون ناراً عظيمة مؤججة ويضعون فيها الحديد العظيم حتى يبقى أعظم من الجسر، وينصبون رماحاً فيها أسنة ثم يصعد أحدهم يقعد فوق أسنة الرماح قدّام الناس، ويأخذ ذٰلك الحديد المحمى ويمره على يده وأنواع ذٰلك، ويرى الناس حجارة يرمى بها ولا يرون من رمى بها، وذٰلك من شياطينهم الذين صعدوا بهم فوق الرمح وهم الذين يباشرون النار، وأولٰئك قد لا يشعرون بذٰلك؛ كالمصروع الذي يضرب ضرباً وجيعاً وهو لا يحس بذٰلك؛ لأن الضرب يقع على الجني.

*** مؤذن الشيطان وقرآنه:**

فهٰكذا حال أهل الأحوال الشيطانية، ولهٰذا كل ما كان الرجل أشبه بالجني والشياطين كان حاله أقوى، ولا يأتيهم الحال إلا عند مؤذن الشيطان وقرآنه، فمؤذنه المزمار، وقرآنه الغناء، ولا يأتهم الحال عند الصلاة والذكر والدعاء والقرآن؛ فلا لهٰذه الأحوال فائدة لا في الدنيا ولا في الدين، ولو كانت أحوالهم من جنس عباد الله الصالحين وأولياء الله المتقين؛ لكانت تحصل عندما أمر الله به من العبادات الدينية، ولكان فيها فائدة في الدين والدنيا؛ كتكثير الطعام والشراب عند الفاقات، واستنزال المطر عند الحاجات، والنصر على الأعداء عند المخالفات، وهٰؤلاء أهل الأحوال الشيطانية بالعكس: يمحقون البركات، ويقوون المخالفات، ويأكلون أموال الناس

بالباطل، لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا يجاهدون في سبيل الله، بل هم مع من أعطاهم وأطعمهم وعظّمهم وإنْ كان تترياً، بل يرجحون التتر على المسلمين، ويكونون من أعوانهم وخفرائهم الملاعين، ومنهم من يستعين على الحال بأنواع من السحر والشرك الذي حرم الله تعالى ورسوله، وأما أهل المحال منهم من يصنعون أدوية كحجر الطلق ودهن الضفادع وقشور النارنج ونحو ذٰلك، يمشون بها على الكفار ويمسون نوعاً من الحيات، يأخذونها بصنعة ويقدمون على أكلها بفجور، وما يصنعونه من السكر واللاّذن وماء الورد وماء الزعفران والدم؛ فكل ذٰلك حيل وشعوذة يعرفها الخبير بهٰذه الأمور، ومنهم من يأتيه الشيطان كذٰلك وهم أهل المحال الشيطاني][1].

ومن لم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل، ومن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن لم يعرف طريق المُحِقِّ من المُبْطِل، والتبس عليه الأمر والحال»[2].

*** أجهل الناس هم الذين يجحدون أحوال الجن:**

«وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب أفعال الجن وبسبب أفعال الملائكة، وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم؛ مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذٰلك إلا من هو من أجهل الناس، وكذٰلك من فسرها بقوى النفس، وهٰذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله

(١) ما بين المعقوفتين من «الفتاوى العراقية» (ص ٨٢ ـ ٨٣).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ١١٢ ـ ١١٨).

من الكتب»»[1].

*** حضور الشياطين لسماع المتصوفة وحملهم إياهم على الرقص والوجد:**

قال رحمه الله: «وأما من زعم أن الملائكة أو الأنبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه؛ فهو كاذب مفتر، بل إنما تحضره الشياطين وهي التي تتنزل عليهم وتنفخ فيهم؛ كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعاً: إن الشيطان قال: يا رب! اجعل لي بيتاً. قال: بيتك الحمام. قال: اجعل لي قرآناً. قال: قرآنك الشعر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: مؤذنك المزمار[2].

وقد قال الله تعالى مخاطباً للشيطان: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وقد فسر ذٰلك بصوت الغناء.

وروي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية»[3].

وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية، وكيف يدور

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦ / ٢٥).

(٢) مضى تخريجه (ص ٣٣).

(٣) مضى تخريجه (ص ٢٩٢)، وهو **صحيح بمجموع طرقه**.

الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني، حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين، ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به، فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذٰلك الرجل[(١)].

وهٰذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيقانية، ولٰكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة؛ فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة، وأن من لم يعرف حقائق الأمور؛ فهو بمنزلة من سلك السبيل إلى مكة خلف الدليل الهادي؛ فإنه يصل إلى مقصوده، ويجد الزاد والماء في مواطنه؛ وإن لم يعرف كيف حصل ذٰلك وسببه، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالاً عن الطريق؛ فإما أن يهلك، وإما أن يشقى مدة ثم يعود إلى الطريق، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله إلى الناس بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وهادياً إلى صراط مستقيم؛ ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ

(١) ذكر هٰذه القصة الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الاستقامة» (١ / ٣١٠) بأتم مما هنا؛ فقال: «ولهٰذا كان مرة في سماع يحضره الشيخ شبيب الشطي، فبينما هم في سماع أحدهم وإذا بعفريت يرقص في الهواء على رؤوسهم، فتعجبوا منه، وطلب الشيخ لمريده الشيخ أبا بكر بن فينان ـ وكان له حال ومعرفة ـ، فلما رآه صرخ فيه، فوقع، فلما فرغوا طلب منه أن ينصفه، وقال: هٰذا سلبني حالي، فقال الشيخ: لم يكن له حال، ولٰكن كان بالرحبة، فحمله شيطانه إلى هنا وجعل يرقص به، فلما رأيت الشيطان صرخت فيه فهرب فوقع هٰذا». قال: «والقصة معروفة، يعرفها أصحاب الشيخ».

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٣].

*** آثار الشيطان على أهل السماع الجاهلي:**

وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الإزباد والإرغاء والصرخات المنكرة ونحو ذٰلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان، وكذٰلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت: إما وجد في الهوى المذموم، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم... إلى غير ذٰلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر إذا سكروا بها؛ فإن السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المطربة؛ فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه، فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم العدواة والبغضاء، حتى يقتل بعضهم بعضاً بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه، ولهٰذا قال من قال من العلماء: إن هٰؤلاء يجب عليهم القود والدية إذا عرف أنهم قتلوا بالأحوال الفاسدة؛ لأنهم ظالمون وهم إنما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون.

ومن هٰذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين؛ فإنهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمّة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي ﷺ: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع

قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم...»[1] الحديث، وقد يكون لهم مع ذٰلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة؛ فإن سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر، ولا يكون من أولياء الله إلا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون»[2].

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم[3] «أنه يسأل العبد عن سمعه وبصره وفؤاده، ونهاه أن يقول ما ليس له به علم.

وإذا كان السمع والبصر والفؤاد كل ذٰلك منقسم إلى ما يؤمر به وإلى ما ينهى عنه، والعبد مسؤول عن ذٰلك كله؛ كيف يجوز أن يقال: كل قول في العالم كان فالعبد محمود على استماعه؟! هٰذا بمنزلة أن يُقال: كل مرئي في العالم؛ فالعبد ممدوح على النظر إليه!

*** النظر إلى الصور وسماع الأغاني هما مدخل الشيطان:**

ولهٰذا دخل الشيطان من هٰذين البابين على كثير من النساك؛ فتوسَّعوا في النظر إلى الصور المنهي عن النظر إليها، وفي استماع الأقوال والأصوات التي نُهوا عن استماعها، ولم يكتف الشيطان بذٰلك حتى زيَّن لهم أن جعلوا ما نهوا عنه عبادة وقربة وطاعة؛ فلم يحرِّموا ما

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٩٣١) وغيره.

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٩ ـ ٧١)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٥)، و «رسالة في السماع والرقص» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٣ / ١٨٧ ـ ١٨٩).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

حرَّم الله ورسوله، ولم يدينوا دين الحق.

كما حكي عن أبي سعيد الخرّاز؛ أنه قال: رأيت إبليس في النوم وهو يمرُّ عني ناحية، فقلت له: تعال، ما لك؟ فقال: بقي لي فيكم لطيفة: السماع، وصحبة الأحداث.

*** هفوات الصالحين وزلاتهم:**

وأصحاب ذٰلك وإن كان فيهم من ولاية الله وتقواهم ومحبته والقرب إليه ما فاقوا به على من لم يساوهم في مقامهم؛ فليسوا في ذٰلك بأعظم من أكابر السلف المقتتلين في الفتنة، والسلف المستحلِّين لطائفة من الأشربة المسكرة، والمستحلِّين لربا الفضل والمتعة، والمستحلِّين للحشوش، كما قال عبدالله بن المبارك: رُبَّ رجل في الإسلام له قدم حسن وآثار صالحة كانت منه الهفوة والزلة لا يُقتدى به في هفوته وزلته.

والغلط يقع تارة في استحلال المحرَّم بالتأويل، وفي ترك الواجب بالتأويل، وفي جعل المحرَّم عبادة بالتأويل؛ كالمقتتلين في الفتنة، حيث رأوْا ذٰلك واجباً ومستحبّاً!»[١].

*** جملة من الأفعال المحرمة تقع في مجالس السماع تجعل الشياطين تمد أصحابها بأنواع من الإمداد:**

«بل أفضى الأمر إلى أن يُجتمع في هٰذا السماع على الكفر

---

(١) «الاستقامة» (١ / ٢١٨ ـ ٢١٩).

بالرحمٰن، والاستهزاء بالقرآن، والذم للمساجد والصلوات، والطعن في أهل الإيمان والقربات، والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين، والتحضيض على جهاد المؤمنين، ومعاونة الكفار والمنافقين، واتخاذ المخلوق إلٰهاً من دون رب العالمين، وشرب أبوال المستمعين، وجعل ذٰلك من أفضل أحوال العارفين، ورفع الأصوات المنكرات التي أصحابها شر من البهائم السائمات، الذين قال الله في مثلهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، الذين يفعلون في سماعاتهم ما لا يفعله اليهود والنصارى، ولهٰذا يتولوْن من يتولاهم من اليهود والنصارى والصابئة والمشركين والمجوس، ويجعلونهم من إخوانهم وأصحابهم وأهل خرقتهم، مع معاداتهم للأنبياء والمؤمنين.

فصار السماع المحدث دائراً بين الكفر والفسوق والعصيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكفره من أغلظ الكفر وأشده، وفسوقه من أعظم الفسوق.

*** تأثير الغناء على النفس أعظم من شرب الخمر:**

وذٰلك أن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير: يغنيها ويغذيها؛ حتى قيل: إنه لذٰلك سمي غناء: لأنه يغني النفس.

وهو يفعل في النفس أعظم من حميًّا الكؤوس، حتى يوجب

للنفوس أحوالاً عجيبة، يظن أصحابها أن ذٰلك من جنس كرامات الأولياء، وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله؛ إذ الشياطين تمدهم في هٰذا السماع بأنواع الإمداد؛ كما قال تعالى:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

وقال للشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

فربما يخف أحدهم حتى يرقص فوق رؤوسهم، ويكون شيطانه هو المغوي لنفوسهم...

*** الغناء يشتمل على جميع المحرمات:**

وصار في أهل هٰذا السماع المحدث الذين اتخذوا دينهم لغواً[1] ولعباً، ضد ما أحبه الله وشرعه في دين الحق، الذي بعث به رسوله من عامّة الوجوه، بل صار مشتملاً على جميع ما حرمه الله ورسوله؛ كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فصار فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، والقول على الله بغير علم

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «لهواً».

ما لا يحصيه إلا الله؛ فإنه تنوع وتعدد وتفرق أهله فيه وصاروا شيعاً لكل قوم ذوق ومشرب وطريق يفارقون به غيرهم»[1].

*** عبادة هؤلاء للشياطين:**

«فمن لم يعبد الرحمٰن عبد الشيطان ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨].

وذكر الرحمٰن يراد به الذكر الذي أنزله الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

*** البعيد عن القرآن يحسب الكفار من المتقين بسبب أحوالهم الشيطانية:**

فمن أعرض عن هدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، فلم يفرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه؛ كان معرضاً عن ذكره المنزَّل، فيقيض له شيطاناً يصده عن سبيل الله، فيفرق بمجرد هواه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ولو كان مثل هٰذا ذاكراً لله ولم يشهد إلا القيومية العامة لم يشهد ما جاء به

---

(١) «الاستقامة» (١ / ٣٠٨ ـ ٣١١) باختصار.

الكتاب، ولهٰذا يوجد الشيوخ العباد والزهاد من هٰؤلاء يتبعون شياطين الإنس والجن، فيكون أحدهم من خفراء الكفار وأعوانهم، ومنهم من يحسن الظن بالكفار وأعوانهم ونظرائهم؛ فيحسبهم من أولياء الله المتقين، لا سيما إن رأى من الأحوال الشيطانية ما يغريه، مثل أن يخبره ببعض الغائبات، أو يحصل له نوع من التصرفات فيطير به الشيطان في الهواء، ويحضر له طعاماً وغير ذٰلك كما كان يحصل لعباد الأصنام مع الشياطين»(١).

*** تلبيس الشيطان على الصوفية في مصدر التلقي:**

«مَنْ لم يسلك في عبادته الطريق الشرعية التي أمر الله بها ورسولُه، وتعلقت همَّته بالخوارق؛ فإنه قد يقترن به من الجن والشياطين من يحصل له به نوع من الخبر عن بعض الكائنات، أو يطير به في الهواء، أو يمشي به على الماء، فيظن ذٰلك من كرامات الأولياء، وأنه ولي لله، ويكون سبب شركه أو كفره أو بدعته أو فسقه.

---

(١) «الاستغاثة» (١ / ٢٣١ ـ ٢٣٢).

وانظره: (٢ / ٥٨٥)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٦١٠ ـ ٦١١)، و «التوسل والوسيلة» (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٣)، و «عالم الجن والشياطين» للدكتور عمر الأشقر (ص ٨٣ فما بعد)، و «حقيقة الجن والشياطين» لمحمد علي السيدابي (ص ٨٠ ـ ٨٣).

وانظر للرد على أهل السماع المحرم وفي استباحتهم له: «الاستقامة» (١ / ٢٧٥ فما بعد)؛ فقد أفاد وأجاد رحمه الله، و «الكلام على مسألة السماع» للإمام ابن القيم.

[والولاية مصدر، وولي الله: من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته][(١)].

[وليس لله ولي إلا من اتبعه باطناً وظاهراً، فصدقه فيما أخبر به من الغيوب، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات، فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً طاعته فيما أوجب، وأمر به في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان؛ لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله، ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل؛ فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلا من أهل الأحوال الشيطانية؛ المبعدة لصاحبها عن الله، المقربة إلى سخطه وعذابه][(٢)].

فإن هٰذا الجنس قد يحصل لبعض الكفار وأهل الكتاب وغيرهم، وقد يحصل لبعض الملحدين المنتسبين إلى المسلمين، مثل من لا يرى الصلوات واجبة، بل ولا يقر بأن محمداً رسول الله، بل يبغضه ويبغض القرآن، ونحو ذٰلك من الأمور التي توجب كفره، ومع هٰذا تغويه الشياطين ببعض الخوارق»[(٣)].

ومن أهل هٰذه الخلوات من لهم أذكار معينة وقوت معين، ولهم

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٤٠ ـ ٤١).

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٣١).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ٢١٠ ـ ٢١١).

تنزلات معروفة، وقد بسط الكلام عليها ابن عربي الطائي ومن سلك سبيله كالتلمساني، وهي تنزلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذٰلك من وجوه متعددة، لٰكن ليس هٰذا موضع بسطها، وإنما المقصود التنبيه على هٰذا الجنس.

*** ما يؤمر به صاحب الخلوة:**

ومما يأمرون به: الجوع، والسهر، والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق، وجوع مطلق، وصمت مطلق مع الخلوة، كما ذكر ذٰلك ابن عربي وغيره، وهي تولد لهم أحوالاً شيطانية...»[1].

*** أولياء الشيطان يظنون أنهم يتلقون الشرع بغير واسطة الرسول:**

«وقد يقول الواحد من هٰؤلاء: أنا آخذ من الله وغيري يأخذ من محمد ﷺ! فيرى بحاله في ذٰلك وتفرده أن ما أوتيه من التصرف والمكاشفة يحصل له بغير طريق محمد ﷺ»[2].

«وهٰؤلاء الذين أخطأوا وضلوا وتركوا ذٰلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا أن ذٰلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول، وصار أحدهم يقول: أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ فيقال له: أما ما نقله الثقات عن المعصوم؛ فهو حق، ولولا النقل المعصوم؛ لكنت أنت وأمثالك إما من المشركين وإما من اليهود

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٠٣).

(٢) «التفسير الكبير» (٢ / ١٨٧).

والنصارى، وأما ما ورد عليك؛ فمن أين لك أنه وحي من الله؟! ومن أين لك أنه ليس من وحي الشيطان؟!

*** أنواع الوحي:**

والوحي وحيان: وحي من الرحمٰن، ووحي من الشيطان، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الشعراء: ٢٢١].

*** قول ابن عمر وابن عباس في المختار الثقفي:**

وقد كان المختار بن أبي عبيد من هٰذا الضرب؛ حتى قيل لابن عمر وابن عباس؛ قيل لأحدهما: إنه يقول إنه يوحى إليه! فقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقيل للآخر: إنه يقول إنه ينزل عليه؛ فقال: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾(١) [الشعراء: ٢٢١]؛ فهٰؤلاء يحتاجون إلى الفرقان

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (رقم ٩٢٨) ـ ورجاله رجال الصحيح؛ كما في «المجمع» (٧ / ٣٣٣) ـ عن ابن عمر قوله.

وأخرج ابن جرير في «التفسير» (١١ / ١٢٦)، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد=

الإيماني القرآني النبوي أعظم من حاجة غيرهم»[1].

«فإن من تصرف بغير أمر الرسول ﷺ، وأخذ ما لم يبحه له الرسول، فولى وعزل وأعطى ومنع بغير أمر الرسول، وقتل وضرب بغير أمره، وأكرم وأهان بغير أمره، وجاءه خطاب في باطنه بالأمر والنهي، فاعتقد أن الله أمره ونهاه من غير واسطة الرسول؛ كانت حالته كلها من الشيطان، وكان الشيطان هو الذي يأمره وينهاه؛ فيأمره فيتصرف وهو يظن أنه يتصرف بأمر الله، ولعمري هو يتصرف بأمر الله الكوني القدري بواسطة أمر الشيطان؛ كما قال تعالى في السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]»[2].

*** أحد أولياء الشياطين يقود فرس هولاكو لقتال المسلمين:**

«وكان غير هٰذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران أن هولاكو ملك المشركين لما دخل بغداد رأى ابنُ السَّكران شيخاً محلوق الرأس على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق، آخذاً بفرس هولاكو. قال: فلما رأيته أنكرت هٰذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين،

= نحوه؛ عن عبدالله بن الزبير أيضاً.

انظر: «الدر المنثور» (٦ / ٣٣٢).

(١) «التفسير الكبير» (١ / ١٧٧ ـ ١٧٩)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٥٦ ـ ٥٧)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٧٤ ـ ٧٥)، و «الفتاوى الكبرى» (٢ / ٢٥٧).

(٢) «التفسير الكبير» (٢ / ١٨٧).

فقلت: يا هٰذا أو كلمة نحو هٰذا، فقال: تُأمر بأمر؟ أو قال له: هل يفعل هٰذا بأمر؟ أو فعلت هٰذا بأمر؟ فقال[1]: نعم بأمر. فسكت ابن السكران وأقنعه هٰذا الجواب، وكان هٰذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، وظن أن ما يؤمر به الشيوخ في قلوبهم هو من الله، وأن من قال حدثني قلبي عن ربي؛ فإن الله هو يناجيه، ومن قال: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ هو كذٰلك، وهو أضل ممن ادَّعى الاستغناء عن الأنبياء، وأنه لا يحتاج إلى واسطتهم.

*** رد شيخ الإسلام على من زعم أنه يقاتل المسلمين بأمر الله:**

وجواب هٰذا أن يقال له: بأمر من تُؤْمَرْ؟ فإن قال: بأمر الله؛ قيل: بأمر الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن، أم بأمر وقع في قلبك؟

فإن قال بالأول؛ ظهر كذبه، فإنه ليس فيما يأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبيهم وأخذ أموالهم لأجل ذنوب فعلوها، ويجعل الدار تعبد بها الأوثان ويضرب فيها بالنواقيس، ويقتل قراء القرآن وأهل العلم بالشرع، ويعظم النجسية علماء المشركين وقساقسة[2] النصارى وأمثال ذٰلك؛ فإن هٰؤلاء أعظم عداوة لمحمد ﷺ، وهو من جنس مشركي العرب الذين

---

(١) في الأصل: «فقلت»!!

(٢) جمع (قس) على غير قياس؛ كما في «اللسان» (مادة قس، ٦ / ١٧٤).

قاتلوه يوم أحد، وأولٰئك عصاة من عصاة أمته، وإن كان فيهم منافقون كثيرون؛ فالمنافقون يبطنون نفاقهم.

وإن قال: بأمر وقع في قلبي؛ لم يكذب، لٰكن يقال: من أين لك أن هٰذا رحماني؟ ولِمَ لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهٰذا؟! وقد علمت أن ما يقع في قلوب المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان، فإن رجع إلى توحيد الربوبية وأن الجميع بمشيئته قيل له: فحينئذ يكون ما يفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالأمر، ولا ريب أنه بالأمر الكوني القدري؛ فجميع الخلق داخلون تحته، لٰكن من فعل بمجرد هٰذا الأمر لا بأمر الرسول؛ فإنما يكون من جنس شياطين الإنس والجن، وهو مستوجب لعذاب الله في الدنيا والآخرة، وهو عابد لغير الله متبع لهواه، وهو ممن قال الله فيه:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

وممن قال فيهم الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣].

قال الله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا

فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧ ـ ٢٨].

فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين؟!

هٰذا لا يأمر الله به، كما لا يأمر بالفحشاء، فإن هٰذا من أفحش الفواحش إذا جعلت الفاحشة اسماً لكل ما يعظم قبحه؛ فكانت جميع القبائح السيئة داخلة في الفحشاء.

*** محاججة شيخ الإسلام لمن يرعى خنازير النصارى:**

وكان أيضاً بالشام بعض أكابر الشيوخ ببعلبك الشيخ عثمان، شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج ـ النصارى ـ راكباً أسداً ويخلو به ويناجيه، ويقول: يا شيخ عثمان! وُكِّلْتُ بحفظ خنازيرهم، فيعذره عثمان وأتباعه في ذٰلك، ويرون أن الله أمره بهٰذا كما أمر الخضر أن يفعل ما فعل كما عُذِرَ ابنُ السكران وأمثالُه خفراء المشركين التتار.

والجواب لهٰذا كالجواب لذٰلك، يقال له: وَكَّلَكَ الله تعالى بهٰذا؟ أَنَزَلَ على لسان نبيه؟! الدِّين أمر أن يُوالي المسلمين، وأن لا يَتَّخِذَ اليهودَ والنصارى أولياءَ؛ بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعتَ، هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم؟! فإنْ قال هٰذا؛ ظهر كذبُه، وإنْ قال: بل هو أمر أُلقي في قلبي لم يكذب، وقيل له: فهٰذا من أمر الشيطان لا من أمر الرحمٰن الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، ولٰكنه من الأمر الذي كوَّنه وقدَّره كشرك المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ

﴿شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ومن هٰؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة ببني آدم المعقبات.

فقلت لشيخ كان من شيوخهم: محمد أرسل إلى الثقلين الإنس والجن، ولم يرسل إلى الملائكة؛ فكل إنسي أو جني خرج عن الإيمان به؛ فهو عدو لله لا ولي لله، بخلاف الملائكة.

ثم يقال له: الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي ولا على قتال المسلمين، وإنما يعاونوهم على ذٰلك الشياطين، ولٰكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم؛ فإن ذٰلك ليس بمعصية، فهٰذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هٰذين الوجهين.

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لا من جنس الملائكة، وكان هٰذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار، وكان والده يقال له محمد الخالدي نسبة إلى شيطان كان يقربه يقال له: الشيخ خالد، وهم يقولون: إنه من الإنس من رجال الغيب.

وحدَّثني الثقة عنه أنه كان يقول: الأنبياء ضيعوا الطريق، ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين، شياطين الإنس والجن، وهٰؤلاء المشايخ الذين يحبون المسلمين، ولٰكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار، ويظنون أنهم من أولياء الله

اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة، وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية، ولم يفرقوا بين أولياء الرحمٰن [وأولياء الشيطان][(١)]؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

*** مذهب الجهمية المجبرة أنهم لا يفرقون بين معجزات الأنبياء وخوارق السحرة:**

فهٰؤلاء وهٰؤلاء عَشَوْا عن ذكر الرحمٰن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة، وعن الروح الذي أوحاه الله إلى نبيه الذي جعله الله نوراً يهدي به من يشاء من عباده، وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ولم يفرقوا بين آيات الأنبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان؛ إذ هٰذا مذهب الجهمية المجبرة، وهٰؤلاء كلهم يشتركون في هٰذا المذهب؛ فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه، بل يجعلون كل ما قدره وقضاه؛ فإنه يحبه ويرضاه، فبقي جميع الأمور عندهم سواء، وإنما يتميز بنوع من الخوارق، فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له: إما اتباعاً له، وإما موافقة له ومحبة، وإما أن يسلموا له حاله؛ فلا يحبوه ولا يبغضوه إذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الإيمان ما يعرفون به المعروف وينكرون به المنكر في هٰذا الموضع.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من رأى منكم

---

(١) ما بين المعقوفتين من إضافاتنا.

منكراً؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه، وذٰلك أضعف الإيمان»[1]، وفي رواية لمسلم: «من جاهدهم بيده؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه؛ فهو مؤمن، ليس وراء ذٰلك من الإيمان حبة خردل»[2]، وميّتو[3] الأحياء الذين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، وفي حديث حذيفة الذي في «صحيح مسلم»: «إن الفتنة تعرض على القلوب كعرض الحصير[4] عوداً عوداً، فأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء؛ حتى تبقى القلوب على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السماء والأرض، وقلب أسود مرباد لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[5].

*** من لم يفرق بين ما يحبه الله ويبغضه فقلبه أسود لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً:**

فهٰؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٥٠).

(٣) في الأصل: «ميت».

(٤) في الأصل: «الصبر»!!

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين، رقم ١٤٤) عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً.

لا بالأمر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، لا سيما إذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة، فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميز بعضها عن بعض؛ فإن الله يحب هٰذا ويرضاه، وهٰذا يبغضه ويسخطه؛ فإن الله يحب المعروف ويبغض المنكر، فإذا لم يفرقوا بين هٰذا وهٰذا نكت في قلوبهم نكت سود فسود قلوبهم، فيكون المعروف على الأصول الشرعية؛ فإنهم في ذٰلك بمنزلة ما يعظمه العباد والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية، ويفضلونها على العبادات الشرعية، والعبادات الشرعية هي التي معهم من الإسلام، وتلك كلها باطلة، وإن كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا: نهاية الصوفي ابتداء الفقيه، ونهاية الفقيه ابتداء الموله، وكذٰلك صاحب «منازل السائرين» يذكر في كل باب ثلاث درجات؛ فالأولى وهي أهونها عندهم توافق الشرع في الظاهر، والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق، والثالثة في الأغلب تخالف، لا سيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذٰلك، وهٰذا الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل، وكثير من العباد يفضل نوافله على أداء الفرائض، وهٰذا كثير»(١).

*** من ظهرت منه الخوارق ولم يكن على الكتاب والسنة فهو كالدجال:**

«وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو

---

(١) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦٣ ـ ١٧٢).

مشى على الماء لم يتبع إلا أن يكون موافقاً لأمر الله ورسوله، ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيراً فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال؛ فإن الدجال يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض أنبتي فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلاً ثم يأمره أن يقوم فيقوم[1]، وهو مع هٰذا كافر ملعون عدو لله، قال النبي ﷺ: «ما من نبي إلا قد أنذر أمته الدجال، وأنا أنذركموه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر ـ ك ف ر ـ، يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء، واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[2].

وقد ثبت عنه في «الصحيح»؛ أنه قال: «إذا قعد أحدكم في الصلاة؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة

---

(١) ورد ذٰلك في حديث ثابت، خرجته في تعليقي على «التذكرة» للقرطبي رحمه الله، يسر الله إتمامه ونشره بخير.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه وهل يُعرض على الصبي الإسلام، رقم ١٣٥٤، ١٣٥٥، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، رقم ٣٣٣٧، وكتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم ٣٠٥٥، ٣٠٥٦، ٣٠٥٧، وكتاب القدر، باب يحول بين المرء وقلبه، رقم ٦٦١٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم ٢٩٣٠)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه.

المسيح الدجال»[1].

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالون كذّابون، كلهم يزعم أنه رسول الله»[2].

وقال ﷺ: «يكون بين يدي الساعة كذابون دجالون، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم»[3].

وهٰؤلاء تنزل عليهم الشياطين وتوحي إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣]، ومن أول من ظهر من هٰؤلاء المختار بن أبي عبيد.

ومن لم يفرق بين الأحوال الشيطانية والأحوال الرحمانية كان بمنزلة من سوى بين محمد رسول الله وبين مسيلمة الكذاب؛ فإن مسيلمة كان له شيطان ينزل عليه بوحي

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم ٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦٠٩)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ٤ / ٢٢٤٠ / رقم ٨٤)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذَّابون، رقم ٢٢١٨)، وأحمد في «المسند» (٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ٣١٣، ٤٥٧)، وغيرهم؛ عن أبي هريرة رفعه.

(٣) أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه» (رقم ٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

إليه[1].

ومن علامات هٰؤلاء أن الأحوال إذا تنزلت عليهم وقت سماع المكاء والتصدية أزبدوا وأرعدوا كالمصروع، وتكلموا بكلام لا يفقه معناه؛ فإن الشياطين تتكلم على ألسنتهم كما تتكلم على لسان المصروع.

والأصل في هٰذا الباب أن يعلم الرجل أن أولياء الله هم الذين نعتهم الله في كتابه؛ حيث قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، [والولاية مصدر، وولي الله: مَنْ والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعته][2]؛ فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأُعطينّه، ولإن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه»[3].

---

(١) انظر (ص ٧٧) من هٰذا الكتاب.

(٢) ما بين المعقوفتين من «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٤٠ ـ ٤١).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم ٦٥٠٢) عن=

[فلا بد من الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ؛ فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسولُ الله ﷺ إلى جميع الخلق؛ إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم، ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ ـ ٨٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق: لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه»[1].

= أبي هريرة.

ولفظة (المبارزة) ليست عند البخاري، ووردت في حديث أبي أمامة وأنس بسندٍ ضعيف.

وانظر: «فتح الباري» (١١ / ٣٤٢)، و «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٦٤٠)، و «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٦٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢ / ٦٩٣ / رقم ٣٧٥٧) مختصراً، وابن جرير في «التفسير» (٣ / ٣٣١، ٣٣٢).

وإسناده صحيح.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢ / ٢٥٢، ٢٥٣) لابن المنذر.

وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦٥].

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذٰلك لمن يظن أنه ولي الله؛ فإنه بنى أمره على أنه ولي لله، وأن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هٰذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة؛ فكيف إذا لم يكن كذٰلك؟!

وتجد كثيراً من هٰؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها... لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه...

* **علامات أولياء الشيطان:**

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمٰن؛ فهٰذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمٰن.

* **علامة حب العبد لله وبغضه له:**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن؛ فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن؛ فهو يبغض الله ورسوله»(١).

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (رقم ٢ ـ ط الصميعي)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٢ / ط دار ابن كثير)، والفريابي في «فضائل القرآن» (رقم٦، ٧)، وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٥٩ ـ «مختصره»)، والطبراني في «الكبير» (٩ / ١٤١ ـ ١٤٢، ١٤٢ / رقم ٨٦٥٦، ٨٦٥٧)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٢ / ٧٧٤ / رقم ٢٠٤٠)، والبيهقي في «شعب =

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا؛ لما شبعت من كلام الله عز وجل»(١).

وقال ابن مسعود: «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»(٢).

= الإيمان» (٤ / ٥٨١ ـ ٥٨٢ / رقم ١٨٦١).

وإسناده صحيح.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٧ / ١٦٥) وعزاه للطبراني: «رجاله ثقات».

(١) أخرجه عبدالله في «زوائد الزهد» (٢ / ٤١) عن أبي معمر، وابن المبارك في «الزهد» (رقم ١١٣٣ ـ ط دار الكتب العلمية)؛ قال: أخبركم أبو عمر بن حيويه؛ قال: حدثنا يحيى؛ قالا: ثنا سفيان بن عيينة؛ قال: قال عثمان رحمه الله. . . وذكره.

وأخرجه ابن عساكر في «ترجمة عثمان» (ص ٢٣٢) ـ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ـ من طريق سفيان بن عيينة، نا إسرائيل بن موسى؛ قال: سمعت الحسن. . . وذكره.

وعزاه في «كنز العمال» (٢ / ٢٨٧ / رقم ٤٠٢٢) لأحمد في «الزهد» وابن عساكر، وعزاه أيضاً برقم (٤٠٢٣) لابن المبارك في «الزهد».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (رقم ١٢)، وعلي بن الجعد ـ كما في «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٤٧) ـ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٢٢٣)؛ عن ابن مسعود موقوفاً.

قال البيهقي: «والصحيح أنه من قول ابن مسعود».

وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤ / ١٩٩): «أصحُّ الأسانيد في ذٰلك أنه من قول إبراهيم».

قلت ـ أي النخعي ـ: وأخرجه عنه معمر في «الجامع» (١١ / ٤ / رقم ٢٩٧٩٧).

* **لا يفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان إلا من نوَّر الله بصيرته:**

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة فارقاً بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية؛ فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره؛ كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فهٰذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ؛ قال: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»(١). قال الترمذي: «حديث حسن».

= ورواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» عن إبراهيم؛ قال: كانوا يقولون به.
فإذن؛ ليس هو من قول إبراهيم. قاله الزبيدي في «إتحاف السّادة المتقين» (٦ / ٥٢٥).
وصححه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٤٨) موقوفاً على ابن مسعود.
وروي عنه مرفوعاً، ولم يصح.
انظر تعليقي على: «الأمر بالاتباع» للسيوطي (ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، ٥ / ٢٩٨ / رقم ٣١٢٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤ / ١ / ٣٥٤)، وابن جرير في «التفسير» (١٤ / ٣١)، والسلمي في «طبقات الصوفية» (١٥٦) و «أربعي الصوفية» (رقم ٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠ / ٢٨١، ٢٨٢)، =

= والخطيب في «التاريخ» (٣ / ١٩١، ٧ / ٢٤٢)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣ / ٤١٨ ـ ٤١٩ / رقم ٥٨٢)، وابن جميع في «معجمه» (٢٣٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٢٧)، والعسكري في «الأمثال» ـ كما في «تخريج الأربعين السلمية» (ص ١٣٣) ـ، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤ / ١٢٩)؛ من طريق عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً.
قال الترمذي: «هٰذا حديث غريب، إنما نعرفه من هٰذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم».
قلت: **إسناده ضعيف**، فيه عطية العوفي، صدوق يخطىء كثيراً ويدلس.
وأخرجه العقيلي أيضاً من طريق سفيان عن عمرو بن قيس الملائي؛ قال: كان يقال: «اتقوا فراسة المؤمن». قال: «وهٰذا أولى»، ونقله الخطيب عن العقيلي، وقال: «وهو الصواب، والأول وهم».
قلت: وورد من حديث **أبي أمامة** كما عند ابن عدي في «الكامل» (٤ / ١٥٢٣ و٦ / ٢٤٠١)، والطبراني في «الكبير» (١٨ / ١٢١ / رقم ٧٤٩٧) و«مسند الشاميين» (رقم ٢٠٤٢)، وأبي نعيم في «الحلية» (٦ / ١١٨) و«أربعي الصوفية» (رقم ٥٤)، والخطيب في «التاريخ» (٥ / ٩٩)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٩)، وابن عبدالبر في «الجامع» (١ / ١٩٦) بإسناد ضعيف فيه عبدالله بن صالح.
وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٤ / ٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤ / ٩٤)؛ من حديث **ابن عمر**.
وإسناده ضعيف جداً.
فيه الفرات بن السائب.
وأخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (رقم ١٢٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠)؛ بإسناد فيه متروك من حديث **أبي هريرة**.
قال ابن الجوزي عقبه: «لا يصح، أبو معاذ هو سليمان بن أرقم، متروك».

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في «البخاري» وغيره قال فيه: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه»(١).

فإذا كان العبد من هٰؤلاء فرّق بين حال أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع

= وأخرجه الطبراني والعسكري في «الأمثال» ـ كما في «تخريج الأربعين السلمية» (١٣٥) ـ، وابن جرير في «التفسير» (٢٤ / ٣٢)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٢٨) و «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣ / ٤١٩ ـ ٤٢٠ / رقم ٥٨٣)، وأبو نعيم في «أربعي الصوفية» (رقم ٥٥) و «الحلية» (٤ / ٨١)؛ من حديث **ثوبان**.

قال أبو نعيم: «غريب من حديث وهب، تفرد به مؤمل عن أسد، ومؤمل منكر الحديث»، ورواه عنه سليمان بن سلمة الجنائزي وهو منكر الحديث أيضاً كما في «الجرح والتعديل» (٤ / ١ / ٣٧٥).

فالحديث على تعدد طرقه ـ مرفوعاً ـ ضعيف، وورد عند العسكري عن **أبي الدرداء قوله** بلفظ: «اتقوا فراسة العلماء؛ فإنهم ينظرون بنور الله»، ويغني عنه من المرفوع حديث أنس: «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم»، وهو مخرج في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٦٩٣).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، وقد مضى (ص ٣٥٤).

والجبان][1].

*** لا يعبد الله إلا بما شرع ووجوب وزن الناس بميزان الشرع ولا سيما أصحاب المكاشفات الشيطانية:**

ودين الله مبني على أصلين:

● على أن لا نعبد إلا الله.

● وأن لا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله»[2].

*** حكم من أسقط الصلاة عن نفسه:**

والصلاة من أفضل الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى، «ومن اعتقد أنها تسقط عن بعض الشيوخ العارفين والمكاشفين والواصلين، أو أن لله خواصاً لا تجب عليهم الصلاة، بل قد سقطت عنهم لوصولهم إلى حضرة القدس، أو لاستغنائهم عنها بما هو أهم منها أو أولى، أو أن المقصود حضور القلب مع الرب، أو أن الصلاة فيها تفرقة، فإذا كان العبد في جميعته مع الله؛ فلا يحتاج إلى الصلاة، بل المقصود من الصلاة هي المعرفة، فإذا حصلت لم يحتج إلى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢١٣ ـ ٢١٨) باختصار. وانظره: (١١ / ١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٥ / ٣١٤ ـ ٣١٧). وانظر: «التفسير الكبير» (٥ / ١٥٩ ـ ١٦٠، ١٦٤).

الصلاة؛ فإن المقصود أن يحصل لك خرق عادة؛ كالطيران في الهواء، والمشي على الماء، أو ملء الأوعية ماء من الهواء، أو تغوير المياه واستخراج ما تحتها من الكنوز، وقتل من يبغضه بالأحوال الشيطانية؛ فمتى حصل له ذٰلك استغنى عن الصلاة ونحو ذٰلك، أو أن لله رجالاً خواصاً لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى، أو أن كل من كاشف وطار في الهواء أو مشى على الماء فهو ولي سواء صلى أو لم يصلِّ، أو اعتقد أن الصلاة تقبل من غير طهارة، أو أن المولهين والمتولهين والمجانين الذين يكونون في المقابر والمزابل والطهارات والخانات والقمامين وغير ذٰلك من البقاع وهم لا يتوضئون ولا يصلون الصلوات المفروضات، فمن اعتقد أن هٰؤلاء أولياء الله؛ فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام، ولو كان في نفسه زاهداً عابداً؛ فالرهبان أزهد وأعبد، وقد آمنوا بكثير مما جاء به الرسول، وجمهورهم يعظمون الرسول ويعظمون اتباعه، ولٰكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ فصاروا بذٰلك كافرين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

ومن كان مسلوب العقل أو مجنوناً؛ فغايته أن يكون القلم قد

رفع عنه؛ فليس عليه عقاب، ولا يصح إيمانه ولا صلاته ولا صيامه ولا شيء من أعماله، فإن الأعمال كلها لا تقبل إلا مع العقل، فمن لا عقل له لا يصح شيء من عباداته، لا فرائضه ولا نوافله، ومن لا فريضه له ولا نافلة ليس من أولياء الله»[1].

«وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر؛ طبع الله على قلبه»[2]، فإذا كان طبع على قلب من ترك الجمع ـ وإن صلى الظهر ـ؛ فكيف بمن لا يصلي ظهراً ولا جمعة ولا فريضة ولا نافلة ولا يتطهر للصلاة: لا الطهارة الكبرى ولا الصغرى؟! فهٰذا لو كان قبل مؤمناً وكان قد طبع على قلبه كان كافراً مرتداً بما تركه ولم يعتقد وجوبه من هٰذه الفرائض، وإن اعتقد أنه مؤمن كان كافراً مرتداً؛ فكيف يعتقد أنه من أولياء الله المتقين؟!

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٣٤ ـ ٤٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، رقم ١٠٥٢)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الصلاة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، رقم ٥٠٠)، والنسائي في «المجتبى» (كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلّف عن الجمعة، ٣ / ٨٨)، وأحمد في «المسند» (٣ / ٤٢٤)، والدارمي في «السنن» (١ / ٣٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٨٠ و٣ / ٦٢٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (رقم ١٨٥٧، ١٨٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / ١٧٢، ٢٤٧)؛ عن أبي الجَعْد الضَّمْريّ رفعه.

وإسناده حسن.

* صفة المنافقين استحواذ الشيطان عليهم:

وقد قال تعالى في صفة المنافقين: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]؛ أي: استولى، يقال: حاذ الإبل حوذاً: إذا استاقها؛ فالذين استحوذ عليهم الشيطان فساقهم إلى خلاف ما أمر الله به ورسوله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]؛ أي: تزعجهم إزعاجاً؛ فهؤلاء ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وفي «السنن» عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة؛ إلا استحوذ عليهم الشيطان»[1]؛ فأي ثلاثة كانوا من هؤلاء لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة كانوا من حزب الشيطان الذين استحوذ عليهم لا من أولياء الرحمٰن الذين أكرمهم، فإن كانوا عباداً زهاداً ولهم جوع وسهر وصمت وخلوة؛ كرهبان الديارات والمقيمين في الكهوف والمغارات كأهل

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم ٥٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، ٢ / ١٠٦ ـ ١٠٧)، وأحمد في «المسند» (٥ / ١٩٦ و٦ / ٤٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢١١)، وابن خزيمة في «الصحيح» (رقم ١٤٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / ٥٤)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ٧٩٣).

وإسناده حسن.

جبل لبنان وأهل جبل الفتح الذي بأسون وجبل ليسون ومغارة الدم بجبل قاسيون وغير ذٰلك من الجبال والبقاع التي يقصدها كثير من العباد الجهال الضلال ويفعلون فيها خلوات ورياضات من غير أن يؤذن، وتقام فيهم الصلوات الخمس، بل يتعبدون بعبادات لم يشرعها الله ورسوله بل يعبدونه بأذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لأحوالهم بالكتاب والسنة، ولا قصد المتابعة لرسول الله الذي قال الله فيه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . . . ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية؛ فهٰؤلاء أهل البدع والضلالات من حزب الشيطان لا من أولياء الرحمٰن، فمن شهد لهم بولاية الله؛ فهو شاهد زور كاذب، وعن طريق الصواب ناكب.

ثم إن كان قد عرف أن هٰؤلاء مخالفون للرسول، وشهد مع ذٰلك أنهم من أولياء الله؛ فهو مرتد عن دين الإسلام، وإما مكذب للرسول، وإما شاك فيما جاء به مرتاب، وإما غير منقاد له بل مخالف له؛ إما جحوداً أو عناداً أو اتباعاً لهواه، وكلٌّ من هٰؤلاء كافر.

وأما إن كان جاهلاً بما جاء به الرسول وهو معتقد مع ذٰلك أنه رسول الله إلى كل أحد في الأمور الباطنة والظاهرة، وأنه لا طريق إلى الله إلا بمتابعته ﷺ، لٰكن ظن أن هٰذه العبادات البدعية والحقائق الشيطانية هي مما جاء بها الرسول ولم يعلم أنها من الشيطان لجهله بسنته وشريعته ومنهاجه وطريقته وحقيقته، لا لقصد مخالفته، ولا يرجو الهدى في غير متابعته؛ فهٰذا يبين له الصواب ويعرف ما به من السنة والكتاب، فإن تاب وأناب، وإلا؛ ألحق بالقسم الذي قبله وكان

كافراً مرتداً، ولا تنجيه عبادته ولا زهادته من عذاب الله، كما لم ينج من ذلك الرهبان وعباد الصلبان وعباد النيران وعباد الأوثان، مع كثرة من فيهم ممن له خوارق شيطانية ومكاشفات شيطانية، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

قال سعد بن أبي وقاص وغيره من السلف: نزلت في أصحاب الصوامع والديارات[(١)].

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره: أنهم كانوا يتأولونها في الحرورية ونحوهم من أهل البدع والضلالات[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، رقم ٤٧٢٨) عن مصعب؛ قال: «سألتُ أبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾؛ هم الحرورية؟ قال: لا، همُ اليهود والنصارى، أما اليهود؛ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنَّة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهدَ الله من بعدِ ميثاقه»، وكان سعد يسميهم الفاسقين.

(٢) أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٣ / ١٧٢ / رقم ٥٤٨)، وابن جرير في «التفسير» (١٦ / ٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧ / ٢٣٩٣ / رقم ١٣٠٠٠)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢ / ٦٤١)، والخطيب في «الموضح» (١ / ٢٠٥)؛ عن عبدالله بن قيس أبي حميضة؛ قال: سمعتُ علي ابن أبي طالب يقول في هٰذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣]؛ قال: «إنهم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السَّواري».

وإسناده صحيح.

وأخرج عبدالرزاق في «التفسير» (٢ / ٤١٣ ـ ط الرشد)، وعبدالله بن أحمد =

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢]؛ فالأفاك: هو الكذاب، والأثيم: الفاجر؛ كما قال: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ ـ ١٦]»[١].

*** الطعن في الأنبياء من عبادة الشيطان والكفر بالرحمن:**

لقد ضلت غلاةُ الصوفية حين قالوا بوحدة الوجود؛ إذ عليها خطّؤوا الصّواب وصوّبوا الخطأ؛ فهٰؤلاء كبراؤهم يخطئون موسى عليه السلام، ويصوبون فرعون في كفره، ويكرهون رسول الله محمداً أشد كره، ومدحوا عبادة العجل، وعابوا نوحاً، وصوبوا الكافرين من قومه. . . إلى غير ذٰلك من الكفر الصريح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمٰن»[٢].

= في «السنة» (رقم ١٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧ / ٢٣٩٣ / رقم ١٣٠٠١)، وابن جرير في «التفسير» (١٦ / ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦ / ق ١١٠)؛ عن أبي الطفيل؛ قال: «قام ابنُ الكوَّاء إلى علي بن أبي طالب، فقال: من ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾؟ قال: ويلك! منهم أهل حروراء».

وإسناده صحيح.

وعزاه في «الدر المنثور» (٥ / ٤٦٥) لابن مردويه وابن المنذر والفريابي وسعيد ابن منصور.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٤٧ ـ ٤٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٩٠).

*** تلبيس الشياطين على القبوريين وعباد الأصنام وقضاء بعض حاجاتهم وتصورهم لهم وتكليمهم إياهم:**

من المعلوم أن أكثر الصوفية ـ بل كلهم ـ يعتقد أن المقبور ينفع الأحياء إذا كانوا يرونهم من أهل الصلاح أو العبادة في نظرهم؛ فإنهم يدعونهم ويستغيثون بهم من دون الله تعالى، فشابهوا بعملهم هٰذا الكفار عبَّاد الأوثان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهٰؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم ويغويهم، كما يضل عباد الأصنام ويغويهم؛ فتتصور الشياطين في صورة ذٰلك المستغاث به، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة كما تخاطب الشياطين الكهان، وبعض ذٰلك صدق، لٰكن لا بد أن يكون في ذٰلك ما هو كذب، بل الكذب أغلب عليه من الصدق.

وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه؛ فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذي جاء من الغيب حتى فعل ذٰلك، أو يظن أن الله تعالى صور ملكاً على صورته فعل ذٰلك، ويقول أحدهم: هٰذا سر الشيخ وحاله، وإنما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به المستغيث به.

= وانظرها: (١٣ / ١٨٥ ـ ٢٠٥)؛ فقد عرض قولهم بوحدة الوجود وردها رداً قوياً رحمه الله تعالى.

كما تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم عابديها(١) وتقضي بعض حوائجم، [والأصنام لها شياطين كانت تترآى للسدنة أحياناً وتكلمهم أحياناً. قال أبي بن كعب: مع كل صنم جنيّة. وقال ابن عباس: في كل صنم شيطان تترآى للسدنة فتكلمهم](٢) كما كان ذٰلك في أصنام مشركي العرب، وهو اليوم موجود في المشركين من الترك والهند وغيرهم(٣).

---

(١) قلت: يؤكد ذٰلك ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٨٦٦) عن عبدالله بن عمر؛ قال: «ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا؛ إلا كان كما يظن. بينما عمر جالس؛ إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني، أو: إن هٰذا على دينه في الجاهلية، أو: لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل. فدُعي له، فقال له ذٰلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم! قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. فقال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءت به جنيتك. قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها؟! قال عمر: صدق، بينما أنا عند آلهتهم؛ إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً أشد صوتاً منه يقول: يا جليح! أمرٌ نجيح، رجل فصيح. يقول: لا إلٰه إلا أنت. فوثب القوم. قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هٰذا. ثم نادى: يا جليح! أمرٌ نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إلٰه إلا الله. فقمت؛ فما نشبنا أن قيل: هٰذا نبي».

(٢) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٢٦٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «حكى لي شيخ [يعني: رجل من البطائحية الرفاعية] أنه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده. قال: فقال لي: هٰذا الصنم يأكل من هٰذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الأكل في الطعام بيناً يرى فيه. فأنكرت ذٰلك، فقال لي: إن كان يأكل أنت تموت؟ =

وأعرف من ذٰلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم، ولمّا حدثوني بذٰلك بيّنتُ لهم أن ذٰلك إنما هو شيطان تصوّر بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذٰلك كرامات للشيخ؛ فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين.

وهٰذا من أكبر الأسباب التي بها أشرك المشركون وعبدة الأوثان، وكذٰلك المستغيثون من النصارى بشيوخهم الذين يسمونهم العلاس يرون أيضاً من يأتي على صورة ذٰلك الشيخ النصراني الذي استغاثوا به فيقضي بعض حوائجهم.

وهٰؤلاء الذين يستغيثون بالأموات من الأنبياء والصالحين والشيوخ وأهل بيت النبي ﷺ غاية أحدهم أن يجري له بعض هٰذه

= فقلت: نعم! فقال: فأقمت عنده إلى نصف النهار ولم يظهر من الطعام أثر، فاستعظم ذٰلك التتري ذٰلك وأقسم بأيمان مغلظة أنه كل يوم يرى فيه أثر الأكل لٰكن اليوم بحضورك لم يظهر ذٰلك.

فقلت [أي: ابن تيمية] لهٰذا الشيخ: أنا أبين لك سبب ذٰلك، ذٰلك التتري كافر مشرك، ولصنمه شيطان يقويه بما يظهره من الأثر في الطعام، وأنت كان معك من نور الإسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان أن يفعل ذٰلك بحضورك، وأنت وأمثالك بالنسبة إلى أهل الإسلام الخالص كالتتري بالنسبة إلى أمثالك؛ فالتتري وأمثاله سود، وأهل الإسلام المحض بيض، وأنتم بلقٌ فيكم سواد وبياض. فأعجب هٰذا المثل من كان حاضراً». انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ١٣٥).

الأمور أو يحكي لهم بعض هٰذه الأمور؛ فيظن أن ذٰلك كرامة وخرق عادة بسبب هٰذا العمل.

ومن هٰؤلاء من يأتي إلى قبر الشيخ الذي يشرك به ويستغيث به، فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح أو غير ذٰلك مما يطلبه، فيظن ذٰلك كرامة لشيخه وإنما ذٰلك كله من الشياطين.

وهٰذا من أعظم الأسباب التي عبدت بها الأوثان، وقد قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]؛ كما قال نوح عليه السلام، ومعلوم أن الحجر لا يضل كثيراً من الناس إلا بسبب اقتضى ضلالهم، ولم يكن أحد من عباد الأصنام يعتقد أنها خلقت السماوات والأرض، بل إنما كانوا يتخذونها شفعاء ووسائط لأسباب، منهم من صورها على صور الأنبياء والصالحين، ومنهم من جعلها تماثيل وطلاسم للكواكب والشمس والقمر، ومنهم من جعلها لأجل الجن، ومنهم من جعلها لأجل الملائكة.

فالمعبود لهم في قصدهم إنما هو للملائكة والأنبياء والصالحين أو الشمس أو القمر، وهم في نفس الأمر يعبدون الشياطين؛ فهي التي تقصد من الإنس أن يعبدها وتظهر لهم ما يدعوهم إلى ذٰلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

وإذا كان العابد ممن لا يستحل عبادة الشياطين أوهموه أنه إنما

يدعو الأنبياء والصالحين والملائكة وغيرهم ممن يحسن العابد ظنه به، وأما إن كان ممن لا يحرم عبادة الجن؛ عرفوه أنهم الجن.

*** خرافة «رجال الغيب»:**

وقد يطلب الشيطان الممثل له في صورة الإنسان أن يسجد له، أو أن يفعل به الفاحشة، أو أن يأكل الميتة ويشرب الخمر، أو أن يقرب لهم الميتة، وأكثرهم لا يعرفون ذلك، بل يظنون أن من يخاطبهم إما ملائكة وإما رجال من الجن يسمونهم رجال الغيب، ويظنون أن رجال الغيب أولياء الله غائبون عن أبصار الناس، [والشياطين يتصورون بصورة بني آدم أحياناً حتى يظن كثير من الناس أنهم من الإنس وأنهم رجال الغيب، ويقولون: الأربعون الأبدال بجبل لبنان أو غيره من الجبال، وهي مأوى الجن وهم رجال الغيب؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، سماهم الله رجالاً، وسموا جناً؛ لأنهم يجتنون عن الأبصار؛ أي: يستترون، كما تسمى الإنس إنساناً؛ لأنهم يؤنسون؛ أي: يبصرون، كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]؛ أي: أبصرت ناراً. والحكايات عنهم في هذا الباب كثيرة معروفة، لكنْ كثيرٌ من الناس يعتقد أنهم من الإنس وأنهم صالحون يغيبون عن أبصار الخلائق، ولا ريب أن بعض الإنس قد يحجبه الله أحياناً عن أبصار بعض الناس: إما إكراماً له، أو منعاً له من ظلمهم إن كان ولياً، وأما احتجاب إنسي طول عمره عن جميع الإنس؛ فهذا لم يقع، بل هذا نعت الجن الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]،

والمسافرون إلى هٰذه الجبال إنما يسافرون إلى مأوى الشياطين، وما يرونه من الخوارق هناك هو من إضلال الشياطين لهم كما تفعله الشياطين عند الأصنام؛ فإنهم يضلون عابديها بأنواع حتى قد يظن أن الصنم كلمه، وقد يظهرون للسدنة أحياناً كما كانوا في الجاهلية، وكذٰلك يوجد عند النصارى من هٰذا كثير](1).

وأولٰئك جن تمثلت بصور الإنس أو رؤيت في غير صور الإنس، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

كان الإنس إذا نزل أحدهم بواد يخاف أهله، قال: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من سفهائه، وكانت الإنس تستعيذ بالجن؛ فصار ذٰلك سبباً لطغيان الجن، وقالت: الإنس تستعيذ بنا.

وكذٰلك الرقى والعزائم الأعجمية هي تتضمن أسماء رجال من الجن يدعون ويُستغاث بهم ويُقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسبب ذٰلك في بعض الأمور.

وهٰذا من جنس السحر والشرك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ

(١) ما بين المعقوفتين من «الرد على الأخنائي» (١٧٥).

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

*** كثير من الزنادقة والكفار يطيرون في الهواء:**

وكثير من هٰؤلاء يطير في الهواء وتكون الشياطين قد حملته وتذهب به إلى مكة وغيرها، ويكون مع ذٰلك زنديقاً يجحد الصلاة وغيرها مما فرض الله ورسوله، ويستحل المحارم التي حرمها الله ورسوله.

وإنما يقترن به أولٰئك الشياطين لما فيه من الكفر والفسوق والعصيان، حتى إذا آمن بالله ورسوله وتاب والتزم طاعة الله ورسوله؛ فارقته تلك الشياطين، وذهبت تلك الأحوال الشيطانية من الإخبارات والتأثيرات.

وأنا أعرف من هٰؤلاء عدداً كثيراً بالشام ومصر والحجاز واليمن، وأما الجزيرة والعراق وخراسان والروم؛ ففيها من هٰذا الجنس أكثر مما بالشام وغيرها، وبلاد الكفار من المشركين وأهل الكتاب أعظم.

*** قوة الأحوال الشيطانية وضعفها:**

وإنما ظهرت هٰذه الأحوال الشيطانية التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها؛ فحيث قوي الإيمان والتوحيد ونور الفرقان والإيمان وظهرت آثار النبوة والرسالة ضعفت هٰذا الأحوال الشيطانية.

وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان قويت هٰذه الأحوال الشيطانية، والشخص الواحد الذي يجتمع فيه هٰذا وهٰذا الذي تكون فيه مادة تمده للإيمان ومادة تمده للنفاق يكون فيه من هٰذا الحال وهٰذا الحال.

*** أحوال شيطانية يجريها الجن لبعض أوليائهم:**

والمشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام مثل البخشية والطونية والبُدّى ونحو ذٰلك من علماء المشركين وشيوخهم الذين يكونون للكفار من الترك والهند والخطا وغيرهم تكون الأحوال الشيطانية فيهم أكثر، ويصعد أحدهم في الهواء ويحدثهم بأمور غائبة، ويبقى الدف الذي يغني لهم به يمشي في الهواء، ويضرب رأس أحدهم إذا خرج عن طريقهم، ولا يرون أحداً يضرب له، ويطوف الإناء الذي يشربون منه[1] عليهم ولا يرون من يحمله، ويكون أحدهم في مكان؛ فمن نزل منهم عنده ضَيَّفه طعاماً يكفيهم، ويأتيهم بألوان مختلفة.

وذٰلك من الشياطين، تأتيه من تلك المدينة القريبة منه أو من غيرها تسرقه وتأتي به.

وهٰذه الأمور كثيرة عند من يكون مشركاً أو ناقص الإيمان من الترك وغيرهم، وعند التتار من هٰذا أنواع كثيرة.

وأما الداخلون في الإسلام إذا لم يحققوا التوحيد واتباع الرسول، بل دعوا الشيوخ الغائبين واستغاثوا بهم؛ فلهم من الأحوال

---

(١) في الأصل: «منهم».

الشيطانية نصيب بحسب ما فيهم مما يرضي الشيطان.

*** الشياطين يحملون أولياءهم إلى الحج فيحجون حجاً غير مشروع:**

ومن هٰؤلاء قوم فيهم عبادة ودين مع نوع جهل، يُحمل أحدهم فيوقف بعرفات مع الحجاج من غير أن يحرم إذا حاذى المواقيت، ولا يبيت بمزدلفة، ولا يطوف طواف الإفاضة، ويظن أنه حصل له بذٰلك عمل صالح وكرامة عظيمة من كرامات الأولياء، ولا يعلم أن هٰذا من تلاعب الشيطان به؛ فإن مثل هٰذا الحج ليس مشروعاً ولا يجوز باتفاق علماء المسلمين، ومن ظن أن هٰذا عبادة وكرامة لأولياء الله؛ فهو ضال جاهل.

ولهٰذا لم يكن أحد من الأنبياء والصحابة يفعل بهم مثل هٰذا؛ فإنهم أجل قدراً من ذٰلك.

وقد جرت هٰذه القضية لبعض من حُمل وطائفة معه من الإسكندرية إلى عرفة، فرأى ملائكة تنزل وتكتب أسماء الحجاج، فقال: هل كتبتموني؟ قالوا: أنت لم تحج كما حج الناس، أنت لم تتعب ولم تحرم ولم يحصل لك من الحج الذي يثاب الناس عليه ما حصل للحجاج.

وكان بعض الشيوخ قد طلب منه بعض هٰؤلاء أن يحج معهم في الهواء، فقال لهم: هٰذا الحج لا يسقط به الفرض عنكم لأنكم لم تحجوا كما أمر الله ورسوله»[(١)].

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٥).

* **كفر من يفضل الأحوال الشيطانية على طريقة القرآن:**

«ثم منهم من يعرف أن هٰذا من الشياطين، ولٰكن يعظمه لهواه ويفضله على طريقة القرآن، وهٰؤلاء كفار، كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢]، وهٰؤلاء ضاهوا الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩ ـ ١٠٢].

* **كل من عبد غير الله فهو يعبد الجن:**

ومنهم من لا يعرف أنه من الشياطين، [وكل من عبد غير الله؛ فإنما يعبد الشيطان، وإن كان يظن أنه يعبد الملائكة والأنبياء، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]][(١)].

وقد يقع في هٰذا طوائف من أهل الكلام والعلم وأهل العبادة

= وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٧)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (ص ١٣٣ ـ ١٣٤).

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٢٨٣)، و «التفسير الكبير» (٣ / ٣١٧ ـ ٣٢٠).

والتصوف، حتى جوزوا عبادة الكواكب والأصنام لِما رأوه فيها من الأحوال العجيبة التي تعينهم عليها الشياطين لما يحصل بها بعض أغراضهم من الظلم والفواحش؛ فلم يبالوا بشركهم بالله وبكفرهم به وبكتابه إذا نالوا ذٰلك، ولم يبالوا بتعليم ذٰلك للناس وتعظيمهم له لرئاسة أو مال ينالونه، وإن كانوا قد علموا الكفر والشرك ودعوا إليه، بل حصل عندهم ريب وشك فيما جاء به الرسول ﷺ واعتقاد أنه خاطب الجمهور بما لا حقيقة له في الباطن للمصلحة كما يقول ذٰلك من يقوله من الملاحدة الباطنية»[1].

*** معنى الاستغاثة وحكم الاستغاثة بالجن وبيان أنها من الشياطين:**

الاستغاثة هي طلب كشف الشدة؛ فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن؛ فقد دعا من لا يغيثه؛ فلا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، كان أحدهم إذا نزل بوادٍ يقول: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من سفهائه. فقالت الجن: الإنس يستعيذوننا. فزادوهم رهقاً[2].

وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤). وانظرها: (٩ / ١٢٩).

(٢) انظر: (ص ١٣٤ - ١٣٥)، و «تفسير الطبري» (١٢ / ٢٦٣)، و «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

بمخلوق[1]، وهٰذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذٰلك؛ كقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق»[2]، و «أعوذ بكلمات الله التامات كلها من غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[3]، و «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا

---

(١) نقله عنه الخطابي في «معالم السنن» (٥ / ١٠٥ بهامش «مختصر سنن أبي داود»).
وانظر: «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري (ص ٨٩)، و «مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار» (١ / ٧٩) لابن مالك.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٤ / ٢٠٨٠ / رقم ٢٧٠٨)؛ لٰكن دون قوله: «كلها».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٥٧ و٦ / ٦) من رواية شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن الوليد بن الوليد بن المغيرة رفعه.
ورجاله ثقات؛ إلا أنني أظن فيه انقطاعاً. قاله ابن حجر في «بذل الماعون» (ص ١٦٨)، وقال أيضاً: لم يخرج الإسناد عن الإنقطاع؛ فإن محمد بن يحيى من صغار التابعين وجل روايته عن التابعين، والوليد بن الوليد مات في حياة النبي ﷺ وهٰذا الذكر قد جاء في قصة أُخرى لخالد بن الوليد... فيحتمل أن يكون وقع لكل من «خالد» و «الوليد» وإن اتحد الدعاء؛ قاله: ابن علاّن في «الفتوحات الربانية» (٣ / ١٧٩).
وأخرجه مالك في «الموطأ» (٢ / ٥٩٠) عن يحيى بن سعيد؛ قال: «بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ: إنِّي أروَّع في منامي. فعلَّمه النبي ﷺ إياه»
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣) عن عبدالرحمٰن بن =

= سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان عن الوليد.
وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧ / ٩٦)، وابن عبدالبر ـ كما قال الزرقاني (٤ / ٣٤٠) ـ؛ عن ابن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن محمد بن يحيى بن حبان؛ أن خالد بن الوليد. . .
قال ابن حجر في «بذل الماعون» (ص ١٦٩): «وهٰذا اضطراب».
وأخرجه أبو داود في «السنن» (٣٨٩٣)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٥٢٨)، وأحمد في «المسند» (١٠ / ١٦٩ ـ ١٧٠ / رقم ٦٦٩٦ ـ ط شاكر)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (رقم ٤٤٠)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (رقم ٣١٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٧٦٥)، وابن السني في «عمل واليوم والليلة» (رقم ٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٤٨)، والبيهقي في «الآداب» (رقم ٩٩٣)؛ من طرق عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ قال: «كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع. . .»، وذكره.
وفيه عنعنة ابن إسحاق؛ إلا أنه شاهد جيد، كما قال ابن حجر في «بذل الماعون» (ص ١٦٩)، وقال: «وله شاهد آخر مرسل من طريق عبيدالله بن عبدالله بن عتبة «أن الوليد بن الوليد شكى. . .»، وذكر نحوه.
أخرجه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث»» انتهى.
قلت: وأخرجه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٤٣).
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢ / ٧٧٤)، والخطيب في «الموضح» (٢ / ٣٩٤)؛ من طريق الحسين بن المبارك، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا يحيى ابن سعيد الأنصاري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً، ولٰكن ليس فيه تخصيص الدعاء عند النوم، وإنما كان من دعائه ﷺ.
قال ابن عدي: «وهٰذا البلاء فيه من الحسين بن المبارك»، وقال عن الحسين: «وأحاديثه مناكير».

يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً بخير يا رحمٰن!»[1].

* **معنى الاستعاذة:**

قالوا: والاستعاذة لا تجوز بالمخلوق، وقول القائل: «أعوذ بالله» معناه: أستجير بالله، فإذا لم يجز أن يستغاث بمخلوق لا نبي ولا غيره؛ فإنه لا يجوز أن يقال له: «أنت خير معاذ يستغاث به» بطريق الأولى والأحرى[2].

ولهٰذا قال بعض الشعراء لبعض الرؤساء الممدوحين:

يا من ألوذُ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أُحاذِرُهْ

لا يجبر الناسُ عظماً أنت كاسِرُه ... ولا يهيضون عظماً أنتَ جابِرُهْ[3]

= وله شاهد عند الطبراني في «الأوسط» (١ / ٥٠٧ / رقم ٩٣٥) وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي، وهو متروك. قاله الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ١٢٧).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسندٍ فيه لين. قاله ابن حجر في «بذل الماعون» (١٦٥).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٣٦٢) عن مكحول مرسلاً، ومضى من حديث عبدالرحمٰن بن خنبش في التعليق على (ص ١٨٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥ / ٢٢٧).

(٣) الشعر في: «ديوان المتنبي» (ص ٤١ ـ ط بيروت).
قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١ / ٢٧٥): «بلغني عن شيخنا =

فقول القائل لمن مات من الأنبياء أو غيرهم: بك أستجير من كذا وكذا؛ كقوله: بك أستعيذ، وقوله: بك أستغيث في معنى ذٰلك، إذا كان مطلوبه منع الشدة أو رفعها، والمستعيذ يطلب منع المستعاذ منه أو رفعه، فإذا كان مخوفاً طلب منعه؛ كقوله: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر»(١)، وإن كان حاضراً طلب رفعه؛ كقوله في الحديث الصحيح: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(٢)؛ فتعوذ بالله من شر الموجود وشر المحاذر، والداعي يطلب أحد شيئين: إما حصول منفعة، أو دفع مضرة، وقول القائل: «لا يستعاذ به ولا يستجار به ولا يستغاث به» ألفاظ متقاربة. . . »(٣).

ومما قاله رحمه الله في تحريم هٰذه الاستغاثة: «ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا

= العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان ينكر على المتنبي هٰذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هٰذا لجناب الله سبحانه وتعالى، وقال ابن القيم: سمعت ابن تيمية يقول: ربما قلت هٰذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمناه في الذل والخضوع» اهـ. وقال ابن القيم أيضاً في «شفاء العليل» (٢ / ١٩١): «ولو قال ذٰلك في ربه وفاطره؛ لكان أسعد به من مخلوق مثله» اهـ.

(١) مضى تخريجه (ص ٣٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، رقم ٢٢٠٢)، وغيره أن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه شكى إلى رسول الله ﷺ وَجَعاً، يجِدُهُ في جسده منذ أسلم، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقُدْرته من شرِّ ما أجِدُ وأحاذر».

(٣) «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢ / ٤٤٨ ـ ٤٥٢).

سيدي فلاناً! أغثني وانصرني وادفع عني، أو: أنا في حسبك... ونحو ذٰلك، بل كل هٰذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[1].

* **بيان زيغ وضلال أولياء الشيطان من طريقين:**

ومن ثَمَّ؛ فهٰذه الخوارق التي يتحصل عليها من يستغيثون بالمخلوقات إنما هي من الشيطان ليمدهم في طغيانهم يعمهون، ويبين زيغهم وضلالهم من طريقين:

«**أحدهما**: أن يقال له: من أين لك أن هٰذا إنما هو من الله لا من الشيطان وإلقائه ووسوسته؟! فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم وينزلون عليهم كما أخبر الله تعالى بذٰلك في القرآن، وهٰذا موجود كثيراً في عباد المشركين وأهل الكتاب وفي الكهان والسحرة ونحوهم وفي أهل البدع بحسب بدعتهم؛ فإن هٰذه الأحوال قد تكون شيطانية وقد تكون رحمانية؛ فلا بد من الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، والفرقان إنما هو الفرقان الذي بعث الله به محمداً ﷺ؛ فهو ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين الرشاد والغي وبين طريق الجنة وطريق النار وبين سبيل أولياء الرحمٰن وسبيل أولياء الشيطان؛ كما قد بسط الكلام على هٰذا في غير هٰذا الموضع.

والمقصود هنا أنه يقال لهم: إذا كان جنس هٰذه الأحوال مشتركاً

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٠٠).

بين أهل الحق وأهل الباطل؛ فلا بد من دليل يبين أن ما حصل لكم هو الحق.

الطريق الثاني: أن يقال: بل هٰذا من الشيطان؛ لأنه مخالف لما بعث الله به محمداً ﷺ، وذٰلك أنه ينظر فيما حصل له وإلى سببه وإلى غايته، فإن كان السبب عبادة غير شرعية مثل أن يقال له: اسجد لهٰذا الصنم حتى يحصل لك المراد، أو استشفع بصاحب هٰذه الصورة حتى يحصل لك المطلوب، أو ادع هٰذا المخلوق واستغث به مثل أن يدعو الكواكب كما يذكرونه في كتب دعوة الكواكب، أو أن يدعو مخلوقاً كما يدعو الخالق، سواء كان المخلوق ملكاً أو نبياً أو شيخاً، فإذا دعاه كما يدعو الخالق سبحانه؛ إما دعاء عبادة، وإما دعاء مسألة صار مشركاً به؛ فحينئذ ما حصل له بهٰذا السبب حصل بالشرك كما كان يحصل للمشركين.

وكانت الشياطين تتراءى لهم أحياناً، وقد يخاطبونهم من الصنم ويخبرونهم ببعض الأمور الغائبة، أو يقضون لهم بعض الحوائج؛ فكانوا يبذلون لهم هٰذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذي هلكوا بزواله؛ كالسحر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذٰلك قد يكون سببه سماع المعازف، وهٰذا كما يذكر عن

عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ أنه قال: «اتقوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، وإن رجلاً سأل امرأة فقالت: لا أفعل حتى تسجد لهٰذا الوثن، فقال: لا أشرك بالله، فقالت: أوتقتل هٰذا الصبي؟ قال: لا أقتل النفس التي حرم الله. فقالت: أوتشرب هٰذا القدح؟ فقال: هٰذا أهون، فلما شرب الخمر قتل الصبي وسجد للوثن وزنا بالمرأة»[1]»[2].

*** تمثل الشياطين للكافرين وبعض الزاهدين:**

«ولهٰذا تتمثل الشياطين لمن يعبد الملائكة والأنبياء والصالحين ويخاطبونهم، فيظنون أن الذي خاطبهم ملك أو نبي أو ولي، وإنما هو شيطان جعل نفسه ملكاً من الملائكة، كما يصيب عباد الكواكب وأصحاب العزائم والطلسمات، يسمون أسماء، يقولون: هي أسماء الملائكة مثل منططرون وغيره، وإنما هي أسماء الجن.

[وكثير من الناس أهل العبادة والزهد من يأتيه في اليقظة من

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٩ / ٢٣٦ / رقم ١٧٠٦٠)، وابن قتيبة في «الأشربة» (٢٤)، وابن أبي الدنيا في «ذمّ المسكر» (رقم ٢، ٣)؛ عن عثمان موقوفاً، وهو الصحيح، ورفعه بعضهم؛ كما عند ابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (رقم ١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، والبغوي في «شرح السنة».

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤١٥ ـ ٤١٧)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

يقول: إنه رسول الله، ويظن ذٰلك حقاً[1]، ومن يرى إذا زار بعض قبور الأنبياء أو الصالحين أن صاحب القبر قد خرج إليه؛ فيظن أنه صاحب القبر ذٰلك النبي أو الرجل الصالح، وإنما هو شيطان أتى في صورته إن كان يعرفها، وإلا أتى في صورة إنسان وقال: إنه ذٰلك الميت، وكذٰلك يأتي كثيراً من الناس في مواضع ويقول: إنه الخضر، فاعتقد أنه الخضر، وإنما كان جنياً من الجن، ولهٰذا لم يجترىء الشيطان على أن يقول لأحد من الصحابة أنه الخضر، ولا قال أحد من الصحابة إني رأيت الخضر، وإنما وقع هٰذا بعد الصحابة، وكلما تأخر الأمر كثر حتى إنه يأتي اليهود والنصارى ويقول: إنه الخضر، ولليهود كنيسة معروفة بكنيسة الخضر، وكثير من كنائس النصارى يقصدها هٰذا الخضر، والخضر الـذي يأتي هٰذا الشخص غير الخضر الذي يأتي هٰذا.

---

(١) كما حصل مع غير واحدٍ من المعروفين؛ كالسيوطي مثلاً فيما ذكر في رسالته «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» مطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢ / ٢٥٥ ـ ٢٦٩) له، وقد صرح بذٰلك الشعراني في «لطائف المنن والأخلاق» (١٢٣).
ونقله الشيخ عبدالحليم محمود في كتابه «أبو الحسن الشاذلي» ط القاهرة عن الشاذلي، ونقل الصيادي ذٰلك في «ضوء الشمس» (١ / ١٧٦ ـ ١٧٧)، و «قلادة الجوهر» (١٠٦، ١٩٢) عن غير واحدٍ من متأخري الصوفية، وكل ذٰلك باطل كما بيَّنتُه بإسهاب ولله الحمد في كتابي «قصص لا تثبت» (ص ١٩٢ ـ ٢١٣ / المجموعة الثالثة)؛ وانظر في دحض ذٰلك أيضاً: «مشتهى الخارف الجاني» (٩١ وما بعد).

* خرافة «لكل ولي خضر»:

ولهٰذا يقول من يقول منهم: لكل ولي خضر، وإنما هو جني معه، والذين يدعون الكواكب تتنزل عليهم أشخاص يسمونها روحانية الكواكب، وهو شيطان نزل عليه لما أشرك ليغويه، كما تدخل الشياطين في الأصنام، وتكلم أحياناً بعض الناس وتتراءى للسدنة أحياناً، ولغيرهم أيضاً، وقد يستغيث المشرك بشيخ له غائب، فيحكي الجني صوته لذٰلك الشيخ، حتى يظن أنه سمع صوت ذٰلك المريد مع بعد المسافة بينهما، ثم إن الشيخ يجيبه فيحكي الجني صوت الشيخ للمريد، حتى يظن أن شيخه سمع صوته وأجابه، وإلا؛ فصوت الإنسان يمتنع أن يبلغ مسيرة يوم ويومين وأكثر، وقد يحصل للمريد من يؤذيه؛ فيدفعه الجني ويخيل للمريد أن الشيخ هو دفعه، وقد يضرب الرجل بحجر فيدفعه عنه الجني، ثم يصيب الشيخ بمثل ذٰلك، حتى يقول: إني اتقيت عنك الضرب، وهٰذا أثره فيَّ، وقد يكونون يأكلون طعاماً فيصور نظيره للشيخ، ويجعل يده فيه ويجعل الشيطان يده في طعام أولٰئك حتى يتوهَّم الشيخُ وهُم أن يد الشيخ امتدت من الشام إلى مصر وصارت في ذٰلك الإناء][1].

وكذٰلك الذين يدعون المخلوقين من الأنبياء والأولياء والملائكة قد يتمثل لأحدهم من يخاطبه، فيظنه النبي أو الصالح الذي دعاه، وإنما هو شيطان تصور في صورته أو قال: أنا هو لمن لم يعرف صورة

(١) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٤١٤ ـ ٤١٥).

ذٰلك المدعو.

وهٰذا كثير يجري لمن يدعو المخلوقين من النصارى ومن المنتسبين إلى الإسلام، يدعونهم عند قبورهم أو مغيبهم ويستغيثون بهم، فيأتيهم من يقول: إنه ذٰلك المستغاث به في صورة آدمي إما راكباً وإما غير راكب، فيعتقد المستغيث أنه ذٰلك النبي والصالح، أو أنه سره أو روحانيته أو رقيقته أو المعنى تشكل، أو يقول: إنه ملك جاء على صورته، وإنما هو شيطان يغويه لكونه أشرك بالله ودعا غيره الميت فمن دونه؛ فصار للشيطان عليه سلطان بذٰلك الشرك؛ فظن أنه يدعو النبي أو الصالح أو الملك، وأنه هو الذي شفع له أو هو الذي أجاب دعوته، وإنما هو الشيطان ليزيده غلواً في كفره وضلاله.

فكل من لم يعبد الله مخلصاً له الدين؛ فلا بد أن يكون مشركاً عابداً لغير الله، وهو في الحقيقة عابد للشيطان.

*** كل واحد من بني آدم إما عابد للرحمن وإما عابد للشيطان:**

فكل واحد من بني آدم إما عابد للرحمٰن وإما عابد للشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩]»(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٢٨٣ ـ ٢٨٥)، و «التفسير الكبير» (٣ / ٣١٧ ـ ٣٢٠). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٢٩٦).

«وذكر الرحمٰن هو الذي أنزله، وهو الكتاب والسنة اللذان قال الله فيهما:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وهو الذكر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فمن أعرض عن هٰذا الذكر وهو الكتاب والسنة قُيِّض له قرين من الشياطين؛ فصار من أولياء الشيطان بحسب ما تابعه.

*** قد تجتمع ولاية الرحمٰن مع ولاية الشيطان في قلب واحد:**

وإن كان موالياً للرحمٰن تارة وللشيطان أخرى كان فيه من الإيمان وولاية الله بحسب ما والى فيه الرحمٰن، وكان فيه من عداوة الله والنفاق بحسب ما والى فيه الشيطان، كما قال حذيفة بن اليمان: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر؛ فذٰلك قلب المؤمن، وقلب أغلف؛ فذٰلك قلب الكافر ـ والأغلف: الذي يلف عليه غلاف؛ كما قال تعالى عن اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾

[النساء: ١٥٥]، وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع طبع الله على قلبه»[١] ـ، وقلب منكوس؛ فذٰلك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان: مادة تمده للإيمان ومادة للنفاق؛ فأيهما غلب كان الحكم له»[٢]، وقد روي هٰذا في «مسند الإمام أحمد» مرفوعاً[٣].

وفي «الصحيحين» عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (رقم ٥٤): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة قوله.
وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ١٧)، والطبراني في «الصغير» (٢ / ١١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤ / ٣٨٥)؛ عن ليث بن أبي سُليم، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد رفعه.
وإسناده ضعيف؛ لضعف ليث، ولا سيما وقد خالف من هو أوثق منه؛ كما في الهامش السابق.
وانظر: «مجمع الزوائد» (١ / ٦٣)، و «الدر المنثور» (١ / ٨٧)، و «كنز العمال» (رقم ١٢٢٦)، و «تخريج العراقي لأحاديث إحياء علوم الدين» (١ / ١٢٢ و٣ / ١٢)، و «إتحاف السادة المتقين» (٢ / ٢٦٩ و٧ / ٢٣٠)، و «تفسير ابن كثير» (١ / ٨٥ و٦ / ٦٥ ـ ط الشعب).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم ٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم ٥٨).

*** قد تجتمع جريان الخوارق على يد رجل واحد وتكون في بعض الأحايين من باب كرامات الأولياء وتارة من أحوال الشياطين:**

فقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أن القلب يكون فيه شعبة نفاق وشعبة إيمان، فإذا كان فيه شعبة نفاق كان فيه شعبة من ولايته وشعبة من عداوته، ولهٰذا يكون بعض هٰؤلاء يجري على يديه خوارق من جهة إيمانه بالله وتقواه تكون من كرامات الأولياء، وخوارق من جهة نفاقه وعداوته تكون من أحوال الشياطين، ولهٰذا أمرنا الله تعالى أن نقول في كل صلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

و «المغضوبُ عليهم»: هم الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه، و «الضَّالُّون»: الذين يعبدون الله بغير علم، فمن اتبع هواه وذوقه ووجده مع علمه أنه مخالف للكتاب والسنة؛ فهو من ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وإن كان لا يعلم ذٰلك؛ فهو من ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم»(١).

*** من أسباب الضلال وقوع الخوارق عند القبور:**

«ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثاناً هو أول الشرك.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٥١ ـ ٤٥٣).

ولهٰذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهٰذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان؛ فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدَّعي أحدُهم أنه النبيُّ فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذباً في ذٰلك.

وفي هٰذا الباب من الوقائع ما يضيق هٰذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جداً، والجاهل يظن أن ذٰلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما.

*** إقامة البراهين على أن هٰذه الخوارق من الشياطين:**

والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان، ويتبين ذٰلك بأمور:

أحدها: أن يقرأ آية الكرسي بصدق، فإذا قرأها تغيب ذٰلك الشخص أو ساخ في الأرض أو احتجب، ولو كان رجلاً صالحاً أو ملكاً أو جنياً مؤمناً لم تضره آية الكرسي، وإنما تضر الشياطين، كما ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة لما قال له الجني: «اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «صدقك، وهو كذوب»»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً. . .، رقم ٢٣١١، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم =

ومنها: أن يستعيذ بالله من الشياطين.

ومنها: أن يستعيذ بالمعوذة الشرعية.

ومنها: أن يدعو الرائي لذٰلك ربَّه تبارك وتعالى ليبيِّن له الحال.

ومنها: أن يقول لذٰلك الشخص: أأنت فلان؟ ويقسم عليه بالأقسام المعظمة، ويقرأ عليه قوارع القرآن.

إلى غير ذٰلك من الأسباب التي تضر الشياطين.

*** قصة الشيخ عبدالقادر الجيلاني مع الشيطان:**

كالشيخ عبدالقادر الجيلاني في حكايته المشهورة حيث قال: كنت مرة في العبادة، فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور، فقال لي: يا عبدالقادر! أنا ربك، وقد حللتُ لك ما حرمتُ على غيرك. قال: فقلت له: أنت الله الذي لا إلٰه إلا هو؟ اخسأ يا عدو الله. قال: فتمزق ذٰلك النور وصار ظلمة، وقال: يا عبدالقادر! نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك، لقد فتنت بهٰذه القصة سبعين رجلاً، فقيل له: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي: حللت لك ما حرمت على غيرك، وقد علمت أن شريعة محمد ﷺ لا تنسخ ولا تبدل، ولأنه قال أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا الله لا إلٰه إلا أنا...»[(١)].

= ٣٢٧٥، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل البقرة، رقم ٥٠١٠)، وسيأتي مفصَّلاً (ص ٤٥٨).

(١) «قاعدة جليلة» (ص ٣٨ ـ ٤٣) باختصار، وكذا «مجموع الفتاوى» (١ / ١٦٩ ـ فما بعد).

وقال رحمه الله في موضع آخر بتحريم دعاء غير الله تعالى؛ كالملائكة، والأموات من الأنبياء والصالحين «لوجهين:

أحدهما: أن ما أمر الله به من ذٰلك هم يفعلونه وإن لم يطلب منهم، وما لم يؤمروا به لا يفعلونه ولو طلب منهم؛ فلا فائدة في الطلب منهم.

الثاني: أن دعاءهم وطلب الشفاعة منهم في هٰذه الحال يفضي إلى الشرك بهم؛ ففيه هٰذه المفسدة، فلو قُدِّرَ أن فيه مصلحة لكانت هٰذه المفسدة راجحة؛ فكيف ولا مصلحة فيه؟! بخلاف الطلب منهم في حياتهم وحضورهم؛ فإنه لا مفسدة فيهم، فإنهم ينهون عن الشرك بهم»[1].

* * *

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٥١).

الفصل الخامس

الصرع: ثبوته وأسبابه وعلاجه

* أقسام الصرع.
* الأدلة على ثبوت الصرع.
* علاج شيخ الإسلام لكثير من حالات الصرع بالضرب.
* أسباب الصرع.
* تناكح الإنس مع الجن.
* علامات الصرع.
* علاج الصرع.
* كيفية العلاج الشرعي.
* إقامة الحجة على الجني الصارع.
* ضرب المصروع.
* العلاج الممنوع وأحوال فاعليه.
* السحرة يكتبون كلام الله بالنجاسة.
* دليل تحريم وسائل العلاج غير المشروعة.
* حرمة التداوي بالكفر والشرك.
* حكم الذهاب إلى السحرة والكهان.
* التحصن من الجن.

الفصل الخامس

الصرع: ثبوته وأسبابه وعلاجه

*** أقسام الصرع:**

يحسن بنا أن ننقل هنا كلاماً للإمام ابن القيم رحمه الله في تقسيمه الصرع قسمين؛ فقال: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء؛ في سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح؛ فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتُبطلها، وقد نص على ذٰلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هٰذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح؛ فلا ينفع فيه هٰذا العلاج.

*** جهلة الأطباء وسفلتهم ينكرون الصرع:**

وأما جهلة الأطباء وسَقَطُهم وسِفْلَتُهم ومن يعتقد بالزندقة

فضيلة؛ فأولٰئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا؛ فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذٰلك، والحس والوجود شاهد به، وإحالتهم ذٰلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها.

وقدماء الأطباء كانوا يسمون هٰذا الصرع: المرض الإلٰهي، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما جالينوس وغيره؛ فتأولوا عليهم هٰذه التسمية، وقالوا: إنما سموه بالمرض الإلٰهي لكون هٰذه العلة تحدث في الرأس، فتضر بالجزء الإلٰهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ.

وهٰذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهٰذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده، ومن له عقل ومعرفة بهٰذه الأوراح وتأثيراتها يضحك من جهل هٰؤلاء وضعف عقولهم»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما الصرع ـ وهو الخنق الذي يعرض وقتاً ثم يزول ـ؛ فينبغي أن يلحق بالإغماء والغشي؛ لأنه يزيل الإحساس من السمع والبصر والشم والذوق، فيُغطَّى، فيزول العقل تبعاً لذٰلك، بخلاف الجنون؛ فإنه يزيل العقل خاصة، فيلحقه بالبهائم»(٢).

*** الأدلة على ثبوت الصرع:**

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وجود الجن ثابت بكتاب الله

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ٦٦ ـ ٦٧ ـ ط الرسالة).

(٢) «شرح العمدة» (كتاب الصيام، ١ / ٤٦).

وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذٰلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1] [البقرة: ٢٧٥]، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[2].

[ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين، ولهٰذا قال: «فضيقوا مجاريه بالجوع»[3]،

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» (٣ / ٣٥٥): «في هٰذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجنّ، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان، ولا يكون منه مسٌّ».
قلت: وتبعه على ذٰلك الشوكاني في «فتح القدير» (١ / ٢٩٥)، وزاد: «وقد استعاذ النبي ﷺ من أن يتخبطه الشيطان» وبمثل كلامهما؛ قال الشيخ القنوجي في «فتح البيان» (٢ / ١٣٨).
لطيفة وفائدة:
قال شيخ الإسلام في «بيان الدليل» (ص ٢٥٤ - ٢٥٥): «فلينظر هل أصابهم هٰذا التخبط الذي هو كمسّ الشيطان؛ لمجرد أكلهم السحت، أم لقولهم الإثم مع ذٰلك، وهو قولهم: إنما البيع مثل الربا».

(٢) مضى تخريجه.

(٣) قال شيخنا الألباني في تعليقه على «حقيقة الصيام» (ص ٥٦) عن هٰذه الزيادة: «لا أعلم لها أصلاً في شيء من كتب السنة المطبوعة أو المخطوطة، وإنما ذكرها في الحديث الغزالي في موضعين من كتابه «الإحياء» (١ / ٢٠٨ و٣ / ٧٠)، وأشار مخرِّجه العراقي إلى أنه لا أصل لها، ومن العجائب أن يخفى ذٰلك على مثل المؤلِّف ـ أي: ابن تيمية ـ، لٰكن قد أورد الحديث في أكثر من =

وبعضهم يذكر هٰذا اللفظ مرفوعاً[1]، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان؛ فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[2]؛ فإن مجاري الشياطين الذي هو الدم ضاقت، وإذا ضاقت انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار][3].

= موضع فيما يأتي بدون هٰذه الزيادة؛ فلعلها أدرجت هنا من قبل بعض النسَّاخ الجهَّال». ونحوه في تعليقه على «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٧٩).

قلت: وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣ / ٣٠) عن عائشة مرفوعاً: «احرموا أنفسكم طيب الطعام؛ فإنما يقوى الشيطان أن يجري في العروق بها».

وفي سنده بزيع أبو الخليل، قال ابن الجوزي: «هو متهم به»، ووافقه السيوطي على ذٰلك في «اللآلىء» (٢ / ٣٢٠)، ثم ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢ / ٣٢٠).

ورواه أبو الحسن القزويني في «الأمالي» (مجموع ٢٢ / ٧ / أ)، وابن الزيات في «حديثه» (١ / ٢)، وهو موضوع. قاله شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤ / ٣٥٧ / رقم ١٨٧٩).

(١) هٰذه العبارة إيماء من شيخ الإسلام بأن الحديث لم يصح عنده مرفوعاً؛ فتأمل.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان. . .، رقم ١٨٩٩، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٧٧)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم ١٠٧٩).

(٣) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (٢٥ / ٢٤٦).

وفي كلامه هٰذا ما يدلل دلالة واضحة على أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يحمل الحديث على ظاهره وهو الأصل، ومعنى الحديث: إن الشيطان فعلاً وحقاً يجري في عروق ابن آدم كما يجري الدم.

= وأفصح عن ذٰلك بقوله في «التفسير الكبير» (٧ / ٢٧٧) بعد كلام: «. . . كما حرم الدم المسفوح؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية، وزيادته توجب طغيان هٰذه القوى، وهو مجرى الشيطان من البدن، كما قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». . .».

وقال في «النبوات» (٣٩٩ ـ ٤٠٠): «وقد يخبرون [أي: الجن الصارعين] بأمور غائبة مما رأوه وسمعوه، ويدخلون في جوف الإنسان، قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»».

وانظر غير مأمور: «حقيقة الصيام» (ص ٥٦، ٦٢).

ويؤكد هٰذا التوجيه أن تلميذه ابن القيم يذهب إلى هٰذا القول؛ فقد قال في «إعلام الموقعين» (٢ / ١٧٣ ـ ط طه سعد، ٢ / ١٥٤ ـ ط محمد محيي الدين) في معرض حديثه عن علة تحريم ذبيحة الكافر غير الكتابي؛ قال: «لا ريب أن ذكر اسم الله على الذبيحة يطيبها ويطرد الشيطان عن الذابح والمذبوح، فإذا أخل بذكر اسمه لابس الشيطان الذابح والمذبوح، فأثر ذٰلك خبثاً في الحيوان، والشيطان يجري في مجاري الدم من الحيوان، والدم من مركبه وحامله، وهو من أخبث الخبائث، فإذا ذكر الذابح اسم الله؛ خرج الشيطان مع الدم، فطابت الذبيحة، فإذا لم يذكر اسم الله لم يخرج الخبيث، وأما إذا ذكر اسم عدوه من الشياطين والأوثان؛ فإن ذٰلك يكسب الذبيحة خبثاً آخر.

وقال بعد كلام: «وهٰذه أمور إنما يصدق بها من أشرق فيه نور الشريعة وضياؤها، وباشر قلبه بشاشة حكمها، وما اشتملت عليه من المصالح في القلوب والأبدان، وتلقاها صافية من مشكاة النبوة، وأحكم العقد بينها وبين الأسماء والصفات التي لم يطمس نور حقائقها ظلمة التأويل والتحريف» اهـ.

قلت: وإلى الجريان الحسي ذهب ابن حجر الهيتمي أيضاً؛ حيث قال في «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٢): «وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي أنه ﷺ قال: «إن الشيطان واضع ـ خطمه ـ خرطومه على قلب ابن آدم؛ فإن ذكر =

وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل: «قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع. فقال: يا بني! يكذبون، هٰذا يتكلم على لسانه»[1]. وهٰذا الذي قاله أمر مشهور. . .

= الله خنس، وإن نسي التقم قلبه»؛ أي: نشب فيه وسوسته، ويحدّثه بالأفكار الرديئة؛ لأنه يجري منه مجرى الدّم كما في الحديث الصحيح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**يوسوس في صدور الناس**﴾، وبه يرد على من أنكر سلوكه في بدن الإنسان؛ كالمعتزلة».

قلت: الحديث الذي ذكره ابن حجر الهيتمي «إن الشيطان واضع» ضعيف، رواه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (١ / ٣٢٦ ـ هندية)، وأبو يعلى في «المسند» (١ / ٢٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦ / ٢٦٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١٠٤٤)، وابن شاهين في «الترغيب» (٢ / ٢٨٤)؛ من طريق عدي بن أبي عمارة.

وهو ضعيف، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧ / ١٤٩) وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة، وهو ضعيف».

وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٩ / ٣٠٧) وقال: «غريب»، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٢٣٠) وأشار إلى ضعفه.

وضعفه شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٥٤٧ / رقم ١٣٦٧).

(١) وانظر: «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ١٠٢)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٢ و١١ / ٦١٠ ـ ٦١١)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢١٦)، و «الجواب الصحيح» (٤ / ٤٥٥)، و «النبوات» (ص ٢٥٠ ـ ٢٥١)، و «الفتاوى العراقية» (ص ٨٢ ـ ٨٣).

وقد نقل هٰذه القصة كثير من العلماء وأقروها، منهم: ابن القيم في «زاد المعاد» (٣ / ٨٤)، وابن مفلح في «مصايب الإنسان» (ص ١٤٤) و «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» (٢ / ٢٦٦)، والعليمي في «المنهج الأحمد» (١ / ٤٣١)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١ / ٢٣٣)، والشبلي في =

* ليس في الأدلة الشرعية ما ينفي دخول الجني بدن المصروع:

وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذٰلك وادعى أن الشرع يكذب ذٰلك؛ فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذٰلك»[1] [2].

= «أكام المرجان» (ص ١٣٤ ـ ١٣٥)، والسيوطي في «لقط المرجان» (ص ٩٣)، وغيرهم.

بل قد ذكر ابن أبي يعلى في «الطبقات» (١ / ١٨٥)، والعليمي في «المنهج» (١ / ٢٩٧): أن عبدالله بن الإمام أحمد رحمهما الله سأل أباه عن كيفية التوفيق بين حديث تسلسل الشياطين في رمضان ورؤية المجنون يصرع في رمضان؟! فأجابه بقوله: «هٰكذا الحديث، ولا نتكلم في هٰذا»، فواضح عنده أنه يثبت صرع الجن؛ فتأمل.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٢) قلت: بل فيها ما يؤيده كما رأيت وسترى، ومن ذٰلك ما أخرجه الشيخان البخاري في «صحيحه» (كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح ، رقم ٥٦٥٢) ـ واللفظ له ـ، ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم ٢٥٧٦)؛ عن عطاء بن أبي رباح؛ قال: قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هٰذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أُصْرَعُ، وإني أتكشف؛ فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف؛ فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ١١٥ ـ ط السلفية) بعد أن ذكر طرقاً للحديث؛ قال: «وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأمّ زفر ـ هي المرأة التي جاءت إلى النبي ـ كان من صَرْعِ الجن لا من صرع الخلط...».

= ثم قال: «وفي الحديث أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذٰلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية».

قلت: وفي الحديث ردّ على من زعم أن القرآن والدعاء لا يشفيان الأمراض العضوية، وذهب يتحدى ـ زعم ـ من يبرىء السرطان بالقرآن ولم يعلم أن السهم إن لم يصب فليس العيب فيه، لٰكن في الرامي!!

والحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧ / ١٦٩ / رقم ٢٩٠٩ ـ «الإحسان»)، والإمام أحمد في «المسند» (٢ / ٤٤١)، والبزار في «المسند» (٧٧٢ ـ «زوائده»)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٢١٨) ـ وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢ / ٣٠٧) وقال: «رواه البزار، وإسناده حسن ـ؛ كلهم عن أبي هريرة؛ قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وبها لمم، فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يشفيني. قال: «إن شئت دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فصبرت ولا حساب عليك». فقالت: بل أصبر ولا حساب عليّ».

وأيضاً ما أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٤٦ ـ بتحقيقي): حدثنا عباس بن محمد الدوري، نا يحيى بن معين، نا بقية بن الوليد، عن يحيى بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمي، عن عتبة بن عبد: «أنه حدثهم أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: كيف أول شأنك يا نبي الله؟ فقال: «كانت حاضنتي من بني بكر بن سعد، فانطلقت أنا وابن لها في بَهْم لنا ولم نأخذ معنا زاداً، فقلت لأخي: يا أخي! اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا. فذهب أخي ومكثت عند البَهْم، فأقبل إليَّ طيران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال الآخر: نعم. قال: فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني للقفا، فشقَّا بطني، فاستخرجا قلبي، فشقاه، فأخرجا منه علقتين =

= سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماءِ ثلجٍ. فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء بَرَدٍ. فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بالسَّكينة. فذرَّها في قلبي، ثم أظنه قال أحدهما لصاحبه: حُصَّه. فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفَّةٍ واجعل ألفاً من أمته في كفة. فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يَخرَّ عليَّ بعضهم، فقال أحدهما لصاحبه: لو أنَّ أمته وزنت به؛ لَمَالَ بهم. ثم انطلقا وتركاني ومزقت مزقاً شديداً، ثم انطلقت إلى أمي، **فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد التبس بي**، فقالت: **أعيذك بالله**. فرحَّلت بعيراً لها، فحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت: قد أديت أمانتي وذمَّتي، وحدثتها بالحديث الذي لقيتُ؛ فلم يرعها ذٰلك وقالت: إني رأيت خرج مني نور أضاء له قصور الشام».

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١ / ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ط دار الفكر) من طريق الدينوري، به، وقال: «كذا قال، والصواب: بحير بن سعد، وسعد بن بكر».

وهو عند عباس الدوري في «تاريخ ابن معين» (٢ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠) ـ وعنده بين ابن معين وبقية علي بن معبد ـ.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٨٤ ـ ١٨٥)، والدارمي في «السنن» (١ / ١٦ / رقم ١٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ١٣١ / رقم ٣٢٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣ / ٥٦ ـ ٥٧، ٥٧ / ١٣٦٩، ١٣٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٦١٦ ـ ٦١٧)، وأبو يعلى في «المسند» ـ رواية ابن المقرىء ـ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣ / ٤٦٤ ـ ٤٦٦ ـ ط دار الفكر)، والبيهقي في «الدلائل» (٢ / ٧ ـ ٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» ـ كما في «البداية والنهاية» (٢ / ٢٩٩) ـ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١ / ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ط دار الفكر)؛ من طرق عن بقية، به.

قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي=

«وأنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما[1]

= في «التلخيص».

وفيه نظر؛ فإن بقية إنما له في مسلم فرد حديث متابعة؛ كما قال الخزرجي، وهٰذا إسناد حسن؛ فقد صرَّح بقية بالتحديث. قاله شيخنا في «الصحيحة» (١ / ق ٢ / ٧١٦ / رقم ٣٧٣)!!

قلت: وسقط عنده ذكر عبدالرحمٰن بن عمرو بن عتبة السلمي!! وقال: «ولهٰذا الحديث شواهد كثيرة؛ فانظر: «أنا دعوة أبي إبراهيم» (رقم ١٥٤٥)».

وقال الهيثمي في «المجمع» (٨ / ٢٢٢): «رواه أحمد والطبراني، ولم يسق المتن، وإسناد أحمد حسن».

وعزاه الدَّميري في «حياة الحيوان الكبرى» (٢ / ٢٧٤) لأوائل «المجالسة» للدينوري، وقال: «ذكر السهيلي عن رواية ابن إسحاق أن النبي ﷺ لما كان في بني سعد نزل عليه. . . حتى قال: وهي رواية غريبة، ذكرها يونس عنه».

وانظر سائر شواهده مع تخريجها في: «دلائل النبوة» (١ / ٢٣٩ ـ ٢٤٥) للتَّيمي والتعليق عليه بقلم محققه الفاضل مساعد الراشد، وقد جوّده غايةً.

(١) قلت: وممن أنكر ذٰلك الزمخشري؛ فقد قال في «الكشاف» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]: «وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ما كانوا يعتقدون، والمس: الجنون، ورجل ممسوس، وهٰذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجني يمسه فيختلط عقله، وكذٰلك جن الرجل معناه ضربته الجن، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذٰلك عندهم كإنكار المشاهدات».

قلت: وتعقبه الشيخ أحمد ابن المنيّر في «الانتصاف»؛ فقال: «قوله: «وتخبط الشيطان من زعمات العرب»؛ أي: كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها، كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذٰلك، وهٰذا القول على الحقيقة من تخبط =

دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن؛ إذ لم يكن ظهور هٰذا من المنقول عن الرسول [ﷺ] كظهور هٰذا، وإن كانوا مخطئين في ذٰلك(١)، ولهٰذا ذكر الأشعري في «مقالات أهل السنة والجماعة» أنهم يقولون: إن الجني يدخل في بدن المصروع؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ

= الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع؛ فقد ورد: «ما من مولود يولد إلاَّ يمسه الشيطان، فيستهل صارخاً»، وفي بعض الطرق: «إلاَّ طعن الشيطان في خاصرته»، ومن ذٰلك يستهل صارخاً إلا مريم وابنها؛ لقول أمها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «التقطوا صبيانكم أول العشاء؛ فإنه وقت انتشار الشياطين»».
ثم قال بعد كلام: «واعتقاد السلف وأهل السنة أن هٰذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشرع عنها، وإنما القدرية خصماء العلانية؛ فلا جرم أنهم ينكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم من ذٰلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن، وإن اعترفوا بشيء من ذٰلك؛ فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبىء عنه بظاهر الشرع في خبط طويل لهم؛ فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون».
انظر: «الكشاف»، وعلى حاشيته «الانتصاف» (١ / ١٦٤ ـ ١٦٥).
قلت: ونقل الشيخ المراغي كلام الزمخشري السابق بدون عزو في «تفسيره» (٣ / ٦٣ ـ ٦٤)، وزاد فقال: «وجاءت الآية وفق ما يعتقدون [أي: العرب] ولا تفيد صحة هٰذا ولا نفيه»، وتعقبه الدكتور فهد بن عبدالرحمٰن الرومي في كتابه «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» (٢ / ٦٤٣ ـ ٦٤٥)؛ فانظره غير مأمور.

(١) نقل كلام شيخ الإسلام هٰذا الشيخ عبدالعزيز بن باز في «مجموع فتاواه» (٣ / ٣٠٣ ـ ٣٠٥) وارتضاه.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]»[١].

* دفع الشياطين عن بني آدم من أعمال الأنبياء والصالحين:

وما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله به ورسوله؛ كما كان المسيح يفعل ذٰلك[٢]، وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذٰلك؛ فقد روى أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» من حديث مطر بن عبدالرحمٰن الأعنق؛ قال: «حدثتني أم أبان بنت الوازع ابن زارع بن عامر العبدي عن أبيها: أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ، فانطلق معه بابن له مجنون ـ أو ابن أخت له ـ، قال جدي:

---

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٠٢)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٢).

وقال الأشعري في «المقالات» (ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥): «واختلف الناس في الجن: هل يدخلون في الناس؟ على مقالتين:

فقال قائلون: محال أن يدخل الجن في الناس.

وقال قائلون: يجوز أن يدخل الجن في الناس؛ لأن أجسام الجن أجسام رقيقة؛ فليس بمستنكر أن يدخلوا في جوف الإنسان من خروقه كما يدخل الماء والطعام في بطن الإنسان، وهو أكثف من أجسام الجن، وقد يكون الجنين في بطن أمه وهو أكثف جسماً من الشيطان، وليس بمستنكر أن يدخل الشيطان إلى جوف الإنسان».

وقال رحمه الله في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٣٢): «ونقر... أن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه، خلافاً للمعتزلة والجهمية؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]» اهـ.

(٢) انظر: (ص ٤٤٠ - ٤٤٤) من هٰذا الكتاب.

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قلت: إن معي ابناً لي ـ أو ابن أخت لي ـ مجنون، أتيتك به تدعو الله له. قال: «ائتني به». قال: فانطلقت به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أدنه مني، اجعل ظهره مما يليني». قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله؛ فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول: «أخرج عدو الله، أخرج عدو الله». فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ـ كما في «أطرافه» لابن حجر (٥ / ٤٤٥)، وسقط من مطبوعه ـ حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، والطبراني في «الكبير» (٥ / ٢٧٥ / رقم ٥٣١٤) عن موسى بن إسماعيل؛ كلاهما قال: ثنا مطر بن عبدالرحمٰن، سمعت هند بنت الوازع به مطولاً.

ووضعه ابن حجر في (مسند الوازع) وقال: «وقيل: الزارع بن عامر العبدي أبو الوازع حديثه في خامس عشر الأنصار»، وقال: «قال ابن عساكر [في «ترتيب أسماء الصحابة» (ص ١٠٦)]: «الصواب الزارع؛ بالزاي».

قلت: أخرج قدوم الوازع أو الزارع مع وفد الأشجّ العَصَريّ إلى النبي ﷺ دون ذكر هٰذه القصة: البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ٤٤٧) و «الأدب المفرد» (رقم ٩٧٥) وفي «خلق أفعال العباد» (رقم ٢٠٣)، والطيالسي في «مسنده» ـ ومن طريقه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣ / ٣٠٤ / رقم ١٦٨٤)، والبزار في «المسند» (٣ / ٢٧٨ / رقم ٢٧٤٦ ـ «زوائده»)، وتعليقاً ابن المقرىء في «الرخصة في تقبيل اليد» (رقم ٢٠) ـ، وأبو داود في «السنن» (رقم=

وقال أحمد في «المسند»: ثنا عبدالله بن نمير، عن عثمان بن حكيم، أنا عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز، عن يعلى بن مرة؛ قال: «لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر، حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله! هٰذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة. قال: «ناولينيه». فرفعته إليه؛ فجعله بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر «فاه» فنفث فيه ثلاثاً، وقال: «بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله»، ثم ناولها إياه، فقال: «القينا في الرجعة في هٰذا المكان فأخبرينا ما فعل». قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذٰلك المكان معها شياه ثلاث، فقال: «ما فعل صبيك؟». فقالت: والذي بعثك بالحق؛ ما حسسنا منه شيئاً حتى

= ٥٥٢٥) ـ ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧ / ١٠٢) ـ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥ / ٢٧٥ / رقم ٥٣١٣)؛ عن مطر بن عبدالرحمٰن، به.

وإسناده ضعيف.

وذكر أبو الفتح الأزدي أن ابنة ابنه أم أبان هند تفردت بالرواية عنه. انظر: «الإصابة» (٢ / ٥٤٦).

وترجمه ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٥٦٣) والمزي في «تحفة الأشراف» (٣ / ١٧٥) ـ ولم يعزه إلا لأبي داود ـ الزارع بن عامر، قال ابن عبدالبر: «يقال: اسم أبيه زارع، والوازع ـ بالواو ـ اسم ولده».

قلت: الرواة كلهم عن مطر سموه (الزارع) إلا أبا سعيد؛ فسماه (الوازع)!

والحديث حسنه ابن عبدالبر، وأقره المنذري في «مختصر السنن» (٨ / ٨٦)، وجوَّده ابن حجر في «الفتح» (١١ / ٥٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩ / ٣٩٠): «رجاله ثقات، وأم أبان روى لها أبو داود وسكت على حديثها».

الساعة. فاجترر هٰذه الغنم. قال: «انزل خذ منها واحدة ورد البقية. . .»، وذكر الحديث بتمامه[1].

ثنا وكيع؛ قال: ثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن يعلى ابن مرة، عن أبيه؛ قال وكيع: مرة يعني الثقفي، ولم يقل: مرة عن أبيه: «أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لمم، فقال النبي ﷺ: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله». قال: فبرأ. قال: فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر»»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٧٠): ثنا عبدالله بن نمير، به.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١ / ٤٨٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠)؛ من طريق عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز، به.
وجوَّد المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣ / ١٥٨) إسناده، وتعقبه شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٤٨٥)؛ فقال: «كذا قال، وعبدالرحمٰن هٰذا أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» [٥ / ٢٦٠]، ولم يحكِ فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الحسيني: «ليس بالمشهور»، وبقيَّة رجاله ثقات رجال مسلم».
ثم جوَّد الحديث بالمتابعات الآتية.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٧١ ـ ١٧٢) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨) ـ: ثنا وكيع، به.
وأخرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» (١ / ٢٢١) عن موسى بن معاوية، حدثنا وكيع، به.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥ / رقم ٦٧٩) عن يحيى بن عيسى، عن الأعمش، به، وعنده: «عن أبيه».

ثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن عطاء بن السائب، عن عبدالله ابن حفص، عن يعلى بن مرة الثقفي؛ قال: «ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ. . .»، وذكر الحديث، وفيه قال: «ثم سرنا فمررنا بماء، فأتته امرأة بابن لها به جِنَّةٌ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال: «اخرج إني محمد رسول الله». قال: ثم سرنا، فلما رجعنا من

= ويحيى بن عيسى صدوق يخطىء.

وفيه شيخ الطبراني المقدام بن داود، ضعيف.

وأخرجه برقم (٦٨٠) عن محاضر بن المورع دون «عن أبيه»، ومحاضر بن المورع صدوق له أوهام.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٧٣): ثنا أسود بن عامر، ثنا أبو بكر بن عياش، عن حبيب بن أبي عمرة، عن المنهال بن عمرو، عن يعلى، به.

قال شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٤٨٥): «قلت: وهٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال البخاري؛ غير أسود بن عامر، فمن أفراد مسلم، وفي أبي بكر بن عياش كلام لا يضرّ، ثم استدركتُ فقلت: إنه منقطع، كما يأتي.

وقد أخرجه الحاكم (٢ / ٦١٧ ـ ٦١٨) من طريق يونس بن بكير، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن يعلى بن مرة، عن أبيه. . . وساقه».

قال: «وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

قلت: وقوله في السند: «عن أبيه» وهم؛ كما صرَّح الحافظ في «التهذيب»، لٰكنه قال في الرواة عن يعلى: «منهم من أرسل عنه؛ كعطاء بن السائب، والمنهال بن عمرو»، وذكر نحوه في ترجمة (المنهال) أنه أرسل عن يعلى بن مرة، وعلى هٰذا؛ فالإسناد منقطع».

ثم أورد الطريق الآتية عند المصنف، وقال: «وبالجملة؛ فالحديث بهٰذه المتابعات جيد، والله أعلم».

سفرنا مررنا بذلك الماء، فأتته المرأة بجزر ولبن، فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن، فسألها عن الصبي؛ فقالت: والذي بعثك بالحق؛ ما رأينا منه ريباً بعدك»[1]

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٧٣): ثنا عبدالرزاق، به.

وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (رقم ٤٠٥ ـ «المنتخب»): أخبرنا عبدالرزاق، به.

وإسناده ضعيف.

عطاء مختلط، ورواية معمر عنه بعد اختلاطه. انظر: «الكواكب النيرات» (ص ٣٢٥).

وعبدالله بن حفص مجهول، لم يرو عنه غير عطاء بن السائب؛ كما في «التقريب» (رقم ٣٢٧٩).

ولكن الحديث جيد بمجموع طرقه؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٤٨٥).

وقد فاته طريق أخرى للحديث فيها ضعف عند التيمي في «دلائل النبوة» (رقم ٢٤٠)، وطريق آخر عند الطبراني في «الأحاديث الطوال» (رقم ٥٤) و «المعجم الكبير» (٢٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٢ / رقم ٦٧٢)، وابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير»، ونقل إسنادها الزركشي في «المعتبر» (١١٩)، وتعقبه ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١ / ٢٤٩) في ذكره لقصة الظبية وكلامها مع رسول الله ﷺ، وبيَّنتُ ضعفها في تعليقي على «فوائد حديثية» (ص ٦٢ ـ ٦٣) لابن القيم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٦ / ٢٩٥) بعد أن أورد حديث يعلى بن مرة هٰذا من «مسند أحمد»: «وروى هٰذه القصة أبو يعلى الموصلي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه».

ثم قال بعد أن أشار إلى لفظ الحاكم: «ورواه الدارمي أيضاً».

قلت: رواه من حديث ابن عباس الآتي قريباً في كلام ابن تيمية، ومن حديث جابر بن عبدالله، وسأورد لفظه وتخريجه قريباً، وكذا سائر ما ورد في هٰذا =

= الباب، والله الموفّق للصَّواب.

والخلاصة إن حديث يعلى بن مرَّة حسن على أقلِّ أحواله لمجموع طرقه وشواهده، ولذا قال الإمام ابن عبدالبر في «التمهيد» (١ / ٢٢١): «والأحاديث في أعلام نبوَّته أكثر من أن تحصى، وقد جمع قومٌ كثيراً كثيراً منها، والحمد لله، ومن أحسنها وكلها حسن...»، وساق حديث يعلى هٰذا.

ونقل الزركشي في «المعتبر» (ص ١٢٠) عنه قوله: «حديث يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه من أحسن ما جاء في أعلام نبوَّته ﷺ».

قال: «وروي عن يعلى من وجوه».

وقال ابن كثير في «الشمائل» (ص ٢٦٧) و «البداية والنهاية» (٦ / ١٤٠): «فهٰذه طرق جيِّدة متعدِّدة، تفيد غلبة الظّن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهٰذه القصَّة في الجملة».

وقال الهيثمي في «المجمع» (٩ / ٥ ـ ٦): «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح».

قلت: وشواهد القصة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن ما أورده شيخ الإسلام (قصة المرأة والصبي المصروع) صحيحة، وهٰذه ألفاظ وطرق بعض هٰذه الشواهد:

أخرج الدارمي في «سننه» (١ / ١٠ ـ ١١)؛ قال: «أخبرنا عبيدالله بن موسى، عن إسماعيل بن عبدالملك، عن أبي الزبير، عن جابر؛ قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر وكان لا يأتي البراز حتى يتغيب فلا يرى، فنزلنا بفلاة من الأرض ليس فيها شجر ولا علم، فقال: «يا جابر! اجعل في إداوتك ماء». ثم انطلق بنا؛ قال: فانطلقنا حتى لا نرى؛ فإذا هو بشجرتين بينهما أربع أذرع، فقال: «يا جابر! انطلق إلى هٰذه الشجرة فقل: يقل لك [أي: رسول الله ﷺ] إلحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما». فرجعت إليها، فجلس رسول الله ﷺ خلفهما ثم رجعتا إلى مكانهما، فركبنا مع رسول الله ﷺ ورسول الله بيننا =

= كأنما علينا الطير تظللنا، فعرضت له امرأة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله! إن ابني هٰذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرار. قال: فتناول الصبي، فجعله بينه وبين مقدم الرحل، ثم قال: «اخسأ عدو الله، أنا رسول الله ﷺ، اخسأ عدو الله، أنا رسول الله ﷺ (ثلاثاً)». ثم دفعه إليها، فلما قضينا سفرنا مررنا بذٰلك المكان فعرضت لنا المرأة معها صبيها ومعها كبشان تسوقهما، فقالت: يا رسول الله! اقبل مني هديتي؛ فوالذي بعثك بالحق؛ ما عاد إليه بعد. فقال: «خذوا منها واحداً وردوا عليها الآخر». قال: ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا كأنما علينا الطير تظللنا، فإذا جمل ناد، حتى إذا كان بين سماطين خر ساجداً، فجلس رسول الله ﷺ وقال: «علي الناس من صاحب الجمل». فإذا فتية من الأنصار قالوا: هو لنا يا رسول الله. قال: «فما شأنه؟». قالوا: استنينا عليه منذ عشرين سنة وكانت به شحيمة، فأردنا أن ننحره فنقسمه بين غلماننا، فانفلت منا. قال: «بيعونيه». قالوا: لا، بل هو لك يا رسول الله. قال: «أما لي؛ فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله». قال المسلمون عند ذٰلك: يا رسول الله! نحن أحق بالسجود لك من البهائم. قال: «لا ينبغي لشيء أن يسجد لشيء، ولو كان ذٰلك كان النساء لأزواجهن»».

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ١٠ ـ ١١)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١ / ٢٢٣)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ قسم السيرة).

وصححه البقاعي في «نظم الدرر» (٤ / ١١٣).

قلت: فيه تدليس أبي الزبير، وهو من غير طريق الليث بن سعد عنه؛ فلا يحتج به ما لم يصرِّح بالتحديث، وهٰذا لم يقع في جميع طرقه.

فقول ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦ / ١٥٩): «إسناده جيِّد، ورجاله ثقات» ليس بجيِّد، ولا سيما أن إسماعيل بن عبدالملك ليِّن، غمزه بعضهم، ولٰكنه يكتب حديثه؛ كما قال البخاري. وانظر: «تهذيب الكمال» (٣ / ١٤١ / رقم =

= ٤٦٤).

فهٰذا الإسناد حسن في الشواهد.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» (٦ / ٢٤ ـ ٢٦): «أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن الغفاري ببغداد، حدثنا عثمان بن أحمد بن السماك، حدثنا أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا عبدالرحيم بن حماد، عن معاوية بن يحيى الصدفي، أنبأنا الزهري، عن خارجة بن زيد؛ قال: قال أسامة بن زيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الحجة التي حجها، حتى إذا كنا ببطن الروحاء نظر إلى امرأة تؤمُّه، فحبس راحلته، فلما دنت منه؛ قالت: يا رسول الله! هٰذا ابني، والذي بعثك بالحق؛ ما أفاق من يوم ولدته إلى يومه هٰذا. قال: فأخذه رسول الله ﷺ منها، فوضعه فيما بين صدره وواسطة الرحل، ثم تفل في فيه، وقال: «اخرج يا عدو الله؛ فإني رسول الله». قال: ثم ناولها إياه وقال: «خذيه؛ فلا بأس عليه». قال أسامة: فلما قضى رسول الله ﷺ حجته انصرف، حتى إذا نزل بطن الروحاء أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها، فقالت: يا رسول الله! أنا أم الصبي الذي لقيتك به في مبتدئك. قال: «وكيف هو؟». قال: فقالت: والذي بعثك بالحق؛ ما رابني منه شيء بعد. فقال لي: «يا أسيم ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاه رخَّمَهُ ـ خذ منها الشاة، ثم قال: يا أسيم! ناولني ذراعها». فناولته وكان أحب الشاة إلى رسول الله مقدمها، ثم قال: «يا أسيم! ناولني ذراعاً». فناولته، ثم قال: «يا أسيم! ناولني ذراعاً». فقلت: يا رسول الله! إنما هما ذراعان وقد ناولتك! فقال: «والذي نفسي بيده؛ لو سكت لا زلت تناولني ذراعاً ما قلت لك ناولني ذراعاً». ثم قال: «يا أسيم! انظر هل ترى من خَمَرٍ لمخرج رسول الله ﷺ؟». فقلت: يا رسول الله! قد دحس الناس الوادي؛ فما فيه موضع. فقال: «انظر هل ترى من نخل أو حجارة؟». فقلت: يا رسول الله! قد رأيت نخلات متقاربات ورجماً من حجارة. قال: «انطلق إلى النخلات فقل لهن: إن

....»[1].

«وروى الدارمي عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إن ابني به جنون، وإنه يأخذه

= رسول الله ﷺ يأمركن أن تدانين لمخرج رسول الله ﷺ، وقل للحجارة مثل ذٰلك». قال: فأتيتهن فقلت ذاك لهن؛ فوالذي بعثك بالحق نبياً؛ لقد جعلت أنظر إلى النخلات يخددن الأرض خداً حتى اجتمعن، وأنظر إلى الحجارة يتقافزن حتى صرن رجماً خلف النخلات. فأتيته فقلت ذاك له، قال: «خذ الإداوة وانطلق». فلما قضى حاجته وانصرف؛ قال: «يا أسيم! عد إلى النخلات والحجارة فقل لهن: إن رسول الله ﷺ يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن».

ثم قال البيهقي: «قد مضى شواهد هٰذا الحديث في هٰذا الباب».

قلت: وأخرجه أبو يعلى في «المسند» ـ كما في «المطالب العالية» المسندة (٤ / ١٩٥ / رقم ٣٨١٦ ـ ط دار الوطن، و٩ / ١١٨ / رقم ٤٢٠٨ ـ ط قرطبة) ـ، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣ / ٨١)؛ من طريق معاوية بن يحيى، به.

قال ابن حجر في «المطالب العالية» المسندة (٤ / ١٩٧ ـ ط دار الوطن، و٩ / ١٢٢ ـ ط قرطبة): «هٰذا إسناد حسن، معاوية بن يحيى الصَّدفي ضعيف، ولٰكن لحديثه شاهد من طريق يعلى بن مرَّة، أخرجه أحمد وغيره».

وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة» (٩ / ١١٣ / رقم ٧٢٤٥): «رواه أبو يعلى بإسنادٍ حسن».

قلت: مرادهما حسن لغيره؛ لشواهده، وفي الباب عن عثمان بن أبي العاص.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦ ـ ٥٩)، و«إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤١ ـ ١٤٣). وانظر: «الجواب الصحيح» (٥ / ٢٦٠، ٦ / ١٩٣ ـ ١٩٥).

عند غدائنا وعشائنا، فيخبث علينا. فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثغ ثغة خرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي»[1][2].

*** ومن الأدلة العقلية على دخول الجن في بدن الإنسان:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بل الجن تدخل في بني آدم والناس لا يرونهم، وإنما يرون جسد المصروع، وكل إنسان معه قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، وهو نفسه لا يرى ذٰلك، ولا يراه من حوله»[3].

*** إذا ضرب المصروع فإن الضرب يقع على الجني:**

فإن «الجني إذا دخل في الإنسي وصرعه وتكلم على لسانه؛ فإن الإنسي يتغير حتى يبقى الصوت والكلام الذي يسمع منه، ليس هو

---

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (١ / ١١ ـ ١٢)، وأحمد في «المسند» (١ / ٢٥٤، ٢٦٨) من طريق فرقد السَّبَخِيّ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به.

وإسناده ضعيف، فيه فرقد السبخي.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦ / ١٥٩) عن فرقد عقب الحديث: «رجل صالح، لٰكنه سيىء الحفظ، وقد روى عنه شعبةُ وغيرُ واحد، واحْتُمِل حديثُه، ولما رواه ها هنا شاهدٌ مما تقدَّم».

قلت: أي في حديث يعلى، ولعله لذٰلك حسنه الحافظ البقاعي في تفسيره «نظم الدُّرر» (٤ / ١١٢).

(٢) «الجواب الصحيح» (٦ / ١٩٥).

(٣) «الجواب الصحيح» (٤ / ٢٨٨). وانظر ما نقلناه آنفاً عن أبي الحسن الأشعري من «مقالات أهل السنة والجماعة».

صوته وكلامه المعروف، وإذا ضرب بدن الإنسي؛ فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذٰلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذٰلك ما يطول وصفه»[1].

وقد مرَّ بنا قصة ذاك الرجل الذي صرعه الجنُّ المؤمنُ السُّنِّيُّ؛ لأنه كان يقول: إن القرآن مخلوق[2]!

* **اختلاف صوت المصروع بعد الصرع:**

قال رحمه الله: «كما يختلف الإنسان وحاله عند الكلام إذا حلَّ[3] فيه الجني، وإذا فارقه الجني؛ فإن الجني إذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذٰلك المصروع وبين غيره من الناس، بل اختلف حال المصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه، وغاب عقله بحيث يظهر ذٰلك للحاضرين، واختلف صوته ونغمته»[4].

وقال: «فإنه يصرع الرجل؛ فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثَّر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هٰذا لا يحس بالضرب[5]، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد

---

(١) «الجواب الصحيح» (٤ / ٣٦٣). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٤٩).
(٢) انظر: (ص ١٥٩) من هٰذا الكتاب.
(٣) وفي نسخة: «إذا دخل».
(٤) «الجواب الصحيح» (٢ / ٤٦ ـ ٤٧).
(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٨٦ و١٩ / ٥٠)، و «الفتاوى العراقية» (ص ٨٢)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (١ / ١٤٤).

يجر المصروع وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحول آلات، وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذٰلك من الأمور من شاهدها، أفادته علماً ضرورياً بأن الناطق على لسان الإنسي، والمِحرك لهٰذه الأجسام جنس آخر[1] غير الإنسان»[2].

وقال رحمه الله عن أصحاب السماع الشيطاني (والدروشة) من الصوفية أثناء ذكرهم، زعموا!: «فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال، ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع؛ إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم؛ كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذٰلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى، وهٰذا يعرفه أهل المكاشفة شهوداً وعياناً، وهٰؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هٰذا النمط؛ فإن الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى إن المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في

(١) قال الإمام البقاعي في «نظم الدرر» (٤ / ١١٢): «مشاهدة المصروع يخبر بالمغيبات، وهو مصروع غائب الحس، وربما كان يلقى في النار وهو لا يحترق، وربما ارتفع في الهواء من غير رافع؛ فكثير جداً لا يحصى مشاهدوه. . .»، ثم قال: «إلى غير ذٰلك من الأمور الموجبة للقطع أن ذٰلك من الجن أو الشياطين».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٧). وانظر: «الجواب الصحيح» (٤ / ١٢).

بدنه؛ فكذٰلك هٰؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء، وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله؛ كالمصروع، وبالمغرب ضرب من الزط يقال لأحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هٰؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم»(١).

وكان أبو العباس ـ أي: ابن تيمية ـ «إذا أتى بالمصروع وعظ من صرعه، وأمره ونهاه، فإن انتهى وأفاق المصروع؛ أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارقه؛ ضربه حتى يفارقه»(٢)،

---

(١) «رسالة في السماع والرقص» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٣ / ١٧٥).
وقد نقل كلام شيخ الإسلام هٰذا شيخنا الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص ١٦٥ ـ ١٦٨)، وعلق عليه قائلاً: «لقد أنكر بعض المعاصرين عقيدة مسّ الشيطان للإنسان مسّاً حقيقياً، ودخوله في بدن الإنسان وصرعه إيّاه، وألف بعضهم في ذٰلك بعض التأليفات، وموّهوا فيها على الناس، وتولى كبره مضَعِّفُ الأحاديث الصحيحة المارّ ذكره في كتابه المسمَّى بـ «الأسطورة»، وضعَّف ما جاء في ذٰلك من الأحاديث الصحيحة ـ كعادته ـ، وركن هو وغيره إلى تأويلات المعتزلة، واشتطّ آخرون؛ فاستغلوا هٰذه العقيدة الصحيحة، وألحقوا بها ما ليس منها مما غيّر حقيقتها، وساعدوا بذٰلك المنكرين لها! واتخذوها وسيلة لجمع الناس حولهم لاستخراج الجانّ من صدورهم بزعمهم، وجعلوها مهنةً لهم؛ لأكل أموال الناس بالباطل، حتى صار بعضهم من كبار الأغنياء، والحق ضائع بين هٰؤلاء المبطلين وأولٰئك المنكرين. وقد رددت عليهم جميعاً في المجلد السادس من «الصحيحة» خرَّجت فيه بعض الأحاديث الصحيحة التي تؤكد المسَّ الحقيقي برقم (٢٩١٨)».
(٢) انظر: «الاختيارات الفقهية» (ص ٧٠)، و «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (١ / =

والضرب في الظاهر يقع على المصروع، وإنما يقع في الحقيقة على من صرعه، ولهٰذا لا يتألم من ضربه، ويصحو.

*** علاج شيخ الإسلام لكثير من حالات الصرع بالضرب:**

«ولهٰذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب؛ فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع، حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذٰلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصاً قوية على رجليه نحو ثلاث مئة أو أربع مئة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني، والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة، كما قد فعلنا نحن هٰذا وجربناه مرات كثيرة

= ٢٩٩).

قال ابن مفلح في «الفروع» (١ / ٦٠٧): «وكان شيخنا [أي: ابن تيمية] إذا أُتيَ بالمصروع وعظ من صرعه، وأمره ونهاه، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارقه ضربه حتى يفارقه...»، ثم عقب بقوله: «والضرب في الظاهر على المصروع، وإنما يقع في الحقيقية على من صرعه، ولهٰذا لم يتألم من صرعه به، ويصح ويخبر المصروع إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء من ذٰلك، وأظن أني رأيت عن الإمام أحمد نحو فعل شيخنا، والأثبت عن أحمد أنه أرسل إلى مصروع ففارقه، وأنه عاود بعد موت أحمد؛ فذهب أبو بكر المروذي بفعل أحمد وما قال له، فلم يفارقه، ولم ينقل أن المروذي ضربه ليذهب، فامتناعه لا يدل على عدم جوازه؛ فلعله لم ير المحل قابلاً، أو لم يتمكن من ذٰلك، أو الوقت ضيق، أو لم يعرف فيه سلفاً؛ فتورع عنه وهابه، أو لم يستحضر مثل هٰذا الفعل، ولا تنبيه عليه، والله أعلم».

يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين»[١].

ومن الأدلة أيضاً:

أن الكثير من الأطباء الفلاسفة لم ينكر الصرع، بل وصف له دواءً، «ومن المعروف عن بقراط أنه قال في بعض المياه: «إنه ينفع من الصرع، لستُ أعني الذي يعالجه أصحاب الهياكل، وإنما أعني الصرع الذي يعالجه الأطباء»، وأنه قال: «طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا»، وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي، وإنما معه عدم العلم[٢]؛ إذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٦٠)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤٤).

(٢) وممن أنكر الصرع في العصر الحديث الشيخ محمد الغزالي في كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، وليته وقف عند حد إنكار الصرع؛ بل تعدى على اثنين من كبار علماء أهل السنة، فقال: «وما يرويه صاحب «آكام المرجان في أحكام الجان» أكثره خرافات وخيالات وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما»!!

وقد ردَّ عليه نخبة من الفضلاء، منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في «كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها»، والشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ في «المعيار» (ص ٧١)، والشيخ عبدالرحمٰن زعيتر في «تفنيد أخطاء الغزالي» (ص ١٠٦ ـ ١١١)، ود. عبدالله الطيار، والشيخ سامي المبارك في «فتح الحق المبين» (ص ٨٤ ـ ٨٧)، والشيخ أبو إسلام مصطفى سلامة في «براءة أهل الفقه وأهل الحديث»، والأستاذ جمال سلطان في «أزمة الحوار الديني»، وغيرهم من الذَّابين عن سنة النبي محمد ﷺ.

وقال الشيخ سلمان العودة في «حوار هادىء» (ص ١٢٣): «في كلام الشيخ =

ذٰلك، كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه، وليس في هٰذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن، وإن كان قد علم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية، وكذٰلك للجن تأثير في ذٰلك؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1]، وفي الدم الذي هو البخار الذي تسميه الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة البدن»[2].

= الغزالي حول المسّ الشيطاني لم يذكر دليلاً واحداً، لا من الكتاب ولا من السنة، بل ولا حتى من العقل ولا من العلم الحديث يبين استحالة دخول الجني في الإنس، كل ما ذكره هو عدم العلم بهٰذا الشيء...»، «والعلماء يقولون: عدم العلم بالشيء ليس علماً بالعدم».

(١) سبق تخريجه (ص ١٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٢)، و«إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١١٨ ـ ١١٩)، وسبق نحوه.

وقال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٤ / ٦٩ ـ ط مؤسسة الرسالة): «وبالجملة؛ فهٰذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة... ولو كُشف الغِطاءُ؛ لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هٰذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يُفيق صاحبُه إلا عند المفارقة والمعاينة؛ فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، والله المستعان».

وقال قبل ذٰلك: ما نقلناه عنه في (ص ٣٩٣)، وهو مهم جداً؛ فانظره.

* **أسباب الصرع:**

«وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة:

● تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به؛ وهٰذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل.

● وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماءً حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذٰلك من أنواع الأذى؛ هٰذا أشد الصرع وكثيراً ما يقتلون المصروع.

● وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل»[1].

وقال في موضع غير هٰذا:

«وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس[2]، والجني قد يحب الإنسي كما يحب الإنسي الإنسي، وكما يحب الرجلُ المرأةَ، والمرأةُ الرجلَ ويغار عليه ويخدمه بأشياء، وإذا صار مع غيره؛ فقد يعاقبه بالقتل وغيره، كل هٰذا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣ / ٨٢)، و«التفسير الكبير» (٤ / ٢٦٥)، و«مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٢).
وأورد الشبلي في «آكام المرجان» (ص ١٣٢) والسيوطي في «لقط المرجان» (ص ٨١) كلام شيخ الإسلام في سبب الصرع وارتضياه.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠ / ١١٤ ـ ط السلفية): «وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلّا من النفوس الخبيثة منهم: إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإمّا لإيقاع الأذيّة به».

واقع»[١].

«وكذٰلك الجنيات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال، وهٰذا كثير في رجال الجن ونسائهم؛ فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنس، وقد يفعل ذٰلك بالذكران»[٢].

*** تناكح الإنس مع الجن:**

وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد[٣]، وهٰذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذٰلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن[٤]، ....

---

(١) «النبوات» (ص ٣٩٩).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٦٢)، و «مجموع الفتاوى» (٢٣ / ٨٢)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٢٦٥).

(٣) ونقل الذهبي عن الخلال قوله: سمعت أبا بكر المروزي يقول: «كان مع الأثرم تيقظ عجيب حتى نسبه يحيى بن معين ويحيى بن أيوب المقابري؛ فقال: كان أحد أبوي الأثرم جنياً»!!

(٤) وردت أحاديث عديدة تدلل على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من تناكح الإنس بالجن وتوالدهم، ولٰكنها ضعيفة ولم تثبت، منها:
أولاً: ما أخرجه أبو داود في «سننه» (رقم ٥١٠٧) عن عائشة قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: «هل رُئي فيكم المغرِّبون؟». قلت: وما المغرِّبون؟ قال: «الذين يشترك فيهم الجن»».
وفي «فتح الودود»: المغرِّبون ـ بكسر الراء المشدّدة ـ قيل: إي المبعدون عن ذكر الله تعالى عند الوقاع حتى شارك فيهم الشيطان، وقيل: المغرِّب من الإنسان مَنْ خُلِقَ من ماء الإنسان والجن، وهٰذا معنى المشاركة؛ لأنه دخل فيه=

= عرق غريب، أو جاء من نسبٍ بعيد، وقد انقطعوا عن أصولهم، وبعد أنسابهم بمداخلة من ليس من جنسهم، وقال ﷺ: «هل تحسّ منكن امرأة أن الجن تجامعها»، ولعله أراد ما هو معروف أن بعض النساء يعشق لها بعض الجن ويجامعها» انتهى مختصراً. كذا في «عون المعبود» (١٤ / ١١).

والحديث ضعيف.

فيه عبدالعزيز بن جريج، ليِّن؛ كما في «التقريب» (رقم ٤٠٨٧).

وأم حميد لا يعرف حالها، وضعفه المنذري في «مختصر سنن أبي داود»، وشيخنا الألباني في «تعليقه على المشكاة» (رقم ٤٥٦٤).

ثانياً: ما أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (رقم ١١١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١٢٠٩)، وابن مردويه، وابن عساكر ـ كما في «الدر المنثور» (٦ / ٣٥١) ـ؛ عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد أبوي بلقيس كان جنِّيّاً».

وإسناده ضعيف.

فيه سعيد بن بشير، يروي عن قتادة بما لا يتابع. قاله ابن حبان في «المجروحين» (١ / ٣١٥)، وساق الذهبي في «الميزان» هٰذا الحديث في ترجمته (٢ / ١٢٨) ضمن الأحاديث التي أنكرت عليه، وضعَّفه شيخنا في «السلسلة الضعيفة» (رقم ١٨١٨).

قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٩ / ١٨٩): «والذي ينبغي أن يعوَّل عليه عدم صحة هٰذا الخبر، وفي «البحر [المحيط» لأبي حيان الأندلسي (٧ / ٦٧)]: قد طوَّلوا في قصصها ـ يعني بلقيس ـ بما لم يثبت في القرآن، ولا الحديث الصحيح»، ثم قال الآلوسي: «وإن ما ذكر من الحكايات أشبه شيء بالخرافات؛ فإنَّ الظاهر على تقدير وقوع التناكح بين الإنس والجن ـ الذي قيل: يُصفع السائل عنه لحماقته وجهله ـ أن لا يكون توالد بينهما، وقد ذكر عن الحسن فيما روى عن ابن عساكر أنه قيل بحضرته: إن ملكة سبأ أحد أبويها=

= جنّيّ؛ فقال: لا يتوالدون. أي: إن المرأة من الإنس لا تلد من الجن، والمرأة من الجن لا تلد من الإنس. نعم، روي عن مالك ما يقتضي صحة ذٰلك».

ثم قال: «ففي «الأشباه والنظائر» [ص ٣٩٠] لابن نجيم: روى أبو عثمان سعيد ابن داود الزَّنبري ـ وتحرف فيه إلى: «الزبيدي»!! فليصحح ـ؛ قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: إنَّ ها هنا رجلاً من الجنّ زعم أنه يريد الحلال. فقال: ما أرى بأساً في الدين، ولٰكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجن؛ فيكثر الفساد في الإسلام بذٰلك». انتهى.

قال الآلوسي عقبها: «ولعله لم يثبت عن مالك؛ لظهور ما يرد على تعليل الكراهة».

قلت: قصة مالك إسنادها واهٍ بمرة، أوردها أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي في كتابه «الإلهام والوسوسة»، وعنه الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٩٢)، وعنه السيوطي في «لقط المرجان» (ص ٣٣)، وآفتها سعيد بن داود بن أبي زَنْبَر، روى عن مالك نسخة أكثرها غرائب، وأورد أحمد بن مروان الدّينوري في «المجالسة» (رقم ٣١٤٦ ـ ٣١٥٤ ـ بتحقيقي) جملةً منها، وقال الخليلي في «الإرشاد» (١ / ٢٤٤): «لا يحتج به»، واتُّهم.

والراوي عن سعيد مقاتل بن محمد؛ قال الدارقطني: «مجهول، وحديثه منكر»؛ كما في «اللسان» (٦ / ٨٣).

وانظر عن سعيد: «التاريخ الكبير» (٣ / ٤٧٠)، و «الجرح والتعديل» (٤ / ٧٤)، و «تهذيب الكمال» (١٠ / ٤١٧)، و «التهذيب» (٤ / ٢٤)، و «المؤتلف والمختلف» (٣ / ١١٤١) للدارقطني، و «إتحاف السالك» (١٢٣)، و «الميزان» (٢ / ٢٣٣)، و «اللسان» (٧ / ٢٢٨)، و «مجرد أسماء الرواة عن مالك» (رقم ٢٩٨) لرشيد الدين العطار، و «ترتيب المدارك» (١ / ٣٧٢ ـ ط بيروت).

= **ثالثاً**: قال الذهبي في «السير» (١٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢): عن أحمد بن أخي ابن وهب، حدثنا عمي [أي: عبدالله بن وهب]، حدثني يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن المؤنثين أولاد الجن». قيل لابن عباس: كيف ذاك؟ قال: نهى الله أن يأتي الرجل حائضاً، فإذا أتاها سبقه بها الشيطان، فحملت منه، فأنث المؤنث». ثم قال بعده: «قال ابن عدي: تفرد به أحمد».

قلت: وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧ / ٢٦٧٢): ثنا إبراهيم بن إسماعيل ابن الفرج الغافقي، ثنا أحمد بن عبدالرحمٰن بن وهب، حدثنا عمي، حدثنا يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال... فذكره.

قال ابن عدي: «أما حديث المؤنثين؛ فلا أعلمه رواه غير ابن وهب عن عمه عن يحيى بن أيوب».

قلت: والحديث منكر كما قال ابن القطان الفاسي في «النظر في أحكام النظر» (ص ٣٤٤)، وقد وقع تحريف في مطبوع «الكامل»، وكذا في مطبوع «النظر» في اسم شيخ ابن أخي ابن وهب؛ فوقع فيهما «عمر»، والصحيح: حدثنا «عمِّي»؛ فليصحح.

وقد نقل جماهير الفقهاء حرمة نكاح الجنية، وهاك نقولات عنهم:

نقل ابن مفلح في «الفروع» كلام شيخ الإسلام، فقال: «قال شيخنا ـ يعني: ابن تيمية ـ: ليس الجن كالإنس في الحد والحقيقة...» إلى قوله: «بلا نزاع أعلمه»، ثم قال: «فقد يدل ذٰلك على مناكحتهم وغيرها، وقد يقتضيه إطلاق أصحابنا»، وفي «المغني» وغيره أن الوصية لا تصح لجنيّ لأنه لا يملك بالتمليك؛ كالهبة، فيتوجه من انتفاء التمليك منع الوطء؛ لأنه في مقابله. قال: قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: =

= ٢١]، وقد ذكر أصحابنا هٰذا المعنى في شروط الكفاءة؛ فها هنا أولى، ومنع منه غير واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية... ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم وإسحاق كراهتها» اهـ.

قلت: أخرج ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص ١٠٦ ـ ١٠٧) وعنه الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٩١)، والسيوطي في «لقط المرجان» (ص ٣٢)؛ عن عقبة بن عبدالله: «أن رجلاً أتى الحسن بن أبي الحسن فقال: يا أبا سعيد! إن رجلاً من الجن يخطب فتاتنا! فقال: لا تزوجوه ولا تكرموه. فأتى قتادة فقال: يا أبا الخطاب! إن رجلاً من الجن يخطب فتاةً لنا. فقال: لا تزوجوه، ولٰكن إذا جاء؛ فقولوا: إنا نحّرج عليك إن كنت مسلماً لما انصرفت عنّا، ولم تؤذنا. فلما كان الليل جاء الجني حتى قام على الباب، فقال: أتيتم الحسن فسألتموه فقال لكم: لا تزوجوه ولا تكرموه، ثم أتيتم قتادة فسألتموه فقال: لا تزوجوه، ولٰكن قولوا له: إنا نحّرج عليك إن كنت مسلماً لَمَا انصرفت عنّا ولم تؤذنا. قالوا: نعم؛ فإنّا نحّرج عليك إن كنت رجلاً مسلماً لما انصرفت عّنا ولم تؤذنا. فانصرف عنهم ولم يؤذهم».

قلت: فيه أبو الجنيد الضرير، قال عنه يحيى بن معين: «ليس بثقة».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص ١٠٧)، وعنه السيوطي في «لقط المرجان» (ص ٣٢) عن الحجاج؛ عن الحكم: «أنه كره تزويج الجن».

قلت: والحجاج هو ابن أرطأة، وهو مدلس وقد عنعن.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٠٧) عن عقبة الأصم أنه سمع الحسن وقتادة وسئلا عن تزوج الجن فكرهاه.

وفي المسائل التي سأل الشيخ جمال الدين الأسنوي عنها قاضي القضاة شرف الدين البارزي إذا أراد أن يتزوج بامرأة من الجن ـ عن فرض إمكانه ـ؛ فهل يجوز ذٰلك أو يمتنع؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١]، فامتن الباري تعالى بأن جعل ذٰلك من جِنْسٍ يُؤْلَف؟

= فإن جوزنا ذٰلك ـ وهو المذكور في «شرح الوجيز» لابن يونس ـ؛ فهل يجبرها ملازمة المسكن أو لا؟ وهل له منعها من التشكل في غير صور الآدميين عند القدرة عليه لأنه قد تحصل النفرة أو لا؟ وهل يعتمد عليها فيما يتعلق بشروط صحة النكاح من أمر وليها وخلوها عن الموانع أو لا؟ وهل يجوز قبول ذٰلك من قاضيهم أو لا؟ وهل إذا رآها في صورة غير التي ألفها وادعت أنها هي؛ فهل يعتمد عليها ويجوز له وطؤها أو لا؟ وهل يكلف الإتيان بما يألفونه من قوتهم كالعظم وغيره إذا أمكن الاقتيات بغيره أو لا؟

فأجاب: لا يجوز له أن يتزوج بامرأة من الجن؛ لمفهوم الآيتين الكريمتين: قوله تعالى في صورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢]، وقوله في سورة الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١].

قال المفسرون في معنى الآيتين: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ أي: من الآدميين، ولأن اللاتي يحل نكاحهن بنات العمومة وبنات الخؤولة، فدخل في ذٰلك من هي في نهاية البعد كما هو المفهوم من آية الأحزاب: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، والمحرمات غيرهن وهن: الأصول والفروع، وفروع أول الأصول وأول الفروع من باقي الأصول؛ كما في آية التحريم في النساء؛ فهٰذا كله في النسب، وليس بين الآدميين والجن نسب.

هذا جواب البارزي.

فإن قلت: ما عندك من ذٰلك؟

قلت [القائل هو: السيوطي] الذي أعتقده التحريم؛ لوجوه:

ـ منها: ما تقدم من الآيتين.

ـ ومنها: ما روى حرب الكرماني في «مسائله» عن أحمد وإسحاق؛ قال: =

= حدثنا محمد بن يحيى القطيعي، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا ابن لهيعة، عن يونس بن يزيد، عن الزهري؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن نكاح الجن»، والحديث وإن كان مرسلاً؛ فقد اعتضد بأقوال العلماء، فروى المنع منه عن الحسن البصري، وقتادة، والحكم بن عبيدة، وإسحاق بن راهويه، وعقبة الأصم، وقال جمال السجستاتي من الحنفية في كتاب «منية المفتي» عن «الفتاوى السراجية»: لا يجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء لاختلاف الجنس.

- ومنها: أن النكاح شرع للألفة، والسكون، والاستئناس، والمودة، وذٰلك مفقود في الجن، بل الموجود فيهم ضد ذٰلك، وهو العداوة التي لا تزول.

- ومنها: أنه لم يرد الإذن من الشرع في ذٰلك؛ فإن الله تعالى قال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، والنساء: اسم لإناث بني آدم خاصة، فبقي ما عداهن على التحريم؛ لأن الأصل في الأبضاع الحرمة حتى يرد دليل على الحل.

- ومنها: أنه قد منع من نكاح الحر للأمة لما يحصل للولد من الضرر بالإرقاق، ولا شك أن الضرر بكونه من جنية وفيه شائبة من الجن خُلُقاً وخَلْقاً وله بهم اتصال ومخالفة أشد من ضرر الإرقاق الذي هو مرجو الزوال بكثير، فإذا منع من نكاح الأمة مع الاتحاد في الجنس للاختلاف في النوع؛ فلأن يمنع من نكاح ما ليس من الجنس من باب أولى.

وهٰذا تخريج قوي لم أر من تنبه له.

ويقوّيه أيضاً: أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل، وعلة ذٰلك: اختلاف الجنس وكون المتولد منها يخرج عن جنس الخيل، فيلزم منه قلتها، وفي حديث النهي: «إنما يفعل ذٰلك الذين لا يعلمون»؛ فالمنع من ذٰلك فيما نحن فيه أولى، وإذا تقرر المنع؛ فالمنع من نكاح الجني الإنسية أولى وأحرى.

انظر: «الاشباه والنظائر» (٢٥٦ ـ ٢٥٧)، و«لقط المرجان» (ص ٣٢ ـ ٣٣) =

= للسيوطي، و«الأشباه والنظائر» (٣٨٩ - ٣٩٠) لابن نجيم.
قال ابن نجيم: «فإذا تقرر المنع من نكاح الإنس الجنية؛ فالمنع من نكاح الجني الإنسية من باب أولى».
وقال كمال الدين الدميري في «حياة الحيوان» (١ / ٣٠٢): «ونص على منعه جماعة من أئمة الحنابلة، وفي «الفتاوى السراجية»: لا يجوز ذٰلك لاختلاف الجنس».
قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣ / ٢١٣): «قال الماوردي: القول بأن أم بلقيس جنّيّة مستنكر من العقول؛ لتباين الجنسين، واختلاف الطبعين، وتفارق الحسّين؛ لان الآدمي جسماني والجن روحاني، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخّار، وخلق الجان من مارج من نار، ويمتنع الامتزاج مع هٰذا التباين، ويستحيل التناسل مع هٰذا الاختلاف».
وقال الكرابيس: «لا يجوز». ذكره الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٩٢).
قال ابن القيم في «تهذيب السنن» (١٤ / ١٠): «وقد تكلّم في نكاح الجن للإنس الإمام أحمد وغيره، والكلام فيه في أمرين: في وقوعه وفي حكمه.
فأما حكمه؛ فمنع منه أحمد، ذكره القاضي أبو يعلى».
قلت: هٰذا جميع ما ورد في مطبوع «تهذيب السنن»!
وذكر الآلوسي في «روح المعاني» (١٩ / ١٨٩) كلاماً نفيساً جداً عن استحالة وقوعه، قرأتُه على شيخنا الألباني حفظه الله بطلبٍ منه، وهو الذي أرشدني إليه؛ فجزاه الله خيراً، وأقرّه وأعجب به، وهٰذا نصُّه: قال بعد تضعيفه القصة السابقة عن مالك: «ثم ليت شعري! إذا حملت الجنيَّة من الإنسي؛ هل تبقى على لطافتها فلا تُرى، والحمل على كثافته فيُرى، أو يكون الحمل لطيفاً مثلها فلا يُرَيَان؟ فإذا تمَّ أمرُه تكثَّف وظهر كسائر بني آدم، أو تكون متشكلة بشكل نساء بني آدم ما دام الحمل في بطنها، وهو فيه يتغذى وينمو بما يصل إليه من غذائها، وكل من الشقوق لا يخلو عن استبعاد كما لا يخفى».
ومن اللطائف ما ذكره الذهبي في «السير» (٤ / ٤٥٩)، من قول الطحاوي: حدثنا يونس بن عبدالأعلى، قال: قدم علينا يَغْنم بن سالم «مصر» فجئته فسمعته يقول: تزوجت امرأةً من الجنِّ، فلم أرجع إليه.

وقد يكون ـ وهو كثير أو الأكثر ـ عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم: إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم؛ وإن كان الإنسي لا يعرف ذٰلك، وفي الجن جهل وظلم؛ فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس»[1].

*** علامات الصرع:**

«الجني إذا حلَّ في المصروع وصرعه وتكلم على لسانه؛ فإن الإنسي يتغير حتى يبقى الصوت والكلام الذي يسمع منه ليس هو صوته وكلامه المعروف، وإذا ضرب بدن الإنسي؛ فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذٰلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذٰلك ما يطول وصفه»[2].

كما أنه أحياناً إذا حضر الجني على لسان المصروع تراه يزبد ويروغ ويتكلم بكلام لا يفهم، قال الإمام ابن تيمية عن أهل السماع

= وانظر مقالة الدكتور صلاح راوي «التزاوج بين الإنس والجن مرفوض شرعاً وعقلاً» منشورة في جريدة «المسلمون» (العدد الرابع والأربعون، ربيع أول، سنة ١٤٠٦هـ، ص ١٦).

قلت: ومن العلماء من أفرد نكاح الجن في رسائل خاصة كما فعل الشيخ حامدي العمادي؛ فقد ألف رسالة سمّاها «تقعقع الشّنّ في نكاح الجن»؛ كما في «سلك الدرر» (٢ / ١٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٩ ـ ٤٠)، و «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٢) «الجواب الصحيح» (٤ / ٣٦٣). وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٤٩).

الشيطاني: «فإذا حضروا سماع المكاء والتصدية أخذهم الحال، فيزبدون ويروغون؛ كما يفعله المصروع، ويتكلمون بكلام لا يفهمونه هم ولا الحاضرون، وهو شياطينهم تتكلم على ألسنتهم عند غيبة عقولهم، كما يتكلم الجني على لسان المصروع»[1].

«فإن الجني إذا تكلم على لسان المصروع؛ ظهر الفرق بين ذٰلك المصروع وبين غيره من الناس، بل اختلف حال المصروع وحال كلامه، وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه، وغاب عقله بحيث يظهر ذٰلك للحاضرين واختلف صوته ونغمته»[2].

«فإنه يتغير الكلام ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلام الإنسي، مع أنه يتكلم بلسان الإنسي وحركة أعضائه، فيعلم أن الصوت حصل بحركة بدن الإنسي، مع العلم بأنه قد تغير تغيراً خالف به المعهود من كلام الإنسي؛ [فالكلام في الصورة للمصروع، وفي الباطن للجني]، والإنسان الذي حل فيه الجني يغيب عنه عقله ولا يشعر بما تكلم الجني على لسانه»[3].

والكلام إما أن يكون «من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم؛ كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم، ويكون الإنسان الذي لبسه

---

(١) «الفتاوى العراقية» (ص ٨٢).

(٢) «الجواب الصحيح» (٢ / ٤٦ ـ ٤٧).

(٣) «الجواب الصحيح» (٤ / ١٢).

وما بين المعقوفتين من «الاستغاثة» (١ / ٢٤١). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٧).

الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذٰلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى، وهٰذا يعرفه أهل المكاشفة؛ شهوداً وعياناً»[1].

ثم قال عن أصحاب الخوارق الشيطانية: «وإنما يَلْبِسُ أحدهم الشيطان مع تغيب عقله؛ كما يَلْبِسُ الشيطان المصروع، [والإنسان الذي حصل له الحال لا يدري بذٰلك، بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولَبِسَهُ وتكلَّم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال[2]، ولهٰذا قد يضرب المصروع وذٰلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء؛ لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه]»[3] اهـ.

*** علاج الصرع [صرع الجن]:**

أولاً: مشروعية العلاج:

قال رحمه الله: «يجوز بل يستحب، وقد يجب أن يذب عن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥٧٤، ٥٧٥). وانظرها (١١ / ٢٨٦).
وانظر: «الجواب الصحيح» (٢ / ٢٤١).

(٢) انظر في ذٰلك: «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٥٠ و٢ / ٤٨٢ و١٠ / ٤٤٣)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٢٩، ١٨٧)، و «الجواب الصحيح» (٤ / ١٢، ٣٤١، ٣٤٢ و٥ / ٣١٤)، و «الاستغاثة» (١ / ٢٤١)، و «الاستقامة» (١ / ٣١٢ ـ ٣١٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥٧٤، ٥٧٥). وما بين المعقوفتين منها (١١ / ٢٨٦).
وانظر: «الجواب الصحيح» (٢ / ٢٤١).

المظلوم وأن ينصر؛ فإن المظلوم مأمور به بحسب الإمكان، وفي «الصحيحين» حديث البراء بن عازب؛ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم أو المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونهانا عن: خواتيم أو تختم الذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر، وعن القسي، ولبس الحرير والإستبرق والديباج»[1].

وفي «الصحيح» عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ««أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قلت: يا رسول الله! أنصره مظلوماً؛ فكيف أنصره ظالماً؟! قال: «تمنعه من الظلم؛ فذٰلك نصرك إياه»»[2]،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم ١٢٣٩، وكتاب المظالم، باب نصر المظلوم، رقم ٢٤٤٥، وكتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، رقم ٥١٧٥، وكتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم ٥٦٣٥، وكتاب المرضى، باب وجوب عيادة المريض، رقم ٥٦٥٠، وكتاب اللباس، باب لبس القسيّ، رقم ٥٨٣٨، وباب الميثرة الحمراء، رقم ٥٨٤٩، وباب خواتيم الذهب، رقم ٥٨٦٣، وكتاب الأدب، باب تشميت العاطس، رقم ٦٢٢٢، وكتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، رقم ٦٢٣٥، وكتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾، رقم ٦٦٥٤) وفي «الأدب المفرد» (رقم ٩٢٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، رقم ٢٠٦٩)؛ عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم ٢٤٤٣، ٢٤٤٤، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه =

وأيضاً؛ ففيه تفريج كربة هٰذا المظلوم.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(١).

وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن جابر: «أن رسول الله ﷺ لما سئل عن الرقى قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه؛ فليفعل»(٢)»(٣).

«والصائل المعتدي يستحق دفعه، سواء كان مسلماً أو كافراً، وقد قال النبي ﷺ: «من قتل دون ماله؛ فهو شهيد، ومن قتل دون دمه؛ فهو شهيد، ومن قتل دون دينه؛ فهو شهيد»(٤).

= أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم ٦٩٥٢) عن أنس.
وقد فصلتُ في طرقه ومصادره في تعليقي على «السداسيات» للشحامي.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، رقم ٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنَّظرة، رقم ٢١٩٩) عن جابر بن عبدالله رفعه.

(٣) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٩ ـ ٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب الديّات، باب ما جاء فيمن قتل دون =

*** جواز قتل الجني الصارع إذا لم يندفع إلا بالقتل:**

فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادي؛ فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته؟! فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه، وقد يفعل معه فاحشة إنسي بإنسي، وإن لم يندفع إلا بالقتل جاز قتله... وهٰذا فرض على الكفاية مع القدرة؛ ففي «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه»[1]، فإن كان عاجزاً عن ذٰلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره؛ لم يجب، وإن كان قادراً وقد تعين عليه ولا

= ماله، رقم ١٤٢١)، وأبو داود في «السنن» (كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم ٤٧٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله، ٧ / ١١٥، ١١٥ - ١١٦)، وابن ماجه في «سننه» (كتاب الحدود، باب من شهر السلاح، رقم ٢٥٨٠)، وأحمد في «المسند» (١ / ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠)، والحميدي في «المسند» (رقم ٨٣)، والطيالسي في «المسند» (رقم ٢٣٣)، وأبو يعلى في «المسند» (رقم ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / ٢٦٦ و٨ / ١٨٧، ٣٣٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (رقم ٣٤٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠ / ٨١)؛ عن سعيد بن زيد رفعه.

وإسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، رقم ٢٤٤٢، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم ٦٩٥١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه.

يشغله عما هو أوجب منه؛ وجب عليه»[(١)].

العلاج ينقسم قسمين: شرعي، وغير شرعي.

قال رحمه الله: «وأما معالجة المصروع بالرقى والتعوذات؛ فهٰذا على وجهين:

فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم بها الرجل داعياً لله ذاكراً له ومخاطباً لخالقه ونحو ذٰلك؛ فإنه يجوز أن يرقي بها المصروع ويعوذ، فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «أنه أذن في الرقى ما لم تكن شركاً»[(٢)]، وقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه؛ فليفعل»[(٣)].

[(فـ) من سلك في دفع عداوتهم (هٰذا المسلك:) مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله؛ فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هٰذا لا تؤذيه الجن؛ إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤٠ ـ ١٤١).

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم ٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه؛ قال: «كُنَّا نَرْقِي في الجاهليَّة، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذٰلك؟ فقال: «اعْرِضُوا عليَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكن فيه شِرك»».

(٣) سبق تخريجه قريباً.

* **إخراج الجن من المصروع من أعظم الجهاد:**

وإن كان الجن من العفاريت وهو [أي: العلاج] ضعيف؛ فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هٰذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسي والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذٰلك مما يقوي الإيمان ويجتنب الذنوب التي بها يسلطون عليه؛ فإنه مجاهد في سبيل الله، وهٰذا من أعظم الجهاد؛ فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته؛ فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق]»[١].

* **لا يجوز الرقية إلا بما يعرف معناه:**

وإن كان في ذٰلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى؛ يحتمل أن يكون فيها كفر؛ فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها؛ فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه؛ كالسيما وغيرها من أنواع السحر؛ فإن الساحر السيماوي وإن كان ينال بذٰلك بعض أغراضه كما ينال السارق بالسرقة بعض أغراضه وكما ينال الكاذب بكذبه وبالخيانة بعض أغراضه وكما ينال المشرك بشركه وكفره بعض أغراضه، وهٰؤلاء وإن نالوا بعض أغراضهم بهٰذه المحرمات؛ فإنها تعقبهم من الضرر عليهم في الدنيا والآخرة أعظم مما حصلوه من

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٣)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٨).

أغراضهم.

فإن الله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ فكل ما أمر الله به ورسوله فمصلحته راجحة على مفسدته، ومنفعته راجحة على المضرة؛ وإن كرهته النفوس؛ كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ [البقرة: ٢١٦] الآية؛ فأمر بالجهاد وهو مكروه للنفوس، لٰكن مصلحته ومنفعته راجحة على ما يحصل للنفوس من ألمه بمنزلة من يشرب الدواء الكرية لتحصل له العافية؛ فإن مصلحة حصول العافية له راجحة على ألم شرب الدواء، وكذٰلك التاجر الذي يتغرب عن وطنه ويسهر ويخاف ويتحمل هٰذه المكروهات مصلحة الربح الذي يحصل له راجحة على هٰذه المكاره، وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»(١).

وقد قال تعالى في حق الساحر: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طٰه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ فبين سبحانه أن هٰؤلاء يعلمون أن الساحر ما له في الآخرة من نصيب، وإنما يطلبون بذٰلك بعض

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم ٦٤٨٧)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب منه، رقم ٢٨٢٣)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.

أغراضهم في الدنيا، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٣]، آمنوا واتقوا بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه؛ لكان ما يأتيهم به على ذٰلك في الدنيا والآخرة خير لهم مما يحصل لهم بالسحر، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً... ﴾ [النحل: ٤١] الآيتين.

وقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [البقرة: ٢٠١ ـ ٢٠٢].

والأحاديث فيما يثيب الله عبده المؤمن على الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة كثيرة جداً، وليس للعبد أن يدفع كل ضرر بما شاء، ولا يجلب كل نفع بما شاء، بل لا يجلب النفع إلا بما فيه تقوى الله، ولا يدفع الضرر إلا بما فيه تقوى الله، فإن كان ما يفعله من العزائم والأقسام والدعاء والخلوة والسهر ونحو ذٰلك مما أباحه الله ورسوله؛ فلا بأس به، وإن كان مما نهى الله عنه ورسوله؛ لم يفعله.

فمن كذب بما هو موجود من الجن والشياطين والسحر، وما

يأتون به على اختلاف أنواعه؛ كدعاء الكواكب، وتخريج القوى الفعّالة السَّماويّة بالقوى المنفَعِلة الأرضيّة، وما ينزل من الشياطين على كل أفاك أثيم؛ فالشياطين التي تنزل عليهم ويسمونها روحانية الكواكب، وأنكروا دخول الجن في أبدان الإنس، وحضورها بما يستحضرون به من العزائم والأقسام وأمثال ذٰلك كما هو موجود؛ فقد كذب بما لم يحط به علماً.

ومن جوز أن يفعل الإنسان بما رآه مؤثراً من هٰذه الأمور من غير أن يزن ذٰلك بشريعة الإسلام، فيفعل ما أباحه الله، ويترك ما حرم الله، وقد دخل فيما حرمه الله ورسوله: إما من الكفر، وإما من الفسوق، وإما العصيان، بل على كل أحد أن يفعل ما أمر الله به ورسوله، ويترك ما نهى الله عنه ورسوله»(١).

*** دفع الشياطين عن الإنس من أعظم الأعمال:**

ولما سئل رحمه الله عن حكم علاج المصروع بالطريقة الشرعية السالفة الذكر؛ قال: «وأما قول السائل: هل هٰذا مشروع؛ فهٰذا من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين، فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أذن الله به ورسوله كما كان المسيح(٢) يفعل ذٰلك، وكما كان نبينا ﷺ يفعل

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٧ ـ ٢٨١).

(٢) قال الإمام البقاعي في «نظم الدرر» (٤ / ١١٤ ـ ١٢٢) بعد أن ساق الأدلة على الصرع من الكتاب والسنة، قال: «وفي الإنجيل من ذٰلك كثير جداً، قال في إنجيل متى ولوقا ومرقس: يزيد أحدهم على الآخر، وقد جمعت بين ألفاظهم:=

= وجاء ـ يعني: عيسى عليه الصلاة والسلام ـ إلى عبر البحر إلى كورة الجرجسيين. وقال في إنجيل لوقا: التي هي مقابل عبر الجليل، فلما خرج من السفينة استقبله مجنون. قال لوقا: من المدينة معه شياطين. وقال متى: مجنونان جائيان من المقابر رديئان جداً، حتى إنه لم يقدر أحد أن يجتاز من تلك الطريق، فصاحا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع! جئت لتعذبنا قبل الزمان؟! قال لوقا: وكان يربط بالسلاسل والقيود ويحبس، وكان يقطع الرباط ويقوده الشيطان إلى البراري، فسأله يسوع: ما اسمك؟ فقال: لاجاون؛ لأنه دخل فيه شياطين كثيرة. وقال مرقس: فقال له: اخرج أيها الروح النجس! اخرج من الإنسان. ثم قال له: ما اسمك: فقال: لاجاون اسمي لأنا كثير. وطلب إليه أن لا يرسلهم خارجاً من الكورة، وكان هناك نحو الجبل قطيع خنازير كثيرة يرعى بعيداً منهم، فطلب إليه الشياطين قائلين: إن كنت تخرجنا؛ فأرسلنا إلى قطيع الخنازير. فقال لهم: اذهبوا. وقال مرقس: فأذن لهم يسوع، فللوقت خرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. وقال متى: فلما خرجوا ومضوا في الخنازير وإذا بقطيع الخنازير قد وثب على جرف وتواقع في البحر ومات جميعه في المياه، وأن الرعاة هربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروهم بكل شيء وبالمجنونين، فخرج كل من في المدينة للقاء يسوع. قال مرقس: وأبصروا ذلك المجنون جالساً لابساً عفيفاً، فخافوا، فلما أبصروه ـ يعني: عيسى عليه الصلاة والسلام ـ طلبوا إليه أن يتحول عن تخومهم. قال لوقا: لأنهم خافوا عظيماً. وقال مرقس: فلما صعد السفينة طلب إليه المجنون أن يكون معه فلم يدعه يسوع، لكن قال له: امض إلى بيتك وعرفهم صنع الرب بك ورحمته إياك. فذهب وكرز في العشرة مدن، وقال كل ما صنع به يسوع، فتعجب جميعهم. وفي إنجيل لوقا معناه، وفي آخره: فذهب وكان ينادي في المدينة كلها بكل ما صنعه معه يسوع، وفي إنجيل متى: فلما خرج يسوع من هناك قدَّموا إليه أخرس به شيطان، فلما خرج الشيطان تكلم الأخرس، فتعجب =

= الجميع قائلين: لم يظهر قط هٰكذا في بني إسرائيل. فقال الفريسيون: إنه باركون الشياطين يخرج الشياطين.
ثم قال: حينئذ أتى إليه بأعمى به شيطان أخرس فأبرأه، حتى إن الأخرس تكلم وأبصر، فبهت الجمع كلهم وقالوا: لعل هٰذا هو ابن داود؟! فتسمع الفريسيون فقالوا: هٰذا لا يخرج الشياطين إلا بباعل زبول رئيس الشياطين. وفيه بعد ذٰلك: فلما جاء إلى الجمع جاء إليه إنسان ساجداً له قائلاً: يا رب! وفي إنجيل لوقا: يا معلم! ارحم ابني؛ فإنه يعذب في رؤوس الأهلة، ومراراً كثيرة يريد أن ينطلق في النار، ومراراً كثيرة في الماء. وفي إنجيل مرقس: قد أتيتك بابني وبه روح نجس، وحيث ما أدركه صرعه وأزبده وضرر أسنانه فتركه يابساً. وفي إنجيل لوقا: أضرع إليك أن تنظر إلى ابني؛ لأنه وحيدي، وروح يأخذه فيصرخ بغتة ويلبطه بجهل، ويزبد عند انفصاله عنه ويرضضه، وضرعت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا. وفي إنجيل متى: وقدمته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يبرئوه. أجاب يسوع: أيها الجيل الأعوج الغير مؤمن! إلى متى أكون معكم؟! وحتى متى أحتملكم؟! قدمه إلى هنا. وفي إنجيل لوقا: وفيما هو جاءٍ به طرحه الشيطان ولبطه. وفي إنجيل مرقس: فلما رأته الروح النجسة من ساعته صرعته وسقط على الأرض مضطرباً مزبداً. ثم قال لأبيه: من كم أصابه هٰذا؟ فقال: منذ صباه. ثم قال ما معناه: افعل معه ما استطعت، وتحنن علينا. فقال له يسوع: كل شيء مستطاع للمؤمن. فصاح أبو الصبي وقال: أنا أؤمن؛ فأعن ضعف إيماني. فلما رأى يسوع تكاثر الجمع انتهر الروح النجس وقال: يا أيها الروح الأصم الغير ناطق! أنا آمرك أن تخرج منه ولا تدخل فيه. فصرخ ولبطه كثيراً وخرج منه وصار كالميت، وقال كثير: إنه مات، فأمسك يسوع بيده وأقامه فوقف. وفي إنجيل متى: فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان وبرىء الفتى في تلك الساعة، حينئذ أتى التلامذة إلى يسوع منفردين وقالوا له: لماذا لم نقدر نحن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: من أجل قلة إيمانكم، الحق أقول لكم أن=

= لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لقلتم لهٰذا الجبل: انتقل من ها هنا إلى هنا فينتقل، ولا يعسر عليكم شيء، وهٰذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة. وقال مرقس: لا يستطاع أن يخرج بشيء إلا بصلاة وصوم. وقال في إنجيل مرقس: إنه كان يعلم في كفرناحوم مدينة في الجليل. قال: وكان في مجمعهم رجل فيه روح شيطان نجس، فصاح بصوت عظيم قائلاً: ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟! أتيت لتهلكنا! قد عرفنا من أنت يا قدوس الله. فنهره يسوع قائلاً: اسدد فاك واخرج منه. فأقلقته الروح النجسة وصاح بصوت عظيم وخرج منه. وفي إنجيل لوقا: فطرحه الشيطان في وسطهم وخرج منه ولم يؤلمه وخاف الجمع مخاطبين بعضهم بعضاً قائلين: ما هو هٰذا العلم الجديد الذي سلطانه يأمر الأرواح النجسة فتطيعه؟! وخرج خبره في كل كورة الجليل. وفيه: ثم قام من هناك وذهب إلى تخوم صورا وصيدا ودخل إلى بيت، فأراد أن لا يعلم أحد به، فلم يقدر أن يختفي، فلما سمعت امرأة كانت بابنة لها روح نجس جاءت إليه وسجدت قدام قدميه، وكانت يونانية صورية، وسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها، فقال لها: دعي البنين حتى يشبعوا أولاً، لا تحسبن أن يؤخذ خبز البنين، يدفع للكلاب، وأجابت بنعم يا رب، والكلاب أيضاً تأخذ مما يسقط من المائدة من فتات الأطفال. فقال لها من أجل هٰذه الكلمة: اذهبي، قد خرج الشيطان من ابنتك. فذهبت إلى بنتها فوجدت الصبية على السرير والشيطان قد خرج منها. وفي آخر إنجيل مرقس: إنه أخرج من مريم المجدلانية سبعة شياطين. وفي إنجيل لوقا: وكان بعد ذٰلك يسير إلى كل مدينة وقرية ويكرز ويكبر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ونسوة كن أبرأهن من الأمراض والأرواح الخبيثة: مريم التي تدعى المجدلانية التي أخرج منها سبعة شياطين، ومرثا امرأة خوزي خازن هين، ودس، وسوسنة، وأخوات كثيرات. وفي إنجيل لوقا: وفيما هو يُعلِّم في أحد المجامع في السبت فإذا امرأة معها روح مزمن منذ ثمان عشرة سنة وكانت منحنية لا تقدر أن تستوي البتة، فنظر إليها يسوع

ذٰلك»[1].

«فمن كان متبعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء، وأما من ابتدع ديناً لم يشرعوه، فترك ما أمروا به من عبادة الله وحده لا شريك له واتباع نبيه فيما شرعه لأمته، وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم؛ فإن هٰذا يتلعب به الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠]، وقال

= وقال: يا امرأة! أنت محلولة من مرضك. ووضع يده عليها، فاستقامت للوقت ومجدت الله. فأجاب رئيس الجماعة وهو مغضب وقال للجميع: لكم ستة أيام ينبغي العمل فيها وفيها تأتون وتستشفعون إلا في السبت. فقال: يا مراؤون! واحد منكم يحل ثوره أو حماره من المدود في السبت ويذهب فيسقيه، وهٰذه ابنة إبراهيم كان الشيطان قد ربطها منذ ثمان عشرة سنة، أما كان يحل أن تطلق من هٰذا الرباط في يوم السبت؟! فلما قال هٰذا الكلام أخزى كل من كان يقاومه، وكل الشعب كانوا يفرحون بالأعمال الحسنة التي كانت منه» انتهى.

ثم قال رحمه الله: «وإنما كتبت هٰذا مع كون ما نقل عن نبينا ﷺ كافياً؛ لأنه لا يدفع أن يكون فيه إيناس له ومصادقة تزيد في الإيمان».

قلت: انظر تأصيل سبب هٰذه النقول في كتاب البقاعي: «الأقوال القويمة في صحة النقل من الكتب القديمة»، وقد نسخته ووثقت نصوصه، يسر الله نشره.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦ ـ ٥٧)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤١).

ثم ذكر رحمه الله الأحاديث الدالة على ذٰلك، وقد سبق هٰذا النقل كله بتمامه عنه تحت مبحث الأدلة على ثبوت الصرع (ص ٤٠٤)؛ فليرجع إليه.

تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَـاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]»[(١)].

«وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه؛ فلا يشرع، لا سيما إن كان فيه شرك، فإن ذٰلك محرم، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرؤون مع ذٰلك شيئاً من القرآن ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله، والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير[(٢)]؛ فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذٰلك محرم في كل حال، وليس هٰذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذٰلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر، والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده، وأيضاً؛ فإن المكره مضطر إلى التكلم به ولا

---

(١) «قاعدة جليلة» (ص ٤٢).

(٢) انظر في المسألة: «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٦٦ - ٢٧٥) لابن تيمية، و«حاشية الدّسوقي على الشرح الكبير» (١ / ٦١ و٤ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤)، و«الفروع» (٢ / ١٦٥ ـ ١٦٧)، و«شرح منتهى الإرادات» (١ / ٣٢٠)، و«نهاية المحتاج» (٨ / ١٤)، و«شرح المحلّي» (٤ / ٢٠٣ ـ مع «حاشية القليوبي»)، و«حاشية ابن عابدين» (٤ / ١١٣)، و«الفتاوى الهندية».
وبسط المسألة مع أدلتها الأستاذ الشيخ محمد سليمان الأشقر في بحثه «المواد المحرمة والنجسة واستعمالها في الغذاء والدواء» ونشره في مجلة «المشكاة» الكويتية (الجزء الأول، العدد الأول، ص ٥٧ ـ ١٠٢).

ضرورة إلى إبراء المصاب به؛ لوجهين:

أحدهما: أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم؛ فلا يؤثر بل يزيده شراً.

والثاني: أنَّ في الحق ما يغني عن الباطل»[1].

«والتداوي ليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة قليلة، كما قاله أصحاب الشافعي وأحمد، بل قد تنازع العلماء، أيما أفضل: التداوي، أم الصبر؟ للحديث الصحيح: حديث ابن عباس عن الجارية التي كانت تصرع، وسألت النبي ﷺ أن يدعو لها، فقال: «إن أحببت أن تصبري ولك الجنة، وإن أحببت دعوت الله أن يشفيك». فقالت: بل أصبر، ولكني أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشّف فدعا لها أن لا تتكشف»[2].

ولأن خلقاً من الصحابة والتابعين لم يكونوا يتداوون، بل فيهم من اختار المرض كأبي بن كعب، وأبي ذر، ومع هٰذا فلم ينكر عليهم ترك التداوي»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٦١)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المرض، باب فضل من يصرع من الريح، رقم ٥٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم ٢٥٧٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٦٩ و ٢١ / ٥٦٣).

* **كيفية العلاج الشرعي وشروط الرقية**(١):

اعلم أن العلماء قد أجمعوا على جواز الرقى بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته.

الثاني: أن يكون الكلام باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها(٢).

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٤ / ٦٩ ـ ٧٠): «وعلاج هٰذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا وحلول المثلات والآفات بهم، ووقعها خلال ديارهم كمواقع القطر وهم صرعى لا يفيقون، وما أشد داء هٰذا الصرع! ولٰكن لما عمَّت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعاً؛ لم يصر مستغرباً ولا مستنكراً، بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه، فإذا أراد الله بعبد خيراً أفاق من هٰذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يميناً وشمالاً على اختلاف طبقاتهم؛ فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحياناً قليلة ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرة ويجن أخرى، فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبط» اهـ.

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠ / ١٩٥ ـ ط السلفية)، و «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤ / ١٦٩)، و «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٦٥)، و «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٣١).

ولا بد من شروط أخرى حتى يقع النفع بالرقى الشرعية، منها ما يخص المصروع، ومنها ما يخص المعالج.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٤ / ٦٧ ـ ٦٨):

= «وعلاج هٰذا النوع يكون بأمرين:

أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج؛ فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هٰذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان؛ فإن هٰذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً، فمتى تخلف أحدهما؛ لم يغن السلاح كثير طائل؛ فكيف إذا عُدم الأمران جميعاً؟! يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له.

والثاني من جهة المعالج، بأن يكون فيه هٰذان الأمران أيضاً، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: «اخرج منه»، أو بقول: «بسم الله»، أو بقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، والنبي ﷺ كان يقول: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله»».

وقال في «الداء والدواء» (ص ٨ ـ ١٠): «ولٰكن ها هنا أمر ينبغي التّفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويُرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولٰكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره؛ فمتى تخلّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل، أو لمانعٍ قوي(*) فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذٰلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذٰلك الدواء، وقد يكون

(*) جاء في حديث ضعيف أورده الديلمي في «مسند الفردوس» (٣ / ٦٠١ / رقم ٥٨٨٤)، والهندي في «كنز العمال» (١٦ / ٢٥٥ / رقم ٤٤٣٥١)، وعزاه لابن جرير؛ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابه الجن في إحدى ثلاث لم يشف، وهو يشرب قائماً، أو يمشي في نعل واحدة، أو يشبك بين أصابعه». قال ابن جرير: «سنده ضعيف واهٍ، لا يعتمد على مثله».

= لمانعٍ قويّ يمنع من اقتضائه أثره؛ فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدنَ به بحسب ذٰلك القبول، وكذٰلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفس فعَّالة وهمَّة مؤثرة أثَّر في إزالة الدَّاء».

وهٰذان الشرطان مذكوران في كلام كثير من العلماء، وبعضهم متقدم على ابن القيم، مثل:

* عبدالواحد بن التين السفاقسي (ت ٦٢١هـ).

قال في شرحه على «صحيح البخاري» واسمه «المحبَّر الفصيح» ـ كما في «أزهار الرياض» (٢ / ٣٥٠) للقاضي عياض ـ ما نصه: «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق؛ حصل الشِّفاء بإذن الله تعالى، فلما عزَّ هٰذا النوع؛ فزع الناس إلى الطب الجسماني، وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم».

نقله ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ١٩٦).

وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٣ / ٢٩): «إنَّ الرقي يدفع البلاء، ويكشفه الله به، وهو من أقوى معالجة الأوجاع لمن صحبه اليقين الصحيح، والتوفيق الصريح».

وفصل ابن القيم في «زاد المعاد» (٤ / ٣٥ ـ ٣٦) فيما يخص المريض المصروع؛ فقال: «ولا يُنكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطبّ النبوة، إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان؛ فهٰذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور إن لم يتلق هٰذا التلقي لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه؟! فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة

قال رحمه الله: «وفي «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي؛ قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذٰلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»»[1].

وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن جابر؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزام إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى. قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه؛ فلينفعه»»[2].

فنهى عن الرقى التي فيها شرك؛ كالتي فيها استعاذة الجن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]»[3].

وقال رحمه الله مفرقاً بين الراقي والمسترقي: «والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه،

= والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذٰلك لقصور في الدواء؛ ولٰكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله، والله الموفق».

(١) سبق تخريجه (ص ٦٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٣)، والحديث سبق تخريجه (٦٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١ / ٦٣٣).

والراقي محسن نافع»[1].

وقال: «وقد ثبت عن النبي ﷺ في «الصحيح»؛ أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[2].

فهٰؤلاء من أمته، وقد مدحهم بأنهم لا يسترقون، والاسترقاء: أن يطلب من غيره أن يرقيه، والرقية من نوع الدعاء، وكان هو ﷺ يرقي نفسه وغيره ولا يطلب من أحد أن يرقيه، ورواية من روى في هٰذا: «لا يُرقون» ضعيفة غلط»[3].

---

(١) نقله عنه ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (ص ٢٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم ٥٢٤ ـ ط المعرفة).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٢٨).

قلت: قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١ / ٤٩٥) في هديه ﷺ في عيادة المرضى: «وكان إذا دخل على المريض يقول له: «كفارة وطهور»، وكان يرقي من به قرحة أو جرح أو شكوى، فيضع سبّابته بالأرض، ثم يرفعها ويقول: «بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا، بإذن ربنا». هٰذا في «الصحيحين».

وهو يبطل اللفظة التي جاءت في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأنهم لا يُرقون ولا يسترقون؛ فقوله في الحديث: «لا يرقون» غلط من الراوي، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول ذٰلك.

قال [أي: ابن تيمية]: وإنما الحديث: «هم الذين لا يسترقون». قلت: [أي: ابن القيم]: وذٰلك لأن هٰؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم، ولهٰذا نفى عنهم الاسترقاء وهو سؤال الناس أن يرقوهم».

= وقال أيضاً في «مفتاح دار السعادة» (ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤): «ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. زاد مسلم وحده: «ولا يُرقون». فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هٰذه الزيادة وهم من الراوي، ولم يقل النبي ﷺ: «ولا يرقون»؛ لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرقى فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه؛ فلينفعه»، وقال: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن نافع».

قلت: من الرقى ما هو مشروع وما هو ممنوع، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠ / ١٩٧): «قال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه؛ فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه؛ فيجوز، فإن كان مأثوراً؛ فيستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظَّم من المخلوقات كالعرش.

قال: فهٰذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله والتبرك بأسمائه، فيكون تركه أولى، إلا أنه يتضمن تعظيم المُرقَى به؛ فينبغي أن يُجتنب، كالحلف بغير الله تعالى.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية؛ فقال: لا بأس أن يرقي بكتاب الله وما يُعرف من ذكر الله. قلت: أيرقي أهلُ الكتاب المسلمين؟ قال: نعم، إذا رقوا بما يُعرف من كتاب الله وبذكر الله» اهـ.

وفي «الموطأ» (٤ / ٣٢٨ ـ شرح الزرقاني) أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة: «ارقيها بكتاب الله». وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية =

= بالحديدة والملح وعقد الخيط، والذي يكتب خاتم سليمان، وقال: لم يكن ذٰلك من أمر الناس القديم. وقال المازري: اختلف في استرقاء أهل الكتاب؛ فأجازها قوم وكرهها مالك لئلا تكون مما بدَّلوه، وأجاب من أجاز بأن مثل هٰذا يبعد أن يقولوه، وهو كالطب، سواء كان غير الحاذق لا يحسن أن يقول والحاذق يأنف أن يبدّل حرصاً على استمرار وصفه بالحذق لترويج صناعته، والحق أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وسئل ابن عبدالسلام عن الحروف المقطعة؛ فمنع منها ما لا يعرف لئلا يكون فيها كفر».

وقال شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٥٦٦ / حديث رقم ١٩٣١): «في الحديث مشروعية الرقية بكتاب الله تعالى، ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقى كما تقدم في الحديث (١٧٨) عن الشفاء؛ قالت: «دخل علينا النبي ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: «ألا تعلمين هٰذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة؟»»، وأمَّا غير ذٰلك من الرقى؛ فلا تشرع، لا سيما ما كان منها مكتوباً بالحروف المقطعة والرموز المغلقة، التي ليس لها معنى سليم ظاهر، كما ترى أنواعاً كثيرة منها في الكتاب المسمى بـ «شمس المعارف الكبرى»».

قلت: ومن الناس من امتهن مهنة الراقي يتكسب منها ويبتز أموال السذج بكتابة الحجب والتمائم أو الرقى بما ليس بمشروع».

قال القاسمي في «قاموس الصناعات الشاميّة» (ص ٢٣١ وما بعدها): «والمحترفون بهٰذه الحرفة في غاية من الكثرة، وبعضهم أكثر رواجاً من بعض، يأتي إليهم النساء ـ وهم أكثر زبائنهم ـ ثم البسطاء من الرجال، ويشكون إليهم مرضاً عسر برؤه، أو وسواساً، أو أحلاماً مخيفة، أو سرقة دراهم أو حلي أو دابة، أو نكاية عدو أو ضرة، ويطلبون منهم حجباً؛ فعند ذٰلك يقرأ الراقي على المرقي وينفث عليه، ويعده بتميمة يعلقها أو ورقة كذٰلك، ولٰكن بعد أن يشترط عليه من الدراهم مقداراً، ومن البخورات ومن أدوات الحجاب ما شاء هواه وقلة دينه وتقواه، وأكله أموال الناس بالباطل الذي ما أنزل الله به من سلطان!

= كثر في هٰذه الحرفة الدجالون والمتكهنون والجهلة كثرة عجيبة، نساءً ورجالاً، ولم يزل الاعتقاد فيهم قوياً، رغماً عن أخذ الكون بالتنبه وترقي الأفكار، ولٰكن لا عجب؛ فهل يخلو الكون من الحمقى والأغرار والمغفلين؟ هيهات! فما دام هٰؤلاء في هٰذا الوجود كانت معيشة أولٰئك عليهم، ماذا يعد المرء من مخازي كثير من الأشقياء المحترفين بهٰذه الحرفة الأبالسة، وكم كانوا سبباً في هتك أعراض وفراق أزواج، وكم ارتكبوا الفواحش في مخدرات يأتين إليهم ويلقين إليهم القياد تخلصاً مما ألمَّ بهن ويعتقدن الشفاء أو النجاح في الأمل عندهم؟!».

قال: «وقد حكى الثقات عن دجال سكن ظاهر البلدة أنه كان يكتب للمرأة على بطنها ويقول لها: لا يؤثر إلا هنا، وكان كلما كتب يلحس، كأنه غلط، ليستأنف الكتابة؛ قبحه الله!

وقال آخر ـ مرة ـ لامرأة: هٰذه التميمة لا تكتب إلا بماءين ماء رجل وماء امرأة، حتى اضطرها بخداعه إلى أن سلَّمته نفسها، وأوهمها أنه يأخذ ماءها وماءه عليه لعنة الله؛ فنمي إلى وجيه في قرب من محله فذهب إليه وجلده ما لا يعد وطرده من محله.

دع عنك تكشّفهن أمامهم والعشرة اللعينة والتكسر والتخنث مما هو منكر بإجماع الملل والنحل، نعم، يوجد منهم من ظاهره الكمال، ولٰكن من حام حول الحمى...

وحدثني أحد صالحيهم أنه بالرغم عنه يؤتى ليرقي، وأنه ما كلمته امرأة إلا أمذى؛ فتأمل، وهٰذا صالحهم؛ فكيف بغيره؟!

ولهم عجائب في اقتراح الخيوط والحرير والأوعية والحبر والإتيان بعصفور أو صرصور ووضعه حيّاً في «قزيزة» على حجمه ولحمها وسدها عليه، وكذٰلك الكتابة على أسفل القدم أو بالدم وغير ذٰلك...

وأقلّ أحوال هٰذه الحرفة الدّنيئة أن يدخلها الكذب والخداع رغماً عن كل =

= احتياط وتورّع، أليس يقول للمرقي: ائتني بوعاء لأكتب عليه، وهاته في الوقت الفلاني، وإياك أن تتأخر . . . تدليساً وتلبيساً، ولو أنّ هٰؤلاء الراقين درسوا علم النجوم ومطالعها؛ لكان يقال: هٰؤلاء يريدون أن ينهجوا منهج الفلاسفة المنجمين، فينتقل الكلام معهم إلى بحث التنجيم واعتماد المطالع؛ فحينئذ يقال: رجعوا إلى علم، ومشوا مع قواعد الفن، وأما هٰؤلاء؛ فلا علم ولا عمل، ولا دين ولا تقوى.

يقول بعضهم مستدلاً بجواز الرقية بأنه عليه السلام أقرَّ ابن مسعود(*) على رقيته من لُدغَ بعقرب، وأقره وجماعته على أخذ الشياه في مقابلتها.

فأولاً: يقال له: ذهب كثير من العلماء إلى أن ذٰلك خصوصية لابن مسعود وجماعته؛ لحالة اضطروا إليها، والعصر عصر النبوة، وهي قضية عين لم يسمع بنظيرها في عهده عليه السلام من غير ابن مسعود، وكان الشفاء بالرقية بها معجزةً له ﷺ وكرامةً لأصحابه.

وثانياً: لو تنزلنا وقلنا: إنها ليست بخصوصية، فإذا كان الرقي يقتصر على الفاتحة لا يتعدّاها ويأخذ أجرة في مقابلتها؛ فلا بأس، وإن كان يزيد عليها من عندياته ليطيل ذيل القضية بالبَهْلَلَة والخزعبلات؛ فأنَّى يحلُّ أكل أموال الناس بالباطل والخداع والتلبيس؟

أرأيت كيف أصبح بعضهم يشترط في الرقية ما يشترطه المحامون ووكلاء الدعاوى؛ فقد يذهب بعض المغفلين إلى بعض المشتهرين ويرجوه أن يذهب لرقية مريضه، فيقول: لا أذهب إلا بأربع ليرات أو أكثر سلفاً، ثم إذا شفي فلي مثلها؛ فيذهب، ويخلط في الشروط والاقتراحات ووضع الأوراق وتبخيره بها، وإذا لم يجد أهل المريض نجاحاً وسألوه يقول لهم: أخطأتم شرطي، أما قلت لكم ايتوني بالصحن في وقت كذا، واسقوه وقت كذا، ولا تفعلوا إلا كذا؛

(*) بل أقر أبا سعيد الخدري، كما تقدّم.

وقال رحمه الله: «نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك»[1].

فإن المشركين يقرؤون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن[2].

وكذٰلك الرقى والعزائم الأعجمية هي تتضمن أسماء رجال من الجن يُدْعَون ويُستَغَاثُ بهم، ويُقْسَمُ عليهم بمن يعظِّمونه؛ فتطيعهم الشياطين بسبب ذٰلك في بعض الأمور، وهٰذا من جنس السحر والشرك، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا

= أكاذيب، وأضاليل، وتمويهات، واختلاس أموال الغير بالباطل؛ فإنا لله، ولا قوة إلا بالله.

ولو أراد المتفرغ أن يكتب في شأنهم وأحوالهم وخداعهم وتلاعبهم مع النساء وحكاياتهم معهن وما نقل من المنكرات عنهم؛ لاحتاج إلى مجلدات، وفيما ذكرنا كفاية، نسأله تعالى أن يعافينا وذريّتنا من بلائه، ويجنّبنا وإياهم ما لا يرضاه؛ فإنه لا يرضى عن القوم الفاسقين».

وانظر كتابنا: «المروءة وخوارمها» (٢٤٠ وما بعد).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٣).

لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]»[1].

* العلاج بآية الكرسي:

«ومن أعظم ما ينتصر به على الشياطين آية الكرسي؛ فقد ثبت في «صحيح البخاري» حديث أبي هريرة؛ قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟». قلت: يا رسول الله! شكى حاجة شديدة وعيالاً؛ فرحمته وخليت سبيله. قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود». فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني؛ فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود. فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك؟». قلت: يا رسول الله! شكى حاجة وعيالاً؛ فرحمته فخليت سبيله. قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود». فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهٰذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك؛

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٦٢).

فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟». قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. قال: «ما هي؟». قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك؛ فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟». قلت: لا. قال: «ذاك شيطان»»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الوكالة، باب إذا وكَّل رجلاً فترك الوكيلُ شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وإنْ أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم ٢٣١١، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٧٥، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، رقم ٥٠١٠) وفي «التاريخ الكبير» (١ / ٢٨) معلقاً.

وأخرجه من طريق البخاري: «البغوي في «شرح السنة» (٤ / ٤٦٠ / رقم ١١٩٦) و «معالم التنزيل» (١ / ٣٥٨ ـ ط دار الفكر).

ووصله أبو بكر الإسماعيلي وأبو نعيم ـ كما في «هدي الساري» (ص ٤٢) و «فتح الباري» (٤ / ٤٨٨) ـ، ومن طريقهما الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٩٦).

ووصله أيضاً ابن خزيمة ـ كما في «التغليق» (٣ / ٢٩٦)، و «الترغيب والترهيب» (١ / ٤٢٠) ـ.

ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٥٩)، والبيهقي في «دلائل =

= النبوة» (٧ / ١٠٧ ـ ١٠٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣١٣ و٥٢٦).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢٨)، والنسائي في «فضائل القرآن» (رقم ٤٢) و «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٥٨)، وابن مردويه في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١ / ٣١٤)، و «الدر المنثور» (١ / ٣٢٠)، و «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٥) ـ، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (رقم ٣١٣)؛ من طريق إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل، عن أبي هريرة، به، وفيه: «أنه كان على تمر الصدقة، فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه».
ولابن الضريس من هٰذا الوجه: «فإذا التمر قد أخذ منه ملء كف».
وفي هٰذه الرواية: «إنما أخذته لأهل بيت فقراء من الجن»، وفيها: «إذا قلتهن لم يقربك ذكر ولا أنثى من الجن».
ولابن الضريس من هٰذا الوجه: «لا يقربك من الجن ذكر ولا أنثى، صغير ولا كبير».
ومعنى قول أبي هريرة رضي الله عنه: «لأرفعنك»؛ أي: لأذهبن بك أشكوك، يقال: رفعه إلى الحاكم إذا أحضره للشكوى.
وفي الحديث من الفوائد:
١ ــ أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن.
٢ ــ وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها.
٣ ــ وأن الشخص قد يعلم الشيء ولا يعمل به.
٤ ــ وأن الكافر قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن ولا يكون بذٰلك مؤمناً.
٥ ــ وبأن الكذاب قد يصدق.
٦ ــ وبأن الشيطان من شأنه أن يكذب.
٧ ـ وأنه قد يتصور ببعض الصور؛ فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] مخصوص بما إذا كان على صورته =

= التي خُلق عليها.

٨ ــ وأن من أقيم في حفظ شيء سمي وكيلاً.

٩ ــ وأن الجن يأكلون من طعام الإنس.

١٠ ــ وأنهم يظهرون للإنس لٰكن بالشرط المذكور.

١١ ــ وأنهم يتكلمون بكلام الإنس.

١٢ ــ وأنهم يسرقون ويخدعون.

١٣ ــ وفيه فضل آية الكرسي.

١٤ ــ وأن الجن يصيبون من الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه.

١٥ ــ وفيه أن السارق لا يقطع في المجاعة.

١٦ ــ ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب، ولذٰلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع.

١٧ ــ وفيه قبول العذر والستر على من يُظن به الصدق.

١٨ ــ وفيه اطلاع النبي ﷺ على المغيبات.

١٩ ــ وفيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها.

قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤ / ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

ووردت القصة عن جمعٍ من الصحابة، وهي محمولة على التعدد؛ كما قال البيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١٢١)، وابن كثير في «التفسير» (١ / ٣١٤)، والحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤ / ٤٨٩)، والمباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٨ / ١٨٥)، وسأعمل على تتبع ألفاظ هٰذه القصة مع طرقها، والله المستعان.

*** قصة أبي أيوب الأنصاري مع الغول:**

قال الإمام أحمد في «المسند» (٥ / ٤٢٣): «ثنا أبو أحمد، ثنا سفيان، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن أبي أيوب: أنه كان في=

= سهوة له، فكانت الغول تجيء فتأخذ، فشكاها إلى النبي ﷺ، فقال: «إذا رأيتها؛ فقل: بسم الله، أجيبي رسول الله». قال: فجاءت، فقال لها، فأخذها، فقالت له: إني لا أعود. فأرسلها، فجاء، فقال له النبي ﷺ: «ما فعل أسيرك؟». قال: أخذتها فقالت لي: إني لا أعود. فأرسلته. فقال: «إنها عائدة». فأخذتها مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك تقول: لا أعود ويجيء إلى النبي ﷺ فيقول: «ما فعل أسيرك؟»، فيقول: أخذتها، فتقول: لا أعود. فيقول: إنها عائدة. فأخذها فقالت: أرسلني وأعلمك شيئاً تقول فلا يقربك شيء: آية الكرسي. فأتي النبي ﷺ فأخبره فقال: «صدقت وهي كذوب»».

وأخرجه الترمذي (كتاب فضائل القرآن، باب منه، ٥ / ١٥٨ / رقم ٢٨٨٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٤٨ ـ ١٦٤٩ / رقم ١٠٩١)؛ من طريق محمد بن بشار، عن أبي أحمد، به.

وأبو أحمد هو محمد بن عبدالله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي، مولاهم، أبو أحمد الزبيري الكوفي، كما صرح به أبو بكر بن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

وأخرجه من طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤ / ١٦٢ / رقم ٤٠١١)؛ فقد أخرجه من طريق عبيد بن غنام وحسين التستري عن ابن أبي شيبة عن محمد بن عبدالله الأسدي، به.

وأخرجه (٤ / ١٦٢) من طريق أحمد السابقة.

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٥٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣ / ٤٥٩)؛ من طريق عثمان بن أبي شيبة، به.

وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢) من طريق أبي أحمد، به.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (رقم ١٢) من طريق معاوية بن هشام القصار ـ صدوق، له أوهام ـ، ثنا سفيان، عن ابن أبي ليلى، عن أبي =

= أيوب رفعه كذا بدون (عن أخيه)!!

وقال أحمد في «المسند» (٥ / ٤٢٣): «عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى؛ فذكر هٰذا الحديث بإسناده؛ يعني: حديث الغول، قال: أبو أيوب: خالد بن زيد».

قلت: فالحديث في المظانّ السابقة من طريق محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن أخيه - واسمه عيسى كما وقع التصريح به عند الترمذي - عن أبيه عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن أبي أيوب، به.

ولم ينفرد عيسى عن أبيه به، بل تابعه:

١ ــ عبدالله بن يسار؛ كما عند: الطبراني في «المعجم الكبير» (٤ / ١٦٢ - ١٦٣ / رقم ٤٠١٢)، وأبي الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٥١ - ١٦٥٢ / رقم ١٠٩٣)، ولفظ الطبراني: «كان لي نخل في سهوة لي، فجعلت أراه ينقص منه، فذكرت ذٰلك للنبي ﷺ، فقال: «إنك ستجد فيه غداً هرة، فقل: أجيبي رسول الله ﷺ». فلما كان الغد وجدت فيه هرة، فقلت: أجيبي رسول الله ﷺ؛ فتحولت عجوزاً وقالت: أذكرك الله لما تركتني؛ فإني غير عائدة. فتركتها، فأتيت النبي ﷺ، فقال: «ما فعل الرجل وأسيره؟». فأخبرته خبرها، فقال: «كذبت هي عائدة؛ فقل لها: أجيبي رسول الله ﷺ»... فتحولت عجوزاً فقالت: أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني هٰذه المرة؛ فإني غير عائدة. فتركتها، ثم أتيت رسول الله ﷺ قال لي كما قال لي، فقلت ذٰلك ثلاث مرات، فقالت لي في الثالثة: أذكرك الله يا أبا أيوب لما تركتني حتى أعلمك شيئاً لا يسمعه شيطان فيدخل ذٰلك البيت. فقلت: ما هو؟ فقالت: آية الكرسي، لا يسمعها شيطان إلا ذهب. فذكرت ذٰلك للنبي ﷺ؛ فقال: «صدقت، وإن كانت كذوباً»».

وتابعه أيضاً:

٢ ــ الحكم بن عتبة؛ كما عند: الطبراني في «المعجم الكبير» (٤ / ١٦٣ / =

= رقم ٤٠١٣)، وفيه: «أصبت جنية...»، وذكر نحوه.
٣ ــ أبو فروة، وهو مسلم بن سالم النهدي الكوفي، ويعرف بالجهني لنزوله فيهم؛ كما عند: الطبراني في «المعجم الكبير» (٤ / ١٦٣ ـ ١٦٤ / رقم ٤٠١٤)، وفيه: «كانت روزنة في بيت لنا، فقال ـ أي النبي ﷺ ـ: «ارصده، فإذا أنت عاينت شيئاً؛ فقل: اخسَ، يدعوك رسول الله ﷺ». قال: فرصدت؛ فإذا شيء قد تدلى من روزنة فوثبت عليه، وقلت...»، وذكر نحوه.
و «الروزنة»: هي السهوة، وهي بيت صغير منحدر في الأرض شبيه بالخزانة يكون فيها المتاع، وقيل: شبيه بالرف أو الطاقة.
انظر: «القاموس المحيط» (٤ / ٣٤٨، مادة سها)، و «تحفة الأحوذي» (٨ / ١٤٨).

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٢٢١): «السهوة؛ بفتح السين المهملة: هي الطاق في الحائط، يوضع فيها الشيء، وقيل: هي الصفة، وقيل: المخدع بين البيتين، وقيل: هي شيء شبيه بالرف، وقيل: بيت صغير كالخزانة الصغيرة، كل واحد من هٰؤلاء يسمى «السهوة»، ولفظ الحديث يحتمل الكل».
وحديث أبي أيوب قال فيه الترمذي: «حديث حسن غريب».
قلت: وانفرد به عن أبي أيوب عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، وعبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: «ثقة». انظر: «تهذيب التهذيب» (٦ / ٢٣٥)، و «تاريخ ابن معين» (٢ / ٣٥٦)، و «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٠١).

وقال العجلي في «تاريخ الثقات» (رقم ٩٧٨): «تابعي، ثقة، من أصحاب علي، سمع من عبدالله بن مسعود».
وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٠١): «سألت أبي عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى؛ فقال: لا بأس به».

= وقال الذهبي في «الكاشف» (٢ / ١٦٢): «كان أصحابه يعظمونه كأنه أمير»، وذكره في «السير» (٤ / ٢٦٢)؛ فقال: «الإمام، العلامة، الحافظ، أبو عيسى، الأنصاري، الكوفي، الفقيه».
وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥ / ١٠٠)، وذكره العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨) متعلقاً بقول إبراهيم النخعي فيه: «كان صاحب أمراء»، وقال الذهبي في «الميزان» (٢ / ٥٨٤): «وبمثل هٰذا لا يلين الثقة».
وذكر البخاري في «التاريخ الكبير» (٥ / ٣٦٨) أنه سمع من أبي أيوب الأنصاري، فإذاً انفراد عبدالرحمٰن لا يضر، ولٰكن في سند الترمذي ابنه محمد ابن عبدالرحمٰن، وهو سيىء الحفظ جداً، ولم يترك؛ كما قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٩ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، و «الفتح» (٣ / ٥٣٦ و٤ / ٢١٤ و٦ / ٣٠٧ و٨ / ١٨٢)؛ إلا أن للحديث طرقاً وشواهد أخرى يصل بها إلى مرتبة الحسن.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣ / ٤٥٨ ـ ٤٥٩) من مسند ابن عباس؛ فقال: «كان رسول الله ﷺ نازلاً على أبي أيوب الأنصاري في غرفة، وكان طعامه في سلة من المخدع، فكانت تجيء من الكوة السنور حتى تأخذ الطعام من السلة، فشكا ذٰلك إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الغول، فإذا جاءت فقل لها: عزم عليك رسول الله ﷺ أن لا ترجعي. . .»، وذكر نحوه.
وأخرجه الحاكم أيضاً (٣ / ٤٥٩) من طريق ابن لهيعة عن عمارة بن غزية، عن عبدالرحمٰن بن أبي عمرة، عن أبيه: «أن أبا أيوب الأنصاري كان له مربد للتمر في حديقة في بيته. . .»؛ فذكر الحديث بنحو منه.
وقال الذهبي في «التلخيص» في إسناد حديث أبي أيوب: «هٰذا أجود طرق الحديث»، وقال الترمذي: «وفي الباب عن أبي بن كعب».
قلت: وهٰذا تخريج قصة أبي بن كعب رضي الله عنه:

= * **قصة أبيّ بن كعب مع الجنّيّ:**

قال النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦٠): «أخبرنا عبدالحميد بن سعيد؛ قال: حدثنا مبشر عن الأوزاعي؛ قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير؛ قال: حدثني ابن أبيّ أن أباه أخبره: أنه كان لهم جرين فيه تمر، وكان أبي يتعاهده، فوجده ينقص، فحرسه؛ فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم، قال: فسلمت، فرد السلام، فقلت: من أنت؛ أجن أم إنس؟! قال: جن. قال: فناولني يدك. فناولني يده؛ فإذا يد كلب وشعر كلب. قال: هٰكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشدّ مني. قال له أبي: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغنا أنك رجل تحب الصدقة؛ فأحببنا أن نصيب من طعامك. قال أبيّ: فما الذي يجيرنا منكم. قال: هٰذه الآية: آية الكرسي. ثم غدا أبي إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «صدق الخبيث»».

كذا رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن ابن أبيّ، ولم يسمه.

ورواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به؛ كما عند: البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٢ / ٦٣ ـ ٦٤ / رقم ٧٨٤ ـ مع «الإحسان»)، وأبي الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٥٠ / رقم ١٠٩٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣ / رقم ١١٩٧).

ورواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق ١٢٧ / ٢ ـ مع «بغية الباحث»)، والهيثم بن كليب الشاشي في «مسنده» (٣ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨ / رقم ١٤٤٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١٠٨ ـ ١٠٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» أيضاً (ص ٥٢٥)؛ من طريق الأوزاعي، ولم يقع تصريح في اسم ابن أبيّ أيضاً، ووقع في الروايات السابقة إرسال يحيى بن أبي كثير الرواية عن ابن أبيّ.

قال ابن حبان: «اسم ابن أُبيّ بن كعب هو الطفيل بن أُبيّ بن كعب»!!

قلت: قد سماه أحمد بن إبراهيم الدورقي عن مبشر بن إسماعيل بإسناد النسائي=

= الماضي، لٰكن قال: «عن عبدالله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره».
أخرجه أبو يعلى في «مسنده الكبير» عن الدورقي.
قاله الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» (١ / ٣٨)، ولم يروه يحيى بن أبي كثير عن عبدالله بن أبيّ مباشرة، بل بينهما واسطة، والواسطة هي عبيدة بن أبي لبابة.
انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١ / ٣١٢)؛ فقد ساق سند أبي يعلى.
وعزاه لأبي يعلى الحافظ الناجي في «عجالة الإملاء المتيسرة» (ق ١٤٥ / ٢)، والسيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٧)، و «الدر المنثور» (٢ / ٥)، ثم وجدت ابن أبي الدنيا أخرجه في «الهواتف» (رقم ١٧٤) والضياء أخرجه في «المختارة» (٤ / ٣٧ / رقم ١٢٦٢) من طريقه.
ورواه جماعة عن يحيى بن أبي كثير، وسمّوا المبهم بـ «محمد» مما يؤكد خطأ كلام ابن حبان رحمه الله تعالى السابق، ثم وجدتُ الضياء يقول في «المختارة» (٤ / ٣٦) عن قول ابن حبان: «والذي عندي أن هٰذا القول وهم من أبي حاتم ابن حبان ـ والله أعلم ـ؛ فإن هٰذا الحديث لم نجده من رواية الطفيل وإنما وجدناه من رواية محمد».
أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢٧)، والهيثم بن كليب الشاشي في «مسنده» (٣ / ٣٣٩ / رقم ١٤٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٦١ ـ ٥٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١٠٩)، والروياني في «مسنده» ـ ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٤ / ٣٤ ـ ٣٥ / رقم ١٢٦١)؛ عن حرب بن شداد، عن يحيى، عن الحضرمي بن لاحق التميمي، عن محمد بن أبي بن كعب، به.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦٢)، والشاشي في «مسنده» (٣ / ٣٤٠ / رقم ١٤٥٠)؛ من طريق شيبان، عن يحيى، عن الحضرمي، عن محمد، به.

= وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢٧ ـ ٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١ / ٢٠١ / رقم ٥٤١) ـ ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٤ / ٣٣ / رقم ١٢٦٠) ـ؛ عن أبان بن يزيد، عن يحيى، عن الحضرمي، عن محمد، به.

وعزاه السيوطي في «الجامع الكبير» (٢ / ٣٠٣ ـ مع ترتيبه «كنز العمال») إلى الحارث والروياني وأبي الشيخ في «العظمة» وسعيد بن منصور في «السنن».

والحديث قال فيه الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ١١٨): «رجاله ثقات»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١ / ٣٢٢): «رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد»، وقال الحاكم: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وصححه ابن حبان أيضاً.

وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ٢٧٣ / رقم ٦٥٨).

وحرب بن شداد وشيبان ثقتان ثبتان في يحيى؛ كما في «الكامل» (٢ / ٨٢٢)، و «الجرح والتعديل» (٢ / ١ / ١٦٧).

والجَريْن؛ بفتح الجيم وكسر الراء: هو البيدر، قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٢٢١).

*** قصة معاذ بن جبل مع الشيطان:**

قال الحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٦٣): أخبرنا أبو العباس قاسم بن القاسم السياري، ثنا إبراهيم بن هلال، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، ثنا عبدالمؤمن ابن خالد الحنفي، ثنا عبدالله بن بريدة الأسلمي، عن أبي الأسود؛ قال: «قلت لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: حدثني عن قصة الشيطان حين أخذته. فقال: جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين، فجعلت التمر في غرفة، فوجدت فيه نقصاناً، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: هٰذا الشيطان يأخذه. قال: فدخلت الغرفة، فأغلقت الباب علي، فجاءت ظلمة عظيمة، فغشيت الباب، ثم تصور في صورة فيل، ثم تصور في صورة أخرى، فدخل من شق الباب، فشددت =

= إزاري علي، فجعل يأكل من التمر، قال: فوثبت إليه فضبطته، فالتفت يداي عليه، فقلت: يا عدو الله! فقال: خل عني؛ فإني كبير ذو عيال كثير، وأنا فقير وأنا من جن نصيبين، وكانت لنا هٰذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم، فلما بُعث أخرجنا عنها، فخل عني؛ فلن أعود إليك. فخليت عنه، وجاء جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بما كان، فصلى رسول الله ﷺ الصبح، فنادى مناديه: أين معاذ بن جبل؟ فقمت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك يا معاذ؟». فأخبرته، فقال: «أما إنه سيعود، فَعُد». قال: فدخلت الغرفة، وأغلقت عليَّ الباب، فدخل من شق الباب، فجعل يأكل من التمر، فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى، فقال: خلّ عني؛ فإني لن أعود إليك. فقلت: يا عدو الله! ألم تقل: لا أعود؟! قال: فإني لن أعود، وآية ذٰلك على أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة البقرة، فدخل أحد منا في بيته تلك الليلة».

وقال عقبه: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعبد المؤمن بن خالد الحنفي مروزي ثقة، يجمع حديثه، وروى عنه زيد بن الحباب هٰذا الحديث بعينه» انتهى.

ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وساقه (١ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤) من طريق زيد بن الحباب به.

وأخرجه من طريق الحاكم الأولى البيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١٠٩ ـ ١١٠) وقال: «تابعه زيد بن الحباب عن عبدالمؤمن بن خالد الحنفي المروزي».

وأخرجه من طريق زيد به: ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (رقم ١٤) و «الهواتف» (رقم ١٧٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧).

وقال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٥): «أخرجه البخاري في «تاريخه» والطبراني والبيهقي وأبو نعيم بسند رجاله موثقون».

قلت: وتابعه أيضاً نعيم بن حماد؛ كما عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠ =

= / ١٦١ - ١٦٢ / رقم ٣٣٧) من طريق يحيى بن عثمان بن صالح، عن نعيم، عن عبدالمؤمن، عن عبدالله، عن أبي الأسود، به.

وشيخ الطبراني يحيى بن عثمان صدوق إن شاء الله؛ كما قال الذهبي، وقال ابن أبي حاتم: «وقد تكلموا فيه». وبقية رجاله ثقات.

قاله الهيثمي في «المجمع» (٦ / ٣٢٢).

إلا أن الطبراني أخرجه في «المعجم الكبير» (٢٠ / ٥١ - ٥٢ / رقم ٨٩) من طريق يحيى بن عثمان، عن نعيم بن حماد، عن عبدالمؤمن، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه؛ قال: «بلغني أن معاذ بن جبل...»، وذكر نحوه.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢٨): «قال لنا نعيم: حدثنا عبدالمؤمن بن خالد، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه: سمعت معاذاً يقول: «ضم إلى النبي ﷺ تمر الصدقة...»؛ فذكر نحوه».

وقال: «قال غير نُعيم عن أبي خالد الحنفي، عن ابن بريدة: أتيت أبا الأسود فقال: أتيت معاذاً عن النبي ﷺ بهٰذا».

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠ / ١٠١ / رقم ١٩٧) وفي «مسند الشاميين» (رقم ١٦١٢) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي، عن محمد بن مصفى، عن بقية بن الوليد، عن عقيل بن مدرك، عن لقمان بن عامر، عن الحسن بن جابر القرشي، عن معاذ بن جبل... وذكر نحوه.

وشيخ الطبراني قال فيه الذهبي: «غير معتمد»؛ كما في «المجمع» (٢ / ٢٥٠ و٤ / ١٨٤ و٥ / ٧٢).

وعقيل بن مدرك والحسن بن جابر فيهما ضعف.

وأخرجه من حديث معاذ أبو بكر الروياني؛ كما في «الفتح» (٤ / ٤٨٨)، ووقع في روايته: «... ما أدخلك بيتي تأكل التمر؟ قال: أنا شيخ كبير فقير ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين، ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك، ولقد كنا في مدينتكم هٰذه حتى بعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان تفرقنا منها؛ فإن =

= خليت سبيلي علمتكهما. قلت: نعم. قال: آية الكرسي، وآخر سورة البقرة من قوله: ﴿آمن الرسول...﴾ إلى آخرها».

ففي حديث معاذ من الزيادة على الأحاديث السابقة خاتمة سورة البقرة ﴿آمن الرسول...﴾ إلى آخرها.

* **قصة بريدة الأسلمي مع الغول:**

قال البيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١١٠ ـ ١١١): «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان؛ قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار؛ قال: حدثنا حامد السلمي؛ قال: حدثنا عمرو بن مرزوق؛ قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه؛ قال: كان لي طعام، فتبينت فيه النقصان، فكنت في الليل، فإذا غول قد سقطت عليه، فقبضت عليها، فقلت: لا أفارقك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني امرأة كثيرة العيال، لا أعود. فحلفت لي، فخليتها، فجئت، فأخبرت النبي ﷺ، فقال لي النبي ﷺ: «كذبت، وهي كذوب»، وتبين لي النقصان، قال: فإذا هي قد وقعت على الطعام، فأخذتها، فقالت لي كما قالت لي في الأولى، وحلفت أن لا تعود، فجئت، فأخبرت النبي ﷺ فقال: «كذبت، وهي كذوب»، ثم تبين لي النقصان، فكمنت لها، فأخذتها فقلت: لا أفارقك أو أذهب بك إلى النبي ﷺ. فقالت: ذرني حتى أعلمك شيئاً إذا قلته لم يقرب متاعك أحد منا: إذا أويت إلى فراشك؛ فاقرأ على نفسك ومالك: آية الكرسي. فخليتها، فجئت، فأخبرت النبي ﷺ، فقال: «صدقت وهي كذوب، صدقت وهي كذوب»».

وقال البيهقي عقبه: «كذا قال عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، وهٰذا غير قصة معاذ؛ فيحتمل أن يكونا محفوظين». وقال: «ويذكر عن أبي أيوب الأنصاري أنه وقع له ذٰلك أيضاً».

* **قصة أبي أسيد الساعدي مع الغول:**

قال الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤): «حدثنا علي بن =

= عبدالعزيز، ثنا إبراهيم بن عبدالله الهروي، حدثني عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص؛ قال: سمعت من أب أمي (أي جده لأمه) مالك بن حمزة بن أبي أسيد يحدث عن أبيه عن جده أبي أسيد الساعدي الخزرجي؛ قال: «وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بضاعة، قد بصق فيها النبي ﷺ؛ فهو يبشر بها ويتيمن بها. قال: فلما قطع أبو أسيد تمر حائطه، جعلها في غرفة له؛ فكانت الغول تخالفه إلى مشربته فتسرق ثمره وتفسده عليه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ؛ فقال: «تلك الغول يا أبا أسيد، فاستمع عليها، فإذا سمعت اقتحامها ـ يعني وجبتها ـ فقل: بسم الله، حبسني رسول الله ﷺ». فقالت الغول: يا أبا أسيد! اعفني أن تكلفني أذهب إلى رسول الله ﷺ وأعطيك موثقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك ولا أسرق تمرك فأدلك على آية من كتاب الله، فتقرأ بها على بيتك؛ فلا نخالف إلى أهلك، ولا نكشف غطاءه. فأعطته الموثق الذي رضي به منها. فقالت: الآية التي أدلك عليها هي آية الكرسي، ثم حكت إستها تضرط. فأتى النبي ﷺ فقص عليه القصة حيث ولت. فقال النبي ﷺ: «صدقت، وهي كذوب»».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (رقم ١٣): حدثنا إبراهيم بن عبدالله الهروي، حدثنا عبدالله بن عثمان، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦ / ٣٢٣): «رواه الطبراني، ورجاله وثقوا كلهم، وفي بعضهم ضعف».

قال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٦ ـ ٩٧): «أخرجه الطبراني وأبو نعيم بسند جيد»!!

قلت: إسناده ضعيف.

فيه عبدالله بن عثمان، ذكره الأزدي في «الضعفاء»، وقال أبو حاتم: «شيخ يروي أحاديث مشتبهة»، وقال ابن عدي: «ثنا محمد بن علي، ثنا عثمان. قلت ليحيى بن معين: فعبدالله بن عثمان بن سعد بن إسحاق يروي حديث أبي أسيد=

= في الغول، كيف هو؟ قال: ما أعرفه».
انظر: «الكامل في الضعفاء» (٤ / ١٥٦٢)، و «التهذيب» (٥ / ٢٧٣ _ ٢٧٤).
وفيه مالك بن حمزة، ذكره البخاري في «الضعفاء».
انظر: «الميزان» (٣ / ٤٢٥)، و «التهذيب» (١٠ / ١٢).
ووقع في «مجمع الزوائد» (٦ / ٣٢٣) تحريف، فجاء فيه: «ثم حكت أسنانها تضرط»، وهو تحريف ظاهر.
ووقعت في «فتح الباري» (٤ / ٤٨٩): «ثم حلت إستها تضرط»، والصواب ما أثبتناه، والله تعالى أعلم.
والمشربة: هي الغرفة والعُليّة. انظر: «لسان العرب» (١ / ٤٩١).
والمشربة؛ بضم الراء وفتحها، وجمعها مشارب ومشربات. قاله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩ / ٢٨٦).
وفي الباب عن **زيد بن ثابت** رضي الله عنه؛ كما عند ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» (رقم ١٥)، وكما قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤ / ٤٨٩) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٧٤ / رقم ١١١٤)، وكما قال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٧)، وأشار إليه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١١١).
ورجاله ثقات إن كان أبو إسحاق السبيعي سمعه من زيد؛ إلا أن أبا إسحاق اختلط أخيراً وكان يدلس.
ومما ينبغي ذكره هنا أن بعض هٰذه الأحاديث تدل على وجود الغول، وهي تختلف قوة وضعفاً، ولٰكن مجموعها يؤكد وجوده، وهي محمولة على التعدد؛ كما قدمناه، ولي فيه جزء مطبوع من سنوات.
قال الحاكم في «المستدرك» (٣ / ٤٥٩) عند حديث أبي أيوب الماضي: «هٰذه الأسانيد إذا جمع بينهما صارت حديثاً مشهوراً، والله أعلم»، وهٰذا كلام صحيح، والله أعلم.

ومع هٰذا؛ فقد جرب المجربون[1] الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين؛ مثل أهل الظلم والغضب، وأهل

---

(١) والأمثلة على ذٰلك كثيرة، نجتزىء منها المثالين الآتيين:

* قال الذهبي في «السير» (١١ / ٨٧): عن عباس الدّوري، سمعت يحيى بن معين يقول: «كنت إذا دخلت منزلي بالليل قرأت آية الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فبينا أنا أقرأ إذا شيء يكلمني؛ كم تقرأ هٰذا؟! كأن ليس إنسان يحسن يقرأ غيرك؟! فقلت: أرى هٰذا يسوؤك، والله لأزيدنَّك! فصرت أقرؤها في الليلة خمسين، ستين مرة».

* وقال ابن التركماني في كتابه «اللمع في الحوادث والبدع» (ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧) وهو يسرد سيرة أحد شيوخه: «وكان قد ابتلى الله تعالى هٰذا الشيخ العالم ببلاء آخر، وهو شيطان من الجن، رد على الشيخ في قراءته، فلعنه الشيخ وكذبه، فأخذ الشيخ في عين المعاداة، فكان الشيطان إذا دخل الليل يرجف قلوبهم ويرمي عليهم الأحجار، فشكا ذٰلك للمؤلف ـ فإنه كان من جنسه ومن طلبته ـ، قال: يا بني! يرمي علينا كل يوم قفتين. قلت له: فكان يكسر شيئاً من الأواني أو يصيبكم أنتم. قال: لا، ولٰكن مراده أن يرجفنا. ويرميهم بالأحجار في وسط الدار، وكان للشيخ سلم وفيه مسمار كبير، فقومه الشيطان وأخرجه ورمى به في وجوههم، قال الشيخ: وكان عندي صندوق مقفول وفيه كتب، ففتح الصندوق ورمى كل ما فيه في وجوهنا، وكان يأخذ الغزل من بين يدي الزوجة ويغيب ثم يرمي به على وجوهنا. قال المؤلف: فقلت له: أنا وفلان نجيء إلى بيت سيدي ونقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى. فجئنا وقرأنا سورة البقرة بكمالها، ثم دعونا الله سبحانه؛ فصد الحق الشيطان ببركة القرآن، وبعد ذٰلك ما قرب الدار» انتهى.

الشهوة والطرب، وأرباب السماع والمكاء والتصدية، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني(١)؛ إذ كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنّها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين»(٢).

*** المعالجة بكتابة القرآن بالمداد المباح ويغسل ويسقى المصاب:**

«ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح(٣) ويغسل ويسقى، كما نص على ذٰلك أحمد وغيره، قال عبدالله بن أحمد(٤): قرأت على أبي: ثنا يعلى بن عبيد، ثنا سفيان، عن محمد بن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: إذا عسر على المرأة ولادتها؛ فليكتب: بسم الله لا إلٰه إلا الله الحليم الحكيم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:

---

(١) فالقول كما قيل: إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين، فإن القرآن إذا قرىء بصدق؛ تنزلت الملائكة، فتراها الأرواح الخبيثة، فتفر منها؛ فإنهم يرون ما لا نرى، «وكذٰلك قال الشيطان: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]». وانظر: «مجموع الفتاوى» (٥ / ٣١٢ و١١ / ٢٣٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٣ ـ ٥٦)، و«إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٨ ـ ١٤٠).

(٣) انظر (ص ٦٠٠) من هٰذا الكتاب.

(٤) في «مسائله» (رقم ١٦٢٢، ١٦٢٣).

٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه. وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى. قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها. قال عبدالله: رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف[1].

---

(١) في «مسائل عبدالله» (ص ٤٤٧ / رقم ١٦٢٢): «رأيت أبي يكتب التعاويذ للذي يقرع، وللحمى لأهله وقراباته، ويكتب للمرأة إذا عسر عليها الولادة في جام أو شيء لطيف، ويكتب حديث ابن عباس؛ إلا أنه كان يفعل ذٰلك عند وقوع البلاء، ولم أره يفعل هٰذا قبل وقوع البلاء، ورأيته يتعوذ في الماء ويشربه المريض، ويصبّ على رأسه منه».

قلت: أثر ابن عباس إسناده ضعيف، فيه محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى الأنصاري، صدوق سيىء الحفظ جداً.

ومن طريقه أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٩٩٦ ـ بتحقيقي)، وأورده الدميري في «حياة الحيوان» (١ / ١٤٨) وعزاه لـ«المجالسة».

ورواه عبدالله بن محمد بن المغيرة عن سفيان الثوري به ورفعه، كما عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦١٩).

ورفعه خطأ؛ فعبدالله هٰذا قال أبو حاتم: «ليس بالقوي»، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»، وقال ابن المديني: «ينفرد عن الثوري بأحاديث»، وقال العقيلي: «يُخالف في بعض حديثه، ويحدّث بما لا أصل له».

وانظر: «الميزان» (٢ / ٤٨٧)، و «اللسان» (٣ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

وأخرجه البيهقي في «الدّعوات الكبير» (رقم ٤٩٧) عن حفص بن عبدالرحمٰن، حدثنا محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، به، وقال: «هٰذا موقوف على ابن عباس».

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري: أنا الحسن ابن سفيان النسوي، حدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، ثنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: إذا عسر على المرأة ولادها؛ فليكتب: بسم الله، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتعالى رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. قال علي: يكتب في كاغدة، فيعلق على عضد المرأة. قال علي: وقد جربناه فلم

= قلت: لم يصح مرفوعاً ولا موقوفاً.

والخبر في: «عيون الأخبار» (٤ / ١٢٠ ـ ط دار الكتب العلمية)، و «الطب النبوي» للذهبي (ص ٢٧٩)، و «زاد المعاد» (٤ / ٣٥٧)، و «بستان العارفين» (ص ١٠١).

وذكره السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٣ / ٩٨٦ ـ ٩٨٧) عن «المجالسة» بالسند واللفظ، وعزاه «للجزء الرابع عشر» منه.

قال الإمام البغوي في «شرح السنة» (١٢ / ١٦٦): «روي عن عائشة أنها كانت لا ترى بأساً أن يعوّذ في الماء، ثم يعالج به المريض. وقال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض. ومثله عن أبي قلابة، وكرهه النخعي وابن سيرين، وروي عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادتها: آيتين من القرآن وكلمات، ثم يغسل وتسقى. وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء، وسقاه رجلاً كان به وجع؛ يعني: الجنون».

نر شيئاً أعجب منه، فإذا وضعت تحله سريعاً ثم تجعله في خرقة أو تحرقه»(١).

والأقوى تأثيراً وأسرع شفاءً قراءةُ القرآن على المريض مع مراعاة الشروط السالفة الذكر، قال ابن القيم رحمه الله: «وكان [أي: ابن تيمية] كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]... وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروعَ ومن يعالجَهُ بها، وبقراءة المعوذتين»(٢).

---

(١) إسناد أثر ابن عباس ضعيف؛ كسابقه.
وقول علي بن الحسن بن شقيق «يكتب في كاغدة...» غير صحيح، وتعليق التمائم المكتوب عليها القرآن غير مشروع.
انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٦٧ ـ ١٦٨)، وتعليق شيخنا الألباني على «الكلم الطيب» (ص ٤٤ ـ ٤٥)، وما مضى من «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ٦٨، ٦٩).
ومن الجدير بالذكر ها هنا أن ننبه على ضعف الحديث المرويِّ في تحديد آيات معينة تقرأ على المصروع؛ إذ القرآن كله نافع بإذن الله تعالى، لا سيما الآيات التي فيها الترغيب والترهيب وذكر الجنة والنار، وهاك نص الحديث مع تخريجه وبيان ضعفه:
عن أبي ليلى؛ قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ؛ إذ جاءه أعرابي، فقال: إنّ لي أخاً وَجِعاً. قال: ما وَجَعُ أخيك؟ قال: به لمم. قال: اذهب فأتني به. قال: فذهب، فجاء به، فأجلسه بين يديه، فسمعتُه عوَّذهُ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وآية =

= الكرسي، وثلاث آيات من خاتمتها، وآية من آل عمران، أحسبه قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ...﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية، وآية من المؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وآية من الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر الحشر، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوّذتين. فقام الأعرابي قد برأ ليس به بأس.

وقوله: (به لمم) هو طرف من الجنون، وقيل: هو كل داء يلم من خبل أو جنون أو نحوهما. كذا في «مجمع بحار الأنوار» (٤ / ٥٠٨).

والحديث أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم ٣٥٤٩) عن عبدة بن سليمان، والطبراني في «الدعاء» (رقم ١٠٨٠) عن محمد بن مسروق الكندي؛ كلاهما عن أبي جناب الكلبي، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى، به.

وإسناده ضعيف.

فيه أبو جناب، يحيى بن أبي حيَّة الكلبيّ، وهو ضعيف؛ لكثرة تدليسه، ضعفه يحيى بن سعيد القطان وابن سعد وابن معين، وقال الفلاس: «متروك الحديث»، وقال أحمد: «أحاديثه مناكير». انظر: «تهذيب الكمال» (٣١ / ٢٨٧) والتعليق عليه.

والمتتبع لطرق هٰذا الحديث يجد أن أبا الجناب دلَّسه في موطنين، وهٰذا البيان:

الأول: في قوله: «عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى عن أبيه»، وبينهما رجل؛ كما عند أبي يعلى في «المسند» (رقم ١٥٩٤)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٣٢).

والآخر: في قوله: «عن أبي ليلى؛ قال: «كنت جالساً»، وأبو ليلى قال: حدثني أبي بن كعب؛ قال: «كنت عند النبي ﷺ...» أخرجه عبدالله بن أحمد=

= في «زوائد المسند» (٥ / ١٢٨) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (رقم ١٤٧٧) ـ، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٤١٢ ـ ٤١٣)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (رقم ٥٢٧).

قال الحاكم: «قد احتج الشيخان برواة هٰذا الحديث كلهم عن آخرهم غير أبي جناب الكلبي، والحديث محفوظ ولم يخرجاه».

وتعقَّبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «أبو جناب الكلبي ضعَّفه الدارقطني، والحديث منكر».

قلت: تضعيف الدارقطني له بترجمته في «الضعفاء والمتروكين» (رقم ٥٧٦)، وقوله: «منكر» لتفرد أبي الجناب به؛ فلم يتابعه عليه أحد، وهو مدلس وضعيف.

قال الهيثمي في «المجمع» (٥ / ١١٥): «رواه عبدالله بن أحمد، وفيه أبو جناب، وهو ضعيف؛ لكثرة تدليسه، وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وعزاه فيه (٥ / ١١٥) لأبي يعلى وقال: «فيه من لم يُسمَّ، وأبو جناب وهو ضعيف لتدليسه، ووثقه ابن حبان».

وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٤ / ٨٠ ـ ٨١): «هٰذا إسناد فيه أبو جناب، وهو ضعيف ومدلس».

ثم وجدتُ أنَّ ابن علان في «الفتوحات الربانية» (٤ / ٤٢ ـ ٤٣) ينقل عن ابن حجر قوله عن هٰذا الحديث: «هٰذا حديث غريب»، وذكر الطرق السابقة، وأعله بأبي جناب، وقال عنه: «فجوَّده مرة وسوَّاهُ أخرى».

وأخيراً. . . من الجدير بالذكر أمران:

الأول: ورد حديث لم يثبت في أثر قراءة ما كان يخصه شيخ الإسلام من الآيات على الجن، وهو ما أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢ / ١٦٣) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ـ عن ابن مسعود؛ قال: «بينما أنا والنبي ﷺ في بعض طرقات المدينة؛ إذا برجلٍ قد =

= صُرِع، فدنوتُ منه، فقرأتُ في أذنه، فاستوى جالساً، فقال النبي ﷺ: «ماذا قرأتَ في أذنه يا ابن أم عبد؟». فقلت: فداك أبي وأمي، قرأت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق؛ لو قرأها موقن على جبلٍ؛ لزالَ»».

قال أحمد: «هٰذا حديث موضوع، آفته سلام بن رزين»، وقال الذهبي في «الميزان» (٢ / ١٧٥) عنه: «لا يعرف، وحديثه باطل».

وللحديث طريق أخرى ضعيفة تكلمتُ عليها في تعليقي على «التعقبات على الموضوعات» (رقم ٤٠) للسيوطي.

(تنبيه): لم يرد حديث صحيح في القراءة في أذن المصروع.

والآخر: ذكر الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣) رحلة القرطبي المفسر والقرافي إلى مصر (الفيوم على وجه الخصوص)؛ قال: «فلما دخلاها ارتادا مكاناً ينزلان فيه، فدلا على مكان، فلما أتياه قال لهما إنسان: يا مولانا! بالله لا تدخلاه؛ فإنه معمور بالجان. فقال الشيخ شهاب الدين ـ أي: القرافي ـ للغلمان: ادخلوا، ودعونا من هٰذا الهذيان. ثم إنهما توجها إلى جامع البلد إلى أن يفرش الغلمان المكان، ثم عادا، فلما استقرا بالمكان سمعا صوت تيس من المعز يصيح من داخل الخرستان، وكرر ذٰلك الصياح، فامتقع لون القرافي وخارت قواه وبُهت، ثم إن الباب فُتح وخرج منه رأس تيس وجعل يصيح، فذاب القرافي خوفاً، وأما القرطبي؛ فإنه قائم إلى الرأس، وأمسك بقرنيه، وجعل يتعوذ ويبسمل، ويقرأ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، ولم يزل كذٰلك حتى دخل الغلام ومعه حبل وسكين، وقال: يا سيدي! تنح عنه. وجاء إليه أخرجه وأنكاه وذبحه. فقال: لما توجهتما رأيته مع واحد، فاسترخصته واشتريته لنذبحه ونأكله، وأودعته في هٰذا الخرستان، فأفاق القرافي من حاله، وقال: يا أخي! جزاك الله خيراً، ما كنت قلت لنا، وإلا طارت عقولنا أو كما قال».

فمع قراءة القرآن إما أن ينصرف الجن، وإما أن ينطق على لسان المصروع، فإن كان الأول؛ فالحمد لله كُفِينا شَرَّه، وإن كان الثاني؛ فَيُتَعامل معه كالآتي:

*** إقامة الحجة على الجني الصارع:**

قد علمتَ سابقاً أن أسباب المس ترجع إلى ثلاثة:

الأول: إما عن عشق وشهوة وهوى.

الثاني: أو عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم، أو بصب ماء حار، أو بقتل بعضهم.

الثالث: أو تعدياً منهم على الإنسي.

ولذا حاول أن تقيم على الجني الحجة في خطئه وظلمه حسب سبب دخوله[1]، «فما كان من الباب الأول؛ فهو من الفواحش التي

---

(١) علماً بأن الكذب في الجن كثير جداً، بل هو الغالب؛ فلا ينبغي الاستطراد معهم في الكلام ولا تصديق ما يقولونه كأنه قطعي لا يقبل الشك؛ فإن هٰذا باب عظيم من مداخل الشيطان وجنوده على بني الإنسان، والله المستعان، ومما ينبغي التنبه له هنا أمران:

الأول: لم يثبت دليل صريح صحيح على كلام الجني على لسان الإنسي.

والآخر: لم يثبت دليل صريح صحيح فيه مخاطبة الإنسي للجني (أو المصروع) إلا أمره بالخروج، وذٰلك في الأحاديث المتقدمة (ص ٤٠٤ - ٤١٤).

فكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إقامة الحجة على الجني وظلمه للإنسي، لا يوجد له مستند نقلي؛ إلا أن يقال بأن الشريعة عامة للثقلين، مع =

حرمها الله تعالى كما حرم ذٰلك على الإنس، وإن كان برضى الآخر؛ فكيف إذا كان مع كراهته؟! فإنه فاحشة وظلم، فيخاطب الجن بذٰلك، ويعرَّفون أن هٰذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذٰلك، ويعلمون أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وما كان من القسم الثاني؛ فإن كان الإنسي لم يعلم؛ فيخاطبون بأن هٰذا لم يعلم، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة، وإن كان قد فعل ذٰلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه؛ فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم، بل لكم ما ليس من مساكن الإنس؛ كالخراب والفلوات، ولهٰذا يوجدون كثيراً في الخرب والفلوات، ويوجدون في مواضع النجاسات؛ كالحمامات، والحشوش، والمزابل، والقمامين، والمقابر، والشيوخ الذي تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هٰذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين. . .

والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أُخْبِروا بحكم الله ورسوله، وأقيمت عليهم الحجة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر؛ كما يفعل بالإنس[1]؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

= مزج ذٰلك بالتجاريب وما شابه، وينبغي أن يحرر مدى مشروعية الاعتماد على التجربة في مثل هٰذا الباب، والله الموفّق للصَّواب.

(١) قال ابن مفلح في «الفروع» (١ / ٦٠٧): «كان شيخنا [يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية] إذا أُتي بالمصروع وعظ من صرعه وأمره ونهاه، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارق؛ ضربه حتى يفارقه».

[الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠]»[١].

* ضرب المصروع:

و «قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب؛ فيضرب ضرباً كثيراً جداً، [وقد ضربنا نحن من الشياطين في الإنس ما شاء الله حتى خرجوا من الإنسي ولم يعاودوه، وفيهم من يخرج بالذكر والقرآن، وفيهم من يخرج بالوعظ والتخويف، وفيهم من لا يخرج إلاّ بالعقوبةِ كالإنس][٢]، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذٰلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاث مئة أو أربع مئة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هٰذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين»[٣].

= ونقل هٰذا الكلام عن ابن مفلح السيوطي في «لقط المرجان» (ص ٥٦). وانظر: «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (١ / ٢٩٩)، وقد مضى (ص ٤١٨).

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢٥ ـ ١٢٨)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٠ ـ ٤٣).

(٢) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٤٠٣).

(٣) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / =

= ١١٤)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٤٩٥ و١٩ / ٦٠)، و «النبوات» (ص ٤٠٢)، و «الجواب الصحيح» (٢ / ٣٤١).

وقال ابن القيم في «الزاد» (٤ / ٦٨ ـ ٦٩): «وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هٰذا لا يحل لك. فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذٰلك مراراً.

وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته، قال: فأخذت له عصا، وضربته بها في عروق عنقه حتى كلت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذٰلك الضرب، ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه. فقلت لها: هو لا يحبك. قالت: أنا أريد أن أحج به. فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك. فقالت: أنا أدعه كرامة لك. قال: قلت: لا ولٰكن طاعة لله ولرسوله. قالت: فأنا أخرج منه. قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا له: وهٰذا الضرب كله؟ فقال: وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب؟! ولم يشعر بأنه وقع به ضرب ألبتة. وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين».

قلت: نقل هٰذا الكلام عن ابن القيم الشيخ ابن عثيمين في «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (١ / ٢٩٩)، ورضيه، وقال: «أمَّا العلاج ـ أعني: علاج صرع الأرواح ـ؛ فقد اعترف كبار الأطباء أن الأدوية الطبيعية لا تؤثر فيه، وعلاجه بالدعاء والقراءة والموعظة...»، ثم قال حفظه الله بعد أن ساق الأدلة على ثبوت الصرع من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة؛ قال: «وبهٰذا يتبيّن أن صرع =

= الجن للإنس ثابت بمقتضى دلالة الكتاب والسنة والواقع، وأنكر ذٰلك المعتزلة، ولولا ما أثير حول هٰذه المسألة من بلبلة وجدال أدى إلى جعل كتاب الله تعالى دالاً على معاني تخييلية لا حقيقة لها، ولولا أنَّ إنكار هٰذا يستلزم تسفيه أئمتنا وعلمائنا من أهل السنة أو تكذيبهم ـ أقول لولا هٰذا وهٰذا ـ؛ ما تكلمت في هٰذه المسألة لأنها من الأمور المعلومة بالحس والمشاهدة، وما كان معلوماً بالحس والمشاهدة لا يحتاج إلى دليل؛ لأن الأمور الحسّيّة دليل بنفسها، وإنكارها مكابرة أو سفسطة؛ فلا تخدعوا أنفسكم، ولا تتعجلوا، واستعيذوا بالله من شرور خلقه من الجن والإنس، واستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم».

قلت: وقال الشيخ رشيد رضا في «تفسير المنار» (٨ / ٣٦٩ ـ ٣٧٢) في معرض حديثه عن الدجل والدّجّالين الذين يستخذمون ما يسمى «الزّار» ـ وهو نوع من الشعوذة والطبل والرقص كان يستخدمها المشعوذون مع بعض الطلاسم والأقسام الممنوعة «شرعاً» ـ لعلاج بعض الحالات؛ زعموا!

وقد انتشرت هٰذه الظاهرة وعمَّ بلاؤها في عصر الشيخ رشيد؛ فقام رحمه الله ينكر عليهم ويبين خطأهم وضلالهم، فسئل رحمه الله بما نصه:

«فإن قيل: إن الأناجيل أثبتت أن الشياطين تدخل في أجساد الناس وتصرعهم، وإن المسيح عليه السلام كان يخرج هٰذه الشياطين بإذن الله تعالى منهم، وفي القرآن المجيد ما يشير إلى ذٰلك في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾، وإن قالوا: إنه تمثيل حكي به ما كان مألوفاً عند العرب، وقد حكي عن بعض العلماء المحققين دون الخرافيين وقائع فيه كوقائع الإنجيل، ومن ذٰلك ما حكاه العلامة ابن القيم عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فهل تنكر كل ذٰلك أم ماذا تقول فيه؟

فالجواب: إننا وإن كنا لا نعرف لهٰذه الأناجيل أسانيد صحيحة متصلة، وقد أمرنا أن لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لا حجة له أو عليه في كتابنا، =

= وإن كان شيخا الإسلام من أجلِّ الثقات عندنا فيما يرويان عن أنفسهما وعن غيرهما بالجزم؛ فإننا نقول: إن وقائع الأحوال في هٰذا المقام فيها إجمال، هي به قابلة لأنواع شتى من الاحتمال، على أن ما يؤخذ منها على ظاهره لا حجة فيه على شيء من أعمال الدجالين التي ينكرها الشرع والعقل، وأين دجل هٰؤلاء الفساق المحتالين من معجزة أو كرامة يكرم الله بها نبياً مرسلاً أو ولياً صالحاً، فيشفي على يديه مصروعاً أَلَمَّ به الشيطان أم لم يُلِمْ؟!

وما إلمام الشيطان ببعض الناس بالمحال عقلاً حتى نحار في فهم أمثال هٰذه الروايات النادرة عند أهل الكتاب وعندنا، بل عند جميع الأمم، وإن بعض الأمراض العصبية التي يصرع أصحابها لابسهم الشيطان فيها أم لا لتشفى بتأثير الاعتقاد وبتأثير إرادة الأرواح القوية إذا توجهت إلى الله تعالى سائلة شفاءها، وما نحن بالذين يدارون الماديين أو يبالون بإنكارهم لكل ما لا يثبته الحس لهم، بل نرى أن جملة ما روي عن الأنبياء والعلماء وما اشتهر عند كل الأمم يفيد في مجموعه التواتر المعنوي في إثبات أصل هٰذه المسألة.

وما لنا لا نذكر أنه قد وقع لنا من ذٰلك ما يعده كثير من الناس أمراً عظيماً ويستبعدون أن يكون من فلتات الاتفاق ونوادر المصادفات، من ذٰلك أنه كان في بلدنا (القلمون) في سورية رجل صياد اسمه (عمر كسن) رمى شبكته ليلة في البحر فسمع صوتاً غير مألوف؛ فما لبث بعد ذٰلك أن صار يصرع، ويخيل إليه هجوم فئة من الجن عليه يضربونه متهمين إياه بإصابة فتاة منهم، ورآني وهو غائب عن الحس بالهيئة التي كنت أخلو فيها للعبادة وذكر الله في حجرة خاصة وبيدي مخصرة قصيرة من الأبنوس كنت أعتمد عليها ولم يكن رأى ذٰلك قط، رآني أطرد الجن عنه بهٰذه المخصرة، وكان أهله قد ذكروا لي أمره، ثم دعوني إلى رؤيته ورقيته والدعاء له، فذهبت فألفيته مغمى عليه لا يرى ولا يسمع ممن حوله شيئاً، ولٰكنه كان يقول: جاء سيدنا الشيخ رشيد. . . ولما رأيته على هٰذه الحالة توجهت إلى الله تعالى بإخلاص وخشوع ووضعت يدي =

= على رأسه وقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ففتح عينيه وقام كأنما نشط من عقال، ثم عاد إليه هٰذا بعد زمن طويل لا أذكره وشفاه الله تعالى وأذهب عنه الروع ثانية بنحو مما أذهبه عنه في المرة الأولى، ولٰكنني لم أر أولٰئك الجن الذين كان يراني أجادلهم وأذودهم عنه، والواقعة تحتمل التأويل عندي، ولا أعدها دليلاً قطعياً على كون صرعه كان من الجن كما أنه لا مانع عندي أن يكون منهم، وقد ذكرت هٰذه الواقعة لشهرتها عندنا في البلد وكثرة من شهدها.

وقد يكون من غريب الاتفاق أنني كنت أعاشر بعض أصحاب هٰذا الصرع ولٰكن لم يكن يحدث لهم وأنا معهم قط، ومنهم حمودة بك أخو شيخنا الأستاذ الإمام، كنت أكثر الناس معاشرة لهم وما من أحد كان يكثر زيارتهم إلا ورأى حمودة يصرع، ولا سيما بعد اشتداد النوبات عليه في أثناء مرض الشيخ وبعده حتى كانت ربما تتعدد في اليوم الواحد، ولٰكنني كنت أمكث عندهم في الإسكندرية الأيام والليالي، ولم يقع له شيء من ذٰلك أمامي، ومثله في ذٰلك صديقنا محمد شريف الفاروقي رحمهما الله تعالى، ولا أستبعد أن يكون لبعض الأرواح تأثير في بعض بإذن الله تعالى، كما لا أنفي على سبيل القطع أن يكون ذٰلك من نوادر الاتفاق، وكان شيوخ بلدنا ينقلون عن جدي الثالث غرائب في هٰذا الباب.

وإنني لم أذكر مثل هٰذا إلا لأمرين:

● **أحدهما**: أن لا يظن ظان أني أميل في تشددي في كشف غش الدجالين إلى آراء الماديين.

● **وثانيهما**: أن لا يجعل أحد ما نقل عن مثل شيخ الإسلام من إرساله رسولاً إلى المصروع يخرج منه الشيطان حجة على من ينكر دجل هٰؤلاء الضالين من عبّاد الشياطين أو الدعاة إلى عبادتهم بتخويف الناس مما لا يخيف منهم، أو التقرب إليهم بما يعدّ عبادة لهم، كما يعبد اليزيدية إبليس جهراً بدعوى أنهم

* **انتهار الجني وتهديده:**

ويجوز «أمر الجني ونهيه كما يؤمر الإنسي وينهى، ويجوز من ذٰلك ما يجوز مثله في حق الإنسي، مثل أن يحتاج إلى انتهار الجني وتهديده ولعنه وسبه كما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي الدرداء؛ قال: «قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك». ثم قال: «ألعنك بلعنة الله (ثلاثاً)». وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذٰلك ورأيناك بسطت يدك! قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة؛ فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت آخذه، ووالله؛ لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»»[1].

ففي هٰذا الحديث الاستعاذة منه ولعنته بلعنة الله ولم يستأخر بذٰلك؛ فمد يده إليه.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن

= بذٰلك يتقون شره والعياذ بالله تعالى؛ فأمثال هٰؤلاء الدجالين وأتباعهم هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]» اهـ.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، رقم ٥٤٢).

الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه، فذعتّه، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾؛ فرده الله خاسئاً»[1]؛ فهٰذا الحديث يوافق الأول ويفسره، وقوله: «ذعته»؛ أي: خنقته، فبين أن مد اليد كان لخنقه، وهٰذا دفع لعدوانه بالفعل، وهو الخنق، وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئاً»[2].

* حرمة التعدي وظلم الجن:

فـ «إذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم وانتهارهم وسبهم ولعنهم ونحو ذٰلك من الكلام حصل المقصود، وإن كان ذٰلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم؛ فهم الظالمون لأنفسهم إذا كان الراقي الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم، فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله، وقد

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، رقم ٤٦١، وكتاب الصلاة، باب ما يجوز من العمل في الصلاة، رقم ١٢١٠، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٨٢، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب**﴾، رقم ٣٤٢٣، وكتاب التفسير، باب ﴿**هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**﴾، رقم ٤٨٠٨)، ومسلم في (كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، رقم ٥٤١).

(٢) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٥ ـ ١٣٦)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٠ ـ ٥١).

يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه»[1].

«وذٰلك أن قتل الجن[2] بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل

---

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٧ ـ ١٣٨)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) علق الذهبي في «السير» (٢ / ١٩٦ ـ ١٩٧) عن عائشة أم المؤمنين بإسناد رجاله ثقات؛ فقال: عن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا أبو يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قتلت جانّاً، فأتيت في منامها: والله؛ لقد قتلت مسلماً. قالت: لو كان مسلماً لم يدخل على أزواج النبي ﷺ. فقيل: أوكان يدخل عليك إلاَّ وعليك ثيابك؟ فأصبحت فزعة، فأمرت باثني عشر ألف درهم فجعلتها في سبيل الله».

وقال رحمه الله: عن عفيف بن سالم، عن عبدالله بن المؤمل، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عائشة بنت طلحة؛ قالت: «كان جان يطلع على عائشة، فحرّجت عليه مرة بعد مرة بعد مرة، فأبى إلاَّ أن يظهر، فعدت عليه بحديدة فقتلته، فأتيت في منامها، فقيل لها: أقتلت فلاناً وقد شهد بدراً؟! وكان لا يطلع عليك؛ لا حاسراً، ولا متجردةً؛ إلا أنَّه كان يسمع حديث رسول الله ﷺ. فأخذها ما تقدم وما تأخر، فذكرت ذٰلك لأبيها، فقال: تصدقي باثني عشر ألفاً ديته».

قال (أي الذهبي): «رواه عبدالله بن أحمد، عن عفيف، وهو ثقة، وابن المؤمل فيه ضعف، والإسناد الأول أصح، وما أعلم أحد اليوم يقول بوجوب دية في مثل هٰذا».

قلت: وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٥٤ / رقم ١٠٩٧) عن ابن أبي مليكة؛ قال: «إن جانّاً كان لا يزال يطلع على عائشة رضي الله عنها، فأمرت بقتله، فأتيت في المنام. . .»، وذكره.

وأورده الشبلي في «آكام المرجان» (ص ٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وأبي الشيخ في «العظمة».

الإنس بلا حق[1]، والظلم محرم في كل حال؛ فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً، بل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]»[2].

*** المعالج واحترازه بالطاعات وبُعده عن الآفات وكونه مجاهداً في سبيل الله بإغاثته الملهوف ونصرته المظلوم:**

فهٰذه هي الطريقة المشروعة التي ليس فيها أيَّ تعدٍ عليهم،

---

(١) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٢٣٦) عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة: «أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حيّة، فوثبت لأقتلها، فأشار إليّ: أن اجلس. فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت من الدار، فقال: أترى هٰذا البيت؟ فقلت: نعم. قال: كان فيه فتى منّا حديث عهد بعرس. قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذٰلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك؛ فإني أخشى عليك قريظة». ثم رجع؛ فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غَيْرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل؛ فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها الرمح، فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه؛ فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً: الحيّة أم الفتى. قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ، فذكرنا ذٰلك له وقلنا: ادع الله يحييه لنا. فقال: «استغفروا لصاحبكم». ثم قال: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذٰلك؛ فاقتلوه؛ فإنما هو شيطان»».

(٢) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٢٩)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٤).

فـ «من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله؛ فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هٰذا لا تؤذيه الجن؛ إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه، وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف؛ فقد تؤذيه؛ فينبغي لمثل هٰذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسي والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذٰلك مما يقوي الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه؛ فإنه مجاهد في سبيل الله، وهٰذا من أعظم الجهاد؛ فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته؛ فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق»(١).

*** العلاج الممنوع وأحوال فاعليه:**

العلاج الشرعي هو ما أسلفناه لك، وما سواه من ذهاب إلى السحرة والمشعوذين لا يجوز أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]: «كان الرجل من الإنسي ينزل بالوادي ـ والأودية مظان الجن؛ فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض ـ، فكان الإنسي

---

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٨)، و «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٣).

يقول: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من سفهائه. فلما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغَيَّرَهم[1]، وبهٰذا يجيبون المُعَزِّمَ والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم؛ فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه، فيحصل لهم بذٰلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم، لا سيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً، فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم؛ كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته.

*** الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به:**

ثم الشياطين منهم من يختار الكفر والشرك ومعاصي الرب، وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر، ويلتذون به ويطلبونه، ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه، كما قال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [صَ: ٨٢ - ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

*** الإنسان إذا فسدت نفسه فإنه يشتهي ما يضره:**

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٤، ٣٠٤)، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٢٣).

يعشق ذٰلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، والشيطان هو نفسه خبيث، [وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض، تارة يبرون قسمه، وكثيراً لا يفعلون ذٰلك بأن يكون ذٰلك الجني معظماً عندهم، وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضي إعانتهم على ذٰلك؛ إذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذي يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه][(1)]، وهٰذا يختلف أحواله؛ فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا إليه، وقد يكون ذاك منيعاً؛ فأحوالهم شبيهة بأحوال الإنس، لٰكن الإنس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد، والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر.

*** تسخير الجن يقوم على المعاوضة:**

[ولا يستخدم أحد منهم إلا بمعاوضة: إما عمل مذموم تحبه الجن، وإما قول تخضع له الشياطين؛ كالأقسام والعزائم؛ فإن كل جني فوقه من هو أعلا منه، فقد يخدمون بعض الناس طاعة لمن فوقهم، كما يخدم بعض الإنس لمن أمرهم سلطانهم بخدمته لكتاب معه منه، وهم كارهون طاعته، وقد يأخذون منه ذٰلك الكتاب ولا يطيعونه، وقد يقتلونه أو يمرضونه؛ فكثير من الناس قتلته الجن، كما يصرعونهم][(2)].

*** عدم جواز علاج المصروع بما لا يشرع:**

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك

---

(1) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٨٧).

(2) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٣٩٩).

وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به؛ [فليس لأحد أن يرقي بها، ولا يعزم، ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها؛ فإنما حرمه الله ورسوله لأن ضرره أكثر من نفعه][(١)]؛ فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجني وكثيراً ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه، فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذٰلك تخييلاً وكذباً، هٰذا إذا كان الذي يرى ما يخيلونه صادقاً في الرؤية؛ فإن عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه إما بالمكاشفة والمخاطبة إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين يضلهم الجن والشياطين، وإما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه، فإذا رأى المثال أخبر عن ذٰلك، وقد يعرف أنه مثال، وقد يوهمونه أنه نفس المرئي، وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين إذا استغاث به بعض محبيه، فقال: يا سيدي فلان! فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذٰلك الإنسي، فإذا رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذٰلك الإنسي بمثل ذٰلك الصوت، وهٰذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة][(٢)]، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذٰلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك؛

---

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٧٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٤٥ ـ ٤٦)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣١ ـ ١٣٢).

صار ذٰلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة.

*** السحرة يكتبون كلام الله بالنجاسة:**

ولهٰذا كثير من هٰذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة ـ وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل: إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وإما غيرهما ـ: إما دم، وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذٰلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذٰلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم: إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، [ويأتونه إما بطعام، وإما شراب، وإما لباس، وإما نقد](١)، وإما غير ذٰلك، [وتارة يأتونه في بعض المفاوز بماء عذب وطعام وغير ذٰلك](٢).

وأعرف في كل نوع من هٰذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته؛ فإنهم كثيرون جداً](٣).

---

(١) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ٣٩٩). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٨ / ٥٣٤).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٣٤ ـ ٣٥)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١١٩ ـ ١٢١).

*** السحرة يرضون الشياطين بأفعال الكفر والردة:**

ومن هٰؤلاء السحرة والدجاجلة من يدخل الحمام ويطأ المصحف بقدمه أو يتغوط عليه ونحو ذٰلك من أفعال الكفر والردة، كل هٰذا لإرضاء الشياطين والتقرب إليهم»(١).

ومن صور العلاج المحرم أيضاً: ذهاب بعض المصروعين إلى الكنائس، وجعل نذر لها حتى يبرأ ونحو ذٰلك(٢).

*** دليل تحريم وسائل العلاج غير المشروعة:**

وهٰذه الوسائل كلها محرمة لا تجوز، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذٰلك الاستعاذة بالمخلوقات [لا تجوز](٣)، بل إنما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته، ولهٰذا احتج السلف كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات»(٤). قالوا: فقد استعاذ بها، ولا يستعاذ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٥٢٥ و٢١ / ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٢٠، ٤٥٢)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٦٠)، و «شرح العمدة» (١ / ١٥٢).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٨٢).
وقد رده واستنكره هناك بقوله رحمه الله: «وهٰذا إذا لم يكن كذباً؛ فإنه من فعل الشياطين، كما يفعل مثل ذٰلك عند الأوثان، وأنا أعرف من ذٰلك وقائع متعددة».

(٣) ما بين المعقوفتين من إضافاتي، وهي مستفادة من المعطوف عليه قبل ذٰلك؛ فقد ذكر أن الحلف بالمخلوقات حرام لا يجوز، وذكر الأدلة عليه، ثم عطف عليه هٰذا الكلام؛ فانظره إن شئت.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء=

بمخلوق.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ؛ أنه قال: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[1]؛ فنهى عن الرقى التي فيها شرك، كالتي فيها استعاذة بالجن كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ولهٰذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره، التي تتضمن الشرك، بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذٰلك خشية أن يكون فيه شرك، بخلاف ما كان من الرقى المشروعة؛ فإنه جائز؛ فإذاً لا يجوز أن يقسم لا قسماً مطلقاً ولا قسماً على غيره إلا بالله عز وجل، ولا يستعيذ إلا بالله عز وجل.

والسائل لله بغير الله إما أن يكون مقسماً عليه، وإما أن يكون طالباً بذٰلك السبب، كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم[2]، وكما

= ودرك الشقاء وغيره، رقم ٢٧٠٨)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الدعوات، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا نزل منزلاً، رقم ٣٤٣٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٥٦٠، ٥٦١)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوَّذ به، رقم ٣٥٤٧)، وأحمد في «المسند» (٦ / ٣٧٧)، وعبدالرزاق في «المصنف» (رقم ٩٢٦٠، ٩٢٦٢)، ومالك في «الموطأ» (٢ / ٩٧٨)، والدارمي في «السنن» (٢ / ٢٨٧)، وغيرهم؛ عن خولة بنت حكيم رفعته.

(١) سبق في تخريجه (ص ٦٢).

(٢) يشير رحمه الله إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فَرَضي، رقم ٢٢١٥، وكتاب الإجارة، باب من =

يتوسل بدعاء الأنبياء والصالحين»[1].

«وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه؛ فلا يشرع، لا سيما إن كان فيه شرك؛ فإن ذٰلك محرم، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرؤون مع ذٰلك شيئاً من القرآن ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله.

*** حرمة التداوي بالكفر والشرك:**

والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير[2]؛ فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذٰلك محرم في كل حال، وليس هٰذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذٰلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، والتكلم به

= استأجر أجيراً فترك أجره، رقم ٢٢٧٢، وكتاب الحرث والزراعة، باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، رقم ٢٣٣٣، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم ٣٤٦٥، وكتاب الأدب، باب إجابة دعاء مَنْ بَرَّ والديه، رقم ٥٩٧٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، رقم ٢٧٤٣)؛ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رفعه.

وفي الباب عن أبي هريرة وأنس والنعمان بن بشير وعلي وعبدالله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر وابن أبي أوفى، وخرَّجت أحاديثهم وذكرت الفوائد المستنبطة من هٰذه القصة في كتابي «من قصص الماضين» (ص ١٣٩ ـ ١٤٦)؛ فانظره غير مأمور.

(١) «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٣٦).

(٢) انظر ما علقناه على (ص ٤٤٥).

إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر، والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده، وأيضاً؛ فإن المكره مضطر إلى التكلم به ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به؛ لوجهين:

أحدهما: أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم؛ فلا يؤثر بل يزيده شراً.

والثاني: أن في الحق ما يغني عن الباطل.

والناس في هٰذا الباب ثلاثة أصناف: قوم يكذبون بدخول الجني في الإنس، وقوم يدفعون ذٰلك بالعزائم المذمومة؛ فهٰؤلاء يكذبون بالموجود، وهٰؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود، والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالإلٰه الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه؛ فتدفع شياطين الإنس والجن.

*** حكم الذهاب إلى السحرة والكهان:**

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم؛ فهٰذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسؤول؛ فهو حرام، كما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي؛ قال: «قلت: يا رسول الله! أموراً كنا نصنعها في الجاهلية: كنا نأتي الكهان. قال: «فلا تأتوا الكهان»»[1]، وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، رقم ٥٣٧، وكتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤ / ١٧٤٩) عن معاوية بن الحكم رفعه.

عبيدالله، عن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ؛ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»(١).

*** جواز سؤال العالم للكاهن لامتحانه وبيان كذبه:**

وأما إن كان يسأل المسؤول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه؛ فهٰذا جائز، كما ثبت في «الصحيحين»: «أن النبي ﷺ سأل ابن صياد، فقال: «ما يأتيك؟». فقال: يأتيني صادق وكاذب. قال: «ما ترى؟». قال: أرى عرشاً على الماء. قال: «فإني قد خبأت لك خبيئاً». قال: الدخ الدخ. قال: «اخسأ؛ فلن تعدو قدرك؛ فإنما أنت من إخوان الكهان»»(٢).

وكذٰلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن، كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به، وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت؛ فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة؛ كما قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:

= وخرجته بتفصيل شديد في تعليقي على «الموافقات» للشاطبي (١ / ٦٠ - ٦٤)، وهو حديث الجارية وسؤال النبي ﷺ لها: «أين الله؟».

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم ٢٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه؟ رقم ١٣٥٤، وكتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم ٣٠٥٥)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن، باب ذكر ابن صيّاد، رقم ٨٦).

٦]، وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة: «إن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية، فقال النبي ﷺ: «إذا حدَّثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذِّبوه، وإما أن يحدِّثوكم بباطل فتصدقوه، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»»[(١)]؛ فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري «أنه أبطأ عليه خبر عمر، وكان هناك امرأة لها قرين من الجن، فسأله عنه، فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة، وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشاً فقدم شخص إلى المدينة، فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذٰلك، فذكر له، فقال: هٰذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس بعد ذٰلك. فجاء بعد ذٰلك بعدة أيام»[(٢)][(٣)].

*** بين المعالج الشرعي والمشعوذ:**

كثير من أهل العزائم يتعدون على الجن؛ «فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهٰذا قد تقاتلهم الجن على ذٰلك؛ ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه، وفيهم من يفعل

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها، رقم ٧٥٤٢).

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٠٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٦١ ـ ٦٣)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٤٥ ـ ١٤٨).

ذلك بأهله وأولاده أو دوابه.

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله؛ فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لا تؤذيه الجن؛ إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه...»[1].

*** التحصن من الجن:**

أولاً: ذكر الله تعالى والإخلاص له.

«إن الذي قد علم بالسمع والعقل أنه [أي: الآدمي] إذا فرغ قلبه من كل شيء حلت فيه الشياطين ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهان؛ فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧]، وقال الشيطان فيما أخبر الله عنه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً، وإنما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله، فمن لم يكن كذلك تولته

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٣)، و «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢ / ١٣٨).

الشياطين»[1].

«. . . بل الشيطان يلتقم قلبه [أي: قلب ابن آدم]، فإذا ذكر الله؛ خنس، وإذا غفل قلبه عن ذكره؛ وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي، فيزينها له، [والشيطان وسواس خناس، إذا ذكر العبدُ ربَّه خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس، فلهٰذا كان ترك ذكر الله سبباً ومبدأً لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة، ومن ذكر الله تعالى: تلاوة كتابه، وفهمه، ومذاكرة العلم؛ كما قال معاذ بن جبل: «ومذاكرته التسبيح»[2]][3]،

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٥٢).
وانظر: «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦٤)، و «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٥٤٦ و١٣ / ٢١٧، ٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١ / ٢٤٠ / رقم ٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٢٣٩)، وابن لال، وأبو الشيخ في «الثواب»، والخطيب في «المتفق والمفترق» ـ كما في «كنز العمال» (١٠ / ١٦٧)ـ.
وعزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» إلى سليم الرازي في «الترغيب والترهيب»، وقال: «وفيه كنانة بن جبلة ضعيف جداً».
قلت: وكذبه ابن معين، وطريقا ابن عبدالبر وأبي نعيم ليس فيهما كنانة، بل نوح ابن أبي مريم المعروف بنوح الجامع، وهو «جمع كل شيء إلا الصدق»؛ كما قال ابن حبان، وهو من الدجاجلة الكذابين المعروفين.
وهٰذا الأثر له طرق عن أنس وأبي هريرة وعبدالله بن أبي أوفى لا تسلم من متَّهم أو شديد الضَّعف.
وروي عن معاذ مرفوعاً أيضاً بسندٍ موضوع؛ فهو لم يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، وضعفه شديد، والله وليّ التوفيق والتسديد.

(٣) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٤).

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث ذكر صفية رضي الله عنها: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[(١)]، وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار، سواء كان العبد مؤمناً أو كافراً»[(٢)].

*** ذكر الله حصن من الشيطان:**

«وهٰذا كما جاء في الحديث المعروف عن النبي ﷺ في الكلمات الخمس التي قام بها يحيى بن زكريا في بني إسرائيل؛ قال: «أوصيكم بذكر الله؛ فإن مثل ذٰلك مثل رجل طلبه العدو، فدخل حصناً، فامتنع به من العدو، فكذٰلك ذكر الله، هو حصن ابن آدم من الشيطان»[(٣)]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٥٠٨).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٣ / ١٤٠ ـ ١٤٢ / رقم ١٥٧١) و «المفاريد» (رقم ٨٣)، ـومن طريقه ابن عساكر في «الأربعين في الحث على الجهاد» (رقم ٦)ـ: ثنا هُدبة بن خالد، ثنا أبان بن يزيد، ثنا يحيى بن أبي كثير: أن زيداً حدثه أن الحارث الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال... وذكره.
وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (رقم ١٥٥٠ ـ موارد) من طريق عمران بن موسى بن مجاشع، والآجري في «الشريعة» (ص ٨) من طريق جعفر بن محمد الفريابي؛ كلاهما عن هدبة، به.
وأخرجه الطيالسي في «المسند» (١١٦١ و١١٦٢)، وعنه الترمذي في (٢٨٦٤) في أبواب الأمثال (باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٤٢١)؛ من طريق أبان، به.
وأخرجه ابن طهمان في «مشيخته» (٢٠٠) من طريق السري بن يحيى، عن يحيى بن أبي كثير، به.

= وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤ / ٣٩٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١ / ٢ / ٢٦٠)، وعنه الترمذي (٢٨٦٣) في أبواب الأمثال (باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٨٧، ٣٤٢٨)؛ من طريقين عن موسى بن إسماعيل، وابن منده في «الإيمان» (٢١٢) من طريق يحيى بن حماد؛ كلاهما عن أبان، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٣٠ و٢٠٢) وأبو عبيد في «المواعظ والخطب» (رقم ٩٥) من طريق عثمان، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٨٥ / رقم ٣٤٢٧) من طريق علي بن عبدالعزيز، وابن الأثير في «أسد الغابة» (١ / ٣٨٣) من طريق المعافى بن عمران؛ كلهم عن موسى بن خلف، عن يحيى بن أبي كثير، به.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١ / ١١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٨٩ / رقم ٣٤٣١)؛ من طريقين عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير.

وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٧٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٨٧ / رقم ٣٤٢٩)؛ من طريق معمر، عن يحيى بن أبي كثير، به؛ إلا أنه وقع عند عبدالرزاق: «عن يحيى بن أبي كثير: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال... وذكر نحوه».

والإسناد المذكور رجاله رجال مسلم، قال الحاكم: «هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

قلت: وإنما هو على شرط مسلم وحده؛ لأن زيد بن سلام وأبا سلام لم يخرج لهما البخاري في «الصحيح»، وإنما في «الأدب المفرد».

ويحيى بن أبي كثير مدلس؛ إلا أنه صرح بالتحديث عند ابن حبان، ولم ينفرد به أيضاً؛ فقد تابعه معاوية بن سلام عن زيد عن أبي سلام به؛ كما عند: ابن خزيمة في «الصحيح» (١ / ٢٤٤ / رقم ٤٨٣ و٢ / ٦٤ / رقم ٩٣٠)،

أو كما قال؛ فشبه ذكر الله في امتناع الإنسان به من الشيطان بالحصن الذي يمتنع به من العدو»[1].

و «كما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠]، ولما قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، ثم قال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤].

فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم»[2].

= والنسائي في «السنن الكبرى» ـ كما في «تحفة الأشراف» (٣ / ٣) ـ، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٢٨٢ و٨ / ١٥٧) و «شعب الإيمان» (١ / ٣٢٥ ـ ٣٢٦) و «الأسماء والصفات» (٣٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٨٧ / رقم ٣٤٣٠) و «مسند الشاميين» (رقم ٢٨٢٨).

قال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٢ / ٢٢٧ ـ بهامش «الإصابة»): «وهو حديث حسن جامع لفنون من العلم، لم يحدث به عن أبي سلامة بتمامه إلا معاوية بن سلام».

قلت: وكذا يحيى بن أبي كثير؛ كما مضى، وحسنه الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١ / ١٠٢)، وصححه ابن خزيمة وغيره.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ٥٢٤).

(٢) «النبوات» (ص ٤٠٠)، ولذلك؛ فإن «البدع الظاهرة المشهورة مثل بدعة =

«وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]؛ فالمتقون إذا أصابهم هٰذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم يتذكرون ما علموه قبل ذٰلك، فيزول الطيف ويبصرون الحق الذي كان معلوماً، ولٰكن الطيف يمنعهم عن رؤيته.

قال تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]؛ فإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في غيهم، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] لا تقصر الشياطين عن المدد والإمداد، ولا الإنس عن الغي؛ فلا يبصرون مع ذٰلك الغي ما هو معلوم لهم مستقر في فطرهم، لٰكنهم ينسونه»(١).

«وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وإبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾

= الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة لم يعرف عن أحد من الصحابة شيء من ذٰلك، بل النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة، وكذٰلك اجتماع رجال الغيب بهم أو الخضر أو غيره، وكذٰلك مجيء الأنبياء إليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم إلى عرفات ونحو ذٰلك مما وقع فيه كثير من العباد، وظنوا أنه كرامة من الله وكان من إضلال الشياطين لهم، لم تطمع الشياطين أن توقع الصحابة في مثل هٰذا؛ فإنهم كانوا يعلمون أن هٰذا كله من الشيطان ورجال الغيب هم الجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وكذٰلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه». من كتاب «الرد على الأخنائي» (ص ١٠٤).

(١) «التفسير الكبير» (٦ / ٣٤١). وانظر: «التفسير الكبير» (٣ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

[الحجر: ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠]؛ فبين أن سلطان الشيطان وإغواءه إنما هو لغير المخلصين، ولهٰذا قال في قصة يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وأتباع الشيطان هم أصحاب النار؛ كما قال تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [صَ: ٨٥]»(١).

ثانياً: الاستغفار.

وكذٰلك التحصن من الشيطان ومحاربته تكون بالاستغفار، قال ابن تيمية رحمه الله: «ولهٰذا جاء في الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بـ (لا إلٰه إلا الله) والاستغفار»(٢)، وقد قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، و «كان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبره ثلاثاً، ويقول: «لا إلٰه إلا أنت، سبحانك، ظلمت نفسي؛ فاغفر لي»(٣)، وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس: «سبحانك

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٥٠ و١٤ / ٢٨٢). وانظر: «الإيمان» (ص ٢٩).

(٢) أخرجه بهٰذا اللفظ أبو يعلى في «المسند» ـ رواية ابن المقرىء ـ، والطبراني في «الدعاء» (رقم ١٧٨٠) بإسناد ضعيف فيه عثمان بن مطر وعبدالغفور بن عبدالعزيز.

وأعله في «المجمع» (١٠ / ٢٠٧) ـ وعزاه لأبي يعلى ـ بعثمان بن مطر.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب، =

اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»[1]، والله أعلم»[2].

و «قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء،

= رقم ٢٦٠٢)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة، رقم ٣٤٤٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٥٠٢، وكتاب السير) ـ كما في «التحفة» (٧ / ٤٣٦) ـ، وأحمد في «المسند» (١ / ٩٧، ١١٥، ١٢٨)، والطيالسي في «المسند» (١٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٩٨، ٩٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٧١)؛ بإسناد ظاهره الصحَّة، ولٰكن له علة خفيَّة ذكرها الحاكم في «تاريخ نيسابور»؛ كما في«الفتوحات الربانية» (٥ / ١٢٥) نقلاً عن ابن حجر.

ولٰكن للحديث طريق أخرى، ولهٰذا صححه الترمذي والحاكم والذهبي والنووي في «الأذكار» (١ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦) وغيرهم.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، رقم ٤٨٥٧) عن عبدالله بن عمرو رفعه.

وإسناده صحيح.

وأخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم ٣٤٣٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٣٩٧)، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٤٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٣٦)، وغيرهما عن أبي هريرة.

والحديث صحيح، له شواهد عن أبي برزة الأسلمي، وجبير بن مطعم، ورافع ابن خديج.

وانظر: «النكت على ابن الصلاح» لابن حجر (٢ / ٧٣٥)، و «الأذكار» (٢ / ٧٣٥) للنووي.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٨٩ ـ ٩٠).

فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه؛ فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[1].

* **الفرق بين طيف الشيطان ورين الذنوب:**

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب، هذا جزاء على الذنب، والغين ألطف من ذلك؛ كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ؛ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[2]؛ فالشيطان يلقي في النفس الشر، والملك يلقي الخير، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: ««ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله! قال: «وإياي؛ إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»»، وفي رواية: «فلا يأمرني إلا بخير»[3]؛ أي: استسلم وانقاد.

وكان ابن عيينة يرويه: «فَأَسْلَمُ» بالضم، ويقول: إن الشيطان لا

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب التفسير، باب من سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، رقم ٣٣٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (كتاب التفسير، رقم ١١٦٥٨) و «عمل اليوم والليلة» (رقم ٤١٨)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم ٤٢٤٤)، وابن جرير في «التفسير» (٣٠ / ٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٥١٧)، وغيرهم؛ عن أبي هريرة رفعه. **وإسناده حسن.**

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم ٢٧٠٢) عن الأغرِّ المُزَنيّ رفعه.

(٣) مضى تخريجه (ص ١٩٢).

يُسْلِم، لٰكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهٰذا إسلامه، وإن كان ذٰلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله، كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذٰلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر؛ فلا يقبله، بل يعاقبه على ذٰلك، فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه لا لصلاحه ودينه، ولهٰذا قال ﷺ: «إلا أن الله أعانني عليه؛ فلا يأمرني إلا بخير»(١)، وقال ابن مسعود: «إن للملك لمّة، وإن للشيطان لمّة؛ فلمّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمّة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق»(٢)، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ أي: يخوفكم أولياؤه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة؛ كشيطان الإنس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل»(٣).

*** الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان:**

«فذكر عبدالله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان؛ فلمة الملك تصديق بالحق، وهو ما كان من غير جنس الاعتقاد الفاسد، ولمة الشيطان هو تكذيب بالحق وإيعاد بالشر، وهو

---

(١) مضى تخريجه (ص ١٩٢).

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٦١).

وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٢٧٨ و١٧ / ٥٣١)

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٢٢ ـ ٥٢٤)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٨٠ ـ ٥٨١)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢١٠ ـ ٢١١).

ما كان من جنس إرادة الشر، وظن وجوده إما مع رجائه إن كان مع هوى نفس، وإما مع خوفه إن كان غير محبوب لها، وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر؛ فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك، ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ أي: يخوفكم أولياءه، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٤٨]»[١].

ثالثاً: الاستعاذة بالله من الشيطان.

الاستعاذة بالله من الشيطان حصن حصين منه وجنوده، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦][٢].

«وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «ما من مولود إلا يمسه الشيطان، فيستهل صارخاً من الشيطان إلا مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]»[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣١ ـ ٣٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٨).

(٣) «التفسير الكبير» (٣ / ١٨١ ـ ١٨٢).

وقال ﷺ: إذا سمعتم الديكة؛ فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير؛ فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطاناً»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٢]، أفاد شيخ الإسلام رحمه الله أن فيها أقوالاً، منها قول الحسن: «إنه إبليس وذريته»[2].

والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته»[3].

رابعاً: قراءة آية الكرسي عند النوم.

ففي «صحيح البخاري» قصة الشيطان مع أبي هريرة رضي الله

= والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾، رقم ٣٤٣١، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، رقم ٤٥٤٨)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب الفضائل، باب فضل عيسى ﷺ، رقم ٢٣٦٦)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال، رقم ٣٣٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، رقم ٢٧٢٦)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه.
وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣٢ / ٢٥٩).

(٢) «التفسير الكبير» (٧ / ٥٩٢ ـ ٥٩٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٣٨).

عنه، وفيها قوله لأبي هريرة: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح»(١).

وتصديق النبي ﷺ هٰذه المقولة. وقد سبق سرد القصة بتمامها في كيفية العلاج الشرعي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم، ولهٰذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي(٢) وآخر سورة البقرة،

---

(١) انظر ما سبق (ص ٤٥٨). وانظر: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٨)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ٣٠٠)، و «النبوات» (ص ٤٠٤).

(٢) أخرج الدينوري في «المجالسة» (٢٤٧٥ ـ بتحقيقي) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٧٧ ـ ترجمة عمر) ـ؛ عن ابن مسعود أنه قال: «لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن، فصارعه، فصرعه الإنسي، فقال له الجني: عاودني. فعاوده، فصرعه الإنسي، فقال له الإنسي: إنّي لأراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذُرَيْعَتَيْك ذُرَيعا كلب؛ أفكذٰلك أنتم معاشر الجن، أم أنت منهم كذا؟! قال: لا والله إني منهم لضليع، ولٰكن عاودني الثالثة، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك. قال: فعاوده، فصرعه؛ قال: هات علمني. قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم. قال: فإنك لا تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان، ثم لا يدخله حتى تصبح. فقال رجل في القوم: يا أبا عبدالرحمٰن! من ذاك الرجل من أصحاب محمد ﷺ؛ هو عمر؟ فقال: من يكون هو إلا عمر رضي الله عنه؟!».

وأخرجه الدارمي في «السنن» (٢ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨): حدثنا أبو نعيم، به.

وغير ذٰلك من قوارع القرآن»[1].

خامساً: قراءة سورة البقرة وخاصة أواخرها.

وانظر كلامه السابق رحمه الله[2].

= وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢ / ٣٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧ / ١٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩ / ١٨٣ و١٨٣ ـ ١٨٤ / رقم ٨٨٢٤ و٨٨٢٦)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٣ / ٣١٦) وفي «فضائل القرآن» ـ كما قال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٩٧) ـ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٧٥ ـ ٧٧، ٧٧ ـ ٧٨ ـ ترجمة عمر)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣١٤).

وقال الهيثمي في «المجمع» (٩ / ٧١): «رواهما الطبراني بإسنادين، ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح؛ إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، ولٰكنه أدركه، ورواة الطريق الأولى فيها المسعودي وهو ثقة، ولٰكنه اختلط؛ فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (رقم ٦٣): حدثنا علي بن الجعد؛ قال: أخبرني عكرمة بن عمار، عن عاصم؛ قال: حدثني زر؛ قال: سمعت عبدالله يقول. . . وذكر نحوه.

وقال أبو عبيد: «قوله: «ضئيلاً شخيتاً» هما جميعاً النحيف الجسم الدقيق. وقوله: «إني منهم لضليع»، الضليع: العظيم الخلق. وفي بعض رواياته: «إلا خرج وله خبج»: والخبج: الضُّراط، وهو الحبج أيضاً بالحاء، وله أسماء سوى هٰذين كثيرة».

والخبر في: «حياة الحيوان» (١ / ٢٠٩ و٢ / ١٩٥) للدِّميري، و «التبصرة» (١ / ٤٢٥)، و «الجليس الصالح» (ق ١٤٤).

وانظر: (ص ٤٥٧ - ٤٧٢) من هٰذا الكتاب.

(١) «النبوات» (ص ٤٠٠).

(٢) ودليل الأولى [أي: سورة البقرة]: قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن =

= الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».

أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم ٨٠٤).

وقوله ﷺ: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن أهلهما يوم القيامة».

ثم قال: «اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم ٢٨٨٦).

قال معاوية (وهو ابن سلاَّم أحد رواة الحديث): «بلغني أنّ البَطَلة السَّحَرة».

وأخرج مسلم في «الصحيح» (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ١ / ٥٣٩ / رقم ٧٨٠)، والنسائي في «فضائل القرآن» (٧٦) و«عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦٥)، وأحمد في «المسند» (٣ / ٢٨٤، ٣٣٧، ٣٣٨)، والترمذي في «الجامع» (٥ / ١٥٧ / رقم ٢٨٧٧)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (رقم ١٧٢ و١٨٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ورقة ٥٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٢ / ١١١ - مع «الإحسان»)، والبيهقي في «الشعب» (١ / ٢ / ٣٥٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤ / ٤٥٥)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»، وفي بعض رواياته: «ينفر» بدلاً من «يفر».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦ / ٦٩): «هٰكذا ضبطه الجمهور: ينفر، ورواه بعض رواة مسلم: يفر، وكلاهما صحيح».

ودليل الثانية [أي: أواخر سورة البقرة] قوله ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن

سادساً: قراءة المعوذات ثلاثاً صباحاً ومساءً.

فعن عبدالله بن خبيب رضي الله عنه؛ قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسولَ الله ﷺ يصلي لنا، فأدركته، فقال: «قل»، فلم أقل شيئاً. ثم قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»(١).

= يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا تقرآن في دار ثلاث ليالٍ فيقربها شيطان».

أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم ٢٨٨٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦٦، ٩٦٧)، والدارمي في «السنن» (٢ / ٤٤٩)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٧٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢٣٢، ٢٣٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١ / ٥٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧ / ٢٤٩٠)، وابن نصر في «قيام الليل» (٦٨ ـ «مختصره»)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (١٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٦٢ و٢ / ٢٦٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٠) و«الشعب» (١ / ٢ / ٣٦١)، والبغوي في «التفسير» (٤ / ٤٦٦) و«شرح السنة» (٤ / ٤٦٦)؛ عن النعمان بن بشير رفعه.

وإسناده حسن.

وانظر: «العلل» (٢ / ٦٣ ـ ٦٤) لابن أبي حاتم.

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥ / ٢١)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٥٧٠)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٥٠٨٢) ـ وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣ / ٢٢٣) ـ، والنسائي في «المجتبى» (٨ / ٢٥٠، ٢٥١)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ٤٩٤ ـ «المنتخب»)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥ / ٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤ / ٣٥١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ٤١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد =

سابعاً: قراءة المعوذات عند النوم.

فعن عائشة رضي الله عنها «عن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذٰلك ثلاث مرات»[1].

= والمثاني» (رقم ٢٥٧٢)، وابن منده، وابن شاهين، وعبدان في «الصحابة» ـ كما في «الإصابة» (٣ / ٨١) ـ، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢ / ق ٦٧٧ ـ المأمون).

وعزاه في «الدر المنثور» (٦ / ٤١٥) للطبراني.

وبعض أسانيده صحيحة.

وأخرج الترمذي في «الجامع» (٤ / ٣٩٥ / رقم ٢٠٥٨) بإسناد صحيح، وابن ماجه في «السنن» (٢ / ١١٦١ / رقم ٣٥١١)، والنسائي في «المجتبى» (٨ / ٢٧١)، والضياء المقدسي في «المختارة ـ كما في «الجامع الصغير» (رقم ٤٩٠٢ ـ صحيحه) ـ؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان؛ حتى نزلت المعوّذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما».

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم ٥٠١٧، وكتاب الدّعوات، باب التَّعوُّذ والقراءة عند المنام، رقم ٦٣١٩، وكتاب الطب، باب النفث على الرقية، رقم ٥٧٤٨)، وأبو داود في «السنن» (كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، رقم ٥٠٥٦)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، رقم ٣٤٠٢)، =

ثامناً: التعويذات والذكر الدائم.

قال رحمه الله تعالى: «ومما شرعه النبي ﷺ من التعوذ عنه في... أنه كان يعلم أصحابه أن يقول أحدهم: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»[(١)]. ولما جاءته الشياطين بلهب من نار، أُمر بهٰذا التعوذ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن!»[(٢)].

فقد جمع العلماء من الأذكار والدعوات التي يقولها العبد إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا نام، وإذا خاف شيئاً، وأمثال ذٰلك من الأسباب ما فيه بلاغ»[(٣)].

*** تأثيرات الشيطان على الإنسان:**

«والنسيان للحق من الشيطان، والخطأ من الشيطان. قال

= والنسائي في «السنن الكبرى» (كتاب التفسير) وفي «كتاب عمل اليوم والليلة» (رقم ٧٨٨)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الدعوات، باب ما يدعو به إذا آوى إلى فراشه، رقم ٣٨٧٥)، وأحمد في «المسند» (٦ / ١١٦، ١٥٤)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (رقم ٧٩٤)، والطبراني في «الدعاء» (رقم ٢٧٣، ٢٧٤)، وغيرهم؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(١) مضى تخريجه (ص ٣٧٤).

(٢) مضى تخريجه (ص ١٨٤ ـ ١٨٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٨١).

تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] وقد قال ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها»[(١)] ولما نام هو وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر قال: لأصحابه: «ارتحلوا فإن هٰذا مكان حضرنا فيه شيطان» وقال: «إن الشيطان أتى بلالاً فجعل يهدِّيه كما يُهدَّى الصبي حتى نام».

وكان النبي ﷺ وكل بلالاً أن يوقظهم عند الفجر[(٢)]. والنوم الذي يشغل عما أمر به والنعاس من الشيطان، وإن كان معفواً عنه.

ولهٰذا قيل: النعاس في مجلس الذكر من الشيطان وكذٰلك الاحتلام في المنام من الشيطان، والنائم لا قلم عليه»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]. قيل: أنسى يوسفَ ذكرَ ربه لما قال: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهٰذا هو الصواب؛ فإنه مطابق لقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. قال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المواقيت، باب من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها، رقم ٥٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم ٦٨٤)؛ عن أنس رفعه.

(٢) مضى لفظه وتخريجه في التعليق على (ص ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٢١ ـ ٥٢٢)، و «التفسير الكبير» (٧ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢١٠ ـ ٢١١).

[يوسف: ٤٢]، والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذٰلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكراً لربه، وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه. . . »[١].

*** ومن الذكر: التهليل والتكبير:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «من قال في يوم مئة مرةً (لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)؛ كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذٰلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[٢].

وقال: «فالتكبير شرع أيضاً لدفع العدو من شياطين الإنس والجن، والنار التي هي عدو لنا، وهٰذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار؛ لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال، أو نحو ذٰلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في القلوب على قلوب كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرون، فيحصل لهم مقصودان، مقصود العبادة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٥٥، ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم ٢٦٩١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٢٥، ٢٦)؛ عن أبي هريرة رفعه.
وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٣٠).

بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه، ولهٰذا شرع التكبير على الهداية والرزق والنصر»[1].

*** ومن الذكر: الدعاء عند دخول الخلاء:**

قال شارحاً قول ابن قدامة في «العمدة»:

«يستحب لمن أراد دخول الخلاء أن يقول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث ومن الرجس النجس الشيطان الرجيم» ما نصُّه:

«وذٰلك لما روي عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول بسم الله»[2]، رواه ابن ماجه والترمذي، وعن أنس قال: «كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخُبُثِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٢٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم ٦٠٦)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٢٩٧)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ١٨٧)؛ عن علي رفعه.
قال الترمذي: «هٰذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي، وقد روي عن أنس عن النبي ﷺ أشياء في هٰذا».
قلت: أخرج حديث أنس ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٢٧٣، ٢٧٤) وإسناده ضعيف.
وفي الباب عن أبي سعيد وعبدالله بن مسعود ومعاوية بن حيدة، استوعب ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١ / ١٥٠ ـ ١٥٥) طرقها، وقال: «فالحاصل أنه لم يثبت في الباب شيء، والله أعلم».
وقد حكم شيخنا الألباني في «الإرواء» (١ / ٨٨ ـ ٩٠) عليه بالصحة بمجموع شواهده.

والخَبَائِثِ»[1]. رواه الجماعة.

وفي لفظ للبخاري «إذا أراد أن يدخل».

وعن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «إن هٰذه الحُشُوش مُحْتَضَرة فإذا دخل أحدكم فليقل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[2]. رواه أبو داود وابن ماجه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، رقم ١٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، رقم ٣٧٥)، وأبو داود في «سننه» (كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا أراد دخول الخلاء، رقم ٤، ٥)، والترمذي في «جامعه» (كتاب الطهارة، باب ما يقول إذا دخل الخلاء، رقم ٥، ٦)، والنسائي في «سننه» (كتاب الطهارة، باب القول عند دخول الخلاء، ١ / ٢٠) و«عمل اليوم والليلة» (رقم ٧٤)، وابن ماجه في «سننه» (كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم ٢٩٨)، وأحمد في «مسنده» (٣ / ٩٩، ١٠١)، والدارمي في «السنن» (١ / ١٧١)، وأبو عوانة في «المسند» (١ / ٢١٦)، وغيرهم؛ عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا أراد دخول الخلاء، رقم ٦)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، رقم ٢٩٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨)، والطيالسي في «المسند» (١ / ٤٥، ٤٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ١)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٣٦٩، ٣٧٣)، وابن خزيمة في «الصحيح» (رقم ٦٩)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٥٠٩٩، ٥١٠٠، ٥١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ١٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١ / ٩٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤ / ٢٨٧ و١٣ / ٣٠١)، وغيرهم؛ عن زيد بن أرقم مرفوعاً.

وإسناده صحيح.

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يعجز أحدكم إذا دخل مِرْفَقه أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الرِّجْس النَّجْس الخَبِيث المُخْبِث الشيطان الرجيم»[1] رواه ابن ماجه.

الحشوش جمع حش وهي في الأصل البساتين كانوا يقضون الحاجة فيها. ثم سمي موضع قضاء الحاجة حشاً، والمحتضرة التي تحضرها الشياطين، ولذلك أمر بذكر الله والاستعاذة قبل الدخول[2].

والخبث بسكون الباء قال أبو عبيد[3]، وابن الأنباري[4]، وغيرهما قالوا: «وهو الشر والخبائث الشياطين» فكأنه استعاذ من الشر ومن أهل الشر وقال الخطابي[5]: «إنما هو الخبث جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة استعاذ من ذكرانهم وإناثهم» والأول أقوى، لأن فعيل إذا كان صفة جمع على فُعَلا مثله ظريف وظرفا وكريم وكرما وإنما يجمع على فُعُل إذا كان اسما مثل رغيف ورغف ونذير ونذر ولأنه أكثر معنى والنجس بالكسر والسكون اتباع لما قبله ولو أفردته لفتحته والمخبث ذو الأصحاب الخبثاء وهو أيضاً الذي يعلم غيره

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم ٢٩٩) بسندٍ ضعيف جداً، فيه علي بن يزيد الألهاني؛ متروك.

(٢) انظر: «معالم السنن» (١ / ١٠) للخطابي.

(٣) انظر: «غريب الحديث» (٢ / ١٩٢) لأبي عبيد.

(٤) انظر: «لسان العرب» (مادة خ ب ث).

(٥) انظر: «غريب الحديث» (٣ / ٢٢١)، و «معالم السنن» (١ / ١١)؛ كلاهما للخطابي.

الخبث»[١].

*** الذكر عند دخول البيت والخروج منه:**

قال: وكذٰلك قوله ﷺ: «إذا دخل الرجل منزله، فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء[٢]»[٣].

تاسعاً: الصوم.

«وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٤]. ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين، ولهٰذا قال: «فضيقوا مجاريه بالجوع»[٥]. وبعضهم يذكر هٰذا اللفظ مرفوعاً، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٦]. فإن مجاري الشياطين ـ الذي هو الدم ـ ضاقت، وإذا

---

(١) «شرح العمدة» (كتاب الطهارة) (١ / ١٣٧ ـ ١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم ٢٠١٨)، وأبو داود في «السنن» (كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم ٣٧٦٥)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته، رقم ٣٨٨٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ١٧٨)، وأحمد في «المسند» (٣ / ٣٤٦، ٣٨٣)؛ عن جابر بن عبدالله رفعه.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٣١).

(٤) سبق تخريجه (ص ١٩١).

(٥) انظر تعليقنا عليه (ص ٣٩٥ – ٣٩٦).

(٦) سبق تخريجه (ص ٣٩٦).

ضاقت انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار، وصفدت الشياطين، فضعفت قوتهم وعملهم بتصفيدهم، فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره(١)، ولم يقل: إنهم قُتِلُوا ولا ماتوا،

---

(١) جاء في «المعيار المعرب» (١ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦) أنه سئل الشيخ أبو الحسن القابسي عن معنى قول النبي ﷺ: «إن الشياطين تصفد في رمضان»، ونحن نجدها توسوس في رمضان، ونجد من المسلمين من يعصي في رمضان.
فأجاب بأن قال: «قد يوسوس وهو مصفد. ثم قال: كنت بالمنستير في بعض الرمضانات، وكان بها رجل من أهل القرآن، وكانت به عرضة تصرعه. قال الشيخ: فأنا جالس حتى أتوني فقالوا لي: صرع فلان. ثم سألوني عن معنى قول النبي ﷺ في تصفيد الشياطين، فقال: قلت لهم: الحديث حق، وما يصيب الإنسان في هٰذا عيان؛ فيحتمل، والله أعلم أن يكون معنى قوله عليه السلام: وصفدت الشياطين؛ أي: كفرة الجن الذين يسمون شياطين، وأن المؤمنين من الجن لا يصفدون، فيكون الوسواس وتزيين المعاصي إنما يقع من فساق الجن ومن دونهم المسلمون منهم ويعدونها معاصي، مؤمنو(*) المسلمين يعصون؛ فكيف بمؤمني الجن والكفار منهم يصفدون دون المؤمنين لأنه عليه السلام لم يقل وصفدت الجن؟! إنما اختص الشياطين. قيل له: إن بعض الناس قال فيه تصفد عن بعض الأعمال دون بعض. فقال: القول بأن معناه يحتمل بعض الشياطين دون بعض أولى، وأولى من هٰذا أن يقال: لا علم لنا، قد قالها النبي ﷺ رواها عنه العلماء؛ لأنه إذا لم يذكر لنا المعنى قد يحتمل أن يكون المعنى غير ما قلناه مما هو خير وأحسن مما تأولناه».
قلت: بيَّن القابسي رحمه الله معنى تصفيد الشياطين، وأثبت صرع الجني

(*) في الأصل: «مؤمني».

بل قال: «صفدت»، والمصفد من الشياطين قد يؤذي لٰكن هٰذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه، فمن كان صومه كاملاً دفع الشيطان دفعاً لا يدفعه دفع الصوم الناقص»[(١)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «. . . كما حرم الدم المسفوح؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية، وزيادته توجب طغيان هٰذه القوى وهو مجرى الشيطان من البدن، كما قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[(٢)]، ولهٰذا كان شهر رمضان إذا دخل صفدت الشياطين؛ لأن الصوم جُنَّة»[(٣)].

«وما ذاك إلا أنه في شهر رمضان تنبعث القلوب إلى الخير والأعمال الصالحة التي بها وبسببها تفتح أبواب الجنة، ويمتنع من الشرور التي بها تفتح أبواب النار، وتصفد الشياطين، فلا يتمكنون أن يعملوا ما يعملونه في الإفطار؛ فإن المصفد: هو المقيد؛ إنما يتمكنون من بني آدم بسبب الشهوات، فإذا كفوا عن الشهوات؛ صفدت الشياطين»[(٤)].

= للإنسي في آن واحدٍ، والمتأمل الفطن يجد في كلامه رحمه الله أن قوماً أتوه فأخبروه بأن «فلاناً صُرع»، وقوماً كانوا يسمعون لإخباره بذٰلك الصرع، ولم ينكر أحد من الفريقين [المخبِر والمخبَر] حقيقة الصرع؛ فتأمل!!

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥ / ٢٤٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٩١).

(٣) «التفسير الكبير» (٧ / ٢٧٧).

(٤) «التفسير الكبير» (٣ / ١٣٢).

عاشراً: الأذان[1] والصلاة.

---

(١) قال الإمام مسلم في «صحيحه» (١ / ٢٩١ / رقم ١٨): حدثني أمية بن بسطام، حدثنا يزيد ـ يعني: ابن زريع ـ، حدثنا روح، عن سهيل؛ قال: «أرسلني أبي إلى بني حارثة؛ قال: ومعي غلام لنا ـ أو صاحب لنا ـ، فناداه منادٍ من حائط باسمه. قال: وأشرف الذي معي على الحائط، فلم ير شيئاً. فذكرت ذٰلك لأبي، فقال: لو شعرت أنك تلقى هٰذا لم أرسلك، ولٰكن إذا سمعت صوتاً؛ فناد بالصلاة؛ فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حُصاص».

وأخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢ / ٩٦٢) من طريق محمد بن غالب ومحمد بن إبراهيم البوشنجي؛ قالا: حدثنا أمية، به.

وأخرجه أبو عوانة في «مسنده» (١ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥) من طريق عباس الدوري، عن أمية بن بسطام، به.

وقال عقبه: «قال أبو عوانة: هٰذا دليل على أن الرجل إذا أحس بالغول، أو أشرف على المصروع، ثم أذن؛ ذهب عنه ما يجد من ذٰلك».

وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤ / ١٨٠) من طريق حجاج، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، به.

وقال: «قال حماد لعاصم: ما الحُصاص؟ فقال: أما رأيت الحمار إذا صرَّ بأذنيه ومصع بِذَنَبِه وعدا؟ فذٰلك حُصاصه. وقال الأصمعي: الحصاص: شدة العدوّ وسرعته. ويقال: هو الضراط في قول بعضهم. وقول عاصم أعجب إلي، وهو قول الأصمعي أو نحوه».

قال البقاعي في «الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان» (ص ٦٢): «. . . وإلى نظر الأذان تختمه بالتوحيد من غير تكرير ولا تأكيد إلى الجلال والعظمة والقهر لكل شيء والعلو والكمال، ينظر إدبار الشيطان عند سماعه وله ضراط حتى لا يسمعه للخوف من أن تغتاله بارقة سطوة أو صاعقة عظمة، ولذٰلك عبَّر عنه في الحديث بالحصاص ـ بالضم ـ، وأن معناه أنه يكون له في تلك الحالة ضراط =

= شديد بالغ ظاهر جداً لكل من له أهلية الاطلاع عليه مزعج الحركة مستمكن، يرمى من شدته بالعذرة، وعدوه في إدباره هو مع شدته من أجل استرخائه لما له من الرعب كمشي المقيد».

قال في «القاموس»: «وفي المثل: «افلت وانحص الذَّنَب» يضرب لمن أشفى على الهلال ثم نجا».

قلت: والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ٢٢٩) عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة به، والبخاري في «الصحيح» (٦ / ٣٣٧ / رقم ٣٢٨٥) من طريق محمد بن يوسف عن الأوزاعي به، و (٣ / ١٠٣ / رقم ٢١٣١) من طريق معاذ بن فضالة عن هشام بن أبي عبدالله الدستوائي عن يحيى به.

وأخرجه مالك في «الموطأ» (١ / ٦٩ ـ ٧٠)، ومن طريقه البخاري في «الصحيح» (٢ / ٨٤ ـ ٨٥ / رقم ٦٠٨)، والنسائي في «المجتبى» (٢ / ٢١ ـ ٢٢)، وأبو داود في «السنن» (١ / ١٤٢ / رقم ٥١٦)؛ من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة نحوه.

وأخرج عبدالرزاق الصنعاني في «مصنفه» (٥ / ١٦٢ / رقم ٩٢٤٩) بإسناد صحيح عن أُسَيْر بن عمرو؛ قال: «ذكر عند عمر الغيلان، فقال: إنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له، ولٰكن فيهم سحرة من سحرتكم، فإذا رأيتم من ذٰلك شيئاً؛ فأذّنوا».

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٣٩٧) عن ابن فضيل، عن الشيباني، به.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦ / ٣٤٤): «إسناده صحيح».

وأخرجه ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٥ / ٥) عن سفيان الثوري، به.

قال ابن الجوزي: «على الأذان هيبة، يشتد انزعاج الشيطان بسببها؛ لأنه لا

فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اللذين هما من لوازم اتباع الشيطان[1].

وفي «السنن» لأبي داود، والنسائي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة؛ فإن الذئب يأكل من الشاة القاصية»[2]. وقد قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

= يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة؛ فإن النفس تحضر فيها، فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة».

وقد ترجم أبو عوانة في «مسنده» (١ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣): «الدليل على أن المؤذن في أذانه وإقامته إلى أن يفرغ منفيٌّ عنه الوسوسة والرياء لتباعد الشيطان منه».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢ / ٨٧): «فَهِمَ بعض السلف من الأذان في هٰذا الحديث الإتيان بصورة الأذان؛ وإن لم توجد فيه شرائط الأذان من وقوعه في الوقت وغير ذٰلك».

وأخرج الذهبي في «السير» (٥ / ٣١٧) عن ابن وهب وابن القاسم؛ قالا: قال مالك: «استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم، وكان معذراً لا يزال يصاب فيه الناس من قِبل الجن، فلما وليهم شكوا إليه ذٰلك، فأمرهم بالأذان أن يؤذنوا ويرفعوا أصواتهم. ففعلوا، فارتفع عنهم ذٰلك حتى اليوم. قال مالك: أعجبني ذٰلك من مشورة زيد بن أسلم».

(١) «التفسير الكبير» (٥ / ٣١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم ٥٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، ٢ / ١٠٦ ـ ١٠٧)، وأحمد في «المسند» (٥ / ١٩٦ و٦ / ٤٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / ٥٤)؛ عن أبي الدرداء رفعه.

وإسناده حسن.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]»[١].

وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثَوَّب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه.

فيقول: أذكر كذا، أذكر كذا، لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى»[٢].

فالشيطان ذكّره بأمور ماضية، حدّث بها نفسه، مما كانت في نفسه من أفعاله، ومن غير أفعاله، فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلى ولم يدر كم صلى، فإن النسيان أزال ما في النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر حتى نسي الأول»[٣].

حادي عشر: مخالفة الشيطان.

فمخالفة الشيطان أمر مقصود من الشارع الحكيم، ومأمور

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ٦٥، ٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب فضل التأذين، رقم ٦٠٨، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٨٥)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم ٣٨٩)، وغيرهما.

(٣) «التفسير الكبير» (٥ / ١٨٧ و٦ / ٥٧٧ ـ ٥٧٨)، و «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٥٢٠، ٢٢ / ٦٠٤ و٢٣ / ٥ ـ ٧، ١٥، ٢٦)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٢٠٨).

به[1]. ومن خالف هواه فَرَقَ الشيطانُ من ظله[2].

واعلم أنه يوجد فرق بين التشبه بالكفار والشياطين، وبين التشبه بالأعراب والأعاجم يجب اعتباره: وذٰلك أن نفس الكفر والتشيطن مذموم في حكم الله ورسوله وعباده المؤمنين، ونفس الأعرابية والأعجمية ليست مذمومة في نفسها عند الله تعالى وعند رسوله وعند عباده المؤمنين، بل الأعراب منقسمون إلى أهل جفاء وأهل إيمان وبر، وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ ممن وفد عليه، ومن غيرهم من الأعراب من هو أفضل من كثير من القرويين (سكان المدن والقرى)[3].

ثاني عشر: قراءة آيات السكينة:

ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٣٦٠).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» (٥ / ٤١٨).

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٣٦٢).

الرابع: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

الخامس: قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

السادس: قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [الفتح: ٢٦].

قال ابن القيم:

«وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور؛ قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة؛ قال: فلما اشتدّ عليَّ الأمرُ، قلت لأقاربي من حولي: أقرأوا آيات السكينة، قال ثم أقلع عني ذٰلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَة». قال:

«وقد جربت أنا أيضاً قراءة هٰذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً، في سكونه وطمأنينته»(١).

* * *

(١) «مدارج السالكين» (٢ / ٥٠٢ ـ ٥٠٣ / ط الفقي).

الفصل السادس

القصص الواهيات والخزعبلات والمنكرات في الأفعال والتصورات التي تختص بعالم الجن وأنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية

* قتال عليٍّ الجن.
* قتل الجن سعد بن عبادة.
* قصة الغرانيق.
* زعم بعض الجهال رؤيتهم لله تعالى أو بعض الأنبياء يقظة، وكذا الخضر، ورجال الغيب المزعومين.
* رجال الغيب المزعومون وحياة الخضر.
* زعم المفترين بأن سليمان عليه السلام سخَّر الجن والشياطين بنوع من الشرك والسحر!!
* كتابة القرآن بالنجاسة.
* قصة إبليس وإخباره النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مع جماعة من أصحابه، وسؤال النبيّ ﷺ له عن أمور كثيرة، والناس ينظرون ويسمعون.
* مناظرة إبليس للملائكة.
* قصة قدوم هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس على النبي ﷺ وإسلامه.
* حديث زريب بن بُرثملا وصيّ عيسى ابن مريم، وظهوره في زمن عمر بن الخطاب.
* أحاديث متفرقة لها علاقة بالجنّ.

الفصل السادس
القصص الواهيات والخزعبلات والمنكرات
في الأفعال والتصورات التي تختص بعالم الجن
وأنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية

* أولاً: قتال علي الجن:

سئل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى «عمن قال: إن علياً قاتل الجن في البئر؟ وأنه حمل على اثني عشر ألفاً وهزمهم؟».

فأجاب: لم يحمل أحد من الصحابة وحده لا في اثني عشر ألفاً ولا في عشرة آلاف لا عليّ ولا غيره؛ بل أكثر عدد اجتمع على النبي ﷺ هم الأحزاب الذين حاصروه بالخندق، وكانوا قريباً من هٰذه العدة، وقتل عليّ رجلاً من الأحزاب اسمه «عمرو بن عبد ود العامري»[1].

---

(١) ورد ذٰلك في مبارزة مشهورة في كتب السير، قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (رقم ٤٠٠): «وقصة مبارزة علي رضي الله عنه لعمرو بن ود وقتله إياه مشهورة في كتب السيرة، وإنْ كنتُ لا أعرف لها طريقاً مسنداً صحيحاً، وإنما هي من المراسيل والمعاضيل؛ فانظر ـ إن شئت ـ «سيرة ابن هشام» (٣ / ٢٤٠ =

ولم يقاتل أحدٌ من الإنس الجنّ عليّ ولا غيره، بل عليّ كان أجل قدراً من ذلك، والجن الذين يتبعون الصحابة يقاتلون كفار الجن، لا يحتاجون في ذلك إلى قتال الصحابة معهم»[1].

*** محاججة أبي البقاء للشيعة في عدم قتال علي للجن:**

«وكان من أهل العلم أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي رحمه الله سأله بعض الشيعة عن قتال عليّ الجن؟ فقال: أنتم معشر الشيعة ليس لكم عقل؛ أيما أفضل عندكم؛ عمر أو علي؟ فقالوا: بل علي. فقال؛ إذا كان الجمهور يروون عن النبي ﷺ أنه قال لعمر: «ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»[2]، فإذا كان الشيطان يهرب من عمر، فكيف يقاتل علياً؟!

وأيضاً: فدفع الجن والشياطين وإهلاكهم موجود لكثير من أتباع أبي بكر وعمر وعثمان، وفي ذلك قصص يطول وصفها.

= ـ ٢٤٣)، و «دلائل النبوة» (٣ / ٤٣٥ ـ ٤٣٩) للبيهقي، و «سيرة ابن كثير» (٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٥)».

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٤٩٤)، و «الفتاوى الكبرى» (١ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٩٤، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، رقم ٣٦٨٣، وكتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم ٦٠٨٥)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، رقم ٢٣٩٦)، وأحمد في «المسند» (١ / ١٧١، ١٨٢، ١٨٧) و «فضائل الصحابة» (١ / ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥)، والنسائي في «الكبرى» ـ كما في «التحفة» (٣ / ٣١٢) ـ، وغيرهم؛ عن سعد ابن أبي وقاص رفعه.

وقد روى ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» حديثاً طويلاً في محاربته للجن، وأنه كان في الحج عام الحديبية، وأنه حاربهم ببئر ذات العلم، من طريق أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السَّامري. ثنا عبدالله بن أحمد السكوني، ثنا عمارة بن يزيد، ثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق، ثني يحيى بن عبيدالله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قال: «لما توجه رسول الله ﷺ يوم الحديبية إلى مكة أصاب الناس عطش شديد، وحر شديد، فنزل رسول الله ﷺ الجُحفة معطشاً والناس عطاش، فقال رسول الله ﷺ: «هل من رجل يمضي في نفر من المسلمين معهم القرب، فيردون بئر ذات العلم، ثم يعود، يضمن له رسول الله ﷺ الجنة؟».

فذكر حديثاً طويلاً فيه أنه بعث رجلاً من الصحابة، ففزع من الجن، فرجع، ثم بعث آخر، وأنشد شعراً، فذُكر من الجن، فرجع، ثم أرسل علي بن أبي طالب، فنزل البئر، وملأ القرب بعد هول شديد، وأن النبي ﷺ قال له: «الذي هتف بك من الجن هو سماعة بن غراب الذي قتل عدو الله مسعراً شيطان الأصنام الذي يكلم قريشاً منها، وفزع من هجائي»[1].

---

(١) قال الشيخ محمد رشاد سالم في «تعليقه على منهاج السنة» (٨ / ١٦٣): «لم أجد هٰذا الحديث في كتاب «الموضوعات» مع طول بحثي فيه، ولعل نسخة ابن تيمية من الكتاب كانت فيها زيادات ساقطة من النسخ التي بين أيدينا».
قلت: ولم أظفر به أيضاً في طبعتي الكتاب، ولا في «ترتيبه» للذهبي ولا في «فهارسه» لرياض عبدالهادي.

ثم قال الشيخ أبو الفرج: «وهٰذا الحديث موضوع محال؛ والفنيد، ومحمد بن جعفر، والسكوني مجروحون؛ قال أبو الفتح الأزدي: وعمارة يضع الحديث».

قلت: وكتب ابن إسحاق التي رواها عنه الناس ليس فيها شيء من هٰذا»[1]. «وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة»[2].

وقال رحمه الله عن هٰذه البئر: «تسميها جهال العامة «بئر علي»؛ لظنهم أن علياً قاتل الجن بها، وهو كذب؛ فإن الجن لم يقاتلهم أحد من الصحابة، وعلي أرفع قدراً من أن يثبت الجن لقتاله»[3].

= ثم وجدتُ الحديث عند الخرائطي ـ وهو أبو بكر محمد بن جعفر السَّامري ـ في «هواتف الجنان» (رقم ١٢) ضمن «نوادر الرسائل» (ص ١٦٧ ـ ١٧٢)، وعنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٤)، وقال: «قصة قتال علي الجن بالبئر ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو، فنزل إليهم، وهي قصة مطولة منكرة جداً، والله أعلم».

ونقلها ابن حجر في «الإصابة» (١ / ٤٩٨) مختصرة، وقال: «في إسناد هٰذا الخبر ضعف».

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ١٦١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٦ / ٩٩ ـ ١٠٠).

وقد نبه كثير من العلماء على اختلاق هٰذه القصة.

انظر ـ مثلاً ـ: «الوازعة للمعتدين» (ص ٧٣ ـ الهامش)، و «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» (١ / ٦٦) لابن النقور.

وقال في موضع آخر: «. . . وكذٰلك ما ذكره من قتال الجن، وأن علياً أو غيره من الإنس قاتلهم في بئر ذات العلم أو غيرُهُ من الإنس؛ فهٰذا كله كذب، والجن لم تكنَ لتقاتل الصحابة أصلاً، ولٰكن الجن الكفار كانوا يقاتلون الجن المؤمنين، وأما علي وأمثاله من الصحابة؛ فهم أجل قدراً من أن يثبت الجن لقتالهم، وقد ثبت في «الصحيح»: أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»»[1].

«وسئل رحمه الله:

هل يصح عند أهل العلم: أن علياً رضي الله عنه قاتل الجن في البئر؟ ومد يده يوم خيبر، فعبر العسكر عليها، وأنه حمل في الأحزاب فافترقت قدامه سبع عشرة فرقة، وخلف كل فرقة رجل يضرب بالسيف يقول: أنا عليٌّ، وأنه كان له سيف يقال له ذو الفقار، وكان يمتد ويقصر. . . فهل صحَّ من ذٰلك شيء؟؟!!

أجاب: الحمد لله، هٰذه الأمور المذكورة كذب مختلق باتفاق أهل العلم والإيمان، لم يقاتل عليّ ولا غيره من الصحابة الجن، ولا قاتل الجن أحد من الإنس؛ لا في بئر ذات العلم ولا غيرها.

والحديث المروي في قتاله للجن موضوع مكذوب باتفاق أهل

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٣٦٠).
وانظرها: (١٨ / ٣٥٦)، و«الفتاوى الكبرى» (١ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧).
ومضى تخريج الحديث (ص ٥٣٨).

المعرفة، ولم يقاتل عليّ قط على عهد رسول الله ﷺ لعسكر كان خمسين ألفاً أو ثلاثين ألفاً، فضلاً عن أن يكون وحده قد حمل فيهم، ومغازيه التي شهدها مع رسول اله وقاتل فيها كانت تسعة: بدراً، وأحد، والخندق، وخيبر، وفتح مكة، ويوم حنين، وغيرها.

وأكثر ما يكون المشركون في الأحزاب وهي الخندق، وكانوا محاصرين للمدينة، ولم يقتتلوا هم والمسلمون كلهم، وإنما كان يقتتل قليل منهم وقليل من الكفار، وفيها قتل عليّ عمرو بن عبد ود العامري، ولم يبارز عليٌّ وحده قط إلا واحداً، ولم يبارز اثنين»[١].

وقال رحمه الله رداً على الرافضي في قوله «الثامن: ما رواه الجمهور: أن النبي ﷺ لما خرج إلى بني المصطلق، حيث خرجوا عن الطريق، وأدركه الليل بقرب وادٍ وعرٍ، فهبط جبريل، وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعليٍّ وعوَّذَه، وأمره بنزول الوادي، فقتلهم»!!

«والجواب: أن يقال أولاً: عليٌّ أجلُّ قدراً من هٰذا، وإهلاك الجن موجود لمن هو دون علي، لٰكن هٰذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ وعلىٰ عليٍّ عند أهل المعرفة بالحديث، ولم يَجْرِ في غزوة بني المصطلق شيء من هٰذا.

وقوله: «إن هٰذا رواه الجمهور» إن أريد بذٰلك أنه مروي بإسناد ثابت، أو في كتاب يعتمد على مجرد نقله، أو صححه من يرجع إلى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٤٩١ ـ ٤٩٢).

تصحيحه؛ فليس كذلك!

وإن أراد أن جمهور العلماء رووه؛ فهٰذا كذب، وإن أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة؛ فهٰذا لا يفيد»[١].

*** ثانياً: قتلُ الجنِّ سعد بن عبادة:**

وقصة قتل الجنِّ سعد بن عبادة رضي الله عنه أشار إلى ضعفها رحمه الله تعالى بقوله: «وقد رُوِيَ أن الجن قتلته»[٢].

وهاك نص القصة:

بينما سعد يبول قائماً؛ إذ اتّكأ؛ فمات، قتلته الجن، فقالوا:

نحـــن قتلنـــا سيـــد الـ ... خـــزرج سعـــد بـــن عبـــاده
رمينــــاه بسهميــــن ... فلـــم نخطـــئ فـــؤاده[٣]

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ١٦٠ ـ ١٦١).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٨ / ٥٨١).
(٣) هٰذا لفظ الطبراني في «الكبير» (٦ / ١٦ / رقم ٥٣٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠ / ٢٦٦) رواه عن ابن سيرين؛ قال. . . وذكره.
وابن سيرين لم يدرك سعد بن عبادة؛ كما في «المجمع» (١ / ٢١١).
وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٣ / ٥٩٧ / رقم ٦٧٧٨) ـ ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٣ / ٢٥٣) ـ، والطبراني في «الكبير» (٦ / ١٦ / رقم ٥٣٦٠)؛ عن معمر، عن قتادة؛ قال: «قام سعد بن عبادة يبول، ثم رجع، فقال: إني لأجد في ظهري شيئاً. فلم يلبث أن مات، فناحته الجن، فقالوا:
قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة ... بسهميــن فلـــم نخطـــىء فـــؤاده
وقتادة لم يدرك سعداً أيضاً؛ كما في «المجمع» (١ / ٢١١).

= قلت: ابن سيرين من مشايخ قتادة؛ فهٰذا انقطاعه أشد، فضلاً عن اعتضاده بالطريق الأول، والمرسل لا يقوِّي المرسل؛ لاحتمال أن يكون كل من أرسله إنما أخذه عن راوٍ واحد.

نعم، له طريق أخرى أخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣ / ٦١٧، ٧ / ٣٩١)؛ قال: أخبرنا محمد بن عمر (هو الواقدي)، أخبرنا يحيى بن عبدالعزيز ابن سعيد بن سعد بن عبادة، عن أبيه. . . وذكر نحوها.

وإسنادها ضعيف جداً.

الواقدي متروك مع سعة علمه.

ويحيى بن عبدالعزيز؛ قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩ / ١٧٠ - ١٧١): «من ولد سعد بن عبادة، روى عن أبيه، روى عنه محمد بن عمر الواقدي، سمعت أبي يقول: لا أعرفه».

قال شيخنا الألباني في «الإرواء» (رقم ٥٦) عن إسناد هٰذه القصة: «لا يصح، على أنه مشهور عند المؤرخين، حتى قال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» [٢ / ٥٩٩]: ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله، وقد اخضرّ جسده.

ولٰكني لم أجد له إسناداً صحيحاً على طريقة المحدّثين؛ فقد أخرجه ابن عساكر عن ابن سيرين مرسلاً، ورجاله ثقات، وعن محمد بن عائذ ثنا عبدالأعلى به، وهٰذا مع إعضاله؛ فعبدالأعلى لم أعرفه».

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٦٧٣): حدثنا محمد بن زكريا القرشي، حدثنا بكار بن عبدالله السيريني، حدثنا ابن عون، عن ابن سيرين: «أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أتى سباطة قوم، فبال قائماً، فخرَّ ميتاً، فقالت الجن. . .»، وذكر البيتين.

قلت: بكَّار بن عبدالله السيريني؛ قال عنه البخاري: «يتكلمون فيه»، وقال أبو زرعة: «ذاهب الحديث، روى أحاديث مناكير».

* **ثالثاً: قصة الغرانيق:**

«وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين؛ فقد يكون على من ليس بأفاك أثيم، فإن من لم يكن مدعياً للنبوة؛ لم يكن من هٰذا الباب، وإن كان مدعياً للنبوة؛ فيمتنع أن يكره الصادق الذي يأتيه على ذٰلك، بل لا بد أن يبين له هٰذا إن جُوِّز ذٰلك.

فإنَّ الناس تنازعوا: هل يجوز أن يلقي الشيطان على لسان النبي ما ينسخه الله ويمحوه أو لا يجوز ذٰلك؟ وعلى كل حال يمتنع أن يُقَرَّ على خطأ(١)».

«وقد اعترض ابن بطال على احتجاج البخاري بجواز السجود على غير وضوء بحديث ابن عباس: «إن النبي ﷺ قرأ (النجم) فسجد، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس(٢)» وهٰذا السجود متواتر عند أهل العلم، وفي «الصحيح» أيضاً من حديث ابن مسعود قال: «قرأ النبي ﷺ بمكة النجم فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ

= وأورد هٰذا الخبر ابن قتيبة في «المعارف» (ص ٢٥٩)؛ قال: «وكان سبب موته أنه جلس يبول في نفق فلُدغ فمات من ساعته، واخضرّ جلده، وقال رجل من ولده: ما علمنا بموته بالمدينة؛ حتى بلغنا أن غلماناً سمعوا قائلاً يقول في بئر مقوى...»؛ فذكره، وقال: «ويقال: إنه نُهش، وهو الصحيح».
وأورد هٰذا الأثر السيوطي في «لقط المرجان» (ص ١٩٢)، وعزاه إلى الحارث في «مسنده».

(١) «الجواب الصحيح» (٦ / ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٢) مضى تخريجه (ص ٩٣)، واعتراض ابن بطال على احتجاج البخاري، ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢ / ٥٥٤).

أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هٰذا، قال: فرأيته بعد قتل كافراً»[1].

قال ابن بطال هٰذا لا حجة فيه؛ لأن سجود المشركين لم يكن على وجه العبادة لله، والتعظيم له، وإنما كان لما ألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ من ذكر آلهتهم في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن قد ترتجى، فسجدوا لما سمعوا من تعظيم آلهتهم. فلما علم النبي ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذٰلك أشفق وحزن له، فأنزل الله تعالى تأنيساً له وتسلية عما عرض له: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحيه» (كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وسنتها، رقم ١٠٦٧، وباب سجدة النجم، رقم ١٠٧٠، وكتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم ٣٨٥٣، وكتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم ٣٩٧٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، رقم ٥٧٦)، وغيرهما؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) هٰذه القصة تسمَّى (الغرانيق)، وقد نسفها شيخنا الألباني في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»، وتكلَّم عليها. وكاد أن يستوعب طرقها وكلام الأئمة عليها أخونا الشيخ علي بن حسن حفظه الله في كتابه «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق رواية ودراية»، وهو مطبوع.
وانظر في بطلانها: «أحكام القرآن» (٣ / ١٢٩٩ ـ ١٣٠٣) لابن العربي، =

فلا يستنبط من سجود المشركين جواز السجود على غير وضوء؛ لأن المشرك نجس لا يصح له وضوء، ولا سجود إلا بعد عقد الإسلام.

فيقال: هٰذا ضعيف، فإن القوم إنما سجدوا لما قرأ النبي ﷺ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ * فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢] فسجد النبي ﷺ ومن معه امتثالاً لهٰذا الأمر، وهو السجود لله، والمشركون تابعوه في السجود لله.

وما ذكر من التمني ـ إذا كان صحيحاً[1] ـ فإنه هو كان سبب موافقتهم له في السجود لله، ولهٰذا لما جرى هٰذا بلغ المسلمين بالحبشة ذٰلك، فرجع منهم طائفة إلى مكة، والمشركون ما كانوا ينكرون عبادة الله وتعظيمه، ولٰكن كانوا يعبدون معه آلهة أخرى، كما أخبر الله عنهم بذٰلك، فكان هٰذا السجود من عبادتهم لله، وقد قال: سجد معه المسلمون والمشركون والجن

= و «الشّفا بأحوال المصطفى» (١ / ٢٨٨ ـ ٣٠١) للقاضي عياض، وكتاب «محمد رسول الله» (٢ / ١٣٣ ـ ١٥٣) للأستاذ محمد الصادق عرجون.
وقد فندها بقوة وبيّن فسادها وبطلانها أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط»، والآلوسي في «روح المعاني» عند الآية (٥٢) من سورة الحج، وكذا العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» (ص ١٢٨ ـ ١٣٥).

(١) تأمل قوله هٰذا؛ فإنه يشعر بأنه لم يكن يرى صحتها، وعليه ـ والله أعلم ـ كل ردوده وتوجيهه للقصة على فرض ثبوتها. لٰكن هٰذا يعكر عليه جزمه بأنها هي ما يدل عليه ظاهر القرآن كما سيأتي.

والإنس»[1].

وعصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله تعالى ثابتة، «فلا يستقر في ذٰلك خطأ باتفاق المسلمين، ولٰكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته[2]؟ هٰذا فيه قولان. والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذٰلك. والذين منعوا ذٰلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى) وقالوا: إن هٰذا لم يثبت[3]، ومن علم أنه ثبت: قال هٰذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ، ولٰكن السؤال وارد على هٰذا التقدير أيضاً. وقالوا في قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] هو حديث النفس.

وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هٰذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۞ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١ / ٢٨١ ـ ٢٨٢)، و «الفتاوى الكبرى» (٢ / ٦٤ ـ ٦٦).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» (٣ / ٦٥)، و «مجموع الفتاوى» (١١ / ٦٦ ـ ٦٧ و١٩ / ٨)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٥٣ ـ ٥٤).

(٣) وهٰذا هو الصواب، والله الموفّق.

لَهُمْ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤] فقالوا الآثار في تفسير هٰذه الآية معروفة ثابتة[١] في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذٰلك فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذٰلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس والفتنة التي تحصل بهٰذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ.

وهٰذا النوع أدل على صدق الرسول ﷺ وبعده عن الهوى من ذٰلك النوع، فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدق في ذٰلك، فإذا قال عن نفسه إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وإن ذٰلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذٰلك كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق، وهٰذا كما قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هٰذه الآية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾[٢] [الأحزاب: ٣٧] ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ، فبيان الرسول ﷺ إن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان

(١) أما أنها معروفة؛ فنعم، وأما أنها ثابتة؛ فلا.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ...﴾، رقم ٤٧٨٧، وكتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾، رقم ٧٤٢٠).

هو أدل على تحريه للصدق وبراءته من الكذب، وهٰذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق ﷺ تسليماً، ولهٰذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب»[١].

وفي «الجواب الصحيح» في مبحث عصمة الأنبياء نقل رحمه الله عن جميع الملل اتفاقهم على أنه لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأً، فقال رحمه الله: «وإنما تنازعوا: هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبينه، فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى» قال: «هٰذا فيه قولان للناس: منهم من منع ذٰلك ـ أيضاً ـ، وطعن في وقوع ذٰلك، ومن هٰؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يقله، فكان الخطأ في سمعهم، والشيطان ألقى في سمعهم»[٢].

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر:

«والذي عليه جمهور أهل الحديث والفقه أنه يجوز عليهم الخطأ في الاجتهاد، لٰكن لا يُقَرُّون عليه، وإذا كان في الأمر والنهي فكيف في الخبر؟ وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، فأحسب أنه صادق، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٩١ ـ ٢٩٢)، و «الفتاوى الكبرى» (٢ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٢) «الجواب الصحيح» (١ / ١٧٩ ـ مطابع المجد التجارية).

فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[1] فنفس ما يعد الله به الأنبياء والمؤمنين حقاً لا يمترون فيه، كما قال تعالى في قصة نوح ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ [هود: ٤٥] إلى آخر الآية، ومثل هٰذا الظن قد يكون من إلقاء الشيطان المذكور في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤][2] وقد تكلمنا على هٰذه الآية في غير هٰذا الموضع. وللناس فيها قولان مشهوران: بعد اتفاقهم على أن التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] وأما من أوّل النهي على تمني القلب فذاك فيه كلام آخر؛ وإن قيل: إن الآية تعم النوعين؛ لٰكن الأول هو المعروف المشهور في التفسير، وهو ظاهر القرآن ومراد الآية قطعاً، لقوله بعد ذٰلك: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٣] وهٰذا كله لا يكون في مجرد القلب إذا لم يتكلم به

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، رقم ٢٤٥٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم ١٧١٣).

(٢) ونص الآيات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤].

النبي، لٰكن قد يكون في ظنه الذي يتكلم به بعضه النحل ونحوها، وهٰذا يوافق ما ذكرناه. وإذا كان التمني لا بدّ أن يدخل فيه القول ففيه قولان:

«**الأول**»: أن الإلقاء هو في سمع المستمعين ولم يتكلم به الرسول وهٰذا قول من تأويل الآية بمنع جواز الإلقاء في كلامه.

و «**الثاني**» ـ وهو الذي عليه عامة السلف ومن اتبعهم ـ: أن الإلقاء في نفس التلاوة، كما دلت عليه الآية وسياقها من غير وجه، كما وردت به الآثار المتعددة(١)، ولا محذور في ذٰلك إلا إذا أقر عليه، فأما إذا نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته فلا محذور في ذٰلك، وليس هو خطأ وغلط في تبليغ الرسالة، إلا إذا أُقِرَّ عليه. ولا ريب أنه معصوم في تبليغ الرسالة أن يُقَرَّ على خطأ، كما قال: «فإذا حدثتكم عن الله بشيء فخذوا به، فإني لن أكذب على الله»(٢) ولولا ذٰلك لما قامت الحجة به، فإن كونه رسول الله يقتضي أنه صادق فيما يخبر به عن الله، والصدق يتضمن نفي الكذب ونفي الخطأ فيه، فلو جاز عليه

---

(١) سبق الإشارة إلى ضعفها.

(٢) أخرجه الطحاوي في «المشكل» (١٥ / ٣٤٧ / رقم ٦٠٦٨)، والدارقطني في «السنن» (٤ / ٢٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (١ / ٣٦)، والخطيب في «تاريخ دمشق» (١١ / ٣٩١)، والهروي في «ذم الكلام» (ص ١٧١)؛ من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
وهو منكر، ضعفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ٤٣٤)، وأبو حاتم الرازي في «العلل» (٢ / ٣١٠ / رقم ٣٤٤٥). وانظر: «الموافقات» (٤ / ٣٣٨ ـ بتحقيقي).

الخطأ فيما يخبر به عن الله، وأقر عليه لم يكن كما يخبر به عن الله.

والذين منعوا أن يقع الإلقاء في تبليغه فرُّوا من هٰذا، وقصدوا خيراً، وأحسنوا في ذٰلك، لٰكن يقال لهم: ألقى ثم أحكم، فلا محذور في ذٰلك، فإن هٰذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه فإنه إذاً موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه.

ولهٰذا قال في النسخ: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] فظنهم أنهم قد كذبوا هو يتبع ما يظنونه من معنى الوعد وهٰذا جائز لا محذور فيه، إذا لم يقروا عليه، وهٰذا وجه حسن، وهو موافق لظاهر الآية ولسائر الأصول من الآيات والأحاديث، والذي يحقق [ذٰلك] أن باب الوعد والوعيد ليس بأعظم من باب الأمر والنهي. فإذا كان من الجائز في باب الأمر والنهي أن يظنوا شيئاً، ثم يتبين الأمر لهم بخلافه، فلأن يجوز ذٰلك في باب الوعد والوعيد بطريق الأولى والأحرى، حتى أن باب الأمر والنهي إذ تمسكوا فيه بالاستصحاب لم يقع في ذٰلك ظن خلاف ما هو عليه الأمر في نفسه، فإن الوجوب والتحريم الذي لا يثبت إلا بخطاب إذا نفوه قبل الخطاب كان ذٰلك اعتقاداً مطابقاً للأمر في نفسه، وباب الوعد إذا لم يخبروا به قد يظنون انتفاءه، كما ظن الخليل جواز المغفرة لأبيه حتى استغفر له، ونهينا عن الاقتداء، كما قال النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»[1] وحتى استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له في

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند =

ذٰلك»[1]. وحتى صلى على المنافقين قبل أن ينهى عن ذٰلك وكان يرجو لهم المغفرة حتى أنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٣ ـ ١١٤] وقال عن المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا ﴾ [التوبة: ٨٤] الآية. وقال: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ [المنافقون: ٦] فإذا كان صلى على المنافقين واستغفر لهم راجياً أن يغفر لهم قبل أن يعلم ذٰلك.

ولهٰذا سوغ العلماء أن يروى في باب الوعد والوعيد من الأحاديث ما لم يعلم أنه كذب، وإن كان ضعيف الإسناد، بخلاف باب الأمر والنهي فإنه لا يؤخذ فيه إلا بما يثبت أنه صدق»[2].

= الموت: لا إله إلا الله، رقم ١٣٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم ٢٤)؛ عن المسيب بن حزن رفعه.

وخرجته في تعليقي على «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ﷺ».

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم ٩٧٦) عن أبي هريرة رفعه.

وخرجته بتفصيل في تعليقي على «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي النبي ﷺ» لعلي القاري.

(٢) «التفسير الكبير» (٥ / ١٣٠ ـ ١٣٤).

ورواية الحديث الضعيف في باب الوعد والوعيد بشروط بيّنها ابن حجر في «تبيين العجب» على نزاع وقع في المسئلة ومذهب الشيخين (البخاري ومسلم) عدم الأخذ به مطلقاً، وهو الصواب.

* **معنى النسخ في الآية:**

«والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان، لا رفع ما شرعه الله.

وقد أشرت إلى وجه ذٰلك فيما بعد، وهو أن الله جعل المحكم[1] مقابل المتشابه تارة، ومقابل المنسوخ أخرى، والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف ـ العام ـ كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض

---

(١) المحكم: المتقن المبين. وفي المراد به هنا ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الناسخ. قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين.

والثاني: أنه الحلال والحرام. روي عن ابن عباس، ومجاهد

والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله، روي عن جابر بن عبدالله.

والرابع: أنه الذي لم ينسخ. قاله الضحاك.

الخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه. قاله ابن زيد.

السادس: أنه ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد، وقال الشافعي وابن الأنباري: «هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً».

والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة.

والثامن: أنه الأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام هٰذا والذي قبله. قاله القاضي أبو يعلى، وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٧٥٢): «للعلماء في المحكم والمتشابه أقوال كثيرة ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هٰذا المقام مقالة سابغة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان»، ويعني بهٰذا: المقالة الموسومة بـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» وقد أثبتها القاسمي رحمه الله في «تفسيره» بطولها.

وانظر: «الموافقات» (١ / ٢٩٣ و٣ / ٣٠٥، ٣٢٤ و٤ / ١٢٨، ١٣٩، ٣١٢ و٥ / ٦٥، ٧١، ١١٦، ١٤٥ ـ بتحقيقي).

راجح[1] كتخصيص العام وتقييد المطلق فإن هٰذا متشابه لأنه يحتمل معنيين، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد، وكذٰلك ما رفع حكمه فإن في ذٰلك جميعه نسخاً لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن، ولهٰذا كانوا يقولون: هل عرفت الناسخ من المنسوخ، فإذا عرف الناسخ عرف المحكم، وعلى هٰذا فيصح أن يقال: المحكم والمنسوخ، كما يقال: المحكم والمتشابه.

وقوله بعد ذٰلك: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] جعل جميع الآيات محكمة محكمها ومتشابهها، كما قال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] وقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] على أحد القولين.

وهنالك جعل الآيات قسمين: محكماً ومتشابهاً، ما قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) انظر في تقرير ذٰلك: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣ / ٢٩ ـ ٣٠)، و «الاستقامة» (١ / ٢٣)، و «الإحكام» (٤ / ٦٧) لابن حزم، و «فهم القرآن» للمحاسبي (٣٩٨)، و «إعلام الموقعين» (١ / ٢٩)، و «أحكام القرآن»، ومقدمة محقق «الناسخ والمنسوخ» (١ / ١٩٧)؛ كلاهما لابن العربي، و «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» (ص ٨٨ ـ ٩٠) لمكي بن أبي طالب، و «تفسير القرطبي» (٢ / ٢٨٨)، و «الإتقان» (٢ / ٢٢)، و «الفوز الكبير في أصول التفسير» (ص ١١٢ ـ ١١٢) للدهلوي، و «الموافقات» (٣ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦ و٣٤٤ ـ بتحقيقي)، و «النسخ في دراسات الأصوليين» (٥٢١)، و «محاسن التأويل» (١ / ١٣).

وهٰذه المتشابهات مما أنزله الرحمٰن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله، فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله.

وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان ومن الناس من يجعله مقابلاً لما نسخه الله مطلقاً حتى يقول: «هٰذه الآية محكمة ليست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكماً، وإن كان الله أنزله أولاً اتباعاً لظاهر قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

فهٰذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغي التفطن لها. وجماع ذٰلك أن الإحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان، فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أي فصله من الاشتباه بغيره، وفصل منه ما ليس منه، فإن الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه، ولهٰذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد فالمنع جزء معناه لا جميع معناه.

وتارة يكون الإحكام في إبقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع وهو اصطلاحي، أو يقال ـ وهو أشبه بقول السلف ـ كانوا يسمون كل رفع نسخاً، سواء كان رفع حكم، أو رفع دلالة ظاهرة، وإلقاء الشيطان في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ، وقد يكون في سمع المبلغ، وقد يكون في فهمه، كما قال:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] الآية. ومعلوم أن من سمع النص الذي قد رفع حكمه أو دلالة له. فإنه يلقي

الشيطان في تلك التلاوة اتباع ذٰلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به يحصل رفع الحكم وبيان المراد، وعلى هٰذا التقدير فيصح أن يقال: المتشابه المنسوخ بهٰذا الاعتبار، والله أعلم.

وتارة يكون «الإحكام» في التأويل والمعنى، وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها، وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هٰذا وتشبه هٰذا فتكون محتملة للمعنيين.

قال أحمد بن حنبل: المحكم: الذي ليس فيه اختلاف. والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا. ولم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه إلا الله وإنما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وهٰذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هٰذا الموضع فإن الله أخبر أنه: لا يعلم تأويله إلا هو.

والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله ﷺ، وجمهور التابعين وجماهير الأمة.

ولٰكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره، بل قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩] وهٰذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدبر: وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] ولم يستثن شيئاً منه نهى عن تدبره. والله ورسوله إنما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فأما من تدبر المحكم والمتشابه، كما أمره الله وطلب فهمه

ومعرفة معناه، فلم يذمه الله، بل أمر بذٰلك ومدح عليه»[1].

*** الرسول ﷺ معصوم من وحي الشيطان:**

فإنه من كان يعرف أحوال النبي ﷺ كان مستلزماً لصدقه، فمثلاً: هٰذه خديجة رضي الله عنها «كانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره، وتلاعب الشيطان به[2]. وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم، وكان معظماً في قريش لعلمه، وإحسانه، وعقله، فلما تبين له حاله؛ علم علماً ضرورياً أنه نبيٌّ صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً: علماً وحالاً. وكذٰلك هرقل ملك النصارى[3]. . .

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ

---

(١) «التفسير الكبير» (٢ / ٩٠ ـ ٩٤)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٢٧٢ ـ ٢٧٥).

(٢) يشير إلى حديث أم المؤمنين خديجة، أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الوحي، باب منه، رقم ٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم ١٦٠)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عباس الذي رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الوحي، باب منه، رقم ٧)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، رقم ١٧٧٣).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١](١).

و«آيات الأنبياء التي اختصوا بها خارجة عن قدرة الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨](٢)».

«والقرآن كله عجبٌ؛ تعجبت منه الجن كما حكى عنهم تعالى أنهم قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١ ـ ٢]؛ فإنه كان خارجاً عن المعهود من الكلام، وهو كما في الحديث: «لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد(٣) . . . .

---

(١) «الجواب الصحيح» (٦ / ٥١١، ٥١٨ ـ ٥١٩).

(٢) انظر: «النبوات» (ص ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٧).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢١)، وعبدالرزاق في «المصنف» (رقم ٦٠١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧ / ١٦٥ ـ ط دار الفكر، و١٠ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣ / ط الهندية)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٥٥)، والمروزي في «قيام الليل» (ص ١٢١)، وابن حبان في «المجروحين» (١ / ١٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٩ / ١٣٩ / رقم ٨٦٤٦)، وابن منده في «الرد على من يقول ﴿الم﴾ حرف، رقم ١١)، وأبو الفضل الرازي في «فضائل القرآن» (رقم ٣٠، ٣١، ٣٢)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٥٨)، والآجرِّي في «أخلاق حملة القرآن» (١١)، والبيهقي في «الشعب» (٤ / =

= ٥٥٠)، والخطيب البغدادي في «الجامع» (١ / ١٠٧)، وابن الجوزي في «الواهيات» (١ / ١٠٩ / رقم ١٤٥)؛ عن ابن مسعود مرفوعاً.
وإسناده ضعيف.
فيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو متروك.
وانظر: «الميزان» (١ / ١٦٦)، و«تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف» (١ / ٢١٢).
وأخرجه عن ابن مسعود مختصراً أيضاً الدارمي في «السنن» (١ / ٤٢٩) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢ / ٢٧٨) من طريق أبي الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤ / ٢٥٢)، والشجري في «أماليه» (١ / ٨٤) بإسناد فيه الهجري السابق.
وقد أوقفه بعضهم على ابن مسعود، وهو أشبه؛ كما عند ابن المبارك في «الزهد» (٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٤٦٢)، والفريابي في «الفضائل» (٦٣).
وإسناده صحيح موقوفاً.
وورد من حديث علي مرفوعاً.
أخرجه الترمذي في «الجامع» (أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ٥ / ١٧٢ / رقم ٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧ / ١٦٤)، والدارمي في «السنن» (٢ / ٤٣٥)، والبزار في «البحر الزخار» (٣ / ٧٠ ـ ٧٢)، وأحمد في «المسند» (١ / ٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (١ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣ / رقم ٣٦٧)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٣)، والفريابي في «فضائل القرآن» (رقم ٨٠، ٨١، ٨٢)، وإسحاق بن راهويه ـ كما قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١ / ٢١٢) ـ.
وإسناده ضعيف.
قال الترمذي: «هٰذا حديث لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي

....»[1].

والله عز وجل تكفل بحفظ هٰذا القرآن، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. «وقد أخبر خبراً، وأكده بالقسم عن جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذٰلك، وهٰذا فيه آيات لنبوته»[2].

*** الفرق بين خوارق السحرة والشياطين ومعجزات الأنبياء:**

واعلم «أن آيات الأنبياء عليهم السلام لا يمكن أن تعارض بالمثل، فضلاً عن الأقوى، ولا يمكن أحد إبطالها، بخلاف خوارق السحرة والشياطين؛ فإنه يمكن معارضتها بمثلها أو أقوى منها، ويمكن إبطالها»[3].

= الحارث مقال»، وقال البزار: «لا نعلم رواه عن علي إلا الحارث». وانظر: «علل الدارقطني» (رقم ٣٢٢).

(١) «النبوات» (ص ٢٦٤).

(٢) «التفسير الكبير» (٢ / ١٤١).

وانظر: (٢ / ١٤٢، ١٥٣، ١٥٧ و٤ / ٣٦٣ و٥ / ٤٣ و٦ / ٢٧١ و٧ / ٦٥ و٥ / ٤٨). منه، و«مجموع الفتاوى» (١٢ / ٧٦، ٢٧٠ و١٤ / ١٩٧ - ١٩٨)، و«الجواب الصحيح» (١ / ٤٠٩، ٤٢٧ و٥ / ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٣٢) و«مجموعة الرسائل والمسائل» (١ / ٣٩٦)، و«النبوات» (ص ١٥٧، ١٥٨، ١٨٩، ٢٣٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٤٨، ٤٢١).

(٣) «الجواب الصحيح» (١ / ٨٦).

يمكن تقسيم الفرق بين المعجزة والسحر من ناحيتين:

=

الأولى: من حيث المفهوم العام للفظ:

أولاً: النبوة اصطفاء من الله وحده، ولا تنال بالكسب والتعليم والسعي، أما الساحر فيناله الإنسان بكسبه وسعيه وتعلمه وكذبه على الله وعلى البشر.

ثانياً: المعجزة تبقى آثارها زمناً بعد النبي مثل القرآن العظيم. أما السحر؛ فهو إلى زوال.

ثالثاً: المعجزة يظهرها صاحبها على رؤوس الأشهاد ومن نبغوا في جنس ما أتى به، بينما السحر يروجه أصحابه بين الجهلة وضعفاء العقول عادة.

رابعاً: المعجزة تجد لها قبولاً وصدى حسناً في النفوس المؤمنة الغير مكابرة، ويزداد هٰذا القبول بعد تعمقها في النفوس واستمرارها.

أما السحر؛ فلا يجد قبولاً إلا عند الضعفاء والجهال.

خامساً: إن آيات الأنبياء هي الخارقة لعادات الإنس والجن، بخلاف خوارق مخالفيهم من السحرة والكهان، فإن كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء، وآيات الأنبياء ليست معتادة لغير الذين يصدقون على الله ويصدقون من صدق الله، وهم الذين جاؤوا بالصدق وصدقوا، وتلك معتادة لمن يفتري الكذب على الله، ويكذب بالحق لما جاء، فتلك آيات على كذب أصحابها، وآيات الأنبياء آيات على صدق أصحابها.

الثانية: من حيث من تظهر عليه:

أولاً: النبي صادق فيما يخبر به عن الله؛ فهو لا يكذب أبداً.

أما الساحر؛ فلا بد أن يكذب، فالله يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢].

ثانياً: إن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل، وما فيه مصالح العباد، وينهون عن المنكر، وهم يعبدون الله وحده، وأعمالهم هي البر والتقوى.

أما السحرة؛ فهم يأمرون بالظلم والمنكر والشرك، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

= **ثالثاً**: الأنبياء هم مكملون للفطرة وتقريرها لا تغييرها وتبديلها، وموافقون للأدلة العقلية، أما السحرة؛ فهم مخالفون للفطرة وللأدلة السمعية والعقلية والعيانية.

رابعاً: إن الأنبياء تتلألأ أنوار العبادة في وجوههم، وآثار الصلاح تكون في جباههم، وأما أصحاب السحر والحيل؛ فإن رذائل التزوير لائحة في وجوههم، ومخايل الحيل والختل واضحة في جباههم، قصارى هممهم استمالة الأغنياء والأمراء، وغاية أمنيتهم نيل العز والجاه في الدنيا بما يوافق هوى النفس.

خامساً: إن ما يأتي به السحرة يكون مقدوراً للإنس والجن والحيوان، والإنس والجن مأمورون بطاعة الرسل. أما آيات الرسل فلا يقدر عليها أي مخلوق من جن وإنس وملائكة وحيوان.

سادساً: أنه فرضاً إذا كان من آيات الأنبياء ما تقدر عليه الملائكة؛ فإن الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر: إن الله أرسلك ولم يرسله، وإنما يفعل ذٰلك الشياطين.

سابعاً: إن الأنبياء تعينهم الملائكة بتصرفات خارقة، أما السحرة؛ فتعينهم الشياطين بتصرفات خارقة، ومقصودهم الكفر، والفسوق والعصيان».

ثامناً: إن النبي قد تقدمه أنبياء؛ فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذٰلك الساحر له نظراء يعتبر بهم.

تاسعاً: إن الأنبياء يفتحون الأعين العمي، والآذان الصم، والقلوب الغلف، أما السحرة؛ فهم يفعلون النقيض من ذٰلك تماماً، فاختلفت الغاية؛ لأنهم يفسدون السمع والبصر والعقل.

عاشراً: إن أفعال السحرة يمكن أن تعارض بمثلها، ويمكن إبطالها، بينما آيات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها أو يبطلها.

من كتاب «موقف الإسلام من السحر» (١ / ١٥٦ ـ ١٥٩).

فمعجزات الرسل وآياتهم لا تستطيعها الشياطين ولا الكهان[1].

«والجن وإن قدروا على حمل بعض الناس في الهواء؛ فلا يقدرون على إصعاده في السماء وإراءته آيات ربه الكبرى، فكان ما آتاه اللهُ محمداً خارجاً عن قدرة الجن والإنس»[2].

فالرسول ﷺ معصوم بما يحفظه الله من الإنس والجن حتى يبلغ الرسالة[3]. فلا يستطيع الشيطان أن يخدع النبي ﷺ أنه الوحي، فالنبي معصوم خاصة في وحي ربه إليه[4]. وقد نزه الله تعالى نبيه عمن تقترن به الشياطين[5].

فـ «القرآن المجيد في لوح محفوظ، وهو في أم الكتاب، وهو ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ ـ ٧٩]، وأخبر سبحانه أنه ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقال ـ في آية أخرى ـ:

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال في موضع آخر:

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ . . .﴾

---

(١) «التفسير الكبير» (٥ / ٤٣).

(٢) «النبوات» (ص ١٧٢).

(٣) «النبوات» (ص ٣٣٥).

(٤) «التفسير الكبير» (٤ / ٣٥٦).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٧٣).

[البقرة: ٩٧].

وقال:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ * مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ * وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ * وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ * فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ * إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٨].

وقال تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة، نزله به على رسول اصطفاه من البشر، فقال:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ * وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ * لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ * وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ * وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ * فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٥٢].

فنزه كلاً من الرسولين عما قد يشتبه به.

نزه الملك أن يكون شيطاناً، ونزه البشر أن يكون شاعراً أو كاهناً، وبين برهان ذلك وآيته، فقال:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ * إِنَّهُمۡ عَنِ

ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

فبين أنه ما يصلح لهم النزول به، بل هم منهيون عن ذٰلك، وهم ممتنعون عن ذٰلك، لا يريدونه، لمنافاته لمقصودهم، وأنهم لو أرادوا لعجزوا عن ذٰلك، فلم يستطيعوه، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلى، وهم إنما يقدرون على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه، وذٰلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه.

فبين قوله:

﴿... وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمۡ...﴾: أنهم لا يريدون تنزيله.

وبقوله: ﴿... وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾: أنهم عاجزون عن تنزيله.

أما كونهم لا يريدون، فلأنه لا ينبغي لهم، (وينبغي): مضارع بغى يبغي: أي طلب وأراد، فالذي لا ينبغي للفاعل، هو الذي لا يطلبه ولا يريده، إما لكونه ممتنعاً من ذٰلك، أو لكونه ممنوعاً منه. والشيطان إنما يريد الكذب والفجور، لا يريد الصدق والصلاح.

وما جاء به الرسول، مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمد، فنزول القرآن عليه. فيمتنع أن تفعل الشياطين ما لا يريدون إلا نقيضه، وهم ـ أيضاً ـ ممنوعون من ذٰلك بحيث لا يصلح لهم ذٰلك ولا يتأتى منهم، كما أن الساحر لا ينبغي له أن يكون نبياً. والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له ـ مع ذٰلك ـ أن يكون نبياً،

ولا أن يكون حاكماً ولا شاهداً ولا مفتياً؛ إذ الكذب والفجور يناقض مقصود الحكم والشهادة والفتيا، فكذٰلك ما في طبع الشيطان من إرادة الكذب والفجور يناقض أن تتنزل بهٰذا الكلام، الذي هو في غاية الصدق والعدل، لم يشتمل على كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد.

ثم قال: ﴿... وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

فإنهم عن سمع هٰذا الكلام لمعزولون، بما حرست به السماء من الشهب، كما قال ـ عن الجن ـ:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

وقد ذكرنا تواتر هٰذا الخبر وأن السماء حرست حرساً لم يعهده الناس قبل ذٰلك، ورأى الناس ذٰلك بأبصارهم، فكانوا قد عاينوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين، فعزلوا بذٰلك عن سمع الملأ الأعلى، وكان ما عاينه الكفار ـ من الرمي الشديد العام ـ الذي انتقضت به العادة المعروفة من رمي الشهب ـ دليلاً على سبب خارق للعادة، ولم يحدث ـ إذ ذاك ـ في الأرض أمر لم تجر به العادة إلا ادعاءه للرسالة، فلم يعرف قبله من نزل عليه الكلام كنزوله عليه. إذ كان موسى عليه السلام إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة[1]، لم

---

(١) دليل ذٰلك: قوله الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٤٥].

تنزل عليه منجمة[1] مفرقة، ملقاة إليه حفظاً، حتى تحتاج السماء إلى حراستها عن استراق سمعها.

*** لم ينزل على الرسل كتاب مستقل إلا التوراة والقرآن:**

والزبور تابع لشرع التوراة، وكذٰلك الإنجيل فرع على التوراة. لم ينزل كتاب مستقل إلا التوراة والقرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

ولهٰذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن كثيراً كما في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩١ ـ ٩٢].

وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ . . .﴾ [هود: ١٧].

قال سعيد بن جبير وغيره: «والأحزاب هي الملل كلها»[2]، قال: وهٰذا تصديق قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هٰذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»، وقرأ

---

(١) أي: نجماً بعد نجماً، وكانت تنزل منه الآية والآيتان. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨١ ـ شاكر).

هٰذه الآية: ﴿... وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ...﴾ [هود: ١٧]»[١].

وقالت الجن:

﴿... إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ...﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقال النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ: (إن هٰذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة)[٢].

وأيضاً؛ فكان معروفاً عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع، فلما رأوا أن السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع، وعلمت الجن ذٰلك كما تقدم، وقد قالت الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب، وهٰذا أمر خارق للعادة، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذٰلك لخراب

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم ٢٤٠) عن أبي هريرة يرفعه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٢٠١ ـ ٢٠٣ و٥ / ٢٩٠ ـ ٢٩١).
ورجاله رجال الصحيح؛ غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع. قاله الهيثمي في «المجمع» (٦ / ٢٧).

العالم، حتى نظروا: هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب، علموا أنه لأمر حدث. وأرسلت الجن تطلب سبب ذٰلك، حتى سمعت القرآن، فعلموا أنه كان لأجل ذٰلك، [كما جاء في «الصحيحين» عن ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا لأمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هٰذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون، ما هٰذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلقوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هٰذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

فأنزل الله على نبيه:

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم ٧٧٣، وكتاب التفسير، باب في تفسير سورة الجن، رقم ٤٩٢١)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، رقم ٤٤٩)؛ =

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:

(كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة، فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوا حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذٰلك. فلما بعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب. فشكوا ذٰلك إلى إبليس فقال: ما هٰذا إلا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه، فقال: هٰذا الحدث الذي حدث في الأرض)[1].

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن السُّدِّي: زعم أن السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين الله ظاهر. فكانت

= عن ابن عباس رفعه.

وللحديث فوائد عديدة، منها: إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في جماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ؛ لأنّ هٰؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلا مقامات الشر ما اختارهم للتوجّه إلى الجهة التي ظهر أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذٰلك؛ فغلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذٰلك قصّة سحَرة فرعون. انظر: «فتح الباري» (٨ / ٦٧٥).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٢٧٤، ٣٢٣)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٣٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» ـ كما في «تحفة الأشراف» (رقم ٥٥٨٨) ـ.

والحديث صحيح.

الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، حتى لما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء. لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرِقَّائهم ويُسيِّبون مواشيهم، فقال لهم، عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر الطائف! أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها، فلم يهلك أهل السماء، إنما هٰذا من أجل ابن أبي كبشة(يعني محمداً ﷺ) وإن أنتم لم تروها، فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم. وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشم، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين قدموا مكة، فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله عز وجل شأن أمرهم على نبيه ﷺ)][(١)].

---

(١) غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم».

وهي في: «تفسير السدي الكبير» (ص ٤٦٣ ـ جمع وتوثيق د. محمد عطا يوسف)، و «الجامع لأحكام القرآن» (٨ / ٦٧٦٩)، و «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٣٠).

وانظر: «الجواب الصحيح» (٥ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ الهامش).

ومن قوله: «كما جاء في «الصحيحين»...» إلى هنا من انفراد نسختين خطيتين من «الجواب الصحيح»، ولذا وضعه المحققون في الهامش.

وهٰذا من أعلام النبوة ودلائلها.

وقبل زمان البعث وبعده، كان الرمي خفيفاً، لم تمتلئ به السماء، كما ملئت حين نزول القرآن، وقال تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

والأفاك: الكذاب. والأثيم: الفاجر، كما قال:

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ ـ ١٦].

وقال في الحديث المتفق على صحته: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١).

فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه، وهو المناسب لها في الكذب والفجور [كالأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن في حياة النبي ﷺ، واستولى على اليمن، وكان معه شيطان: سحيق، ومحيق... وكذٰلك مسيلمة الكذاب، وكذٰلك الحارث

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، رقم ٦٠٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصِّلَة، باب قبح الكذب وحسن الصّدق وفضله، رقم ٢٦٠٧)؛ عن ابن مسعود رفعه.

الدمشقي، ومكحول الحلبي، وبابا الرومي ـ لعنة الله عليهم ـ، وغير هٰؤلاء كانت معهم شياطين كما هي مع السحرة والكهان][(١)]، فأما الصادق البار فلا يحصل به مقصود الشياطين؛ فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر، وإنما يطلب الكذب والفجور، [فلا يقترن إلا بمن فيه كذب وفجور، إما عمداً وإما خطأً فإن الخطأ في الدين من الشيطان أيضاً، كما قال ابن مسعود ـ لما سئل عن مسألة ـ «أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[(٢)]. فالرسول بريء من تنزل الشيطان عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه من الشيطان، وإن كان خطؤه مغفوراً له، فإذا لم يعرف له خبر أخبر به كان فيه مخطئاً، ولا أمر به كان فيه فاجراً علم أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم، ولهٰذا قال في الآية الأخرى عن النبي:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] إلى آخر الآية][(٣)].

ومحمد ﷺ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين، لم تُجَرَّبْ عليه كذبة واحدة، ولما جاءه الروح بالوحي لم يُخْبِرْ بخبرٍ

---

(١) ما بين المعقوفتين من «النبوات» (ص ١٥٥ ـ ١٥٦)، وانظرهُ: (ص ١٦٦، ٣٦٨)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٢٦٦).

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٨٤).

(٣) ما بين المعقوفتين من «الجواب الصحيح» (٥ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، و «التفسير الكبير» (٢ / ١٦٧).

واحدٍ كَذِبٍ، لا عمداً ولا خطأً.

وقد كان النبي ﷺ مجاب الدعوة، وهٰذا من أعلام نبوته ﷺ؛ فإنه من المعلوم [أن من عوّده الله إجابة دعائه، لا يكون إلا مع صلاحه ودينه، ومن ادعى النبوة، لا يكون إلا من أبرّ الناس إن كان صادقاً، أو من أفجرهم إن كان كاذباً، وإذا عوده الله إجابة دعائه، لم يكن فاجراً بل براً، وإذا لم يكن مع دعوى النبوة إلا براً تعين أن يكون نبياً صادقاً، فإن هٰذا يمتنع أن يتعمد الكذب، ويمتنع أن يكون ضالاً، يظن أنه نبي، وأن الذي يأتيه ملك، ويكون ضالاً في ذٰلك، والذي يأتيه الشيطان، فإن هٰذا حال من هو جاهل بحال نفسه، وحال من يأتيه، ومثل هٰذا لا يكون أضل منه، ولا أجهل منه.

*** الفرق بين الأبرار والفجار أعظم مما بين الليل والنهار:**

لأن الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين، وبين الأنبياء الصادقين، وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه غيره من الفروق، بل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار، ولأن ما يأتي به الأنبياء من الأخبار والأوامر مخالف من كل وجه لما يأتي به الشيطان، ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم وحال الكهان والسحرة، تبين له ما يحقق ذٰلك.

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي إنك نبي صادق، والله أرسلني إليك، يكون من أعظم الناس كذباً، والكذب يستلزم الفجور، فلا بد أن يأمره بما ليس براً بل إثماً. ويخبره بما ليس صدقاً بل كذباً، كما هو الواقع، ممن تضله الشياطين من جهلة العباد، وممن يزين له

أنه نبي أو أنه المهدي أو خاتم الأولياء، وكل هٰؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم، ولا أن يكذب في بعض ما تخبره به، تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢].

وحينئذٍ: فمثل هٰذا لا يكون ـ مع دعوى النبوة ـ من الأبرار، الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابةً خارجة عن العادات، بل لا يكون مع دعوى النبوة إلا من الأفاكين الفجار، وإذا كان صادقاً في دعوى النبوة، عالماً بأنه صادق ثبت أنه نبي.

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ ـ فيما يبلغونه عن الله ـ باتفاق الناس، وحينئذ: فكل ما يبلغه عن الله فهو حق، وهو المطلوب، ومن كان يأتيه صادق وكاذب، مثل: (ابن صياد)، ومثل: كثير من العباد الذين لهم إلهام من الملك، ووسواس من الشيطان بأنه نبي، ويقول: أنا أرسلني الله، فلا بد أن يتبين كذبه، ولو ببعض الوجوه:

مثل: أن يخبره بكذب، فإن مثل هٰذا الشيطان الذي قال له: أنه نبي، لا بد أن يكذب فيما يخبره به.

ومثل: إخبار الصادق له: بأن هٰذا كذب، فإذا أتاه الشيطان بالكذب لا بد أن يخبره الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذٰلك، بخلاف الإخبار بأمور جزئية، إذ إخباره بأنه نبي صادق مع أنه ليس كذٰلك:

يهلكه هلاكاً عظيماً، ويفسد على الصادق جميع ما يأتيه به. لأن ذٰلك يستلزم أن يصدق ذٰلك الكاذب في كل ما يخبره به، إذ قد اعتقد أنه نبي، وحينئذٍ فلا يكون عنده كاذباً، ولا يعرف أنه كاذب.

فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب، بل أضل من هٰؤلاء: يظن أن كل ما يأتيه فهو صادق، ولهٰذا كل من كان يأتيه إخبار ملكي صادق، وإخبار شيطاني كاذب، فلا بد أن يعرف أنه يأتيه كاذب، لأنه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب ـ كما هو الواقع ـ.

*** الكهان يعرفون كذب الشياطين:**

ولهٰذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً، وكذٰلك العباد الذين لهم خطابات ومكاشفات، بعضها شيطاني، وبعضها ملكي، يتبين لهم الكذب فيما يأتيهم به الشيطان ـ كما هو الواقع ـ فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني إلا ولا بد أن يخبره بكذب، يظهر له أنه كذب، وحينئذ: فإذا صدق هٰذا الكاذب في إخباره النبوة كان مصدقاً للكاذب، ولأن الصادق الذي يأتيه مخبراً له بالصدق، ناصحاً له، لا بد أن يبين له ذٰلك، فلا يصر على اعتقاد أن من يأتيه صادق ـ وهو في نفس الأمر كاذب، ولا يعلم أنه كاذب ـ إلا من هو أفاك أثيم، والله تعالى يقول:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢].

فتنزلها على الأفاك الأثيم][1].

ومن تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يخبر بالكذب؛ فإن الشياطين يلقون إليهم السمع، ولا يلقون إليهم ما سمعوه على وجهه؛ بل يكذبون فيه كثيراً؛ إذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم. والشياطين وإن كان كلهم كاذباً؛ فليس كل من ألقى السمع يكذب فيما يلقيه، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه، ولكن أكثرهم يكذبون، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات، والذي تنزلت عليه الشياطين أفاك أثيم.

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه الملك والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم فرق بيِّنٌ يُعرف بأدنى معرفة بحال الإثنين»[2].

«وقد كان بعض الكفار يقول: إن الذي يأتي محمداً شيطان لا ملك!!

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥]، وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢]، وقال فيمن كذب رسوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ ـ ١٦][3]. فهذا الكاذب الفاجر هو الذي فيه الشيطان الذي إنما يقترن بكل أفاك أثيم.

---

(١) ما بين المعقوفتين من «الجواب الصحيح» (٦ / ٢٩٧ ـ ٣٠١).
(٢) «الجواب الصحيح» (٥ / ٣٤٦ ـ ٣٥٧).
(٣) انظر: «جامع البيان» للطبري (٣٠ / ٢٥٥).

وقال قوم صالح: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ ـ قال تعالى ـ: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٥ ـ ٢٦]. وكذلك قال قوم نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨ ـ ٣٩]، وهذا كثير»[1].

«وفي السورة الأخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٧ ـ ٨] الآية، ومثل قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وجماع شبه هؤلاء الكفار أنهم قاسوا الرسول على من فرق الله بينه وبينه، وكفروا بفضل الله الذي اختص به رسله؛ فأتوا من جهة القياس الفاسد، ولا بد في القياس من قدر مشترك بين المشبه والمشبه به، مثل جنس الوحي والتنزل، فإن الشياطين يتنزلون على أوليائهم، ويوحون إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

وقال تعالى في ﴿طسم﴾[2] [الشعراء: ١] و﴿طس﴾ [النمل:

---

(١) «تفسير آيات أشكلت» (١ / ١٥٧ ـ ١٥٩).

(٢) في الأصل: «آل طس».

١]، وقد افتتح كلاً منهن بقصة موسى وتكليم الله إياه وإرساله إلى فرعون، فإنها أعظم القصص.

فقال في سورة الشعراء المحتوية على قصص المرسلين واحد بعد واحد وهي سبع: قصة موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوطاً، وشعيب، ثم قال عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ٢٢٦].

فذكر الفرق بينه وبين من قال: تنزل عليه الشياطين، من الكهان والمتنبئين ونحوهم، وبين الشعراء، لأن الكاهن قد يخبر بغيب بكلام مسجوع(١) والشاعر أيضاً يأتي بكلام منظوم(٢) يحرك به النفوس، فإن قرين الشيطان مادته من الشيطان، ويعين الشيطان بكذبه وفجوره. والشاعر مادته من نفسه وربما أعانه الشيطان.

فأخبر أن الشياطين إنما تنزل على من يناسبها، وهو الكاذب في قوله، الفاجر في عمله، بخلاف الصادق البر، وأن الشعراء إنما

---

(١) الكلام المسجوع: هو الكلام المقفى، وله فواصل كفواصل الشعر من غير وزن.
انظر: «اللسان» (٦ / ١٧٩)، و «مختار الصحاح» (ص ٢٨٧)، و «المعجم الوسيط» (١ / ٤١٧).

(٢) الكلام المنظوم: هو ما أُلِّفَ من الكلام موزوناً مُقَفَّىً. انظر: «المعجم الوسيط» (٢ / ٩٣٣).

يحركون النفوس إلى أهوائها فيتبعهم الغاوون، وهم الذين يتبعون الأهواء وشهوات الغي، فنفى كلاً منهما بانتفاء لازمه، وبين ما تجتمع فيه من شياطين الإنس والجن»[1].

وجميع هٰذا يؤكد ضعف قصة الغرانيق السابقة، والله أعلم.

*** رابعاً: زعم بعض الجهال رؤيتهم الله تعالى أو بعض الأنبياء يقظة، وكذا الخضر، ورجال الغيب المزعومين:**

قال رحمه الله بعد ذكره حديث «من رآني في المنام فقد رآني حقاً...»[2]: «فرؤيته في المنام حق، وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو، ولا أحد من الموتى، مع أن كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الأنبياء إما عند قبره وإما عند غير قبره، وقد يرى القبر انشق، وخرج منه صورة إنسان، فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر، وإنما ذٰلك جني تصور في صورته؛ ليضل ذٰلك الرائي»[3].

*** استحالة رؤية الموتى في اليقظة:**

«والشياطين كثيراً ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام، وقد تأتي لمن لا يعرف، فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان، وربما قالت: أنا أبو بكر وعمر، وربما قال: أنا المسيح أنا موسى أنا محمد،

---

(١) «تفسير آيات أشكلت» (٢ / ٧٢٦ ـ ٧٢٨).

(٢) مضى تخريجه.

(٣) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣ / ٣٤٨).

وقد جرى مثل ذٰلك أنواع أعرفها، وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثم شيوخ لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هٰذا. . . »[١].

*** بعض الناس يعتقد أن زيارة المشاهد التي على القبور أفضل من الحج:**

وقد لبَّس الشيطان على كثير من زوار القبور حتى جعلهم يعتقدون أن حرمة المسجد المبني على القبر أعظم من حرمة بيوت الله تعالى التي أسست على تقوى من الله ورضوانه، بل بلغ الشيطان بهٰذه البدع إلى الشرك العظيم في كثير من الناس حتى إن منهم من يعتقد أن زيارة المشاهد التي على القبور ـ إما قبر لنبي أو شيخ أو بعض أهل البيت ـ أفضل من حج بيت الله الحرام.

وكثير من الناس تمثل له صورة الشيخ المستغاث به، ويكون ذٰلك شيطاناً قد خاطبه، كما تفعل الشياطين بعبدة الأصنام[٢].

والشياطين تتمثل لكثير من النصارى بصورة رجل جميل حسب اعتقادهم في المسيح، فيقولون لهم: أنا المسيح!![٣].

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٥٨).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢ / ٧٣٩).

وانظره: (٢ / ٧٣٩ ـ ٧٤١، ٨٤١)، و «الجواب الصحيح» (٢ / ٣٣٨ ـ فما بعد).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٠٢، ١٠٧)، و «التفسير الكبير» (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥).

«ولهٰذا يعتقد كثير من هٰؤلاء أنهم يكلمون الله ويكلمهم، ويقول أحدهم: أوقفني، وقال لي، وقلت له، وتكون مخاطبته ومناجاته مع هٰذا المثال العلمي بحسب ما عندهم من الاعتقاد في الله تعالى، وكثير منهم يتمثل له الشيطان ويقول: أنا ربك فيخاطبه ويظنه ربه، وإنما هو الشيطان.

ومنهم: من يرى عرشاً عليه نور، أو يرى ما يظنه الملائكة وهم شياطين، وذٰلك شيطان.

وكثير من هٰؤلاء يظن أنه أفضل من الأنبياء، وأنه يدخل إلى الله بلا إذن، خلاف الأنبياء ويكون ذٰلك الإلٰه الذي يعتقده هو الشيطان، والذين لا يتمثل لهم الشيطان يخاطب أحدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلمية ويقدر أنها تخاطبه، ويظن ذٰلك مخاطبة الحق له.

وهٰذا كالرجل يذكر بعض أصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه أو يعتذر إليه، ويقدر خطاب تلك الصورة، ويقول قلت لك: كذا، وقلت لي: كذا.

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه، وإنما هو المثال، كما قد يصور صورة الإنسان ويخاطبها الإنسان ويقدر ذٰلك مخاطبة لصاحب الصورة.

والنصارى أدْخَلُ في هٰذا من غيرهم، فإنهم يخاطبون الصور الممثلة في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين، ويقولون: إنما تقصد خطاب أصحاب تلك الصور نستشفع

بهم!»[1].

«وهم [أي النصارى] يعترفون بأن الشياطين كثيراً ما تجئ ويدعي أحدهم أنه نبي أو صالح، ويقول: أنا فلان النبي أو الصالح، ويكون شيطاناً.

*** حكاية الراهب الذي جاءه الشيطان:**

وفى ذٰلك حكايات متعددة، مثل حكاية الراهب الذي جاءه جاءٍ وقال: أنا المسيح، جئت لأهديك، فعرف أنه الشيطان، فقال: أنت قد بلغت الرسالة، ونحن نعمل بها، فإن جئت اليوم بشيء يخالف ذٰلك لم نقبل منك»[2].

«والخوارق التي يضل بها الشياطين بني آدم ـ مثل: تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت ونحو ذٰلك ـ ضل بها خلق كثير من الناس من المنتسبين إلى المسلمين أو إلى أهل الكتاب وغيرهم»[3].

*** قصة صلب المسيح:**

والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه، فإن الذي صلب إنما صلبه اليهود ولم يكن أحد من

---

(١) «الجواب الصحيح» (٣ / ٣٩٨ ـ ٤٠٠).

(٢) «التفسير الكبير» (١ / ٢١١ ـ ٢١٢)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٨١).

(٣) «الجواب الصحيح» (٢ / ٣٣٨)، وانظر ما بعده.

أصحاب المسيح حاضراً وأولٰئك اليهود الذين صلبوه، قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح، وقد قيل أنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولٰكنهم كذبوا وشبهوا على الناس. والأول: هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب، لٰكن عمدتهم على ذٰلك الشخص الذي جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذاك شيطان، وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً ما تجئ ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول: أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطاناً، وفي ذٰلك حكايات متعددة(١) مثل حكاية الراهب... [المذكورة في الصفحة السابقة].

*** استحقاق اليهود للعقوبة على ادعائهم قتل المسيح:**

فليس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧] وأضاف الخبر عن قتله إلى اليهود بقوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] فإنهم بهٰذا الكلام يستحقون العقوبة إذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح، ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم في هٰذا القول كاذبون وهم آثمون وإذا قالوه فخراً لم يحصل لهم الفخر لأنهم لم يقتلوه، وحصل الوزر لاستحلالهم ذٰلك وسعيهم فيه»(٢).

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» (٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٩٤ ـ ٩٥)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٧٤).

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ٨١)، و «التفسير الكبير» (١ / ٢١١ـ٢١٢).

* **رجال الغيب المزعومون شياطين، وحياة الخضر:**

قال رحمه الله: «وكان أهل الخير والدين يقصدون ثغور المسلمين للرباط فيها: ثغور الشام، كعسقلان، وعكة، وطرسوس، وجبل لبنان وغيرها، وثغور مصر، كالإسكندرية وغيرها، وثغور العراق كعبدان وغيرها، فما خرب من هٰذه البقاع ولم يبق بيوتاً كعسقلان، لم يكن ثغوراً ولا في السفر إليه فضيلة، وليس فيه أحد من الصالحين المتبعين لشريعة الإسلام، ولٰكن فيه كثير من الجن، وهم رجال الغيب الذين يرون أحياناً في هٰذه البقاع قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وكذٰلك الذين يرون الخضر أحياناً هو جني رآه، وقد رآه غير واحد ممن أعرفه، وقال: إنني الخضر، وكان ذٰلك جنياً لبس على المسلمين الذين رأوه، وإلا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات، ولو كان حياً على عهد رسول الله ﷺ لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه، فإن الله فرض على كل نبي أدرك محمداً ولو كان من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه الميثاق، إن بُعِثَ محمدٌ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به

ولينصرنه[1]، ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر[2]، ولا أنه أتى إلى النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدراً من أن يلتبس الشيطان عليهم؛ [فإن خضر موسى مات كما بين هٰذا في غير هٰذا الموضع[3]، والخضر الذي يأتي كثيراً من الناس إنما هو جني تصور

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) انظر ما قدمناه في التعليق على (ص ١٦٩، ١٧١).

(٣) وردت في حياة الخضر أحاديث عديدة لا يصح منها عن رسول الله ﷺ حديث واحد، ولولا الإطالة؛ لسقناها وذكرنا أحوال رواتها، وقد تكلمنا على بعضها في تحقيقنا لِـ «المجالسة» (رقم ١٠٢، ١٠٤٦، ١٨٨٦).

وقد ذكر تلك الأحاديث أبو الحسين ابن المنادي (ت ٣٣٦هـ) أحد أئمة الإسلام وبين بطلانها، ثم قال: «والخضر وإلياس مضيا لسبيلهما، وقد روي عن أهل الكتاب أنه شرب من ماء الحياة ولا يوثق بقولهم.

قال: وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز، ولا تخلو من أمرين:

● إما أن تكون أدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً.

● وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على جهة التعجب؛ فنسبت إليهم على جهة التحقيق. قال: وأكثر المغفلين مغرورون بأن الخضر باق والتخليد لا يكون لبشر، قال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾، ثم ذكر عن إبراهيم الحربي أنه سئل عن تعمير الخضر؛ فأنكر ذٰلك، وقال: هو متقادم الموت. قال: وسئل غيره عن تعميره وأن طائفة من أهل زماننا يرونه ويروون عنه؛ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى ذكر هٰذا بين الناس إلا الشيطان.

وقد سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن الخضر وإلياس: هل هما في =

= الأحياء؟ فقال: «وكيف يكون هٰذا وقد قال النبي ﷺ «لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهر الأرض أحد» [أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ١١٦، ٥٦٤، ٦٠١)]، حكاه أبو الفرج بن الجوزي عنه في كتابه «الموضوعات» (١ / ١٩٩).

قال أبو الفرج في «الموضوعات» أيضاً (١ / ١٩٧ ـ ١٩٨): «وقد اغتر خلق كثير من المهووسين أن الخضر حي إلى اليوم، وروي أنه التقى بعلي بن أبي طالب وبعمر بن عبدالعزيز، وأن خلقاً كثيراً من الصالحين رأوه، وصنف بعض من سمع الحديث ولم يعرف علله كتاباً جمع فيه ذٰلك ولم يسأل عن أسانيد ما نقل، وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصفين بالزهد يقولون: رأيناه وكلمناه؛ فواعجباً! ألهم فيه علامة يعرفونه بها، وهل يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً فيقول له الشخص: أنا الخضر فيصدقه؟!».

ثم ساق الأحاديث المروية في ذٰلك، وبين أنها باطلة موضوعة.

قال ابن القيم في «الفوائد الحديثية» (ص ٨٣ بتحقيقي) عقب الكلام السابق: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يحتج على أنه مات وليس في الأحياء بقول النبي ﷺ يوم بدر في دعائه: «اللهم إن تهلك هٰذه العصابة لا تعبد في الأرض» [أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢ / ٨٤ ـ النووي]، ولم يكن الخضر فيهم، إنما كانوا ثلاث مئةٍ وثلاثة عشر كلهم أصحابه. قال: وقد قال الخضر لموسى: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾؛ ففارق موسى كليم الرحمٰن، ثم أصبح يطوف على كل مجهول وكل جاهل لا يعرف دين الإسلام ويصاحبهم ويجتمع بهم، ويترك المساجد والجمع والجماعات والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

قال (أي ابن تيمية): ومن قال: رأيت الخضر؛ فإما كاذب، وإما ملبوس بأن يرى جنياً يقول له: أنا الخضر؛ فيصدقه بجهله.

= قلت (ابن القيم): وقد يكون اسم ذٰلك الجني الخضر كما يتسمى به الإنس كثيراً، وقد يرى شخصاً مجهولاً فيقول له ذٰلك الشخص: أنا الخضر فيصدقه، وهٰذا كله سببه الجهل وقلة العلم، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «أرأيتكم ليلتكم هٰذه؛ فإنه على رأس مئة سنة لا يبقى على الأرض ممن هو على ظهر الأرض». [أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١١٦، ٦٠١، ٦٥٤) عن ابن عمر] يريد النبي ﷺ انخرام ذٰلك القرن.

قال شيخ الإسلام: لو كان الخضر حياً؛ لوجب عليه أن يتبع النبي ﷺ ويكون معه ويجاهد الكفار معه ولا يتخلف عنه، كما أن موسى وعيسى وسائر الأنبياء لو كانوا أحياء؛ لوجب عليهم اتباعه والجهاد معه».

ونحو كلامه هٰذا في: «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ١٠٠).

ويدل على ما قال شيخنا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابن عباس: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه»؛ فالخضر إن كان نبياً وجب عليه أن يتبع محمداً ﷺ ويكون معه وينصره، وإن كان ولياً؛ فكذٰلك، قال شيخنا (أي: ابن تيمية): «ولو كان الخضر حياً كما يقول من يزعم ذٰلك؛ لم يجز لنا أن نأخذ عنه شيئاً من الدين؛ لأن ما يقوله إن كان مخالفاً لما جاء به محمد ﷺ؛ لم يجز لنا قبوله، وإن كان موافقاً له؛ فإنما قبلنا ما جاء به محمد ﷺ؛ فأي حاجة بنا إلى الخضر؟!».

قلت: آخر قولي شيخ الإسلام ما نقله تلميذه عنه هنا، ولذا قال في «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ١٠٠): «والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم =

= يدرك الإسلام»(*)، وهٰذا يخالف ما قرره في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٣٧)، وفي كتاب «الزيارة» (ص ٤٢)، وذكر ابن القيم في «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية» (رقم ٥٢) ضمن مؤلفاته «رسالة في الخضر؛ هل مات أم هو حي؟»، ولعل ابن القيم ينقل منها هنا، والله أعلم.

قال ابن تيمية فيما نقل عنه ابن القيم في «فوائد حديثية» (٨٦ ـ بتحقيقي): «وأكمل مراتب الخضر لو كان حياً أن يكون من جملة أتباعه ﷺ الواقفين على شريعته وأمره ونهيه».

قال (أي ابن تيمية): «ومن اعتقد أن أحداً يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى؛ فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل؛ فإن الخضر قال لموسى: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. [قطعة من حديث أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ١٢٢، ٣٢٧٨، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧، ٦٦٧٢)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٣٨٠)؛ عن ابن عباس]. ولو قال هٰذا أحد لرسول الله ﷺ ممن بعث إليه كفر. قال: وموسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولهٰذا لم يعرفه الخضر حين سلم عليه حتى عرفه بنفسه وقال: أنا موسى. فقال له الخضر: موسى بني إسرائيل؟ فقال: نعم.

قال: ومن جهل هٰؤلاء الضلال أنهم يزعمون أنه نقيب الأولياء، وأنه يعرف كل ولي لله ومكانه واسمه وحاله، وقد خفي عليه موسى كليم الرحمٰن الذي طبق ذكره الأرض؛ فلم يعرفه حتى تعرف إليه».

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل بديع على بواطيل من يتمسك بقصة الخضر من

(*) واقتصر جمع من المتأخرين في نقله عن ابن تيمية، وعلى رأسهم ابن الوزير في «إيثار الحق» والحسين بن الأهدل اليمني (ت ٨٥٥هـ) في كتابه الفذ «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد» (ص ٢٥٣ ـ ط تونس، سنة ١٩٦٤م).

= المبتدعة والصوفية تراه في «مجموع الفتاوى» (١١ / ٤٢٠ وما بعدها)، وكذا فعل الإمام القرطبي في «تفسيره» (١١ / ٤٠، ٤١ و٧ / ٣٩ و١١ / ٢٥)، وأتيت على ذكرها بتفصيل وتأصيل في كتابي «من قصص الماضين» (ص ٣٣ - ٤٤).

ومسألة حياة الخضر وعدمها تكلم فيها العلماء والأئمة قديماً، ولبعضهم تصنيفات مستقلة حولها، مثل: ابن المنادي، ومثل: عبدالمغيث بن زهير الحربي (ت ٥٨٣هـ)، وقد جنح فيه إلى إثبات حياته.

ولشيخ الإسلام فيما ذكر تلميذه ابن القيم في «أسماء مؤلفات ابن تيمية» (رقم ٥٢) وابن عبدالهادي في «العقود الدرية» (٥٤) رسالة مستقلة في المسألة، وقد مضت الإشارة إلى ذٰلك، ولابن الجوزي «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» منه مختصر في «المكتبة الظاهرية» (رقم ٣٣، ٦٣). وانظر: «مؤلفات ابن الجوزي» (ص ١٥٤، ٢٠٤، ٢٤١).

وللبسطامي «قصة الخضر» كما في «كشف الظنون» (٢ / ١٣٢٧).

ولإمام الكمالية (ت ٨٧٤هـ) رسالة في الخضر عليه السلام وحياته؛ كما في «كشف الظنون» (١ / ٦٨٢)، وللخيضري (ت ٨٩٤هـ) «الروض النضر في حال الخضر»؛ كما في «الكشف» أيضاً (١ / ٩٢١)، وللسيوطي (ت ٩١١هـ) «الوجه النضر في ترجيح نبوة الخضر»؛ كما فيه (٢ / ٢٠٠١)، وللسفاريني «الجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والإسكندر»؛ كما في «إيضاح المكنون» (١/ ٣٧٢)، ولعبد الأحد النوري «رسالة الأولياء وحياة الخضر وإلياس» كما فيه (١ / ٥٦٠)، وللشيخ مرعي الكرمي «الروض النضر في الكلام على الخضر» كما فيه (١ / ٥٩١)، ولمحمد عارف الدمشقي «شذا العطر في سيدنا إلياس والخضر» كما فيه (٢ / ٤٢)، ولنوح الرملي «القول الدال على حياة الخضر ووجود الأبدال» كما فيه (٢ / ٢٤٨)، ولابن الأهدل اليمني «القول المنتصر على الدعاوي الفارغة بحياة أبي العباس الخضر» كما فيه

بصورة إنسي أو إنسي كذاب، ولا يجوز أن يكون ملكاً مع قوله أنا الخضر، فإن الملك لا يكذب وإنما يكذب الجني والإنسي. وأنا أعرف ممن أتاه الخضر وكان جنياً مما يطول ذكره في هٰذا الموضع. وكان الصحابة أعلم من أن يروج عليهم هٰذا التلبيس.

*** الجن يسرقون المال ويأتون به إلى أوليائهم:**

وكذٰلك لم يكن فيهم من حملته الجن إلى مكة وذهبت به إلى عرفات ليقف بها كما فعلت ذٰلك بكثير من الجهال والعباد وغيرهم، ولا كان فيهم من تسرق الجن أموال الناس وطعامهم وتأتيته به فيظن أن هٰذا من باب الكرامات كما قد بسط الكلام على ذٰلك في مواضع][1]، ولٰكن لبس على كثير من بعدهم، فصار يتمثل لأحدهم في صورة

= (٢ / ٢٥٥)، وذكره أيضاً في كتابه «كشف الغطاء» (ص ٢٥٤)، ولابن كثير في «البداية والنهاية» (١ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وابن حجر في «الفتح» (٢ / ٧٥ و٦ / ٣٠٩ ـ ٣١٢)، وله تأليف مستقل «الزهر النضر في نبأ الخضر» مطبوع ضمن «الرسائل المنيرية» (٢ / ٢٣٤)، وحققه الشيخ صلاح مقبول، وفي تقديمه له فوائد جليلة، وأدرج مؤلفه في «الإصابة» (١ / ٤٢٨ ـ ٤٤٨)، ولعلي القاري «كشف الخدر عن أمر الخضر» مطبوع في روسيا قديماً، وللمعصومي «رفع الالتباس في أمر الخضر وإلياس»؛ كما في مقدمة «هداية السلطان»، ولبعض الجزائريين: «أنفع العصر في تعريف الخضر»؛ كما في «تعريف الخلف» (ص ٥٢٧)، ولمحمود شلبي «حياة الخضر» و «بين الخضر وموسى»، ولمحمد خير يوسف «الخضر بين الواقع والتهويل»، وللشيخ عبدالرحمٰن عبدالخالق «الخضر في الفكر الصوفي»، وكلها مطبوعة. وانظر: «الإعلان بالتوبيخ» (ص ٧٣٠).

(١) ما بين المعقوفتين من «مجموع الفتاوى» (١ / ٢٤٩).

النبي[1]، ويقول: أنا الخضر. وإنما هو شيطان كما أن كثيراً من الناس يرى ميته خرج وجاء إليه وكلمه في أمور وقضاء حوائج فيظنه الميت نفسه، وإنما هو شيطان تصور بصورته، وكثير من الناس يستغيث بمخلوق إما نصراني كجرجس، أو غير نصراني فيراه قد جاءه، وربما يكلمه، وإنما هو شيطان تصور بصورة ذٰلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث، تصور له كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم الناس، ومثل هٰذا موجود كثير في هٰذه الأزمان في كثير من البلاد، ومن هٰؤلاء من تحمله الشياطين فتطير به في الهواء إلى مكان بعيد، ومنهم من تحمله إلى عرفة فلا يحج حجاً شرعياً ولا يحرم ولا يلبي ولا يطوف ولا يسعى، ولٰكن يقف بثيابه مع الناس ثم يحملونه إلى بلده، وهٰذا من تلعب الشياطين بكثير من الناس، كما قد بسط الكلام في غير هٰذا الموضع[2] والله أعلم بالصواب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[3].

*** خامساً: زعم المفترين بأن سليمان عليه السلام سخر الجن والشياطين بنوع من الشرك والسحر:**

قال رحمه الله تعالى: «وأما أهل الضلال من النصارى وغيرهم

---

(١) لعله يريد صورة الخضر! وإلا؛ فالشيطان لا يأتي ألبتة في صورة النبي ﷺ، وأفاض المصنف في تقرير ذٰلك. انظر: (ص ١٧٢ - ١٧٣).

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٤ / ٩٤ و٨ / ٢٦٢)، و «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٢١٦)، و «مجموعة الرسائل الكبرى» (١ / ١٦١).

(٣) «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢ / ٦٦ ـ ٦٧).

فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه، ويبخسون الفاضل حقه، ويغلون في المفضول ويبخسون الأنبياء حقوقهم، مثل تنقصهم لسليمان، فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه.

منهم من يقول: كان ساحراً، وأنه سحر الجن بسحره.

ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لا نبياً، ولهٰذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذٰلك. وذٰلك أن سليمان سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر لسليمان الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، فسخر له الريح غدوها شهر، ورواحها شهر، ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش «بلقيس» ملكة اليمن، وكان هو بالشام:

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

فلما مات سليمان عمدت الشياطين إلى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يسخر الجن بهٰذا، فصار هٰذا فتنة لمن صدق بذٰلك وصاروا طائفتين، طائفة علمت أن هٰذا من الشرك والسحر، وأنه لا يجوز فطعنت في سليمان، كما فعل ذٰلك كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى.

وطائفة قالت: سليمان نبي، وإذا كان قد سخر الجن بهٰذا دل على أن هٰذا جائز، فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشرك والتعزيم والإقسام بالشرك والشياطين ما تحبه الشياطين وتختاره ويساعدونهم لأجل ذٰلك على بعض مطالب الإنس إما إخباراً بأمور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً، وإما تصرف في بعض الناس، كما يقتل الرجل أو يمرض بالسحر، أو تسرق الشياطين له بعض الأموال، ونحو ذٰلك مما فيه إعانة الشياطين للإنس على أمور تريدها الإنس، لأجل مطاوعة الإنس وموافقتهم للشياطين على ما تريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان.

وكثير منهم يضيف ذٰلك إلى سليمان وإلى «آصف بن برخيا»[1] ويصورون خاتم سليمان، وقد يأخذون الرجل الذي صار من إخوانهم إلى مواضع فيرونه شخصاً، ويقولون: هٰذا سليمان بن داود، كما قد جرى مثل ذٰلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين، وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان.

فنزه الله تعالى سليمان من كذب هٰؤلاء، وهٰؤلاء الذين جعلوه يسخر الشياطين بنوع من الشرك والسحر، هٰؤلاء جرحوه، وهٰؤلاء زعموا أنهم يتبعونه فقال تعالى:

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير رحمه الله (٣ / ٣٦٤ ـ ط بولاق).

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢ ـ ١٠٣]»(١).

*** طاعة الجن والشياطين لسليمان ليست من جنس معاونتهم للسحرة:**

«وطاعة الجن والشياطين لسليمان صلوات الله عليه لم تكن من جنس معاونتهم للسحرة والكهان والكفار وأهل الضلال والغي، ولم تكن الآية والمعجزة والكرامة التي أكرمه الله بها هي ما كانوا يعتادونه مع الإنس، فإن ذٰلك إنما كان يكون في أمور معتادة مثل إخبارهم أحياناً ببعض الغائبات، ومثل إمراضهم وقتلهم لبعض الإنس، كما أن الإنس قد يمرض ويقتل غيره، ثم هم إنما يعاونون الإنس على الإثم والعدوان إذا كانت الإنس من أهل الإثم والعدوان يفعلون ما تهواه الشياطين، فتفعل الشياطين بعض ما يهوونه.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام:

---

(١) «الجواب الصحيح» (٣/ ٣٨٧ ـ ٣٨٩). وانظره: (٦/ ١٣ ـ ١٦).

.[١٢٨].

وأما التسخير الذي سُخِّروه لسليمان فلم يكن لغيره من الأنبياء، فضلاً عن من ليس بنبي، وقد سأل ربَّه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [صۤ: ٣٥]. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [صۤ: ٣٦ ـ ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ * وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ - ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٤].

*** تسخير الجن لسليمان لم يكن باختيارهم:**

وكذٰلك ما ذكره من قول العفريت له: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ﴾ [النمل: ٣٩]. فهٰذه الطاعة من التسخير بغير اختيارهم في مثل هٰذه الأعمال الظاهرة العظيمة، ليس مما فعلته بأحد من الإنس، وكان ذٰلك بغير أن يفعل شيئاً، مما يهوونه من العزائم، والأقسام

والطلاسم الشركية، كما يزعم الكفار أن سليمان سخرهم بهذا فنزهه الله من ذلك بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وأما طاعة الجن لنبينا وغيره من الرسل كموسى، فهذا نوع آخر فإن هذا طاعتهم فيما أمرهم الله به من عبادته وطاعته كطاعة الإنس لنبينا، حيث أرسل إلى الطائفتين، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وطاعته ونهاهم عن معصيته التي بها يستحقون العذاب في الآخرة، وكذلك الرسل دعوهم إلى ذلك، وسليمان منهم، لكن هذا إنما ينتفع به منهم من آمن طوعاً، ومن لم يؤمن فإنه يكون بحسب شريعة ذلك الرسول، هل يترك حتى يكون الله هو الذي ينتقم منه أو يجاهد.

وسليمان كان على شريعة التوراة واستخدامه لمن لم يؤمن منهم هو مثل استخدام الأسير الكافر، فحال نبينا مع الجن والإنس أكمل من حال سليمان وغيره، فإن طاعتهم لسليمان كانت طاعة ملكية فيما يشاء، وأما طاعتهم لمحمد فطاعة نبوة ورسالة[1] فيما يأمرهم به من عبادة الله، وطاعة الله واجتناب معصية الله، فإن سليمان ﷺ كان نبياً ملكاً ومحمد كان عبداً رسولاً مثل إبراهيم عليهم السلام»[2].

*** كذاب ثقيف ومبيرها:**

فالشياطين تتنزل على من يناسبها من أهل الفجور والكذب، وقد

(١) قد مضى بيان ذلك. انظر: (ص ١٧٨ وما بعدها) من هذا الكتاب.

(٢) «النبوات» (ص ٣١٦ ـ ٣١٨).

ثبت في «صحيح مسلم» عن أسماء عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»(١) فالمبير كان هو: الحجاج، والكذاب هو: المختار بن أبي عبيد.

وقد قيل لابن عمر أو لابن عباس: أن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾(٢).

وقيل لآخر: إن المختار يزعم أنه ينزل عليه فقال: صدق ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾»(٣).

*** سادساً: كتابة القرآن بالنجاسة:**

قال ابن القيم رحمه الله: «كتاب للرعاف: كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب على جبهته: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]، وسمعته يقول: كتبتها لغير واحد، فبرأ.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم ٢٥٤٥) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) «بغية المرتاد» (ص ٥١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٩٥، ٤١٨، ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ٤٤٥ و١١ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠، ٢٩٥، ٥٧٤، ٦١٠ ـ ٦١١، ٦٣٥، ٦٦٤ ـ ٦٦٥ و١٢ / ١٨ ـ ١٩ و١٤ / ٤٥٣ و١٥ / ٢٤٦)، و «التفسير الكبير» (٤ / ٩٨ و٦ / ١٠٠، ٤٤٤ ـ ٤٤٥)، و «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢ / ٢٥٠، ٢٥٥ ـ ٢٥٦)، و «النبوات» (ص ٢٠، ١٥٧، ٣٧٠، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠١).

فقال: ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله الجهال؛ فإن الدم نجس، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى»[١].

*** قصة إبليس وإخباره النبي ﷺ وهو في المسجد مع جماعةٍ من أصحابه، وسؤال النبي ﷺ له عن أمور كثيرة، والناس ينظرون ويسمعون:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنها: «هٰذا حديث كذب مختلق، ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة، لا الصحاح، ولا السنن، ولا المسانيد. ومن علم أنه كذب على النبي ﷺ لم يحل له أن يرويه عنه، ومن قال: «إنه صحيح، فإنه يعلَّم بحاله، فإنْ أصرّ عوقب على ذٰلك، ولٰكن فيه كلام كثير قد جمع من أحاديث نبوية. فالذي كذبه واختلقه جمعه من أحاديث بعضها كذب وبعضها صدق، فلهٰذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة، وإن كان أصل الحديث وهو مجيء إبليس عياناً إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسؤاله له كذباً مختلقاً، لم ينقله أحد من علماء المسلمين، والله سبحانه وتعالى أعلم»[٢].

*** سابعاً: مناظرة إبليس للملائكة:**

قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١ / ١٦ ـ ١٨): «اعلم أن

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ٣٥٨ ـ ط مؤسسة الرسالة).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٣٥٠)، و «الفتاوى الكبرى» (١ / ٣١٧).

وقد رأيت هٰذه القصة توزع بتصوير بعض الحمقى ومن لا علم عندهم ينشرونها في الأمة تحذيراً من الشيطان ـ زعموا ـ، وما أوقعهم في صنيعهم هٰذا إلا إبليس وحزبه، نسأل الله العافية والسلامة، والحمد لله على الإسلام والسُّنَّة.

أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين.

وانشعبت من هٰذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبهات مسطورة في «شرح الأناجيل الأربعة»: إنجيل لوقا، ومارقوس، ويوحنا، ومتَّى، ومذكورة في «التوراة» متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه.

قال كما نقل عنه: إني سلمت أن الباري تعالى إلٰهي وإلٰه الخلق، عالم قادر، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته، وأنه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون، وهو حكيم؛ إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة.

قالت الملائكة: ما هي؟ وكم هي؟

قال لعنه الله: سبع:

الأول منها: أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني؛ فلم خلقني أولاً؟ وما الحكمة في خلقه إياي؟

الثاني: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته؛ فلم كلفني بمعرفته وطاعته؟! وما الحكمة في هٰذا التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية؟!

والثالث: إذ خلقني وكلفني فالتزمت بتكليفه بالمعرفة والطاعة

فعرفت وأطعت؛ فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له؟! وما الحكمة في هٰذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذٰلك في معرفتي وطاعتي إياه؟!

والرابع: إذ خلقني وكلفني على الإطلاق، وكلفني بهٰذا التكليف على الخصوص، فإذا لم أسجد لآدم؛ فلم لعنني وأخرجني من الجنة؟! وما الحكمة في ذٰلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلى قولي: لا أسجد إلا لك؟!

والخامس: إذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً، فلم أطع، فلعنني وطردني؛ فلم طرَّقني[1] إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي، فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي؟! وما الحكمة في ذٰلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقي خالداً فيها؟!

والسادس: إذ خلقني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرَّقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم؛ فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني، وتؤثر فيهم وسوستي، ولا يؤثر فيَّ حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم؟! وما الحكمة في ذٰلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها[2] فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة.

---

(١) طرقني: جعل لي طريقاً.

(٢) يحتالهم عنها: يحوّلهم عنها.

والسابع: سلمت هٰذا كله: خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً، وإذ لم أطع لعنني وطردني، وإذا أردت دخول الجنة مَكَّنني وطَرَّقني، وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم؛ فلم إذا استمهلته أمهلني، فقلت: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، قال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧ ـ ٣٨]؟! وما الحكمة في ذٰلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني؟! وما بقي شرٌّ ما في العالم؛ أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟!

قال: فهٰذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «حكاها الشهرستاني في أول كتاب «الملل والنحل»[١] عن إبليس في مناظرته للملائكة» وقال عنها:

«لا تعلم إلا بالنقل، وهو (أي: الشهرستاني) لم يذكر لها إسناداً، بل لا إسناد لها أصلاً، فإنّ هٰذه لم تنقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أئمة المسلمين المشهورين، ولا هي أيضاً مما هو معلوم عند أهل الكتاب، وهٰذه لا تعلم إلا بالنقل عن الأنبياء، وإنما توجد من كتب المقالات، وبعض كتب النصارى، والشهرستاني أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة، وهم يكذّبون بالقدر، فيشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون بعض المكذبين بالقدر

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١ / ١٦ ـ ١٨)، وما تقدم نقلناه منه، واكتفى شيخ الإسلام بالإشارة المذكورة فحسب.

وضع هٰذه الحكاية ليجعلها حجّة على المثبتين للقدر، كما يضعون شعراً على لسان يهودي وغير ذٰلك»[1].

*** ثامناً: قصة قدوم هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس على النبي ﷺ وإسلامه:**

رواه البيهقي[2] من حديث محمد بن أبي معشر قال: أخبرني أبي عن نافع، عن ابن عمر؛ قال: قال عمر رضي الله عنه:

بينما نحن قعود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة؛ إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال: نغمة جن وغنتهم! من أنت؟ قال: أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس. قال النبي ﷺ: قال: فما بينك وبين إبليس إلا أبوان؛ فكم أتى عليك من الدهور؟ قال: قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً، ليالي قتل قابيل هابيل كنت غلاماً ابن أعوام، أفهم الكلام، وآمر بالآجام[3]، وآمر بإفساد الطعام، وقطيعة الأرحام. فقال رسول الله ﷺ: بئس عمل الشيخ المتوسم والشاب المتلوم. قال: ذرني من الترادد إني تائب إلى الله، إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه؛ فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني، وقال: لا جرم أني على ذٰلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قال: قلت: يا نوح!

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) في «الدلائل» (٥/ ٤١٨ ـ ٤٢٠).

(٣) من يؤجم الناس؛ أي: يُكرِّه إليها أنفسها. «القاموس».

إني ممن أشركت في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم؛ فهل تجد لي عند ربك من توبة؟ قال: يا هام! هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة، إني قرأت فيما أنزل الله علي أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغ أمره ما بلغ إلا تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين، قال: ففعلت من ساعتي ما أمرني به؛ فناداني: ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء. قال: فخررت لله ساجداً. ثم ذكر أنه كان مع هود وزار يوسف، ولقي موسى فعلمه من التوراة وحمّله السلام على عيسى (ابن مريم عليهما السلام)، ولقي عيسى وحمله السلام على محمد ﷺ، وأنه ﷺ علمه الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والمعوذتين.

قال البيهقي[(١)]: «أبو معشر المدني[(٢)] قد روى عنه الكبار؛ إلا أن

---

(١) في «الدلائل» (٥ / ٤٢٠).

(٢) اسمه نجيح بن عبدالرحمٰن السندي، ضعفه يحيى بن سعيد القطان، وقال الإمام أحمد: «حديثه عندي مضطرب، لا يقيم الإسناد، ولٰكن أكتب حديثه أعتبر به»، وقال يحيى بن معين: «كان أمياً ليس بشيء»، وقال أيضاً: «ضعيف يكتب من حديثه الرقاق، وكان أمياً يتقى من حديثه المسند»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وضعفه أبو داود والنسائي، وقال الترمذي: «تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه»، وقال صالح جزرة: «لا يسوى حديثه شيئاً»، أما علي بن المديني؛ ففصل الكلام فيه، فقال: «كان ضعيفاً ضعيفاً، كان يحدث عن محمد بن قيس عن محمد بن كعب بأحاديث صالحة، وكان يحدث عن نافع وعن المقبري بأحاديث منكرة»، وبنحوه قال عمرو بن علي الفلاس، وزاد مع نافع هشام بن عروة وابن المنكدر، وهو آفة هٰذا الحديث؛ كما قال الذهبي في «الميزان» (٣ / ٥٩٩).

أهل العلم بالحديث يضعفونه، وقد روي هٰذا الحديث من وجه آخر أقوى منه».

قلت: ورواه الحاكم في «صحيحه» وشانه به وبأمثاله من الأكاذيب، قال أبو جعفر العقيلي في كتابه: وقد رواه من طريق إسحاق ابن بشر الكاهلي(١) عن أبي معشر، ثم قال: «الحمل فيه على الكاهلي».

قلت: ولٰكن البيهقي ساقه من طريق عبدالله بن حماد الآملي عن [ابن] أبي معشر.

ورواه ابن أبي الدنيا، ثنا محمد بن صالح بن النطاح، ثنا محمد

= انظر: «تهذيب الكمال» (٢٩ / ٣٢٢) مع التعليق عليه، و «تهذيب التهذيب» (١٠ / ٣٧٥)، و «الميزان» (٤ / ٢٤٦).

(١) إسحاق بن بشر الكاهلي كذاب وضاع؛ كما في «تنزيه الشريعة» (١ / ٣٦)، ضعفه علي بن المديني، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١ / ١٣٥): «كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بما لا أصل له»، وقال العقيلي (١ / ٩٨): «منكر الحديث»، وذكر له هٰذا الحديث هو وابن حبان ولم يوثقه أحد، وكلهم على تكذيبه، وبعضهم على تضعيفه؛ فلا يفرح بمتابعته.
وأخرجه من طريقه ابن حبان في «المجروحين» (١ / ١٣٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١ / ٩٨ ـ ١٠٠) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨) ـ، والشجري في «أماليه» (١ / ٢٠١ ـ ٢٠٢)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص ٣١٥ ـ ط القديمة، ورقم ٢٦٩ ـ ط الجديدة)، وهو في «الطيوريات» انتخاب السلفي؛ كما في «الإصابة» (٣ / ٥٩٤).

ابن عبدالله أبو سلمة الأنصاري[1] ثنا مالك بن دينار عن أنس؛ فذكره[2].

---

(١) ترجمه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤ / ٩٦) وقال: «منكر الحديث»، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٦٦): «منكر الحديث جداً»، وقال ابن طاهر: «كذاب وله طامات»، وقال الذهبي: «له طامات...». انظر: «الميزان» (٣ / ٥٩٨ ـ ٦٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (رقم ١٠١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤ / ٩٦ ـ ٩٧)، وعبدالله بن أحمد في «زيادات الزهد»، والشيرازي في «الألقاب»، وابن مردويه في «التفسير»؛ كلهم من طريق أبي سلمة، به.
قال العقيلي وذكر عقبه إسناد أبي معشر السابق: «وكلا هٰذين الإسنادين غير ثابت، ولا يرجع منهما إلى صحة».
وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق زيد بن أبي الزرقاء الموصلي ـ وهو صدوق مشهور عابد، قال ابن حبان: «يغرب»، كذا في «الميزان» (٢ / ١٠٣) ـ، عن عيسى بن طهمان ـ قال النسائي وابن معين وأبو حاتم: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١١٧)، وقال: «لا يجوز الاحتجاج بخبره». وانظر: «الميزان» (٣ / ٣١٤) ـ، عن أنس، به.
ولهٰذا الحديث طرق أخرى عن عمر هي:
ما أخرجه المستغفري في «الصحابة» وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي من طريق أبي محيصن الحكم بن عمار، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب؛ قال: قال عمر؛ فذكره مطولاً، وقال المستغفري: «لا يثبت إسناد خبره»، قاله ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٩٤)، وما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس عن عمر.
قلت: لم أظفر به في «الدلائل» ـ لأن مطبوعه مختصر ـ، وظفرت بسنده في «تاريخ مكة» (٤/ ١٤) للفاكهي، وإسناده مسلسل بالمجاهيل.
فالحديث لم يثبت، ولا توجد له طريق أصلح من طريق البيهقي السابقة، وقد =

قال ابن القيم[1] بعد الكلام السابق: فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «هٰذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ»، وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «موضوعاته»، وأما طريق ابن أبي الدنيا[2]؛ فقال أبو حاتم بن حبان في كتابه «المجروحين» في ترجمته: «منكر الحديث جداً، يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يجوز الاحتجاج به».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: يروي[3] أحاديث موضوعة في «صحيحه» مثل حديث. . . هامة بن الهيم»[4].

*** تاسعاً: حديث زريب بن برثملا وصي عيسى ابن مريم وظهوره في زمن عمر بن الخطاب:**

رواه الحاكم وابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهم، وله طرق منها

= علمت ما فيها؛ فهو موضوع، وتحسين ابن حجر الهيتمي له في «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٠) من الأخطاء الظاهرة، والله الهادي.

وانظر للاستزادة: «الإصابة» (٣ / ٥٩٤ ـ ٥٩٥)، و «المنار المنيف» (ص ٧٩)، و «الميزان» (١ / ١٨٦)، و «اللسان» (١ / ٣٥٥)، و «اللآلىء» (١ / ١٧٤ ـ ١٧٧)، و «الخصائص» (١ / ١٤١)، و «تنزيه الشريعة» (١ / ٢٣٨)، و «البداية والنهاية» (٥ / ٩٧)، و «كنز العمال» (رقم ١٥٢٢٩)، و «الشفا» للقاضي عياض (١ / ٧١٣)، وتخريجه «مناهل الصفا» (رقم ٨٦٨)، و «ترتيب الموضوعات» (ص ٥١)، و «الفوائد المجموعة» (٤٦٨).

(١) في «الفوائد الحديثية» (ص ٩٢ وما بعد بتحقيقي).

(٢) هنا نقص تقديره: «ففيه محمد بن عبدالله أبو سلمة الأنصاري»، وكلام ابن حبان الآتي عليه.

(٣) أي: الحاكم في «المستدرك».

(٤) «جامع الرسائل» (١ / ١٢ ـ ١٣).

طريق أبي عمرو بن السماك، عن يحيى بن أبي طالب، عن عبدالرحمٰن ابن إبراهيم الراسبي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر؛ قال:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق يغير على ضواحيها؛ قال: فوجه سعد نضلة في ثلاث مئة فارس؛ فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق، فأغاروا على ضواحيها، وأصابوا غنيمة وسبياً، فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر وكادت الشمس أن تغرب؛ فألجأ نضلة الغنيمة والسبي إلى سفح الجبل، ثم قام فأذن، فقال: الله أكبر الله أكبر. قال: ومجيب من الجبل يجيبه: كَبرتَ كبيراً يا نضلة. ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله. فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة. ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قال: هو الذي بشرنا به عيسى ابن مريم وعلى رأس أمته تقوم الساعة. ثم قال: حي على الصلاة. قال: طوبى لمن مشى إليها، وواظب عليها. ثم قال: حي على الفلاح. قال: قد أفلح من أجاب محمداً وهو البقاء لأمته. ثم قال: الله أكبر الله أكبر. قال: أخلصت الإخلاص يا نضلة؛ فحرم الله جسدك على النار. قال: فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا: من أنت يرحمك الله؛ أملك أنت، أم ساكن من الجن، أم من عباد الله؟ أسمعنا صوتك وأرنا شخصك؛ فإنا وفد الله ووفد رسوله ووفد عمر بن الخطاب. قال: فانفلق الجبل عن هامة كالرجل أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف؛ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله، من أنت؟ قال: أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى

ابن مريم، أسكنني هٰذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء، فأما إذا فاتني لقي محمد؛ فأقرؤوا عمر مني السلام، وقولوا له: يا عمر! سدد وقارب فقد دنا الأمر. وذكر باقي الحديث[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦) من طريق الحاكم، ثنا عثمان ابن أحمد السماك، عن يحيى بن أبي طالب، عن عبدالرحمٰن بن إبراهيم الراسبي، به.

وأخرجه أيضاً من طريق آخر عن يحيى بن أبي طالب به.

ونقل البيهقي عن الحاكم ما سيأتي ذكره.

وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص ٦٣ ـ ٦٤ ـ ط القديمة / رقم ٥٤ ـ ط الجديدة)، والخطيب في «التاريخ» (١٠ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٠٩ ـ ٢١٠) ـ؛ من طريق الراسبي، به.

قال الخطيب قبله: «روى ـ أي: الراسبي ـ عن مالك بن أنس حديثاً منكراً...»، وساقه.

وقال الذهبي في «الميزان» (٢ / ٥٤٥) في ترجمة الراسبي أيضاً: «أتى بخبرٍ باطل طويل، وهو المتهم به»، ثم ساق الخبر وقال: «وهٰذا شيء ليس بصحيح، وهو عند إبراهيم بن عبدالله المخرمي: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن رجاء أبو موسى، حدثنا مالك بهٰذا مختصراً».

وأقره ابن حجر في «اللسان» (٣ / ٤٠٣)، وزاد عليه كلام الخطيب السابق وزاد أيضاً: «وقال الدارقطني: لا يثبت عن مالك ولا نافع، وقال أبو نعيم: فيه ضعف ولين، وذكر الدارقطني له في «العلل» حديثاً عن ابن لهيعة، وقال: ضعيف».

وأخرجه بسنده إلى المخرمي عن أبيه عن إبراهيم بن رجاء الخطيب في «رواة مالك»؛ كما في «اللآلىء» (١، ١٨٠ ـ ١٨١)، والذهبي في «الميزان» (١ / ٤١ ـ ٤٢).

وأفاد السيوطي أيضاً أنه عند الخطيب من طريق آخر عن مالك.

قال الحاكم: «كذا قال عبدالرحمٰن بن إبراهيم الراسبي عن مالك ابن أنس ولم يتابع عليه، وإنما يعرف هٰذا الحديث بمالك بن الأزهر عن نافع وهو رجل مجهول لم يسمع بذكره في غير هٰذا الحديث».

ثم ساقه البيهقي من حديث محمد بن حرب، عن ابن لهيعة، عن مالك بن الأزهر، عن نافع، عن ابن عمر(١)، ثم قال:

= وترجم الذهبي لإبراهيم بن رجاء في «الميزان» (١ / ٣٠)، وقال: «عن مالك لا يعرف، والخبر كذب»، وترجم أيضاً للمخرمي (١ / ٤١) وقال: «قال فيه الإسماعيلي: صدوق، لٰكن قال الدارقطني: ليس بثقة، حدث عن ثقات بأحاديث باطلة».

قلت: عبارة الدارقطني في «سؤالات السهمي» (رقم ١٨٣)، وهو مترجم في «المعجم» للإسماعيلي (رقم ١٧٩). وانظر: «السير» (١٤ / ١٩٦).

وروي عن نافع من وجهٍ آخر، ومن بواطيل الراسبي جعل مالك هو ابن أنس، وذكره غيره أنه ابن الأزهر، وهو الأشبه.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (رقم ١٧) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢١٠ ـ ٢١١) ـ ثنا محمد بن العجلي، والبيهقي في «الدلائل» (٥ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨) من طريق محمد بن كرامة؛ كلاهما عن سليمان ابن أحمد، عن محمد بن حرب الرملي ـ وفي «الهواتف»: محمد بن حبيب الرملي ـ، عن ابن لهيعة، عن مالك بن الأزهر، عن نافع، به نحوه.

ومالك بن الأزهر قال الحاكم: «مجهول»، قال الذهبي: «وخبره باطل في ذكر زريب بن برثملا». انظر: «الميزان» (٣ / ٤٢٤).

قلت: وابن لهيعة فيه كلام، وسليمان بن أحمد؛ قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٤ / ١٠١): «كتبت عنه قديماً، وكان حلواً، قدم بغداد؛ فكتب عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قديماً، وتغير بآخره، اختلط بقاض كان على واسط، فلما كان في رحلتي الثانية قدمت واسطاً، فسألت عنه، فقيل لي: قد=

«الحديث بهٰذا الإسناد أشبه وهو ضعيف بمرة».

ورواه ابن أبي الدنيا، عن الصلت بن مسعود الجحدري، ثنا حماد بن زيد، ثنا عبدالله بن يحيى، عن أبي جعفر محمد بن علي[(١)].

قال أبو الفرج (ابن الجوزي في «موضوعاته»[(٢)]: «حديث زريب باطل وأكثر رواته مجاهيل»)، قال ابن القيم بعد كلامه السابق: وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية يقول: إنه كذب موضوع»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام عن صنيع الحاكم في «المستدرك»: «يروي أحاديث موضوعة في «صحيحه» مثل حديث زريب بن

= أخذ في الشرب والمعازف والملاهي؛ فلم أكتب عنه».
قال البيهقي عقبه: «هٰذا الحديث بهٰذا الإسناد أشبه، وهو ضعيف بمرة»، وقال ابن الجوزي عقبه: «حديث باطل لا أصل له، وأكثر رواته مجاهيل لا يعرفون».

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (رقم ١٨) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢١٢) ـ عن الصلت بن مسعود، به.
وعبيدالله بن يحيى ـ وأثبته الذهبي في «ترتيب الموضوعات» (ص ٥١): «ابن عمرو» ـ مجهول؛ كما قال الذهبي.

(٢) (١ / ٢١٢).
وللحديث طرق أخرى لا يفرح بها، ولا تزيده إلا ضعفاً؛ فمدارها على كذابين ومجاهيل.
انظرها في: «اللآلىء» (١ / ١٨٠، ١٨١، ١٨٢)، و «الإصابة» (١ / ٢٣٩، ٥٧٨)، و «الميزان» (٣ / ٤٦)، و «تنزيه الشريعة» (١ / ٢٣٩ ـ ٢٤١). وانظر أيضاً: «المنار المنيف» (ص ٧٩ ـ ٨٠) لابن القيم.

(٣) «فوائد حديثية» (ص ١٠١ ـ بتحقيقي).

برثملي»[1].

* عاشراً: أحاديث متفرقة لها علاقة بالجن:

١ ـ «لو كان المؤمن في ذروة جبل؛ قيض الله له من يؤذيه أو شيطاناً يؤذيه».

قال: «ليس هٰذا معروفاً من كلام النبي ﷺ»[2].

---

(١) «جامع الرسائل» (١ / ١٢، ١٣).
ومن الجدير بالذكر أن هٰذه القصة والتي قبلها لم أظفر بهما في «المستدرك» مع عزو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى القصتين لـ«لمستدرك»، وكذا لم يعزهما له غيره مما جعل بعض المعاصرين يوهمه. انظر: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (٢ / ٣٠٩ ـ الهامش).

(٢) «أحاديث القصاص» (رقم ٧٧)، و«مجموع الفتاوى» (١٨ / ٣٧٥)، وعنه أورده الشيخ مرعي الكرمي في «الفوائد المجموعة» (رقم ٩٢).
والحديث بلفظ: «لو كان المؤمن في جحر فأرة لقيَّض الله له فيه من يؤذيه».
أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (رقم ١٤٣٧) عن عيسى بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن علي رفعه.
وعيسى بن عبدالله متروك الحديث، يروي الموضوعات بالسند المذكور، وأورد الذهبي في «الميزان» (٣ / ٣١٥) هٰذا الحديث في ترجمته.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (رقم ٩٢٧٨)، والبزار في «المسند» (٤ / ١٢٦ / رقم ٣٣٥ ـ «زوائده»)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (رقم ١٤٣٨)؛ عن أبي قتادة العدوي، عن ابن أخي ابن شهاب، عن ابن شهاب، عن أنس رفعه بلفظ: «لو أن المؤمن في جحر لقيض الله له فيه من يؤذيه».
وقال البزار: «لا نعلم رواه إلا أبو قتادة عن ابن أخي الزهري».
وقال الهيثمي في «المجمع» (٧ / ٢٨٦): «فيه أبو قتادة بن يعقوب بن عبدالله =

٢ ـ «لو أن الرياض أقلام، والبحر مداد، والجن حُسَّاب، والإنس كُتَّاب؛ ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب».

قال: «رواه أخطب خوارزم، كما قال الرافضي»[١] وقال: «كذب»[٢].

آخر ما تيسَّر جمعه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات.

* * *

= العذري، ولم أعرفه، وبقيَّة رجاله ثقات».
وانظر: «المقاصد الحسنة» (ص ٣٤٨)، و «تمييز الطيب من الخبيث» (رقم ١١٢٩)، و «كشف الخفاء» (٢ / ١٦٢).

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٣٦، ٤٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٣ / ٩، ١٠)، ووافقه الذهبي في «المنتقى» (٣١٣).

تحقيق البرهان
في
رسالة محمد ﷺ إلى الجان

تصنيف

الإمام العلّامة شرف الدين أبي العبّاس أحمد بن الحسن
الشهير بابن قاضي الجبل
المتوفى (٧٧١هـ)

اعتنى بها

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهٰذا جزء لطيف ورسالة ماتعة نافعة لتلميذٍ نجيبٍ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، له صلة بموضوع الجن؛ فهو في عموم بعثته ﷺ إلى الجانّ وهو ـ كما في ديباجته ـ عبارة عن جواب على فتوى وردت إليه، وعباراته واضحة وأدلته ناصعة، وتصوره للمسألة قويّ، واستدلالته جيدة، أكثر فيها من ذكر الآيات، وسرد بعض الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين. وهٰذه الرسالة أعمل على نشرها معتمداً على ما في «جواهر البحار في فضائل النبي المختار»[1]؛ فقد أودع فيه

---

(١) مؤلفه يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد طبع في مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م، وأخبرني صاحب «دار الكتب العلمية» أنه عمل على تنضيد حروفه وهيَّئه لطبعة جديدة!!

صاحبه نيفاً وخمسين رسالةً، من ضمنها هٰذه الرسالة، وهي فيه: (ص ٨٥٢ ـ ٨٦٥)، وأوله:

«ومنهم: الإمام العلامة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبدالله بن محمد، ابن قدامة المقدسي الحنبلي رضي الله عنه، ولا يحضرني تاريخ وفاته.

فمن جواهره رضي الله عنه: كتابه «تحقيق البرهان في رسالة محمد ﷺ إلى الجان»».

وآخره: «وقد كُتبت النسخة المنقول عنها في أواخر رجب سنة ٩٤١ هـ».

وأعمل على تحقيق هٰذه الرسالة لما لها من صلة قوية بموضوعنا من جهة، ولأنها لعالم معتبر من أهل السنة ومن تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية من جهة أخرى، ولم يطبع له إلى الآن في حدود علمي غيرها، والله الموفق للخيرات، والهادي إلى الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ترجمة المصنف ابن قاضي الجبل[1]

*** اسمه:**

هو الشيخ، الإمام، العلامة، ذو الفنون، قاضي القضاة، شرف الدين، مفتي المسلمين، مفيد الطالبين، أبو العباس، أحمد ابن قاضي القضاة، شرف الدين، أبي الفضل الحسن ابن الخطيب شرف الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، المقدسي، الصالحي، الحنبلي، قاضي الجبل وابن قاضيه.

*** مولده:**

مولده على ما كتبه بخطه في الساعة الأولى من يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

---

(١) مصادر ترجمته في: «الرد الوافر» (ص ١٣٨)، «النجوم الزاهرة» (١١ / ٨٦)، «شذرات الذهب» (٦ / ٢١٩ ـ ٢٢٠)، «المعجم المختص» (ص ١٦)، «المقصد الأرشد» (١ / ٩٢ ـ ٩٥)، «الدرر الكامنه» (١ / ١٢٠ ـ ١٢١)، «معجم المؤلفين» (١ / ١٩٤)، و «المنهل الصافي» (١ / ٢٨٤)، و «القلائد الجوهرية» (٢ / ٤٩١)، «الأعلام» (١ / ١١١) للزركلي، «كشف الظنون» (١ / ٤٩٥، ٢ / ١٢١٧، ١٨٥١)، و«هدية العارفين» (٥ / ١١٣).

* **طلبه للعلم:**

كان عالماً متفنناً بالحديث وعلله والنحو واللغة والأصلين والمنطق، وله في الفروع القدم العالي، قرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية عدة مصنفات في علوم شتَّى وأذن له في الإفتاء فأفتى في شبيبته.

قال الذهبي في «المعجم المختص» (ص ١٦): «صاحب فنون وذهناً سيّال وتودد، سمع معي من التَّقي ابن مؤمن، وطلب الحديث وقتاً وفيه هنَّات، وحدَّث ولم يحمد على مباشرته القضاء.

* **شيوخه:**

صحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية وسمع منه، وتفقه به وأخذ عنه، وكان يسميه: شيخ الإسلام.

سمع في صغره من: إسماعيل الفراء، ومحمد بن علي الواسطي، وأحمد بن عبدالمؤمن الصوري خاتمة أصحاب الموفق ابن قدامة، ثم طلب بنفسه بعد العشر وسبع مئة؛ فسمع من القاضي تقي الدين سليمان وأجازه والده والمنجا التنوخي وابن القواس وابن عساكر، وخرَّج له المحدِّث شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد بن سعد المقدسي «مشيخة» عن ثمانية عشر شيخاً حدث بها، ودرس بعده مدارس، ثمّ طُلِبَ في آخر عمره إلى مصر لِيدرِّس بمدرسة السلطان حسن، وولي مشيخة سعيد السعداء، وأقبل عليه أهل مصر وأخذوا عنه، ثم عاد إلى الشام وأقام بها مدة يدرس ويشتغل ويفتي، ورأس على أقرانه إلى أن ولي القضاء في رمضان سنة سبع وستين، فباشره

مباشرة لم يحمد فيها وكان عنده مداراة وحبٌّ للمنصب، ووقع بينه وبين الحنابلة من المرادوة وغيرهم، قال ابن كثير: «لم تحمد مباشرته، ولا فرح به صديقه، بل شمت به عدوه، وباشر القضاء دون الأربع سنين إلى أن مات وهو قاضي، وقد كان في مجلس القضاء للمصالحة بين قاضي القضاة تاج الدين الشافعي وابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي، حيث يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤ / ٣٣١): «فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين، يعني أن يرجع القاضيان عمّا قالا؛ فأشار الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل، وأشرت أنا أيضاً بذلك. . . ».

وقال الحسيني في «ذيل المعجم المختص»: «مفتي الفرق، سيف المناظرين، وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه وكان فيه فرح ونكات في البحث».

وله قصة طريفة مع أعجمي كان يختبر العلماء، ويقول: ذهب العلماء. فناظره وأسكته حتى خرج الأعجمي من دمشق. انظرها في: «القلائد الجوهرية» (٢ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤).

*** تصانيفه:**

ومن تصانيفه: «القصد المفيد في حكم التوكيد»، و «مسألة رفع اليدين»، و «الكلام على قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس﴾»، و «الفائق في المذهب»، «أصول الفقه» لم يتم وصل فيه إلى أوائل القياس، و «الرد على إلكيا الهراسي»، وشرح قطعة من «المنتقى» لمجد الدين ابن تيمية سماه «قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام»،

و «تنقيح الأبحاث في رفع التيمم الأحداث»، و «مسألة المناقلة»، وله مجاميع كثيرة في فنون شتى.

وذكر له حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١ / ٤٩٥): «تنقيح الأحداث ـ كذا ـ» و (٢ / ١٢١٧) «الفائق في فروع الحنبلية»، و (٢ / ١٨٥١) «المنتقى في الحديث»، و (٢ / ١٨٨٣) «المنهج المفيد في حكم التوكيد».

وكان يحفظ الشعر ويقوله، قال مرة للشيخ برهان الدين: «كم تقول أحفظ بيت شعر؟ قال: عشرة آلاف. فقال: بل وضعفها».

وله اختيارات في المذهب؛ فمنها النزول عن تولي الوظيفة، وهٰذه مسألة تنازع فيها هو والقاضي برهان الدين الزرعي، وأفتى كل منهما بما اختاره.

ومن شعره:

الصالحية جنة ... والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها ... مني التحية والسلامُ

وله أيضاً:

نبيي أحمد وكذا إمامي ... وشيخي أحمد كالبحر طامي
واسمي أحمد وبذاك أرجو ... شفاعة أشرف الرسل الكرام

*** وفاته:**

توفي بمنزله في الصالحية يوم الثلاثاء رابع عشر رجب سنة

إحدى وسبعين وسبع مئة، وصُلِّي عليه بعد الظهر بالجامع المظفري، ودفن بمقبرة جده الشيخ أبي عمر، وشهده جمع كثير، رحمه الله رحمةً واسعةً.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

«كتاب تحقيق البرهان
في رسالة محمد ﷺ إلى الجان»

وهو فتوى عن سؤال ورد عليه في هٰذا الشأن، ونص ذٰلك:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، وعليه اعتمادي، ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين فيمن ذهب من العلماء المحققين إلى وجوب الإيمان بكونه ﷺ مبعوثاً إلى كافة الجن، ما دليله على ذٰلك؛ إذ لا يجوز أن يسند إلى الأنبياء ما لا دليل عليه وثبوت رسالة الله من غير دليل تقوّل وافتراء عليه، وهٰذا حرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولا دليل في قوله: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١]؛ للإجماع على وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله وكتبه على جميع المكلفين، كما وجب علينا الإيمان بموسى وعيسى ولم يكونا مرسلين إلينا، ولا في سورة الجن بيان عقائدهم وتنزيه الله تعالى عن الشرك، ولا في قوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله ﷺ: «بعثت إلى

الأسود والأحمر»[1]؛ لعدم نصه صريحاً على ذٰلك، ولا تثبت الرسالة باحتمال مرجوح لا دليل عليه، ولا فيما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ استتبعه ليلة الجن لضعفه[2]، ولقول علقمة: «سألته: هل كنت معه ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا»[3].

وثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «لم ير النبي ﷺ الجن ولا تلا عليهم القرآن»[4]، فإن ثبت أنه ﷺ ادعى

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب منه، رقم ٥٢١)، وفيه: «. . . وبعثت إلى كل أحمر وأسود»)، والدارمي في «سننه» (٢ / ٢٢٤، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا)، وأحمد في «المسند» (١ / ٢٥٠، ٣٠١ و٤ / ٤١٦ و٥ / ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢).
وفي «صحيح البخاري» (كتاب التيمم، باب التيمم، ٣٣٥، وكتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم ٤٣٨)؛ عن جابر رفعه ضمن حديث: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة».

(٢) انظرهُ مطولاً جداً في: «الخلافيات» (١ / ١٥٨ ـ ١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم ٧٧٣، وكتاب التفسير، باب سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الجن، رقم ٤٩٢١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٤٩)، وفي آخره قول ابن عباس: «. . . وإنما أوحي إليه قول الجن».
قلت: ولٰكن هٰذا لا يفهم منه أنه ﷺ لم ير الجن ولم يقرأ عليهم القرآن.

ذٰلك؛ وجب الإيمان به وزال الإشكال؛ إذ لا سبيل إلى معرفة ذٰلك إلا منه، وإلا؛ فهل يجب تقليد من ذكر ذٰلك من العلماء ولا تبعة على المقلد عند الله إذا سأله، ولا يخفى ما في التقليد في مثل ذٰلك، أو لا يكفي الإيمان بالنبي ﷺ وجميع ما جاء به وإن لم يكن معلوماً لنا كالإيمان بأنبياء الله الذين لم يقصصهم علينا؟

وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1]؛ هل التخصيص باعتبار ما بعثوا به من الشرائع المختصة بأمة دون أخرى لاتفاقهم على أصول الدين أم باعتبار مجموع الأمرين ـ أعني: الأصول والفروع ـ حتى لا يكون الرسول الخاص منذراً بالأصول والفروع سوى قومه؟

ويؤيد قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ. . .﴾ [الأعراف: ١٣٨] الآيات؛ لأن موسى عليه السلام بَيَّن لقومه ضلال أولٰئك ولم يصرِّح القرآن العزيز بأنه نهاهم عن ذٰلك ودعاهم؟

أفتونا مثابين رحمكم الله!

فأجاب شيخ الإسلام شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن ابن عبدالله بن قدامة الحنبلي أمتع الله بطول بقائه:

أما بعد: حمداً لله ذي القدرة الظاهرة والسلطان، والرأفة الباهرة والإحسان، والصلاة على نبينا محمد المُنْبَعِثِ إلى الإنس

---

(١) مضى تخريجه.

والجان بحقائق الإيمان، وعلى آله وصحبه ما اختلف العصران وتعاقب الجديدان.

فهٰذا جواب عن السؤال المذكور في طلب الدلائل على تناول رسالة سيدنا محمد ﷺ الجن وتحقيق ذٰلك ببراهينه، وأن رسالته الشريفة اشتملت على دعائه الثقلين إلى طاعة الله تعالى والائتمار بالأوامر الشرعية والتكاليف الخفية، ويعرف ذٰلك بمسالك:

المسلك الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢]؛ فأخبر الله تعالى أنه صرفهم إلى رسوله ﷺ ليسمعوا القرآن، وأنهم ولوا إلى قومهم منذرين آمرين لهم بإجابة داعي الله، وهو محمد ﷺ، والإيمان به، وأن من لا يجب داعي الله؛ فليس بمعجز في الأرض.

وقوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ يعني: القرآن، وكذٰلك ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾؛ أي: فرغ الرسول ﷺ من تلاوته.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: قال عطاء: «كان دينهم اليهودية، ولذٰلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾»(١)، والقصة ثابتة مشهورة.

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥ / ١٤٨).

قال ابن عباس: «كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم»[1]، وقالت طائفة: كانوا تسعة. قال زر بن حبيش: كانوا أربعة من النفر الذين استمعوا القرآن.

وقول السائل: لا دليل في قوله تعالى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١] للإجماع على وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله وكتبه على جميع المكلفين، كما وجب الإيمان بموسى وعيسى، وإن لم يكونا مرسلين إلينا؛ فيقال:

إن الأمر بإجابة داعي الله والإيمان به وهو محمد ﷺ يقتضي الدخول في شرعه والانقياد لأوامره والانزجار عن نواهيه والتلبس بأحكامه وتكاليفه على الوجه المأمور به؛ فهو يقتضي طاعته فيما أمر به، وتصديقه فيما أخبر ليس مقتصراً على مجرد الإعتراف فقط ووجوب الإيمان بأنبياء الله تعالى وكتبه حق، لٰكن شريعة محمد ﷺ جاءت ناسخةً ورافعةً أحكاماً ومقررةً أحكاماً ومنشئةً أحكاماً؛ فالأمر بالإيمان بمحمد ﷺ وإجابة أمره بما دلَّ شرعه عليه من النسخ والتقرير والإنشاء وهو يقتضي الدخول فيه والتلبس به اعتقاداً وفعلاً؛ فليس ذٰلك مماثلاً لما ذكره السائل.

ومما يؤكد الحكم أن الله تعالى عطف الإيمان به على إجابته وإن كان الإيمان داخلاً في الإجابة، لٰكن ذكره ذكر تنصيص؛ فهو

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٦ / ٣١)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧ / ٢٧٢ ـ ط الشعب).

كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] تأكيداً وتعظيماً لشأنه.

المسلك الثاني: ثبت في «صحيح مسلم» عن علقمة؛ قال: «قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولٰكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل. فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما وأصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك، فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. قال: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». قال: فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم»، زاد في رواية: قال الشعبي: «وكانوا من جن الجزيرة»[1].

وهٰذا إخبار بأن النبي ﷺ ذهب إليهم وتلا عليهم القرآن، وأباح لهم وحظر عليهم، وهو تحقيق كونه مرسلاً إليهم، وقد روي أنهم بايعوه ﷺ وكانوا سبعين ألفاً، كذا أخرجه القاضي أبو يعلى وغيره بأسانيدهم، لٰكن هو عن ابن مسعود، وهو قد قال: «إنه لم يكن معه تلك الليلة هو ولا غيره».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٥٠).

وأما حديث ابن مسعود الذي فيه ذكر الوضوء بنبيذ التمر؛ فله طرق كثيرة أخرجها الإمام أحمد والدارقطني وغيرهما؛ كحديث أبي زيد وأبي فزارة العبسي بأسانيد متكلم فيها، وقد قال الإمام أحمد: «أبو فزارة في حديث ابن مسعود رجل مجهول»، وقال الترمذي: «أبو زيد مجهول»، وكطريق عبدالله بن لهيعة وعلي بن زيد والحسن العجلي.

قلت: وطرقه كثيرة، وقد ضعفه كثير من الأئمة كاللالكائي والبيهقي، وضعفه أيضاً أبو جعفر الطحاوي تارة لضعف الأسانيد وتارة لقول ابن مسعود أنه لم يصحب النبي ﷺ تلك الليلة، ومداره عليه، ويمكن أن يقال: لا بأس به؛ لتعدد طرقه، ولا منافاة بينه وبين نفي ابن مسعود كونه كان مع النبي ﷺ تلك الليلة؛ فإنه لا ينفي أن يكون رسول الله ﷺ طلب الماء منه في حالة الرجوع حيث وجدوه[1] كما ذكرنا من الحديث الصحيح من لقيهم له ﷺ وانطلاقهم معه[2]؛ فيمكن الجمع بين الروايتين، فإن في لفظه: «لما كان ليلة الجن»، وهٰذا كان بعد انفصاله ﷺ منهم.

وحديث النبيذ وإن صح؛ فمدلوله جواز التوضؤ بالماء المتغير

---

(١) انظره مطولاً ومفصلاً في: «الخلافيات» (١ / ١٥٨ ـ ١٨٢)، وقد خرجتُ جميع الطرق التي ذكرها المصنف، وبيَّنتُ وهائها تبعاً للإمام البيهقي بما لا مزيد عليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٥٠)، وقد مضى قريباً.

بالطاهرات، لا بما انتقل عن مسمى الماء، ولهٰذا قال: «تمرة طيبة وماء طهور»[1]، وهٰذا لا يقال إلا فيما إذا كان الماء قائماً بصفاته؛ إذ لا يقال فيما انتقل عن مسمى الماء ـ كالخل مثلاً ـ: عنبة طيبة وماء طهور؛ لعدم كون الماء قائماً بصفاته في الخل، والمقصود هنا أن الحديث الثابت الذي لا مطعن فيه أنه ذهب إليهم وتلا عليهم القرآن، وسألوه الزاد وأباح لهم مشروطاً كما تقدم، وهو دليل صريح فيما ذكرناه.

فإن قيل: فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس؛ قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسل إليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: وما ذاك إلا لشيء قد حدث؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا إلى تهامة بالنبي ﷺ وهو في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بهم صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هٰذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢]؛ فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:

---

(١) انظره في «الخلافيات» (١ / ١٥٨ وما بعد ـ بتحقيقي).

١]»، زاد في رواية: «إن ما أوحي إليه قول الجن»[1].

قيل: الجواب من أوجه:

أحدها: أن ابن مسعود مثبت، وهٰذه الرواية نافية، والمثبت مُقَدَّم على النافي؛ كما قالوا في رواية من أثبت صلاة الرسول ﷺ داخل الكعبة ورواية من نفاها، ولا شك أن المثبت معه علم خفي عن النافي.

الثاني: أن نفي ابن عباس رضي الله عنهما لقراءة رسول الله ﷺ إنما هو حيث استمعوا التلاوة في صلاة الفجر لم يرد به نفي الرؤية والتلاوة، في عموم الأحوال يحققه قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ . . .﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية؛ قال: «كانوا سبعة من جن نصيبين[2]، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم»؛ فعلم أن ابن عباس لم ينف كلامه ﷺ إلا حيث سمعوه وهو يصلي الفجر بأصحابه، لم يرد في كل حالة وإن كان في الكلام نفي عام؛ فهو محمول على تلك الصورة الخاصة، وقد قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]: «كادوا ـ يعني

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم ٧٧٣، وكتاب التفسير، باب سورة: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ الجن، رقم ٤٩٢١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم ٤٤٩). وقد مضى قريباً.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٦ / ٣١)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧ / ٢٧٢ ـ ط الشعب).

الجن ـ يركب بعضهم بعضاً ويزدحمون عليه حرصاً على استماع القرآن»[1].

الثالث: أن يقال: لا معارضة بين الخبرين؛ فإن ابن مسعود أثبت التلاوة والمسألة ليلة الجن، وابن عباس لم يثبتها ليلة استماع الجن لها ـ أعني: التلاوة ـ ولم يثبت أن الجن الذين استمعوا التلاوة في الصبح هم الذين ذهب إليهم النبي ﷺ وتلا عليهم، بل الظاهر أنهم غير أولئك كما يشهد له ظاهر القصة؛ فهي إذاً صورتان وحالتان، ومعنى قول ابن عباس لم يتلُ عليهم يعني لم يقصدهم، وإلا؛ فهو قد أخبر أنهم استمعوا لتلاوته ﷺ.

قال القرطبي[2] في حديث ابن عباس: «هٰذا معناه: لم يقصدهم بالقراءة، بل لمّا تفرَّقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادفَ هٰؤلاء النَّفَرُ رسولَ الله ﷺ يصلِّي بأصحابه، وعلى هٰذا؛ فهو ﷺ لم يعلم باستماعهم ولا كلَّمهم، وإنما أعلمه الله عز وجل في قوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١]، وأما حديث ابن مسعود؛ فقصة أخرى وجن آخرون.

والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم، وأن نبينا ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن، فمن دخل في دينه؛

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨ / ٣٠٧)، وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩ / ١).

فهو من المؤمنين، ومعهم في الدنيا والآخرة والجَنَّة، ومن كذَّبَه؛ فهو الشيطانُ المُبْعَدُ من المؤمنين في الدنيا والآخرة، والنار مُستَقَرُّه.

وهٰذا الحديث ـ يعني: حديث ابن عباس ـ يقتضي أن الرجم بالنجوم لم يكن قبل البعث، وذهب قوم إلى أنه كان قبل البعث، وذهب آخرون إلى أنه كان لٰكن زاد بعد البعث، وهٰذا القول يرفع التعارض بين الخبرين» انتهى كلام القرطبي.

قلت: كون حديث ابن عباس رضي الله عنهما في غير حالة استماع الجن للتلاوة في صلاة الفجر؛ فظاهر جداً، لٰكن قول القرطبي: أن النبي ﷺ لم يعلم بهم يخالف قول ابن عباس: أن النبي ﷺ جعلهم رسلاً إلى قومهم، ويحتمل أن يقال: كان إرساله ﷺ لهم إلى قومهم قبل ذٰلك، والله أعلم.

المسلك الثالث: أن الجن سألوه الزاد، ولو لم يكونوا مرتبطين بأحكامه ومتعبدين بأوامره؛ لكانوا مطبقين في اختياراتهم وتصرفاتهم بحسب شرعهم، فلِمَا سألوه الزاد؟ ومن المعلوم أنهم كانوا يأكلون قبل رسالته إليهم على أنهم احتبسوا عن التناول وقوفاً لمراسمه وتعبداً بإباحته.

المسلك الرابع: الاحتجاج بقوله ﷺ: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه»، واللام في لكم لام إباحة؛ فدل على أنه شرع لهم وأذن لهم في كل عظم ذكر عليه اسم الله، فدلَّ بمنطوقه على إباحة العظام التي سُمِّي عليها الله سبحانه لهم، وبمفهومِه على تحريم ما لم يُذْكَرْ عليه اسمُ الله من العظام، وهو يدل على تحريمه علينا بالطريق الأولى.

ثم إنه ﷺ أباح لهم طعام دوابهم «كل بعرة»، ثم نهى عن الاستنجاء بهما؛ قال: «لأنهما زاد إخوانكم»، ومن المعلوم أن الأُخوَّة ليست أُخوَّةُ نسب؛ فهي أخوَّة دين وإيمان بمحمد ﷺ؛ تصديقاً وانقياداً، ويقتضي الحديث النهي عن الاستنجاء بعموم الطعام.

المسلك الخامس: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١ ـ ١٥]؛ فأخبر الله تعالى أنهم آمنوا بالقران حيث استمعوه، والإيمان به يقتضي الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به وبكونه خاتم النبيين، وهو نص في كونه مرسلاً إليهم.

وقول السائل: لا حجة فيها لأنها ليس فيها بيان عقائدهم؛ فيقال: إذا أخبر الله تعالى عنهم أنهم استمعوا القرآن وآمنوا به؛ كيف لا يكون هٰذا من الحجج القواطع في إيمانهم به وثبوت رسالته إليهم لما تقدم أن الإيمان به مقتض تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر؟!

وقوله: لا حجة فيها لكونها وصف عقائدهم؛ فيقال: وصف عقائدهم بكونهم آمنوا قاطع بإيمانهم؛ فكيف لا يكون حجة على إيمانهم؟! فالتعلق بما ذكره السائل في سلب الحجَّة منها محالٌ.

المسلك السادس: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، والعبد المذكور

هو محمد ﷺ بإجماع الأمة، والضمير في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ عائد إليه عند جمهور العلماء، ومن الناس من ذهب إلى أن النذير المذكور هنا هو القرآن، والحجة قائمة بهٰذا أيضاً، لٰكن القول الأول أرجح لأن النذير من صفات الرسول حقيقة لحصول الإنذار بقوله، وإذا أخبر الله تعالى أنه أنزل على عبده الكتاب الذي هو الفرقان ليكون للعالمين نذيراً دخل في ذٰلك الجان كدخول الإنس لا محالة؛ لأنهم من العالمين، وعلى هٰذا؛ فيترجح تفسير العالمين هنا بمن يعقل أخذاً من العلم لا من مجرد العلامة لاختصاص الإنذار بمن يعقل، والحجة ظاهرة من هٰذه الآية الكريمة، وقد قرىء في الشاذ ﴿عَلَىٰ عِبَادِهِۦ﴾؛ فيكون الإنذار عائداً إلى الله سبحانه وتعالى.

المسلك السابع: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فالله تعالى أنزل القرآن على عبده لينذر العالمين، وقد ثبت أنه أنذر الجن كما أنذر الإنس، وأن القرآن بلغهم، والمراد به من بلغه القرآن وليس المراد به البلوغ بمعنى الإحتلام؛ لأن خطاب ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ إنما تناول المكلَّفين، فاشتراط التكليف في المعطوف يقتضي عدم كونه شرطاً في الأول، وهو خلاف الإجماع، ولهٰذا قال السلف رضوان الله عليهم: من بلغه القرآن؛ فقد أنذر بإنذار النبي ﷺ.

وقول السائل: لا حجة في هٰذه الآية ولا في قوله ﷺ: «بعثت إلى الأسود والأحمر»[1] لعدم نصه صريحاً على ذٰلك؛ فلا تثبت

---

(١) مضى تخريجه في (٦٢٨) وسيأتي (ص ٦٤٠).

الرسالة باحتمال مرجوح ساقط جداً، وذٰلك أن العموم إذا كان قائماً كان المقتضى للتناول ظاهراً، فإذا انضم إلى ما ذكرناه صار قاطعاً؛ فكيف يكون مرجوحاً؟! وهل قال أحد ممن اعترف بصيغ العموم: إن تناول العام لبعض أفراده مرجوح، أو أنه إذا لم يكن نص صريح لم تكن فيه حجة. هذا سلب لجميع صيغ العموم من الاحتجاج بها وجعل بعض أفرادها مرجوح التناول بمجرد الرأي العاري عن دليل؟! ولا يقول هٰذا أحد من العلماء(١).

فصل

فأما قوله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود»؛ فهو حديث ثابت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة(٢)، وقد اختلف العلماء وأرباب اللغة في المعنى المراد من الأحمر والأسود هنا؛ فقيل: هم العجم والعرب؛ لأن الغالب على العجم الحمرة والبياض وعلى ألوان العرب الأدمة والسواد، وقيل: أراد الجن والإنس، وقيل: أراد بالأحمر الأبيض مطلقاً، فإن العرب تقول: امرأة حمراء؛ أي: بيضاء، وسئل

---

(١) انظر: «الموافقات» (٤ / ٤٦)، وتعليقي عليه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد، باب منه، رقم ٥٢١) وفيه: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، والدارمي في «سننه» (٢ / ٢٢٤، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا)، وأحمد في «المسند» (١ / ٢٥٠، ٣٠١ و٤ / ٤١٦ و٥ / ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢)، وفي «صحيح البخاري» (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥، وكتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم ٤٣٨) عن جابر؛ رفعه ضمن حديث: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة». مضى (ص ٦٢٨).

ثعلب: لِمَ خص الأحمر دون الأبيض؟ قال: لأن العرب لا تقول: رجل أبيض من بياض اللون، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون؛ قالوا: الأحمر.

قال ابن الأثير: «وفي هٰذا القول نظر؛ فإنهم قد استعملوا الأبيض في ألوان الناس وغيرهم، ومنه حديث: «أعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض»، وهما ما أفاء الله على رسوله وأمته من كنوز الملوك؛ فالأحمر الذهب والأبيض الفضة كنوز الروم لأنها الغالب على نقودهم»[(١)].

قلت: ويترجح التفسير بالجن والإنس؛ لأن الحديث قد جاء من طريق أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «وبعثت إلى الخلق كافة» كما نذكره، وهو يرجح أن المراد بالأسود الجان، الثاني أن إطلاق السواد على الجن صحيح باعتبار مشابهتهم الأرواح، والأرواح يقال لها أسودة؛ كما في الحديث الصحيح حديث الإسراء، وأنه رأى آدم ﷺ في سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، وأنها نسم بنيه المؤمنين وغيرهم[(٢)].

---

(١) انظره بتمامه في: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨) لابن الأثير.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم ٣٤٩، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، رقم ٣٣٤٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم ١٦٣).

المسلك الثامن: أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة»[1]. أخرجه البخاري.

ويكفي من جوامع الكلم أن الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الاثنين.

قلت: قوله ﷺ: «وأرسلت إلى الخلق»؛ يعني: المخلوقين كافة؛ أي جميعاً، وهو حجة ظاهرة في تناول رسالته الشريفة الجن والإنس.

المسلك التاسع: أخرج الترمذي وغيره من الحفاظ عن جابر بن عبدالله؛ قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يقرأ عليهم سورة الرحمٰن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن؛ فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣)، واللفظ له، وبهٰذا اللفظ ومن طريق أبي هريرة لم يخرّجه البخاري، بل أخرج في «صحيحه» (كتاب التيمم، باب منه، رقم ٣٣٥، وفي كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم ٤٣٨) من حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لى الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافَّة، وأعطيت الشفاعة.»

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمٰن: ١٣]؛ قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»». وفي رواية بعضهم: «فكانوا أحسن منكم رداً وثناءً: ولا بشيء من آلائك»[١].

وهٰذا الحديث شاهد لحديث ابن مسعود في ذهاب النبي ﷺ إلى الجن وتلاوته عليهم القرآن، ووجه الاحتجاج منه أنه ﷺ قرأ عليهم سورة الرحمٰن على ما فيها من الأمور المتعلقة بالجان، وقالوا عند ذكر آلاء في كل مرة: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، والآلاء: هي النعم، قال الشاعر:

أبيض لا يرهب الهزال ولا   يقطع رحماً ولم يخن آلاء

أنشده الأزهري وذكر أن (ألى) واحد (الألاء)، وهي النعم[٢]، ومن أكبر نعمه سبحانه على عباده إرسال محمد ﷺ بالهداية إلى الإيمان، وأخبر عنهم أنهم لا يكذبون بذٰلك؛ فدل على إيمانهم بالرسالة إليهم وثبوت تكليفهم بحكمها، وهٰذه السورة الشريفة تضمنت أموراً متعلقة بالجان؛ كقوله:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وقوله: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمٰن: ٧٢]، ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمٰن: ٥٦، ٧٤]؛ أي: قبل أزواجهن في

---

(١) مضى تخريجه في التعليق على (ص ١١٦)، من هٰذا السفر.

(٢) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٦ / ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١).

موضعين من السورة.

المسلك العاشر: أن الجن داخلون في مسمى الناس لغةً؛ لأن الناس من ناس ينوس: إذا تحرك، والألف منقلبة عن واو هي عين الكلمة، وتصغيره نويس[(١)].

قال الراغب: «الناس جماعة حيون ذوو فكر وروية، والجن لهم فكر وروية، ويتحركون في مراداتهم، ولهٰذا دخلوا في عموم الناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وفي قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥ ـ ٦] بناءً على أن الجن موسوس لهم»[(٢)].

قال العلماء: فسموا أناساً كما سموا رجالاً في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]؛ فسمي الجن رجالاً كما سمي الإنس رجالاً، وإذا ظهر هٰذا؛ فقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٢١] الآيات، وقوله ﷺ: «وبعثت إلى الناس كافة» يتناول جميع ذٰلك الجن، ويقتضي ثبوت رسالته إليهم ودخولهم تحت شرعه، وهٰذا ظاهر.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣ / ٩٨٧).

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص ٥٠٩) للراغب الأصفهاني.

المسلك الحادي عشر: أن الله تعالى يهدي الإنس والجن جميعاً بالقرآن تخصيصاً بحقية إعجازه وعجز الخلق عن الإتيان بمثله، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأخبر أنهم لا يأتون بسورة مثله، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤]؛ فتناول هٰذا الجن لكونهم من الناس، وقد قال في أول الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]؛ فذكرهم في معرض التحدِّي لهم مع الإنس دليل على تناول الرسالة لهم ودخولهم تحت الأمر والنهي من جهة النبي ﷺ، وبدأ في هٰذه الآية الكريمة بالإنس قبل الجن؛ لكونهم أفضل وأفصح، وبدأ بالجن في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لأن الجن وجدوا قبل الإنس؛ فالبداءة هنا لأجل السبق الوجودي، والبداءة هناك لأجل التمييز في الفضل والاقتدار على الفصاحة.

المسلك الثاني عشر: العلم القطعي من الكتاب والسنة حاصل بوجود الجن، ولم ينكرهم سوى قوم جهال كالفلاسفة والدهرية وبعض القدرية، وثبت أنهم مكلفون، ولا يجوز أن يكونوا خارجين عن شريعة محمد ﷺ لأنها ناسخة ورافعة وباقية مستمرة، لأنه ﷺ هو العاقب الذي لا نبي بعده، وهو الحاشر، وفي «الصحيح» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا

العاقب»[1]، وفي رواية في «الصحيح»: «والعاقب الذي ليس بعده نبي»[2]، وفي رواية في «الصحيح» أيضاً: «وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً»[3].

وكذلك قال أبو عبيد، قال يزيد بن هارون: «سألت سفيان عن العاقب؛ قال: آخر الأنبياء، وفي الكتاب العزيز وصفه الله ﷺ بكونه خاتم النبيين».

قال أبو عبيد: «كل شيء خلف شيئاً؛ فهو عاقب، وقد عقب يعقب»[4].

قال ابن فارس: «وكل شيء جاء بعد شيء؛ فقد عاقب ذلك الشيء وتعاقب الرجلان الناقة إذا ركباها كل واحد منهما بعد صاحبه، قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم ٣٥٣٢، وكتاب التفسير، سورة الصف، باب قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، رقم ٤٨٩٦)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم ٢٣٥٤ بعد ١٢٤).

(٢) وهي عند مسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم ٢٣٥٤ بعد ١٢٤).

(٣) «صحيح مسلم» (كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم ٢٣٥٤ بعد ١٢٥). وانظر لأسماء النبي ﷺ: «جلاء الأفهام» (رقم ٢٠٧ ـ بتحقيقي).

(٤) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (١ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، ونقله عنه ابن فارس في «أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها» (ص ٣٣).

أَنِخْهَا فَأَرْدِفْه فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا وإلاَّ فَإِنْ كَانَ العقَابَ فَعَاقِبِ»[1]

هٰذا مع إخبار النبي ﷺ بنزول عيسى على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقتل الدجال بباب لد[2]؛ فشرع محمد ﷺ لا يُنسخ، بل هو باقٍ ومستمر، وعيسى ﷺ يكون حاكماً بالشريعة المحمدية عند نزوله، وإذا كان عيسى متبعاً شريعته وحاكماً بشريعته ﷺ؛ كيف لا يكون ذٰلك لازماً من اتبعه؟! فبالطريق الأولى تحقيق ذٰلك في التابع.

وكذٰلك موسى ﷺ أخبر الرسول ﷺ أنه لو كان حياً ثم تركوا اتباع الرسول واتبعوه؛ لضلوا؛ كما في الحديث الثابت: «أنه رأى بيد عمر ورقة من التوراة، فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني؛ لضللتم»»[3]. وأخرجه الإمام أحمد وغيره: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[4].

---

(١) ذكره ابن فارس في «أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها» (ص ٣٣).

(٢) أخرج الحديث مطولاً مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، رقم ١٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ٣٨٧) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله رفعه، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣ / ٤٧٠ و ٤ / ٢٦٦)، وأبو نعيم في «معجم الصحابة» (١ / ق ٣٤٤ / ب)، والبغوي في «معجم الصحابة» (ق ١٩٢ / أ)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨ / ٣٠٧٣، رقم ٩٤٦ ـ ط الباز) من طريقين عن الشعبي عن عبدالله بن ثابت الأنصاري رفعه، وفي أحدهما مجالد بن سعيد، وفي الأخرى: جابر الجعفي. والحديث حسن لغيره.

وإذا كان هٰذا موسى الكليم؛ كيف يكون التابع له وقد قال السلف: إن الجن كانوا من يهود الجزيرة، ولهٰذا قالوا من بعد موسى: فإذا كان موسى لو كان حياً لاتبع محمداً ﷺ؛ فكيف بأتباعه من الإنس وكيف بأتباعه من الجن؟! وهٰذا ظاهر.

المسلك الثالث عشر: ما ثبت في «الصحيح» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ قال: «نفر من الإنس يعوذون بنفر من الجن، فأسلم النفر من الجن واستمسك الآخرون بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾»[(١)]، وهو دليل على تناول الرسالة للجن ودخولهم تحت الخطاب الشرعي، والحكم بصحة الإسلام لمن أسلم منهم يحققه ما بعده:

المسلك الرابع عشر: وهو ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن عبدالله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ««ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولٰكن الله أعانني عليه فأسلم؛ فلا يأمرني إلا بخير»»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التفسير، باب ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ . . .﴾ الآية، رقم ٤٧١٤، وباب قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ . . .﴾ الآية، رقم ٤٧١٥).

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، رقم ٢٨١٤).

المسلك الخامس عشر: أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته والقيام بامتثال أوامره والانزجار عن نواهيه، سواء في ذٰلك الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكما في الحديث المشهور الصحيح حديث معاذ: «أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به»[(١)]، واللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ ليست معارضة للام في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]؛ فإن تلك دلت على أن الله سبحانه خلقهم للعبادة، وهٰذه على أنه خلقهم للاختلاف أو الرحمة أو لهما، ورحمة غير المؤمنين واقعة في الدنيا، بخلاف المؤمنين؛ فإنها لهم في الدنيا والآخرة؛ لأن المفعول لأجله تارة يكون مطلوباً بمعنى أنه غاية طلبته، وتارة واقعاً؛ فاللام في قوله: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ لام غاية طلبته لأنّ العبادة وقعت من البعض والكفار لم يعبدوه سبحانه، واللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ لام غايةواقعة؛ فإنهم اختلفوا؛ فتلك مطلوبة من الكل مفعولة من البعض.

إذا ظهر هٰذا، وأن الله تعالى خلقهم لعبادته سبحانه كما أخبر

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم ٢٨٥٦، وكتاب الأدب، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم ٥٩٦٧، وكتاب الاستئذان، باب من أجاب بـ(لبيك وسعديك)، رقم ٢٧٦٧، وكتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم ٦٥٠٠، وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم ٧٣٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن ما من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم ٣٠).

وأمرهم ونهاهم وأوجب عليهم أشياء ثم نسخ بعضاً منها إلى أن استقرت الأحكام الشرعية المحمدية التي أكمل الله تعالى النعمة على الأمة وكملها حيث قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]؛ كان إرسال محمد ﷺ رحمة لجميع الخلائق؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[(١)]، وجعل الله تعالى شريعته أكمل الشرائع وأمته خير الأمم؛ كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ أي: أنتم خير أمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط: هو الخيار، ومنه الصلاة الوسطى، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١ / ٣٥)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (١ / ١٥٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (رقم ١١٦٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (رقم ٢٦٤)، و«الأوسط» (رقم ٢٩٨١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (رقم ٢٤٥٢)، والرامهرمزي في «الأمثال» (رقم ١٣) عن مالك بن سعير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً، وخولف (ابن سعير) خالفه من هو أوثق منه، وأكثر منه عدداً، فرواه وكيع ـ كما عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٩٢)، وابن الأعرابي في «المعجم» (رقم ١٠٨٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١ / ١٥٧) وأبو مسهر ـ كما عند الدارمي (١ / ٩) كلاهما عن الأعمش عن أبي صالح مرسلاً، وهو الصواب، قاله الدارقطني في «العلل» (٣ / ق ١٣٢ / ب)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٤٨٠).

قال الراغب: «الوسط في الأصل: اسم المكان الذي يسوى إليه المساحة من الجوانب في المُدَوَّر ومن الطرف في المُطَوَّل، كالنقطة من الدائرة وكَفَّتَي الميزان من العمود، وجعل عبارة عن العدل، وكذٰلك السَّواء والنَّصفة ويشبه به كل ما وقع بين طرفي إفراط وتفريط؛ كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن»[1].

ثم جعل عبارة (عن المختار) من كل شيء حتى قيل: فلان من أوسطهم نسباً، وكما جعلهم وسطاً جعلهم خيراً في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم قال: فإن قيل: كيف جعلهم وسطاً أبخَلْق أم بخُلق خصَّهم به، أم بعلم ركزه فيهم، أم بشرع شرعه لهم؟

قيل: قد خصهم بكل ذٰلك، والظاهر من ذٰلك هي الشريعة التي إذا اعتبرت بسائر الشرائع وجد لها حدّ الإعتدال، وهو أن بني إسرائيل لما عتوا حكى الله تعالى عنهم في غير موضع شدّد عليهم أشياء صارت عليهم آصاراً وأغلالاً نحو: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وكذٰلك أمرنا تعالى فيما ندعو به أن نقول: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم خفف عنهم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام بعض التخفيف، ولذٰلك حكى عنه: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [آل

---

(١) نحوه في «مفردات القرآن» (ص ٥٢٢ - ٥٢٣).

عمران: ٥٠] وتمم ذٰلك بمحمد ﷺ؛ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقال ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة»(١)؛ فصارت شريعته متوسطة بين الإفراط الذي هو الآصار والأغلال وبين التفريط الذي هو الإضاعة والإهمال، وعلى ذٰلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولكون هٰذه الأمة وسطاً سمي مقتضاها عدلاً باتفاق العقول، فقال: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ . . .﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية» انتهى كلامه.

وقد جمع الله تعالى في شريعة محمد ﷺ ما فرقه في الشرائع من المحاسن ورفع عن أمته آصاراً كانت على من قبلهم وأغلالاً كانت لازمة لهم، وكان بعض من قبلنا من توبة أحدهم إذا أذنب أن يقتل نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٥٤] الآية؛ فرفع الله تعالى هٰذا، وشرع التوبة، ونهى عن قتل الرجل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦ / ١١٦، ٢٣٣) عن عائشة بسندٍ حسن، وقد خرجتُه بتفصيل في تعليقي على رسالة السخاوي «الجواب الذي انضبط» (ص ٤٤ - ٤٦)، وانظر «الموافقات» (٢ / ٢١١) وتعليقي عليه، و «تغليق التعليق» (١ / ٤٣)، و «هدي الساري» (ص ١٢٠).

نفسه، وبين تعالى أنه لو كتب عليهم ذٰلك ما فعله منهم إلا قليل؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، ولو كتب ذٰلك لم يفعله إلا قليل، وكان التاركون مستحقين للعقوبة؛ فمن رحمته عدم كتابة ذٰلك عليهم، وكذٰلك كان في شريعة موسى ﷺ جزاء القاتل القتل عيناً لا يجوز سواه؛ من دية ولا غيرها، وفي شريعة عيسى عليه السلام الدية من غير قتل، وجمع الله هٰذا وهٰذا في شريعة نبينا محمد ﷺ، فإن شاء الولي الإقتصاص أوقعه، وإذا أراد الدية أخذها، رحمة وتوسعة، وكذٰلك إزالة النجاسات طائفة تلابسها وطائفة تقرضها، وجاءت الشريعة المحمدية بغسلها من غير إيجاب قرض ولا جواز ملابسة.

وكذٰلك غلت اليهود في أشياء ورخصت النصارى في أشياء، وجاءت هٰذه الشريعة المحمدية بالحكم الوسط والأمر العدل، وإذا تحقق هٰذا؛ فالجان خَلْقٌ من خلق الله تعالى خلقهم لعبادته ليثيب مطيعهم ويعاقب ممتنعهم؛ فكان من الواضح تعبدهم بشريعة محمد ﷺ؛ لِمَا جمع الله تعالى فيها من المحاسن وحقَّقه من الفضائل.

قال الراغب أيضاً: «علمنا تأييد شرع محمد ﷺ حصل لنا بقوله ﷺ وبرهان، وهو أن دينه ﷺ بالاعتبار العقلي وسط؛ كما وصفه الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأنه مصون عن الإفراط والتفريط، والوسط الذي هٰذا صفته هو الحق الذي قال تعالى فيه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

قال: ولشرح هٰذا موضع غير هٰذا»[1].

فصل

في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠]: قال العلماء: المعشر: جماعة أمرهم واحد، والجمع المعاشر[2]، واختلف العلماء: هل كان من الجن رسل، أم لا؟!

فمذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لم يكن من الجن رسول، وإنما كانت الرسل من الإنس، وأجابوا عن قوله: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] يعني: من أحدكم، وهو الإنس؛ فهو كقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما، وهو المِلح دون العذب، وإنما جاز ذٰلك؛ لأن ذكرهما قد جاء في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الرحمٰن: ١٩]. قالوا: وهٰذا جائز في كل ما اتفق في أصله؛ فلذٰلك لما اتفق ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين، وهو الإنس، وهٰذا قول الفراء والزَّجّاج، وهو مذهب جماعة من العلماء[3].

قال الواحدي: «ودل عليه كلام ابن عباس؛ لأنه قال: يريد أنبياء

---

(١) ليس في «مفردات القرآن» ولا في «مجمع البلاغة» ولا في «الذريعة» جميعها للراغب الأصبهاني.

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢ / ٣٢٣).

(٣) وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: (ص ١٥١ - ١٥٢) من كتابنا هٰذا.

من جنسكم، ولم يكن من جنس الأنبياء جن»[1].

وذهب قوم إلى أنه أرسل من الجن رسل منهم كما أرسل إلى الإنس رسل منهم، قال الضحاك: «من الجن رسل كما من الإنس رسل»[2]، واحتج قائل هٰذا بالآية وأجيب عنه بأن الله تعالى قال: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وهٰذا يقتضي أن تكون الرسل بعضاً من أبعاض هٰذا المجموع؛ ففيه وفاء بمدلول الآية مع عدم إرسال الرسالة من الجن.

وقيل: إن الرسل جميعهم من الإنس؛ إلا أن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الإنس، ثم يأتوا قومهم فيحدثونهم بما سمعوا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

المسلك السادس عشر: في الكلام على مفردات السؤال قوله: كافة الجن ينبغي أن يقال: الجن كافة؛ لأن كافة لا تأتي إلا متأخرة منصوبة غير مصحوبة بالألف واللام، ذكر هٰذا غير واحد؛ كالكرماني وغيره.

قوله: ما دليله على ذٰلك؟

قلنا: قد ذكرنا الأدلة وذكرنا ما قاله القرطبي: إن العلم القطعي

(١) انظر: «الوجيز» للواحدي (١ / ٢٦١). وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢ / ١٧٧).
(٢) انظر تعليقنا على (ص ١٥١ ـ ١٥٢) من هٰذا الكتاب.

من الكتاب والسنة حاصل بذلك.

قوله: إذ لا يجوز أن يسند إلى الأنبياء ما لا دليل عليه.

قلنا: ولم يسند هٰذا أحد من العلماء، ولم يَدَّعِه أحد من الفضلاء، بل لو نظر في هٰذا عرف دليله كالشمس ضحى.

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[1]

قوله: ولا دليل في قوله تعالى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

قلنا: قد ذكرنا أن هٰذه الآية الكريمة نص صريح في ثبوت دعايتهم وحقيقة الإرسال إليهم، وأن الإيمان به ﷺ يقتضي الدخول في شرعه.

قوله: ولا في سورة الجن.

قلنا: قد تقدم الكلام على هٰذا، وإن احتج السائل بكونها وصفاً لعقائدهم ليس مستمسكاً لِمَا يدَّعيه؛ ففيها: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١٣]، وأي دليل أصرح من هٰذا؟!

قوله: ولا في قوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

---

(١) بيت واحد سار كالمثل، وهو للمتنبي، وهو من قطعة في سبعة أبيات قالها بحضرة سيف الدولة، والأبيات في «شرح ديوانه» للعكبري (٣ / ٩٢ ط القاهرة، سنة ١٩٧١م).

قلنا: قد تقدم الكلام، وبينا أن ما ذكره السائل لا يقوله أحد ممن يعترف بصيغ العموم؛ فإن الصيغة إذا كانت قائمة كان التأوُّل ظاهراً، ويمنع أن يكون مرجوحاً.

قوله: ولا فيما رُوي عن ابن مسعود.

قلنا: حديث ابن مسعود المشتمل على ذكر نبيذ التمر[1]، وقد ذكرنا كلام الأئمة فيه.

وأما حديث علقمة عن ابن مسعود؛ فهو نص صريح في كونه ﷺ ذهب إليهم وتلا عليهم القرآن، وأي حجة أصرح من هٰذا؟! وكأن السائل لم يتأمل الحديث إلى آخره[2]!!

قوله: وثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لم ير الجن ولا تلا عليهم القرآن[3].

قلنا: قد أجبنا عن هٰذا بأجوبة وحققنا أن هٰذا النفي لم يتناول ما ذكره ابن مسعود من ذهابه ﷺ إليهم وتلاوته عليهم، وإنما المراد به حالة واحدة ووقت خاص.

قوله: فإن ثبت أنه ﷺ ادعى ذٰلك وجب الإيمان به.

قلت: قد ذكرنا الأدلة على ذٰلك من الكتاب والسنة والاعتبار العقلي والاتفاق من العلماء؛ إذ لا نعلم إماماً من أئمة المسلمين نفى

---

(١) مضى تخريجه. وانظر: «الخلافيات» (١ / ١٥٨ ـ ١٨٢).

(٢) مضى تخريجه.

(٣) مضى تخريجه.

ذٰلك، وأقوال الصحابة والأئمة مشهورة معلومة كما قد ذكرنا بعضاً منها.

قوله: وما معنى قوله ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[(١)]؛ هل التخصيص باعتبار ما بعثوا به من الشرائع المختصة بأمة دون أخرى لاتفاقهم على أصول الدين، أم باعتبار مجموع الأمرين، أعني الأصول والفروع... إلى آخره.

فيقال: ذكر الشيخ الإمام العلّامة تقيّ الدين شارح «الأحكام» في قول النبي ﷺ: «أعطيت خمساً...» الحديث: «ظاهره يقتضي أن كل واحدة من هٰذه الخمس لم تكن لأحد قبله صلوات الله عليه. قال: ولا يعترض على هٰذا بأن نوحاً ﷺ بعد خروجه من الفلك كان مبعوثاً إلى أهل الأرض؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه، وقد كان مرسلاً إليهم. قال: لأن هٰذا العموم في الرسالة لم يكن في أصل البعثة، وإنما وقع لأجل الحادث الذي حدث، وهو انحصار الخلق في الموجودين بهلاك سائر الناس، وأما نبينا ﷺ؛ فعموم رسالته في أصول البعثة، وأيضاً؛ فعموم الرسالة بوجوب قبولها عموماً في الأصول والفروع، وأما التوحيد وتمحيض العبادة لله؛ فيجوز أن يكون عاماً في حق بعض الأنبياء[(٢)]، وإن كان التزام فروع شرعه ليس عاماً؛ فإن من الأنبياء

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) قال ابن الملقن في «غاية السول في خصائص الرسول» (ص ٢٥٩): «إن رسالته ﷺ عامة إلى الإنس والجن، وكل نبي بُعث إلى قومه خاصة، وأما نوح عليه السلام؛ فصارت رسالته عامة بعد الطوفان لانحصار الباقين فيمن كان معه=

المتقدمين صلوات الله عليهم من قاتل غير قومه على الشرك وعبادة غير الله، ولو لم يكن التوحيد لازماً لهم بشرعه أو شرع غيره لم يقاتلوا ولم يقتلوا إلا على طريقة المعتزلة القائلين بالحسن والقبح.

هذا آخر الجواب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وعترته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين» اهـ كلام الإمام أبي العباس ابن قدامة، وقد كتبت النسخة المنقول عنها في أواخر رجب سنة ٩٤١.

* * *

= في السفينة، وأما قبله؛ فاختلفوا في عمومها؛ فقيل: كانت عامة لعموم العقاب بالطوفان لمخالفته، وقيل: كانت خاصة لقومه».

فهرس الآيات

* * *

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
الذي هتف بك من الجن	ابن عباس	٥٣٩
الذين يشترك فيهم الجن	عائشة	٤٢٢ت
«س»		
سألت رسول الله ﷺ عن التفات الرجل	عائشة	٢٥٤
ستر ما بين الجن وعورات بني آدم	علي	٥٢٣
سجد النبي ﷺ بالنجم	ابن عباس	٩٣ت
سؤال الصحابة من الرسول ﷺ أن يحيي لهم صاحبهم	أبو سعيد	٤٩١ت
سيكون في ثقيف كذاب ومبير	أسماء بنت أبي بكر	٦٠٠
«ش»		
شُكي إلى رسول ا لله ﷺ الرجل يخيل إليه	عبدالله بن زيد	٢٥٥
الشيطان يفر (ينفر) من البيت الذي يقرأ فيه	أبو هريرة	٥١٧ت
«ص»		
صدق الخبيث	أبي بن كعب	٤٦٥ت
صدقت وإن كانت كذوباً	أبو أيوب	٤٦٢ت
صدقت وهي كذوب	أبو أيوب/بريدة	٤٦١ت ـ٤٧٠ت
	الأسلمي/ أبو أسيد	ـ٤٧١ت
صدقك وهو كذوب	أبو هريرة	٣٨٧
صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة	عمرو بن عبسة	٢٩٤
صلُّوا في مرابض الغنم	أسيد بن حضير	٤٣ت
الصوم جنة		٥٢٨
«ض»		
ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك	عثمان بن أبي العاص	٣٧٧ت
ضمَّ إليَّ النبي ﷺ ثمر الصدقة	معاذ بن جبل	٤٦٩ت
«ع»		
عرض أعرابي لرسول الله ﷺ	ذو الغرة	٤٣ت

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
	«ل»	
لأرفعنك إلى رسول الله	أبو هريرة	٤٥٧
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	المسيب بن حزن	٥٥٣
لعن الله من ذبح لغير الله		٣١٦ت
لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً	يعلى بن مرة	٤٠٦
لقد قرأتها على الجن ليلة الجن	جابر	٦٤٢
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه	ابن مسعود	٤٩ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ٦٣٢ ـ ٦٣٧
للجن كانوا أحسن منكم رداً	جابر	١١٦ت ـ ١٥٥
لله أشد إذناً إلى الرجل يحسن قوله	فضالة بن عبيدالله	٣٠٢
لم ير النبي ﷺ الجن	ابن عباس	٦٢٨
لم يستعيذ المستعيذون بمثلها	عقبة بن عامر	٢٤٧
لما توجه رسول الله ﷺ يوم الحديبية	ابن عباس	٥٣٩
لما حملت حواء طاف إبليس بها	سمرة	١٦٥ت
لو أن الرياض أقلام والبحر مداد		٦١٥
لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي	أبو سعيد	١٨٧
لو علمته لحبَّرته لك تحبيراً	أبو موسى	٣٠٢
لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني	جابر	٦٤٧
لو كان المؤمن في جحر لقيض الله		٦١٤ت
لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال	أبو هريرة	١٢٧
لي خمسة أسماء	جبير بن مطعم	٦٤٥
ليأخذ كل رجل برأس راحلته	أبو هريرة	١٩٠ت
ليس ذلك كذلك	ابن عباس	٢٢٦
	«م»	
ما أحسن لهوكم	معاوية	٣٠٨

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
ما أرى بأساً من استطاع منكم أن ينفع	جابر ـ عوف بن مالك	٦٢ ـ ٤٥٠
ما بال العظم والروثة	أبو هريرة	٥٠ ـ ١٣٩
ما ترى؟		٥٠١
ما حملك على ما صنعت	أبي بن كعب	٤٦٥ت
ما رآك الشيطان سالكاً فجاً	سعد بن أبي وقاص	٥٤١
ما سأل سائل ولا استعاذ	عقبة بن عامر	٢٤٨ت
ما صحبه منا أحد ولقد كنا مع رسول الله ﷺ	ابن مسعود	٦٣٢
ما فعل أسيرك؟	أبو أيوب	٤٦١ت
ما فعل أسيرك البارحة؟	أبو هريرة	٤٥٧
ما فعل أسيرك يا معاذ؟	معاذ بن جبل	٤٦٨ت
ما فعل حبيسك؟	يعلى بن مرة	٤٠٦
ما فعل الرجل وأسيره؟	أبو أيوب	٤٦٢ت
ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن	ابن عباس	٦٣٤
ما كان من العين والقلب فمن الله	ابن عباس	٢٩٢
ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى	ابن عباس	٢٢٦
ما من أحد إلا قد وكل به قرينه	ابن مسعود	١٩٢
ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن	أبو الدرداء	٣٥٩ ـ ٥٣١
ما من مولود يولد إلا طعن الشيطان	أبو هريرة	٤٠٣ت
ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان		٥١٣
ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان		٤٠٣ت
ما من نبي إلا قد أنذر قومه الدجال	ابن عمر	٣٤٦
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه	ابن مسعود	٥١١ ـ ٦٤٨
ما وجع أخيك	ابن أبي ليلى	٤٧٧ت
ما يأتيك؟		٥٠١
ماذا قرأت في أذنه	ابن مسعود	٤٨٠ت
من أتى عرافاً فسأله عن شيء	بعض أزواجه ﷺ	٢٣٦ ـ ٥٠١

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم		٣٢٨
يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً		٤٥١
يكون بين يدي الساعة كذابون	أبو هريرة	٣٤٧

* * *

فهرس الآثار

طرف الأثر	رقم الصفحة
إنما أركبوني شيطاناً	٤٧
إنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له	٥٣٠ت
إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة	٢٠٣ت ـ ٢٥١
أين ولي هذا الرجل	٣١٢ت
بينما أنا يوماً في السوق جاءتني امرأة أعرف فيها الفزع	٣٦٤ت
تفرقنا عن رسول الله يوم أحد فصعدت الجبل	١٩٤ت
ذاك أبو الهيثم بريد الجن	٢٠٥
ذاك يوم كذا وكذا من الجمعة	٢٠٦ت
ذرني من التراد إني تائب إلى الله	٦٠٥
ذكر عند عمر (الغيلان) فقال إنه لا يتحول (أسير بن عمرو)	٥٣٠ت
ذكرنا ربنا (لأبي موسى)	٣٠٢
صدق بينما أنا عند آلهتهم إذا جاء رجل بعجل فذبحه	٣٦٤ت
طلقها (قاله لولي الرجل الذي اختطفته الجن)	٣١٢ت
فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني	٣٦٤
فخررت لله ساجداً	٦٠٦
قد أفنيت الدينا عمرها إلا قليلاً	٦٠٥
لعلّك تكون لقيت بريداً من برد الجن	٢٠٦ت
لقد أخطأ ظني	٣٦٤ت
لقد كان منهم	٣٦٤
لقينا عدواً فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل	٢٠٥ت
لكني أدري عُدّ منازلك	٢٠٦ت
ما أعجب ما جاءت به جنيّتك	٣٦٤ت
من أين لكم هذا؟	٢٠٥
وأين كنت (قاله للذي خطفته الجن)	٣١٢ت
لا أبرح حتى أعْلم ما وراء هذا	٣٦٤ت
لا جرم إني على ذلك من النادمين	٦٠٥

من اشتهر بنسبه إلى أبيه

من اشتهر بنسبه إلى بلد أو قبيلة أو غير ذلك

آثار متفرقة على ترتيب الصفحات

* * *

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة	اسم العلم	رقم الصفحة

اسم العلم	رقم الصفحة	اسم العلم	رقم الصفحة

اسم العلم	رقم الصفحة	اسم العلم	رقم الصفحة

اسم العلم	رقم الصفحة	اسم العلم	رقم الصفحة

الكنى

كنى النساء

* * *

فهرس الجرح والتعديل

الكنى

من اشتهر بالنسبة إلى قبيلة أو بلدة أو صناعة أو غير ذلك

كنى النساء

* * *

فهرس الفرق والطوائف والجماعات

الطائفة — رقم الصفحة

فهرس الكتب والمصنَّفات

* * *

فهرس الغريب

* * *

الفوائد والمباحث

الفائدة	رقم الصفحة

أخبار متواترة

أصحاب الصوامع

أهل الأهواء

أهل البدع

أهل الخلوات

الاستعانة

الاستغاثة

الأطعمة

الأعراب

الأعراف

الأنصار

الحاكم (صاحب المستدرك)

تفاسير

تفسير إبراهيم بن محمد الزجاج

الجماعة

الجن

الجَنَّة

الجهاد

الجهل

الجهمية

جهنم

الجوع

الحب في الله

الحج

(١) انظر أيضاً: (الخلق).

الرقص

الزكاة

الزنا

الزنادقة

الزهد

الزط

الزينة

السالكون

السجود

السحر

السمع

السنة

الشدة

الشر

الشرع

الشرك

الشعر

الشفاعة

الشمس

الشهادات

الشهوات

الشيطان

الشيعة

الظلم

العبادة

الفواحش

فوائد أصولية

فوائد حديثية

القرآن

المعجزات

المعلوم بالضرورة

المغازي

مفاضلات شيخ الإسلام

النسيان

النصارى

الوصية

الوضوء

الوعد والوعيد

اليهود

* * *

الموضوعات والمحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

فهرست كتاب: تحقيق البرهان في رسالة محمد ﷺ إلى الجان.

* * *